

المستطفا

أَمْلِكْ لِي سِتْرًا

لِلْعَلَّامَةِ الْمُجَاهِدِ

عَبْدُ رُوسِ بْنِ عَبْدِ الرَّسْمِ الْعَلَوِيِّ الشَّيْبَانِي الدُّرُونِي

الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ رَيْسِ

رَحْمَةُ اللَّهِ

السَّيِّدِ مَهْدِيِّ الرَّجَائِي

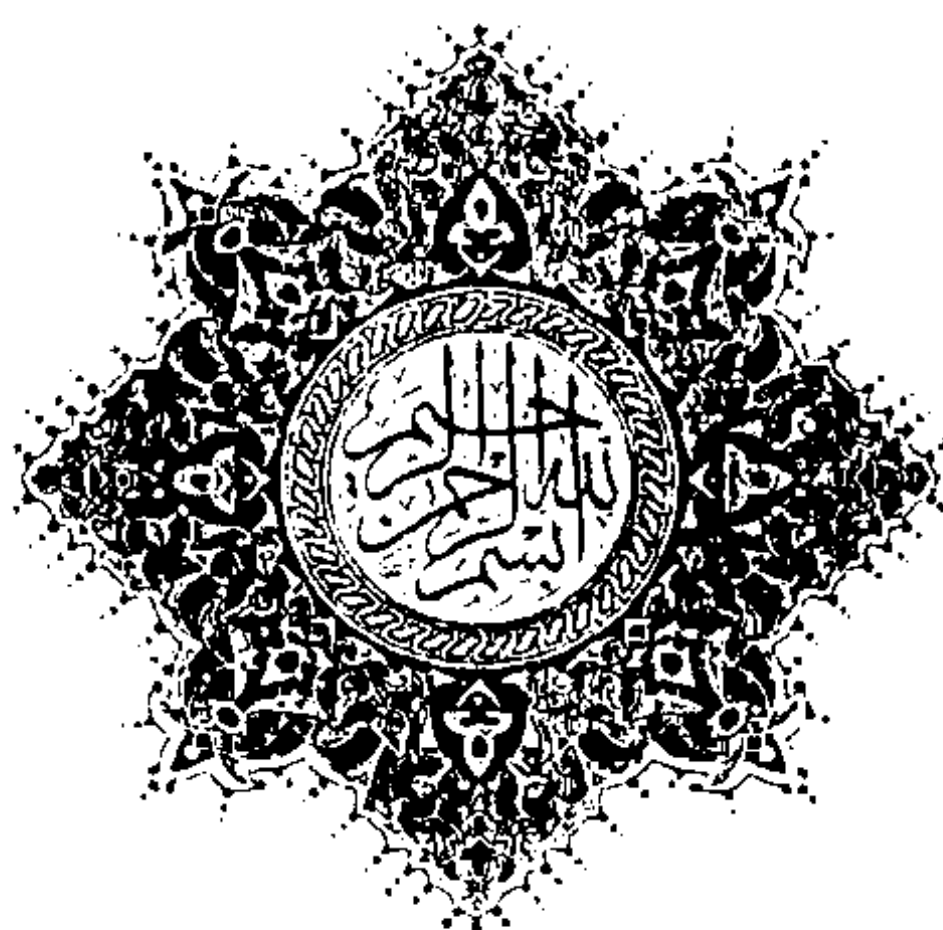
الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

الْمَجْمُوعُ الْعَمَلِيُّ لِلْمُبْلَغِينَ

هوية الكتاب:

المقتطفات ج ١	الكتاب:
ابن رويش الأندونيسي	المؤلف:
السيد مهدي الرجاني	العداد:
المعاونة الثقافية للمجمع الثقافي للمبلغين (ع)	الناشر:
١٤٣٢ هـ — ٢٠١١ م	تاريخ الطبع:

جميع الحقوق محفوظة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على أشرف بريته وخاتم رسله محمد وآله الطاهرين.

بين يدي القارئ كتاب «المقتطفات» لمؤلفه العلامة المدقق السيد «ابن رويش»، تناول فيه النصوص الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام، إقتطفها من المجاميع الحديثية لأهل السنة والشيعة، ورتبها على فصول، كما عقد فصلاً خاصاً بالإمامة والخلافة تعرّض فيه للنصوص والدلائل الواردة في الكتاب والسنة:

وتبرز أهمية الكتاب في جهتين:

الأولى: أنّ المؤلف يلتزم المذهب الشافعي ودرسه دراسة متقنة على أساتذته الذين يتعبّدون بهذا المذهب، لكن دفعه الإخلاص لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وحبّه لهم الذي أوصى به القرآن الكريم والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى تتبّع فضائلهم وما ورد في شأنهم ومنزلتهم، فدوّن ذلك في كتابه هذا، الذي تزين بزينة الإنصاف، وتحلّى بحلّة الحبّ والإخلاص، فصار من الباقيات الصالحات.

والثانية: أنّه اعتمد مرويات أهل السنة وطرقهم التي وردت في كتبهم، ليكون أبلغ في الحجّة، وأقرب إلى القبول، وأبعد عن النقد والتجريح.

فجزاه الله عن أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله خيراً، وحشره مع أجداده الكرام.

والمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الذي أخذ على عاتقه مهمّة تعريف فكرهم ونشر الآثار الواردة عنهم والنصوص المتضمّنة لفضائلهم، وتشرف بالانتساب إليهم سلام الله عليهم عنواناً ومضموناً، تبنّى نشر هذا السفر الثمين، وتقديمه إلى القراء بحلّة قشبية وطباعة أنيقة، وقد التمسنا من المؤلف أعزه الله أن

يتفضل علينا بنبذة مختصرة عن حياته بقلمه المبارك، فجاد علينا بذلك مشكوراً،
ولأجله أعرضنا في هذه المقدمة عن التعريف بالمؤلف والتعرض لترجمته اكتفاءً
بما قدمه بنفسه.

وقد عهدنا إلى المحقق البارع سماحة السيد مهدي الرجائي بمراجعة
الكتاب وتحقيقه وتخريج الأحاديث والنصوص الواردة فيه بعد ضبطها من
المصادر التي اعتمد عليها المصنف ونقل منها، فقام بذلك على أفضل وجه، فلا
يسعنا إلا تقديم الشكر له، ولجميع الذين شاركوا في إخراج هذا الكتاب النفيس.
والله نسأل أن يتقبل أعمالنا بأحسن القبول ويرزقنا شفاعته محمد ﷺ وأهل
بيته ﷺ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة ابن رويش مختصراً:

الاسم: عیدروس بن أحمد بن علوي بن عبدالرحمن^(١) السقاف العلوي الحسيني، المولود في اندونيسيا بجاكرتا سنة (١٩٢٧) ميلادية، موافق يوم الجمعة في الساعة ١٢ من شهر ذي القعدة سنة (١٣٤٤) هجرية.

نشأ تحت رعاية أبيه وحضانة أمه مع شقيقه وشقيقته، وله اخوة من الأب وأخوات أكبر من أمه سنّاً، فلمّا طوى السابعة من مرحلة عمره أدخله أبوه في مدرسة - جمعية خير - فرع فكو جان، وكان مديرها ابن أخت أبيه السيّد الفاضل فقيه عصره الحبيب عبدالرحمن بن سقاف السقاف «قاضي العرب في عهد الاستعمار الهولندي على اندونيسيا».

ولمّا بلغ من عمره عشر سنوات توفي والده الحنون، وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من عمره حوالي ٨٥ / ٩٠ سنة، وظلّ عائشاً مستظلاً تحت ظلّ أمه الشفيقة الى أن بلغ الثالثة عشرة من عمره، فبعثه ابن عمّته «السيّد عبدالرحمن المذكور» الى مدرسة «جمعية خير» تانه ابغ للرابطة العلوية تحت اشراف المهذب الكبير النسابة، صاحب التعليقات على كتاب «شمس الظهيرة» السيّد الشريف محمّد ضياء بن علي بن أحمد بن شهاب الدين العلوي الحسيني.

فلم يزل صاحب الترجمة يستقي من ندير حوض تلك المدرسة العظيمة القدر حتّى استولت الحكومة اليابانية على اندونيسيا، فأغلقت أبواب جميع المدارس، فعاد ملازماً ابن عمّته الفقيه الوحيد في عصره.

(١) عبدالرحمن هو: اول من لقب بـ «الروش» من اجداده. - ومعنى الرش: الحسن الهيئة والزي باسئلاح الحضرمية.

وما زال مواظباً على مجالسته عشية كل يوم يتفقه في دين الله على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله سنيماً الى أن توفي شيخه رحمه الله وألحقه بأجداده. وعلى كل تقدير وحسن حظه قد ختم بين يدي شيخه عدة كتب في الفقه، منها: لدروس الفقهية من الحلقة الاولى الى الرابعة، للشيخ المذكور، والمختصر للشيخ عبدالرحمن بأفضل الحضرمي، بشرح الشيخ ابن حجر الهيتمي وغير ذلك.

ولما هلكت الحكومة اليابانية واستولت هولندا على اندونيسيا للمرة الثانية، طلب منه الأستاذ صالح باجري مؤسس مدرسة «الاصلاح» أن يكون مساعداً له في التدريس، فدرس سنيماً قلائل ثم وقف بإشارة من أحد الأطباء، لتضرره من تعليم صغار الأولاد والبنات.

فعقد مجلساً في بيته بطلب من بعض أصدقائه ليلقي عليهم دروساً في الفقه واللغة العربية، فقبل ما طلبوه منه مستعيناً بالله العليم الخبير.

وكان مع ذلك لا يألو جهد الحضور مجالس العلم التي أسسها سادة العلويين والمشائخ في الدين البارزين الذين قد اشتهر صيتهم في آفاق اندونيسيا وغيرها من بلدان المسلمين، كمجلس السيد العلامة والبحر الفهامة، مورد العلماء، وملجئ الاتقياء، الحبيب الشريف علي بن عبدالرحمن الحبشي، ومجلس السيد الشريف ذي الفضل السامي الحبيب عبدالله بن حسين العطاس الملقب بالشامي، ومجلس الشيخ الفاضل عبدالله بن محمد عرفان بارجاء، الذي عقده في «الزاوية» التي بناها الحبيب العارف بالله السيد الشريف أحمد بن محمد بن حمزة العطاس الحضرمي قدس الله سره.

وكان وفقه الله لما يرضيه كثيراً ما يزور العلماء الأحياء منهم والإماموات ويتبرك بالنظر اليهم والاستفادة منهم بمحادثتهم ومجالستهم، ولا سيما اذا أشكلت عليه مسألة أو مشلكة من غوامض المشكلات، فكان ملجأ الوحيد الشريف الفاضل، نور المجالس والمحافل، شيخ المشايخ، ذي القدم الراسخ،

الحبيب الكريم علي بن حسين بن جعفر العطاس نور الله ضريحه.
وكان وفقه الله للخيرات كثيراً ما ينشر منشورات رداً على أصحاب
المحاريب والمنابر والاذاعات من الخطباء والمبلغين والوعاظ المنحرفين عن فهم
أهل بيت الوحي المطهرين في تفسير الآيات القرآنية وإيرادهم الأحاديث الضعيفة
والمختلفة ما تقتضي طعناً في حق أهل البيت النبوي أو مساً في كرامتهم، كحديث
الضحضاح، وحديث أهل بيتي كل مؤمن تقي. وحديث أصحابي كالنجوم، وما
أشبه ذلك من الكثير الوفير.

وقد أيده الله في ذلك - ولله جزيل الحمد والشكر - بمن يوافقونه في مبدئه
وخطته. منهم: السيّد عبداللّٰه بن أبي بكر العيدروس المساعد له في الكتابة،
والسيّد عبدالمطلب بن حسن بن هود الحبشي، وشقيقه عبداللّٰه بن حسن بن هود
الحبشي القائمان بامر الطبع والمطبعة.

ولكن لم يمض عليه في ذلك إلا مدّة يسيرة من الزمن حتّى سعى به بعض
الحسدة عند رجال الشرطة ونمّ عليه ووشى به، فجأؤوه وساءلوه، ولكن ما رجعوا
منه إلا صفر اليدين. وأخيراً قد دُعي الى مركز الشرطة، فسألوه عمّا ارتبط بمجلسه
وتعاليمه، وعلى كلّ حال قد سلّمه الله من شرّهم ومن شرارهم.

فمن أجل ذلك توقّف عن التعليم وأقبل على التصنيف بقدر استطاعته
وجهدّه، وإن لم يكن من فرسان هذا الميدان، وليس ممّن له باع طويل في العلم
والعرفان، غير أنّ الله عزّ وجل هداه ويلهمه رشده، فأنّه ولي التوفيق والهداية، وبه
مقاليد الأمور وحسن العناية والرعاية، فله جزيل الشكر والحمد وعظيم المنّ
والفضل والمجد.

صاحب الترجمة: عيدروس بن احمد بن علوي

السقّاف - المكنى بابن رويش

جاكرتا ٩ ذو الحجة ١٤١٣ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي النعمة العظمى، والمنحة الكبرى، الداعي إلى الطريقة المثلى، الهادي إلى الخليفة الحسنى، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى، وبعث محمداً ﷺ من منصب مجتبى، وأصل منتمى، أرسله والناس سدى، يترددون بين الضلالة والعمى، فنبه على خير الآخرة والأولى، ولم يلمس أجراً إلا المودة في القربى، شدّ أزره بأخيه المرتضى، وسيفه المنتضى، ومن أحله محلّ هارون من موسى.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ المدى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من أرسل ودعا، وأفضل من ارتدى واحتذى، صلى الله عليه وعلى آله شמוש الضحى، وأقمار الدجى، وشجرة طوبى، وسفينة نوح التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق في طوفان العمى، صلاة نلحق بهم بها يوم يكون الناس سكارى وما هم بسكارى، فالله خير المستعان وله الحمد والمن والفضل أولاً وآخراً.

فهذه نبذة يسيرة من فضائلهم الجليلة الزهية، التي اختصهم الله بها، ومناقبهم العلية التي من الله عليهم وتكرّم بها، ومفاخرهم البهية، التي توارثها أبناؤهم وذريّتهم.

الأشعار وما تضمّنته من الأخبار والآثار الإمام علي عليه السلام وشعره

فهذه نبذة من شعر مولانا وولينا إمام الأئمة، وقدوة الأمة، شيخ المهاجرين والأنصار، وأعظمهم فداءً يوم الفخار، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأيدنا بمدده في كل وجهة، آمين:

شعر فيه الإشارة إلى أنّ الإمامة المطلقة له بعد النبي ﷺ، اقتطفناه من كتاب الغدير [٢: ٢٥] للمجاهد الأوحّد في زمانه عبد الحسين أحمد الأميني متّعنا الله بحياته، وأرشدنا بنور علمه ومعرفته، وقد تلقّته بالقبول الحفظة الثقات، ونقله الآثار والأخبار الأثبات، وذكروا الأبيات في كتبهم ومؤلفاتهم، غير أنّ بعضهم لم يذكروا الأبيات برمتها.

قال عليه السلام: وذلك في جوابه على رسالة معاوية بن أبي سفيان، لما فاخره بقوله: كان أبي سيّداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر النبي، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اكتب يا غلام:

وحمزة سيّد الشهداء عمّي	محمد النبي أخي وصهري
يطير مع الملائكة ابن امّي	وجعفر الذي يضحى ويمسي
منوط لحمها بدمي ولحمي	وبنت محمد سكني وعرسي
فأيّكم له سهم كسهمي	وسبطا أحمد ولداي منها
غلاماً ما بلغت أوان حلمي	سبقتمكم إلى الإسلام طراً
رسول الله يوم غدير خمّ	فأوجب لي ولايته عليكم

١٠ المقتطفات ج ١

فويل ثمّ ويل ثمّ ويل
لن يلقى الإله غداً بظلمي
رواها جمع من أعلام الأُمّة، منهم:

١ - الحافظ البيهقي رواها برمتها، وقال: إنّ هذا الشعر ممّا يجب على كلّ
أحد متوال في علي حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام [الغدير ٢: ٢٧].

٢ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد البلوي المالكي، الشهير بابن الشيخ،
المتوفى سنة [٦٠٥] في كتابه ألف باء [١: ٤٣٩].

٣ - الحافظ أبو الحسين زيد بن الحسن تاج الدين الكندي الحنفي، المتوفى
سنة [٦١٣] في كتابه المجتنى [ص ٣٩] ذكر منها خمسة أبيات.

٤ - ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦) في كتابه معجم الأدباء [٥: ٢٦٦]
٥ - محمّد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة (٦٥٢) في كتابه مطالب السؤول
[ص ١١ ط ايران].

٦ - سبط ابن الجوزي الحنفي، المتوفى سنة (٤٥٦) في كتابه تذكرة الخواص
[ص ٦٢] وفي بعض أبياته تغيير يسير.

٧ - ابن أبي الحديد المعتزلي، واكتفى بذكر بيتين عن البقيّة لشهرته في كتابه
شرح النهج [٢: ٣٧٧].

٨ - الكنجي أبو عبد الله محمّد بن يوسف الشافعي، المتوفى سنة (٦٥٨) في
كتاب المناقب [ص ٤١ ط مصر].

٩ - شيخ الإسلام أبو اسحاق الحموي، المتوفى سنة (٧٢٢) في كتابه فرائد
السمطين [١: ٤٢٧].

١٠ - الفرغاني سعيد الدين ذكر الأبيات في شرح تائيّة ابن الفارض.

١١ - أبو الفداء في تاريخه [١: ١١٨].

١٢ - الزرندي محمّد بن يوسف في نظم درر السمطين [ص ٩٧] ذكر الأبيات
غير البيت الأخير.

أشعار حسان بن ثابت ١١

١٣- ابن كثير الشافعي صاحب التفسير في كتابه البداية والنهاية [٨ : ٨]. ذكر فيه خمسة أبيات.

١٤- خواجه پارسا الحنفي في كتابه فصل الخطاب.

١٥- ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة (٨٥٥) في كتابه الفصول المهمة [ص ٣٢ - ٣٣] ذكر فيه أربعة أبيات.

١٦- الألويسي ذكر الأبيات غير الأول والأخير في شرح عينية الشاعر عبد الباقي [ص ٧٨].

١٧- السيد أحمد زيني دحلان، المتوفى سنة (١٣٠٤) في السيرة النبوية المطبوع على هامش السيرة الحلبية [١ : ١٩٠].
وغيرهم ممّا تمتلئ بذكرهم السطور.

أشعار حسان بن ثابت

ولعلنا نزيد هذه السطور افادة بأن نضيف إلى ذلك شعر حسان بن ثابت شاعر رسول الله، الذي كان ﷺ يضع له منبراً في مسجده الشريف، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن الرسول، وارتاح لشعره حتّى قال ﷺ فيما رواه الحاكم في المستدرک [٣ : ٢٨٧] وصحّحه الذهبي: إنّ الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاحر عن رسول الله.

وكان ﷺ كثيراً ما يحرض شعراءه ويثبت فيهم روح الحماسة إلى مجابهة الكفار بشعرهم، ويعدّ ذلك دفاعاً عن الإسلام، وجهاداً في سبيله بقوله ﷺ : اهجوا بالشعر، إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنّما تنضحونهم بالنبل. رواه الامام أحمد في مسنده [٣ : ٤٦٠ وص ٤٥٦] وفي [٦ : ٣٨٧] على ما في الغدير [٢ : ٧ - ٩].

وفي رواية أخرى قال ﷺ : إنّ المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه «نفس المصدر».

وهكذا بقيت الحالة في عهد النبي واستمرت، ولمّا توفي رسول الله ﷺ مرَّ عمر على حسان وهو ينشد، فانتهره بقوله: أفي مسجد رسول الله تنشد؟ فأجابه: كنت أنشد وفيه من هو خير منك. كذا في الاستيعاب لابن عبد البر [١: ٣٣٨] وفي تاريخ ابن عساكر [٤: ١٢٦] وأمّا في لفظ مسلم في صحيحه [٢: ٣٨٤]: فلحظ إليه. وفي لفظ الامام أحمد بن حنبل في مسنده [٥: ٢٢٢] فقال: مه، هكذا ما نقلناه من الغدير [٢: ٦٣].

وليس ذلك بأول مرّة تعرّض فيها عمر على الشعراء، بل قد وقع قبل على عبد الله بن رواحة فيما ذكره الأُميني في غديره [٢: ٦٣] نقلاً عن تاريخ ابن عساكر [٧: ٣٩١] وذلك لما كان رسول الله ﷺ يطوف البيت على بعير وعبد الله أخذ بغرزه وهو يقول:-

خلّوا بني الكفار عن سبيله	خلّوا فكلّ الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تنزيله	ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله	يا ربّ انّي مؤمن بقيله

فقال له عمر: أوها هنا يا ابن رواحة؟ فقال رسول الله ﷺ: أوما تعلمنّ أولاً تسمع ما قال؟.

وفي رواية أبي يعلى: أنّ النبي قال: خل عنه يا عمر!! فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل.

قال أبو عبد الله الآبي المالكي في شرح صحيح مسلم [ص ٣١٧] على ما في نفس المصدر: وهذا يدلّ على أنّ عمر كان يكره انشاد الشعر في المسجد. وكان قد بنى رحبة خارجه، وقال: من أراد أن يلغظ، أو ينشد شعراً، فليخرج إلى هذه الرحبة.

فلننتقل الآن إلى حسان وشعره، فإنّ له في مدائح الإمام علي أشعاراً، تناقلتها الكتب والمعاجم، فمنها: ما قاله في الإمام علي عليه السلام وذلك حين سمع قول

النبي في خطبته يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فاستأذن حسان من رسول الله ﷺ بأن يقول في علي شعراً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إفعل. وفي رواية: قل على بركة الله. فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال ومن مولاكم ونبيكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ألهك مولانا وأنت نبينا	ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإني	رضيتك من بعدي اماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

رواه لفيف من العلماء، وجمع من الحفاظ، لا يستهان بعدتهم، فمنهم:

١ - الحافظ المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران الخراساني، المتوفى

سنة [٣٧٨] في مرقاة الشعر [الغدير ٢ : ٣٤].

٢ - الحافظ الخرکوشي أبو سعيد في كتابه شرف المصطفى [الغدير ٢ : ٣٥].

٣ - ابن مردويه الاصبهاني المتوفى سنة (٤١٠).

٤ - أبو نعيم الاصبهاني في كتابه «ما نزل من القرآن في علي» ذكره بالسند

والمتن [ص ٥٦ - ٥٨ ط. ايران].

٥ - الحافظ السجستاني، المتوفى سنة (٤٧٧) في كتابه الولاية، بسند ولفظ

[الغدير ١ : ٢٣٣].

٦ - الخوارزمي المالكي في كتابه «مقتل الإمام السبط» [ص ٤٧] وفي

المناقب [٨٠ - ٨١].

٧ - ابن الجوزي في كتابه تذكرة خواص الأمة [ص ٢٠].

٨ - الكنجي في كفاية الطالب [ص ١٧].

٩ - السيوطي في رسالته الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار

[الغدير ٢ : ٣٦].

ولحسن شعر ما ضمن فيه من الإشارة إلى أنّ عليّاً عليه السلام يحبّ الله ورسوله،
ومحبوب الله ورسوله، وذلك في قوله:

وكان عليّ أرمدا العين يبتغي	دواءً فلمّا لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فسبورك مرقياً وبورك راقيا
فقال سأعطي الراية اليوم ضارباً	كميماً محبباً للرسول مواليا
يسحبّ الهبي والإله يسحبّه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخصّ بها دون البريّة كلّها	عليّاً وسمّاه الوزير المؤاخيا

ذكر الشعر جمع من أعلام القوم منهم:

- ١ - الحافظ ابن أبي شيبه بالإسناد عن عبد الله بن عمر [الغدير ٢ : ٤٠].
- ٢ - صدر الحفاظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ٣٨ ط نجف، وفي ط ايران ٢١، وفي ط مصر ص ١٦].
- ٣ - ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة [ص ٢٢].
- ٤ - أبو الفتال في روضة الواعظين [ص ١٣٠ - ١٣١ ط النجف].
- ٥ - ابن جرير الطبري في المسترشد [ص ٢٩].
- ٦ - الأميني في الغدير [١ : ٤٠].
- ٧ - ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب [٢ : ٣٢٠] إلّا أنّه ينسبه إلى خزيمة بن ثابت، لا حسن، ولكن على كلّ التقدير أنّ هذه الأبيات قد وجّهت من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد، وأخذت بأعناق من تحرّر من قيد العصبية والتقليد، إلى ما ورد من الحديث الصحيح الذي أخرجه عدّة من أئمة المحدثين وأعلامهم، كالبخاري في صحيحه.
- ٨ - البخاري في صحيحه [٤ : ٣٢٣].
- ٩ - مسلم في صحيحه [٢ : ٣٢٤].

- ١٠- الترمذي في صحيحه [٢ : ٣٠٠].
 - ١١- الإمام أحمد في مسنده [١ : ٩٩ ط مصر].
 - ١٢- ابن سعد في طبقاته [٣ : ٣٨ ط دار الصادر بمصر].
 - ١٣- ابن هشام في سيرته [٣ : ٣٨٦].
 - ١٤- الطبري في تاريخه [٣ : ٩٣].
 - ١٥- النسائي في خصائصه [ص ٨ و ١٦ و ٣٣ ط التقدّم بمصر].
 - ١٦- الحاكم في المستدرک [٣ ص ١٩٠ و ١١٦].
 - ١٧- الخطيب في تاريخه [٧ : ٣٨٧].
 - ١٨- أبو نعيم في حليته [١ : ٦٢].
 - ١٩- ابن عبد البر في الإستيعاب [٢ : ٣٦٣] في ترجمة عامر.
 - ٢٠- الحموي في فرائده [١ : ٢٥٣].
 - ٢١- محبّ الدين الطبري في رياضته [٢ : ١٨٧].
 - ٢٢- اليافعي في مرآة الجنان [١ : ١٠٩].
 - ٢٣- الايجي في المواقف [٣ : ١٠ و ١٢].
- وهناك آخرون يروون هذه الأشعار لم نذكرهم هنا خوف الإطالة، فلنقتصر من المتون على لفظ البخاري، وذلك:
- أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون - أي يخوضون - ليلتهم أيّهم يعطاها. فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتّى لم يكن به وجع، فأعطاها الراية. إلى آخر الحديث.
- أقول: وما عسى أن يعزب عن القارئ أنّ العلة التي تقتضي التأكيد في هذا

الحديث: هو انهزام المسلمين مرتين؛ لأن النبي ﷺ قد بعث أولاً أبا بكر بالحيش، فرجعوا منهزمين، ثم بعث ثانياً بقيادة عمر، فرجعوا كذلك خائبين، كما روى ذلك جمع من المؤرخين.

وذلك: لما خرج مرحب برجله بعث النبي ﷺ أبا بكر برايته البيضاء، فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه، ثم بعث عمر من بعده، فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه. حتى ساء النبي ذلك.

فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كزاراً غير فرار يأخذها عنوة. وفي رواية: يأخذها بحقها. وفي رواية: لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. انتهى.

رواه: أبو كريب، ومحمد بن يحيى الأزدي في أماليهما، ومحمد بن اسحاق، والعمادي في مغازيهما، والنطنزي، والبلاذري في تاريخهما، والثعلبي، والواحدي في تفسيرهما، وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى في مسنديهما، والسمعاني، وأبو السعادات، وأحمد في فضائلهم، وأبو نعيم في الحلية [١: ٦٢] والبيهقي في دلائل النبوة، والترمذي في جامعه، وابن ماجة في سننه، وابن بطّة في إبانته، من سبع عشرة طريقاً عن ابن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعمران بن حصين، وسهل بن سعد، وسلمة بن الأكوع، وسعد بن أبي وقاص.

هذا ما نقلناه عن مناقب آل أبي طالب [٢: ٣١٨ ط الحيدرية بالنجف]. راجع حول مصادر هذا الحديث احقاق الحق [٥: ٣٦٩ - ٤٦٨].

وإليه الإشارة بقول الأدباء والشعراء بأشعارهم الغرر منهم: علاء الدين الشفيهي المعروف بابن الشفيهة في شعره طويل المبدأ بقوله: [كما في لغدير

إلى أن قال:

وبيوم خير إذ براية أحمد
ومضى بها الثاني فآب يجرّها
حتى إذا رجعا تميّز أحمد

وفي شعره [كما في الغدير ٦ : ٣٨٧]:

أم يوم خير إذ براية أحمد
ومضى بها الثاني فآب يجرّها
من كان أوردتها الحتوف سوى أب
وأباد مرحبهم ومدّ يمينه
ولّى لعمر كخائفاً متوجّلاً
حذر المنية هارباً ومهرولاً
بي حسن وقام بها المقام المهولاً
قلع الرتاج وحصن خير زللاً

وقال ابن حمّاد، كما في مناقب ابن شهر آشوب [٢ : ٣٢١]:

ويوم خير إذ عادوا برايته
فقال إني سأعطيها غداً رجلاً
وله أيضاً:

من ذا الذي فجع اليهود بمرح
وأنى يجبن صحبه وجميعهم
قال النبي لأحبون برايتي
رجلاً أحبّ الله وأحبّه
سب إذ هابه عمر وفرّ فراراً
قد صادفوه هوائلاً غواراً
من عاش لا نكسا ولا خورا
لا يستني حتى يسبح دياراً

ومن شعر حسان بن ثابت في مولانا الإمام علي عليه السلام فيما ذكره سبط ابن
الجوزي في كتابه تذكرة خواصّ الأئمة [ص ١٠] والكنجي الشافعي في كفاية
الطالب [ص ١٢٣] لكنّه نسبّه إلى بعضهم، وفي محل «غزاراً» كباراً. قال عليه السلام:

من ذا بخاتمه تصدّق راکعاً
من كان بات على فراش محمّد
من كان في القرآن سمّي مؤمناً
وأسرّها في نفسه اسراراً
ومحمّد أسرى يؤمّ الغاراً
في تسع آيات تلين غزاراً

لو أمعن القارئ نظره إلى هذه الأبيات وتأمل في مواقعها، لوجدها طافحة بمعاني آيات الذكر الحكيم. ومشيرة إلى ما ورد من حديث سيد المرسلين في فضائل أبي السبطين أفضل السابقين.

لأن في البيت الأول إيعاز إلى مآثرة تصدق الإمام علي للسائل راكعاً، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] كما رواه جماعة من المفسرين سيلى ذكرهم في موضعه.

وفي البيت الثاني إشارة إلى حديث أجمعت عليه الأمة، بأن علياً عليه السلام لبس برد النبي ﷺ ونام على فراشه ليلة هرب النبي من المشركين، وفداه بنفسه. ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] كما رواه ذلك جمع من أعيان الحفاظ والمفسرون في كتبهم.

وذلك أن النبي ﷺ لما أراد الهجرة إلى المدينة، خلف علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه، وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة الخروج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، فقال له: إتشح بردي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي، فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله. ففعل ذلك علي عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل: آخيت بينكما فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختر كلاهما الحياة.

فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه، يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة. اهبطا إلى الأرض، واحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجله. وجبريل ينادي: بخ بخ من مثلك يا علي؟ يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة.

فأنزل الله على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ وقال ابن عباس: نزلت الآية في علي

حين هرب رسول الله من المشركين إلى الغار مع أبي بكر، ونام على فراش النبي صلى الله عليه وآله.

وقال جعفر الإسكافي كما في شرح نهج البلاغة [٣ : ٢٧٠]: حديث الفراش قد ثبت بالتواتر، فلا يجحده إلا مجنون، أو غير مخالط لأهل الملّة. وقد رواه المفسّرون، منهم: الثعلبي في تفسيره الآية، والغزالي في الإحياء [٣ : ٢٣٨]، والكنجي الشافعي في الكفاية [ص ١١٤] والصفوري في نزهة المجالس [٢ : ٢٠٩]. وابن الصبّاغ المالكي في الفصول [ص ٣٣] وابن الجوزي الحنفي في التذكرة [ص ٢١] والشبلنجي في نور الابصار [ص ٨٦] والامام أحمد في المسند [١ : ٣٤٨] والطبري في تاريخه [٢ : ٩٩] وابن عبد ربّه في العقد الفريد [٣ : ٢٩٠] وابن سعد في طبقاته [١ : ٢١٢] واليعقوبي في تاريخه [٢ : ٢٩] وابن هشام في سيرته [٢ : ٢٩١] والخطيب البغدادي في تاريخه [١٣ : ١٩١] وابن الأثير في تاريخه [٢ : ٤٢] والخوارزمي في مناقبه [ص ٧٥] والمقرئزي في الامتاع [ص ٣٩] وابن كثير في تاريخه [٧ : ٣٣٨] والحلي في سيرته [٢ : ٢٩].

قال ابن عبّاس - كما في الفصول المهمّة، وتذكرة الخواصّ، ونور الابصار -: أنشدني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شعراً، قاله في تلك الليلة - أي ليلة المبيت على فراش النبي ﷺ - :

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصا	وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبتّ أراعي منهم ما يسوءني	وقد صبرت على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً	وما زال في حفظ الإله وفي الستر

وأما البيت الثالث من شعر حسان وهو قوله:

من كان في القرآن سمّي مؤمناً في تسع آياتٍ تليّن غزارا
فقد أشار إلى الآيات التسع التي فيها سمّي الإمام علي عليه السلام مؤمناً، ألا وهي:

«الآية الأولى»

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨] فإنها نزلت في علي عليه السلام، وعلى ذلك أجمع كبار المفسرين كالطبري في تفسيره [٢١: ٦٢]، والخازن في تفسيره [٣: ٤٧٠]، والواحدي في تفسيره أسباب النزول [ص ٣٦٣].

والمحبّ الطبري في كتابه الرياض النضرة [٢: ٢٠٦] وفي كتابه دخائر العقبي [ص ٨٨] والخوارزمي في المناقب [ص ١٨٨] والكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب [ص ٥٥] والنيسابوري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره [٣: ٢٦٢]. والزرندي في كتابه نظم درر السمطين [ص ٩٢] وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [١: ٣٩٤ و ٢: ١٠٣]، والسيوطي في كتابه الدر المنثور [٤: ١٧٨]، وأبي الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني [٤: ١٨٥]، والحلي في سيرته [٢: ٨٥] راجع الغدير للأميني [٢: ٤٦ - ٤٧].

«الآية الثانية»

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أُتِدَّكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] فإنها نزلت في علي عليه السلام، كما رواه جمع من أعلام الأمة، مستدلّين بحديث يروونه في كتبهم. منهم: ابن عساكر في تاريخه في ترجمة علي عليه السلام [٢: ٤١٩]. والسيوطي في الدر المنثور [٣: ١٩٩] والكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ١١٠] والخطيب البغدادي في تاريخه [١١: ١٧٣].

والمحبّ الطبري في الرياض [٢: ١٧٢] وفي دخائر العقبي [ص ٦٩]، والخوارزمي في المناقب [ص ٢٥٤] والحموئي في فرائده [١: ٢٣٥] والسيوطي في الخصائص الكبرى [١: ٧] والهيثمي في مجمع الزوائد [٩: ١٢١] والتمتقي الهندي في كنز العمال [٦: ١٥٨].

والحديث بالإسناد عن أنس بن مالك، قال: قال النبي ﷺ : لَمَّا عَرَجَ بِي رَأَيْتُ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أُيِّدَتْهُ بَعْلِي، نَصْرَتُهُ بَعْلِي.

«الآية الثالثة»

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

أخرج أبو نعيم في كتابه فضائل الصحابة بإسناده: أنها نزلت في علي عليه السلام وهو المعني بقوله «المؤمنين» راجع: النور المشتعل فيما نزل من القرآن في علي عليه السلام لابي نعيم [ص ٩٢ ط ايران].

«الاية الرابعة»

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

١ - أخرج الخطيب الخوارزمي في المناقب [ص ١٨٨]، وصدر الحفاظ الكنجي الشافعي في الكفاية [ص ١٢٢] نقلاً عن ابن جرير الطبري، وغيره من المفسرين الذين سيلي ذكرهم، أنه نزل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ في حمزة وأصحابه، كانوا عاهدوا الله تعالى لا يولّون الأدبار، فجاهدوا مقبلين حتى قتلوا.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ أي: علي بن أبي طالب مضى على الجهاد، ولم يبدل ولم يغيّر الآثار.

٢ - أخرج ابن حجر في الصواعق [ص ١٨٠]: أنه سئل الإمام علي وهو على منبر الكوفة عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾

الآية، فقال: اللهم غفراً، هذه الآية نزلت في، وفي عمي حمزة، وفي ابن عمي عبدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فأما عبدة فقد قضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه يوم أحد، وأما أنا فانتظر أشقاها، يخضب هذه من هذه - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم عليه السلام.

«الآية الخامسة»

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

فقد دلت الروايات المتواترة في كتب التفسير والحديث والفقه والكلام لفظاً ومعنى، على أن نزول الآية الكريمة في الإمام علي عليه السلام، ونص على صحة ذلك الروايات الأعظم من جمهور أهل السنة، كما نقلناه عن كتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل [٢: ٣٩٩] وكتاب مناقب آل أبي طالب [٢: ٢٨] لابن شهر آشوب وكتاب الغدير [٢: ٥٢]، وغيرها من الكتب المعتمدة.

فلنكتف بما ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان [مخطوط] بإسناده عن أبي ذر الغفاري: أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام الظهر، سأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يديه إلى السماء، وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي في الصلاة راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم، فأقبل السائل، فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمراى من النبي صلى الله عليه وآله وهو في المسجد.

فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إلى السماء، وقال: اللهم إن أخي موسى سأل، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾، فانزلت إليه قرآناً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا، فَلَا

يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴿١﴾. اللَّهُمَّ وَإِنِّي مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيَّكَ، اللَّهُمَّ اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أشدد به ظهري.

فما استتمّ دعاءه حتّى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ، وقال: يا محمد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

وروى ذلك:

- ١ - الطبري في تفسيره [٦ : ١٦٥ وفي ط ص ١٨٦].
- ٢ - الواحدي في تفسيره أسباب النزول [ص ١٤٨].
- ٣ - الرازي في تفسيره الكبير [٣ : ٤٣١].
- ٤ - الخازن في تفسيره [١ : ٩٦].
- ٥ - أبو البركات النسفي في تفسيره [١ : ٤٣١].
- ٦ - النيسابوري في تفسيره [٣ : ٤٦١].
- ٧ - ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة [ص ١٢٣].
- ٨ - الشيخ عبد الله بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل [ص ٣١].
- ٩ - ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ [ص ٩].
- ١٠ - الكنجي الشافعي في الكفاية [ص ١٠٦].
- ١١ - الخرازمي في المناقب [ص ١٧٨].
- ١٢ - محبّ الدين الطبري في الرياض [٢ : ٢٢٧].
- ١٣ - ابن كثير في تفسيره [٢ : ٧١] وفي كتابه البداية والنهاية [٧ : ٧٥٧].
- ١٤ - السيوطي في جمع الجوامع [٦ : ٣٩١].
- ١٥ - ابن حجر في الصواعق [ص ٢٥ وفي ط ص ٢٣].
- ١٦ - السيوطي في كتابيه لباب النقول [ص ٩٠ مطبعة مصطفى الحلبي] وفي الدر المنثور [٢ : ٢٩٣].

١٧- الألويسي في تفسيره روح المعاني ذيل الآية الشريفة [ج ٦ ط المنيرية بمصر، وفي ط أخرى ٢ : ٣٢٩].

١٨- الشوكاني في تفسيره فتح القدير [٢ : ٥٠].

١٩- ابن حيّان الغرناطي في تفسيره البحر المحيط [٣ : ٥١٣، وفي طبع الحلبي وأولاده ٢ : ٥٣].

٢٠- الزمخشري في تفسيره [٢ : ٥٤٣ ط القاهرة مط البهية و ١ : ٦٢٤ ط انتشارات آفتاب طهران].

٢١- الكشف الحنفى في كتابه مناقب المرتضوي [ص ٧ ط الهند بمبي].

٢٢- ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٣٧٥].

٢٣- البيضاوي في تفسيره [١ : ٣٤٥، وفي ٢ : ١٥٦].

٢٤- القندوزي في كتابه ينابيع المودة [ص ٢١٢].

٢٥- ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢ : ٢٠٨] نقلاً عن الماوردي، والقشيري.

«لفت نظر»

ذكر ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢ : ٢٩] نقلاً عن ابن بابويه في أماليه، قال عمر: لقد تصدّقت بأربعين خاتماً وأنا راکع، لينزل فيّ ما نزل في علي ابن أبي طالب، فما نزل.

«الآية السادسة»

قوله عزّ وعلا: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] نزلت هذه الآية الشريفة في الإمام علي عليه السلام والعبّاس وطلحة بن أبي شيبه، كما رواها جمع غفير من العلماء والمفسّرين. وذلك لما افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب

البيت بيدي مفاتيحه. وقال العباس: وأنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله هذه الآية.

روى هذه المفاخرة:

١ - الواحدي في كتابه أسباب النزول [ص ١٨٢].

٢ - القرطبي في تفسيره [٨ : ٩١].

٣ - الرازي في تفسيره [٤ : ٤٢٢].

٤ - الخازن في تفسيره [٢ : ٢٢١].

٥ - النسفي في تفسيره [٢ : ٣٢١].

٦ - الحموي في فرائد السمطين [١ : ٢٠٣].

٧ - ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة [ص ١٢٣].

٨ - الكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ١٣٣].

٩ - ابن كثير في تفسيره [٢ : ٣٤١].

١٠ - السيوطي في الدر المنثور [٣ : ٢١٨].

١١ - الصفوري في نزهة المجالس [٢ : ٢٤٢، وفي طبعة ص ٢٠٩].

١٢ - الطبري في تفسيره [١٠ : ٥٩] بزيادة: فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي، فأخبر

كل واحد منهم بمفخرته، فما أجابهم النبي ﷺ بشيء، فانصرفوا عنه، فنزل جبريل بالوحي بعد أيام فيهم، فأرسل النبي ﷺ إليهم ثلاثتهم حتى أتوه، فقرأ عليهم الآية.

«الآية السابعة»

قوله جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وُذًاءً﴾ سورة مريم: ٩٦ فإنها نزلت في الإمام علي عليه السلام، وذلك كما أخرج الثعلبي

في تفسيره لما قال رسول الله ﷺ لعلي: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل

لي في قلوب المؤمنين مودة، فأنزل الله تعالى الآية المذكورة.

أمّا ما أخرجه الخطيب الخوارزمي في مناقبه [ص ١٨٨]: أنّه لما قال رجل لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن والله إنني أحبّك في الله، فرجع علي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بقول الرجل، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودة. فنزل قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

وأخرجه أيضاً جمع من أعلام الأمة، كالحافظ الكنجي الشافعي في كفايته [ص ١٢١] ومحّب الدين الطبري في رياضته [٢: ٢٠٧] والسيوطي في الدر المنثور [٤: ٢٨٧] والقسطلاني في المواهب اللدنيّة [٧: ١٤] والشبلنجي في نور الأبصار [ص ١١٢] والحبيب أبو بكر بن شهاب الدين العلوي الحضرمي في كتابه رشفة الصادي [ص ٢٥] والديلمي، وابن مردويه، والطبراني، وابن الجوزي في تذكرة الخواصّ [ص ١٠].

«الآية الثامنة»

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

هذه الآية نزلت في علي عليه السلام كما ذكرها أبو المظفر سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة خواصّ الأمة [ص ١١] عن ابن عباس، فالذين اجترحوا السيئات: عتبة وشيبة والوليد والمغيرة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات: علي عليه السلام، وكذلك ما في كفاية الطالب [ص ١٢٠] تجد ما يقرب منه.

«الآية التاسعة»

قوله عزّ من قائل عليم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] نزلت هذه الآية في الإمام علي عليه السلام كما رواه الخوارزمي في

مناقبه [ص ٦٦] وجمع من أعيان الحفاظ والمفسرين في كتبهم من طرق.
 أمّا الخوارزمي، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: كنّا عند النبيّ،
 فأقبل عليّ عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: قد أتاكم أخي ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها
 بيده، ثمّ قال: والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال:
 إنّ أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيّة،
 وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة، وفي ذلك الوقت نزلت فيه الآية
 المذكورة.

وكان أصحاب النبيّ ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البشر.
 وفي رواية أخرى من طريق ابن مردويه [في ص ١٧٨] عن يزيد بن شراحيل
 الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام، قال: سمعت عليّاً قال: حدّثني رسول الله ﷺ وأنا
 مسنده إلى صدري، فقال: أي عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم
 الحوض إذا جاء الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين.

وفي رواية الطبري في تفسيره [٣٠: ١٧١ ط دار المعرفة]: أنت وشيعتك.
 وأمّا في رواية ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة [ص ١٢٢] فعن ابن
 عبّاس قال: لما نزلت هذه الآية قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: أنت وشيعتك تأتي يوم
 القيامة، أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضباناً مقمحين. وكان
 أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: قد جاء خير البريّة.

وقد أخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ١١٩] حديث يزيد بن
 شراحيل.

وأما ابن حجر، فقد أخرج في الصواعق [ص ٩٢] من طريق الزرندي عن ابن
 عبّاس.

وأما السيوطي كما في الدر المنثور [٦: ٣٧٩] فمن طريق ابن عساكر عن جابر

بن عبد الله الأنصاري.

وكذا الشبلنجي في نور الأبصار [ص ٧٨ وص ١١٢] فقد روى عن ابن عباس
عن ابن الصبّاح المالكي. راجع الغدير [٣ : ٤٩ إلى ٥٨].
فهذه الآيات التسع التي سمّي فيها الإمام علي عليه السلام مؤمناً ما أشار إليها حسّان
بشعره الأنف ذكره.

وأما ما وقف عليه الأميني في غديره [٢ : ٥٨] فعشر آيات نقلت عن الدرّ
المنثور للسيوطي [٦ : ٣٩٢] فيما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عليه السلام، وعاشرها:
قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يعني أبا جهل ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ذكر علياً وسلمان الفارسي.

فلنعد الآن إلى بعض أشعار حسّان بن ثابت وغيره من الشعراء والأدباء ما
اشتملت عليها من العلوم والفنون والحكم دينياً وتاريخياً، وانكشفت بها أسرار
غامضة عند البعض من الطلبة والتلامذة لطول احتباسها في طيات الكتب، ولكثرة
الراغبين في كتمانها لأمر... يعرفها ذووا الإنصاف المتحرّرون من قيد انصبيّة،
مذهبيّة كانت أو غيرها.

ومن شعر حسّان بن ثابت

فيما ذكره الامام أحمد في الفضائل كما في تذكرة الخواصّ لسبط ابن
الجوزي [ص ١٦]. ما ملخصه: إنّ أهل خير سمعوا تكبيراً في السماء في ذلك
اليوم، وقائلاً يقول

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فاستأذن حسّان بن ثابت أن ينشد شعراً من رسول الله ﷺ فأذن له، فقال:

جبريل نادی معلناً والنسق ليس بمنجلي

والمسلمون قد احدثوا حول النبي المرسل

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

هذه الأبيات أشار بها حسان إلى ما هتف به الأمين جبريل في علي عليه السلام وسيفه يوم أحد، وقيل: يوم بدر. وقيل: يوم خيبر، ولعل تعدد الروايات بتعدد الواقعة، ولكن الأصح أنه كان يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد العلماء، كما قاله الامام أحمد في الفضائل.

قال الأميني في غديره [٢: ٦٠]: إن الأحاديث تؤذننا بتعدد الواقعة، والمنادي يوم أحد كان جبريل، والمنادي يوم بدر ملك يقال له: رضوان، قد أجمع أئمة الحديث على نقله، كما قاله الكنجي، وأخرجه في كفايته [ص ١٤٤] من طرق شتى بالإسناد عن سعيد بن طريف الحنظلي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وروى الحاكم في مستدركه [٢: ٣٨٥] والبيهقي في سننه [٣: ٢٧٦] عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وأخرجه محب الدين الطبري باللفظ المذكور في رياضه [ص ١٩٠] وفي ذخائره [ص ٧٤] والخوارزمي في مناقبه [ص ١٠١] وابن مزاحم في كتابه صفين [ص ٢٥٧، وفي ط مصر ٥٤٦].

وأما ابن جرير الطبري، فقد أخرجه في تأريخه [٣: ١٧] عن أبي رافع، قال: لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد، أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، وفرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك. فقال جبريل: يا رسول الله إن هذا لمواساة، فقال رسول الله ﷺ، إنه مني وأنا منه، فقال جبريل:

وأنا منكما، فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وأخرجه أحمد في الفضائل [كما في مناقب ابن المغازلي ص ١٩٩] عن ابن عباس. وابن هشام في سيرته [٣: ٥٣] عن أبي نجیح. والخثعمي في الروض الأنف [٢: ١٤٣] وابن أبي الحديد في شرح النهج [١: ٩، و ٢: ٢٣٦، و ٣: ٢٨١] والخوارزمي في مناقبه [ص ١٠٤] عن محمد بن إسحاق بن يسار، قال: هاجت ریح في ذلك اليوم، فسمع منادٍ يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. ورواه ابن شهر آشوب في فضائله [٢: ١٥].

والى ذلك أشار الحميري كما في كتاب مناقب آل أبي طالب [٢: ٣١٥-٣١٧]:

وله بلاء يوم أحد صالح	والمشرفيّة تأخذ الأدبارا
إذ جاء جبريل فنادى معلناً	في المسلمين وأسمع الأبرارا
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى	إلا علي إن عدت فخارا

وقال آخر:

وقد تركوا المختار في الحرب مفرداً وفرّ جميع الصحب عنه وأجمعوا
وكان علي غائصاً في جموعهم لهاماتهم بالسيف يفرى ويقطع
ففي هذه الأبيات عبارة واضحة تعبر عما ورد عن ابن عباس فيما ذكره ابن
شهر آشوب في مناقبه [٢: ٢٥٨] نقلاً عن الإبانة لابن بطّة، وفضائل أحمد في خبر
عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير آي من
القرآن وما ذكر علياً إلا بخير، وذلك نحو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ
أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾
[التوبة: ٢٥] وقوله تعالى في آية المناجاة ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾
[المجادلة: ١٣].

وفي البيتين الأخيرين إشارة إلى معنى قوله تعالى ﴿وَإِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا

تَلَوْنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ ﴿[آل عمران: ١٥٣] وَاللَّهِ أَعْلَمُ.

ومن شعر حسان بن ثابت

وإن سرّيم أحصنت فرجها وجاءت بعيسى كبد الدجى

فقد أحصنت فاطم بعدها وجاءت بسبطي نبي الهدى

ذكر هذين البيتين ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب [٣: ١٣٥ ط

الحيدريّة بنجف].

والأميني في غديره [٢: ٦١] قال: يشير حسان بهذا الشعر إلى ما صحّ عن النبي الطاهر في بضعته الصديقة فاطمة: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريّتها على النار» أخرجه الحاكم في المستدرک [٣: ١٥٢] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، والخطيب البغدادي في تاريخه [٣: ٥٤] والمحّب الطبري في كتابه ذخائر العقبى [ص ٤٨].

وأخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ٢٢٢] بلفظ آخر بإسناده عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريّتها من النار. وفي [ص ٢٢٣] بسند آخر عن ابن مسعود.

وأما السيوطي، فقد أخرجه في كتابه إحياء الميت [ص ٢٥٧] عن ابن مسعود من طريق البزار، وابن يعلى، والعقيلي، والطبراني، وابن شاهين... وأما في كتابه جمع الجوامع، فمن طريق البزار والعقيلي والطبراني والحاكم بلفظ الثاني.

وأخرج المتقي الهندي في كتابه كنز العمال [٦: ٢١٩] من طريق الطبراني بلفظ: «إن فاطمة أحصنت فرجها وإن الله أدخلها بإحصان فرجها وذريّتها الجنة».

وأخرجه أيضاً ابن حجر في الصواعق [ص ١٨٦ ط عبد اللطيف بمصر] من طريق أبي تمام والبزار والطبراني. وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء [٤: ١٨٨ ط السعادة بمصر] باللفظ الثالث. وقال: وفي رواية «فحرمها الله وذريّتها على النار»

وذكر الشبلنجي في كتابه نور الابصار [ص ٤] باللفظين والله أعلم.

وقد أخرج جماعه من الحفاظ، وصححه غير واحد من أهل لمعرفة بالحديث، ويوجد في كتبهم: كالحاكم، والخطيب البغدادي، والبزار، وأبي يعلى، والعقيلي، والطبراني، وابن شاهين، وأبي نعيم، والمحَبّ الطبري، وابن حجر، والسيوطي، والمتقي الهندي، والهيتمي، والزرقاني، والصَّبَّان، والبدخشي. على ما نقلناه عن الغدير [٣: ١٧٥] والإحقاق [١١: ١٢٣ - ١٣٦].

ولعل من الخير أن لا يفوتنا من شعر حسان ما قاله في عمرو بن العاص، عسى أن يكون بذكره تمام الفائدة، فيما رواه المعمر بن المثنى أبو عبيدة في كتاب الأنساب، كما في الغدير [٢: ١٢٣].

وذلك حين اختصم في عمرو رجلاً: أبو سفيان، والعاص بن وائل يوم ولادته، فحكمت أمه للعاص لكثرة نفقته على عياله، فقال أبو سفيان: أما إنني لا أشك أنني وضعت في رحم أمه. ففي ذلك قال حسان عليه السلام:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت	لنا فيك منه بيّنات الدلائل
ففاخر به إمّا فخرت ولا تكن	تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
وإنّ التي في ذاك يا عمرو حكمت	فقلت رجاءً عند ذاك سائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلما	تجمعت الأقوام عند المحامل

فحقاً لحسان، ويا حبذا له أن يهجو مكافأة له عن هجائه ووقعه في رسول الله ﷺ، فإنه قد هجا النبي بسبعين بيتاً من الشعر، حتى دعا عليه النبي ﷺ بقوله: اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرفٍ من الشعر ألف لعنة.

روى ذلك الأميني في غديره [٢: ١٣٥] نقلاً عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، فيما جرى بين عمرو وبين الحسن بن علي عليهما السلام، وذلك ما ملخصه: لما استولى معاوية على رقاب الناس واستقرت سلطنته، أراد عمرو أن يعيب الحسن ويسقط قدره أمام معاوية ورهط من أعوانه، وطلب عمرو من معاوية أن

يرسل إليه ليحضر، فلمّا حضر تكلم عمرو بكلام حداد شداد ليس من الحقّ في شيء.

ثمّ تكلم الحسن بكلام طويل بعد ما حمد الله وأثنى على رسوله - إلى أن قال فيه - بعد أن ذكر معاداة عمرو لرسول الله وحسده وأذيّاته ومكيداته -: فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهليّة والإسلام، ثمّ إنك وهؤلاء الرهط يعلمون، أنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله ﷺ بالحديث السابق ذكره.

وقد وقع كذلك بينه وبين أبي الأسود الدؤلي، كما في نفس المصدر، نقلاً عن تاريخ ابن عساكر [٧: ١٠٤-١٠٦] ما ملخصه:

إنّه لمّا قدم أبو الأسود الدؤلي على معاوية، أدنى مجلسه، وأعظم جائزته فحسده عمرو وغازه ذلك، وطلب من معاوية أن يستحضره، حتّى إذا حضر فليقدّم إليه أسئلة ما انكشف بجوابها عمّا انطوى في سريره وضمّته طويته.

فلمّا حضر أجاب في كلّ مسألة معاوية عنه بجواب واف شاف مسكت، اغتاض منه معاوية على عمرو، ثمّ أردفه بقوله: إنّي قد عرفت من أين أتيت، فهل تأذن لي فيه؟ فقال: نعم، فقل ما بدا لك، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ هذا الذي ترى هجا رسول الله ﷺ بأبيات من الشعر، فقال رسول الله ﷺ: اللهمّ إنّي لا أحسن أن أقول الشعر، فالعن عمراً بكلّ بيت لعنة. أفتراه بعد هذا نائلاً فلاحاً، أو مدركاً رباحاً؟ إلى آخر كلامه، ثمّ تكلم كلاماً ختمه بقوله:

فانصرفا عن هذا القول إلى غيره، وقوما غير مطرودين، فقام عمرو وهو يسوق:

لعمري لقد أعبى القرون التي مضت لغشّ ثوى بين الفؤاد كمين

وقام أبو الأسود الدؤلي وهو يقول:

ألا إنّ عمراً رام ليث خفيّة وكيف ينال الذئب ليث عرين

إن كلمة الحسن السبط عليه السلام في قوله لعمرؤ «فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام» لمّا يزيد القارئ حرصاً ورغبة في التطلع على ما قد كان حول الرجل تجاه بني هاشم. فلربّما من توسّعت معرفته في التاريخ الإسلامي، قد اطلع على كلمات القائلين فيه ما صوّرت شخصيّة الرجل ونفسيّته، مثل كلمة المصطفى صلى الله عليه وآله.

كما ذكرها الأميني في غديره [١٢٧ : ٢] وما أخرجه ابن مزاحم في كتابه صفين [ص ١٢٢] عن زيد بن أرقم، أنّه دخل على معاوية، فإذا عمرو جالس معه على السرير، فلمّا رأى ذلك زيد رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو: أما وجدت مجلساً إلّا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله ﷺ غزا غزوة وأنتم معه، فراكما مجتسعين، فنظر إليكما نظراً شديداً، ثمّ راكما اليوم الثاني واليوم الثالث كلّ ذلك يديم النظر إليكما، فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتسعين ففرّقوا بينهما، فإنّهما لا يجتمعان على خير.

وروى ابن عبد ربّه في العقد الفريد، [٢٩٠ : ٢] عن عبادة بن الصامت بلفظ: إذا رأيتموهما اجتماعاً ففرّقوا بينهما، فإنّهما لا يجتمعان على خير.

أمّا كلمة الإمام علي عليه السلام حول الرجل فكثيرة، كلّها تمثّل أمام القارئ شخصيّة الرجل وروحيته، فمنها ما رواه أبو حيّان التوحّيدي في الامتاع والمؤانسة [١٨٣ : ٣] كما في نفس المصدر: أنّه ليعد فيخلف، ويحدّث فيكذب إلى أن قال: - فاعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه.

وهناك كلمات حول الرجل نحن في غنى عن ذكرها، قد عقدها الحفاظ والمؤرّخون في كتبهم. كابن قتيبة في عيون الأخبار [١٦٤ : ١] وابن عبد ربّه في العقد الفريد [٢٨٧ : ٢] وابن مزاحم في كتابه صفين [ص ٢٦٤] وابن أبي الحديد في شرح النهج [١ : ١٤٥] وابن قتيبة أيضاً في الإمامة والسياسة [١ : ٤٤].

وأما عائشة، فقد كانت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر كلّ صلاة،

لما بلغها قتل أخيها محمّد بن أبي بكر، كما رواه الطبري في تاريخه [٦ : ٦٠]، وابن كثير في تاريخه [٧ : ٣١٤] وابن الأثير في كامله [٣ : ٣١٤].

أشعار السيّد الحميري

ولنعطف الآن على ذلك بعض شعر الحميري، وهو إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن وداع الحميري الملقّب بـ «السيّد» قال رحمه الله:

وبسخم إذ قال الآله بعزمه	قم يا محمّد في البريّة فاخطب
وانصب أبا حسنٍ لقومك إنّه	هادٍ وما بلغت إن لم تنصب
فدعاه ثمّ دعاهم فأقامه	لهم فبين مصدّق ومكذّب
جعل الولاية بعده لمهذّب	ما كان يجعلها لغير مهذّب

إذا تأملنا البيت الثاني من هذا الشعر في قوله «وما بلغت إن لم تنصب» فقد أفادنا التأمّل بأنه يشير ويذهب إلى ما ذهب اليه علماء أهل بيت النبوة ومواليهم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، فإنّهم فهموا وقطعوا حتماً بأنّ المعنى المأمور بتبليغه هو: أن ينصب الرسول عليّاً خليفة بعده. والآن فماذا اذن؟

فإنّ الصلاة قبل نزولها قائمة، والزكاة مفروضة، والصوم كان مشروعاً، والبيت محجوجاً، والحلال بيّن، والحرام بيّن، والشرعية متّسقة، وأحكامها مُستسنة، وقرينة ذلك أنّ الآية نزلت في علي عليه السلام يوم الغدير قبل وفاة النبيّ بواحد وثمانين يوماً.

وقد أطبق المفسّرون ولفيف من العلماء الاعلام من أهل السنّة على أنّ نزول الآية المذكورة يوم الغدير في علي عليه السلام، منهم:

- ١ - أبو جعفر ابن جرير الطبري في كتابه الولاية.
- ٢ - أبو نعيم الاصفهاني في تأليفه مانزل من القرآن في علي [المسمّى بالنور

المشتعل ص ٨٦ ط ايرن].

٣ - السجستاني في كتاب الولاية.

٤ - الثعلبي في تفسير الكشف والبيان [مخطوط].

٥ - الحموي ابراهيم بن محمد الشافعي في كتابه فرائد السمطين [١ : ٧٣].

٦ - العلامة العيني في كتابه عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ذيل

الآية الشريفة.

٧ - النيسابوري في تفسيره ذيل الآية الشريفة.

٨ - السيوطي في تفسيره الدر المنثور [٢ : ٢٩٨ ط مصر].

٩ - الألوسي في تفسيره روح المعاني [٦ : ١٨٩ ط دار احياء التراث العربي

بيروت].

١٠ - الشوكاني في تفسيره فتح القدير [٣ : ٥٧ ط مصر].

١١ - القندوزي في كتابه ينابيع المودة [ص ١٢٠].

١٢ - السيد محمد رشيد رضا في تفسيره المنار [٦ : ٤٦٣ ط مصر].

١٣ - الطبرسي في تفسيره مجمع البيان [٣ : ٢٢٣] وذكر فيه سبب نزول الآية

الشريفة.

١٤ - ابن شهر آشوب في مناقبه [٢ : ٢٢٨] وقال: العلماء مطبقون على قول

هذا الخبر وإنما الخلاف في تأويله. وقال: ذكره محمد بن اسحاق، والبلاذري،

ومسلم بن حجاج، والدارقطني، والباقلاني، والجويني، والخركوشي، والسمعاني،

وابن أبي شيبة، وابن ماجه، وابن عبد ربّه.

١٥ - القرطبي قال في تفسيره: هي - أي سورة المائدة - مدنيّة بالاجماع، وقال

منكرًا لمن قال خلاف ذلك بقوله: إنّ هذا حديث موضوع لا يحل لمسلم اعتقاده

إلى آخره. [٦ : ٣٠ ط مصر سنة ١٣٧٩].

١٦ - الامام الواحدي في كتابه أسباب النزول [ص ١٥٠] كما في تعليقات

شرف الدين الموسوي من مراجعته |ص ٢٠٧|.

ولنتمم الآن إلى بعض ما أشار إليه بأشعاره في ذلك الموضوع، منها: ما ذكره الأميني في كتابه الغدير [٢: ٢٣٠] في غديرّات السيّد الحميري، رحمه الله ونفعنا به وبعلومه. أمين.

نفسي فداء رسول الله يوم أتى
إن لم تبلغ فما بلغت فانتصب
وقال للناس من مولاكم قبلا
أنت الرسول ونحن الشاهدون على
ومن أشعاره:

جبريل يأمر بالتبليغ إعلانا
النبيّ ممثلاً أمراً لمن دانا
يوم الغدير فقالوا أنت مولانا
أن قد نصحت وقد بيّنت تبياناً

أتى جبرئيل والنبيّ بضحوة
وبلّغ والآ لم تبلغ رسالة
على شجرات في الغدير تقادمت
وقال ألا من كنت مولاة منكم
فقال شقيّ منهم لقريته
يحمد بضبيعة عليّاً وإنه

فقال: أقم والناس في الوخذ تمحّن
فحطّ وحطّ الناس ثمّ ووطّنوا
فقام على رحل ينادي ويعلن
فمولاه من بعدي علي فاذعنوا
وكم من شقيّ يستزلّ ويفتن
لما بالذي لم يؤته لمزيّن

إذا تدبّرنا البيت الرابع في قوله «فقال شقيّ» فكأنّه يصوّر لنا المراد به من جحد ولاية علي، وهو الحارث بن النعمان الفهري، كما رواه بعض المفسرين في تفسير آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ فمنهم:

الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان على ما في المراجعات لشرف الدين الموسوي |ص ٤٢|. وذلك أنّه لما شاعت خطبته ﷺ يوم الغدير بقوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» بلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى النبيّ على فرس له، فاناخها ونزل عنها وقال: يا محمّد أمرتنا أن نشهد أن لا اله إلا الله وأنتك رسول الله، فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا

أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا، فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو من الله؟ فقال النبي ﷺ: فوالله الذي لا اله إلا هو إن هذا لمن الله.

فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل راحلته حتى رماه الله بحجر سقط على هامته، فخرج من دبره فقتله. وأنزل الله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

وذكر هذه الواقعة، الشبلنجي المصري في أحوال علي عليه السلام من كتابه نور الابصار [ص ١٧٨] والحلي في أواخر حجة الوداع في [ج ٣] من كتابه السيرة الحلبية، والحاكم في المستدرک في تفسير سورة المعارج [٢: ٥٠٢] والطبري في تفسيره مجمع البيان [٥: ٣٥٢]. وابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٢٤٠] وروى فيه أيضاً من ذكر ذلك في تفاسيرهم، منهم: النقاش، وسفيان بن عيينة، والرازي، والقزويني، والطوي.

والى ذلك أشار العوني في بعض قصيدته كما في الغدير [٤: ١٢٥]:

فقال رسول الله هذا لأمتي	هو اليوم مولى رب ما قلت فاسمع
فقام جحود ذو شقاق منافق	ينادي رسول الله بقلب موجه
أعن ربنا هذا أم انت اخترعته	فقال معاذ الله لست بمبدع
فقال عدو الله لا هم إن يكن	كما قال حقاً بي عذاباً فأوقع
فعوجل من أفق السماء بكفره	بجندلة فانكب ثاو بمصرع

وممن روى تلك الحادثة ونزول آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ بعد نص الغدير جمع كثيرون من أعلام العلماء، وأعيان المصنّفين والمؤرّخين في تصانيفهم وتفاسيرهم. ذكرهم الأميني في غديره [١: ٢٣٩ - ٢٤٦]، اقتصرنا على ذكر أسمائهم وكتبهم دون عباراتهم فيما أوردوه، فمنهم:

- ١ - الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفى سنة (٢٢٣) أو (٢٢٤) بمكة في تفسيره غريب القرآن.
- ٢ - النقّاش الموصلي البغدادي المتوفى سنة (٣٥١) في تفسيره شفاء الصدور.
- ٣ - الحاكم الحسكاني في كتابه دعاة الهداة إلى أداء حقّ الموالاتة.
- ٤ - القرطبي المتوفى سنة (٥٦٧) في تفسيره في سورة المعارج.
- ٥ - سبط ابن الجوزي الحنفي في كتابه تذكرة الخواص [ص ١٩].
- ٦ - شيخ الاسلام الحموي في كتابه فرائد السمطين [١ : ٨٢].
- ٧ - الزرندي الحنفي في كتابه معارج الوصول ونظم درر السمطين.
- ٨ - الشيخ ابراهيم بن عبد الله اليمني الوصابي الشافعي في كتابه الإكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء.
- ٩ - السمهودي الشافعي في كتابه جواهر العقدين.
- ١٠ - أبو السعود العمادي، وهو محمّد بن محمّد بن مصطفى الحنفي في تفسيره [٨ : ٢٩٢].
- ١١ - الشربيني الشافعي في تفسيره السراج المنير [٤ : ٣٦٤].
- ١٢ - السيد جمال الدين الشيرازي في كتابه الأربعين في مناقب أمير المؤمنين.
- ١٣ - المناوي الشيخ زين الدين الشافعي في كتابه فيض القدير في شرح الجامع الصغير [٦ : ٢١٨].
- ١٤ - العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني في كتابه العقد النبوي والسرّ المصطفوي.
- ١٥ - الشيخ أحمد باكير الشافعي في كتابه وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل.
- ١٦ - الصفوري الشيخ عبد الرحمن في كتابه نزهة المجالس [٢ : ٢٤٢].

٤٠ المقتطفات ج ١

١٧- السيّد محمود بن محمّد القادري المدني في كتابه الصراط السريّ في مناقب النبيّ.

١٨- الشيخ شمس الدين محمّد بن سالم بن أحمد الحنفي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي [٢: ٣٨٧].

١٩- الشيخ محمّد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا في كتابه معارج العلى في مناقب المرتضى.

٢٠- الشيخ محمّد محبوب العالم في تفسيره الشهير بتفسير شاهي.

٢١- الزرقاني أبو عبد الله المالكي في كتابه شرح المواهب اللدنيّة [٧: ١٣] للتسطلاني.

٢٢- الحفظيّ الشيخ أحمد بن عبد القادر الشافعي في كتابه ذخيرة المآل في شرح عقد جواهر الآل.

٢٣- السيّد محمّد بن إسماعيل اليماني في كتابه الروضة النديّة في شرح التحفة العلويّة.

٢٤- الشبلنجي السيّد مؤمن الشافعي المدني في كتابه نور الابصار [ص ٧٨ و ص ١٠٦ ط العثمانيّة بمصر].

فهلّم معنا نجد في السير، علّنا نجد فيما يلي شيئاً يكشف به وجه الحقيقة، الذي طالما احتجب عن كثيرين ممّا نفثته الأقلام المسمومة، وغطّته أيادي الخونة الظلمة في العصور الماضية المظلمة برداء التلفيق والتحريف، المؤيّدّة إلى اقتراف الأمة، أفما آن أوان تلك الحجب أن تتلاشى؟ ويظهر فيها الصدق ويتجلّى؟ فتتحد كلمة المسلمين تحت ظلالها الوارفة، وتتفق الآراء بعد ما كانت مختلفة، ونحن في عصر النور الذي تتجلّى فيه مخفيّات الأمور.

ومن أشعار الحميري

قام النبيّ يوم خمّ خاطباً بجانب الدوحات أو حياها

فقال من كنت له مولى فذا مولاہ ربّي اشهد مراراً قالها
 قالوا سمعنا وأطعنا كلنا وأسرعوا بالألسن اشتغالها
 وجاءهم مشيخة يقدمهم شيخ يهني حيدراً أمثالها
 قال له بسخ بخ من مثلكا أصبحت مولى المؤمنين يا لها

فرحم الله السيّد الحميري لقد والله كشف ما غمض عن كثيرين علمه، وقام
 بما وجب عليه بيانه، فنهض مشيراً بشعره الى مآثرة عظيمة جليّة، في قوله:

وجاءهم مشيخة يقدمهم شيخ يهني حيدراً أمثالها

فهذه العبارة دالة على أنّ القوم بايعوا عليّاً يوم الغدير يقدمهم شيخ - أراد به
 عمر بن الخطّاب - كما جاء في خبر ذكره السيّد محمد طاهر الموسوي الحائري
 البحراني في كتابه خلفاء الرسول الاثنا عشر [ص ٢٦] نقلاً عن تاريخ ابن كثير
 البداية والنهاية [٥ : ٢١٠] وذلك أنّ النبي ﷺ أمر بمبايعة علي بعد أن خطب
 بخطبته المشهورة يوم الغدير، قال: فأقبل القوم يبائعونه ويهتئونونه وفيهم الشيخان
 أبو بكر وعمر، إلى أن قال: فأقبل عمر يخطّ رقاب الحاضرين يخاطب عليّاً قائلاً:
 هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت اليوم وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة.

وفي مناقب الخوارزمي [ص ٩٤ إلى ٩٧] وتفسير الرازي [٣ : ٦٣٦] بلفظ:
 مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وروى كذلك الخطيب البغدادي في تاريخه [١ : ٢٩٠] وفي [٧ : ٣٧٧] وفي
 [١٤ : ٢٣٦] والشعبي في تفسيره الكشف والبيان [مخطوط] في آية ﴿سَأَلْ سَائِلٌ﴾
 وابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢ : ٢٣٦] نقلاً عن الإمام أحمد في
 فضائله وابن بطّة في إبانته، والخرکوشي في كتابه شرف المصطفى، والسمعاني
 في كتابه فضائل الصحابة.

والى ذلك أشار العيني، كما في مناقب ابن شهر آشوب [٢ : ٢٣٧] بقوله:
 حتّى لقد قال ابن خطّاب له لمّا تقوّض من هناك وقاما

أصبحت مولاي ومولى كل من صلى لرب العالمين وصاماً
ولعل الخبر المذكور نظير ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه [٢ : ٢٥٢] فيما
رواه المنقري بأسناده عن عمران بن بريدة الأسلمي.

وروى أيضاً يوسف بن كليب المسعودي بأسناده عن داود، عن بريدة.
وروى أيضاً عباد بن يعقوب الأسدي بأسناده، عن داود السبيعي، عن أبي
بريدة أنه دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فقال: اذهب وسلم على أمير
المؤمنين، فقال: يا رسول الله وأنت حي؟ قال: وأنا حي. ثم جاء عمر فقال له مثل
ذلك.

وفي رواية السبيعي: أنه قال عمر: ومن أمير المؤمنين؟ قال: علي بن أبي
طالب. قال: عن أمر الله وأمر رسوله؟ قال نعم.

ونظير ذلك كما في نفس المصدر: عن إبراهيم الثقفي، عن عبد الله بن جبلة
الكناني، عن ذريح المحاربي، عن الثمالي، عن الصادق عليه السلام أن بريدة كان غائباً
بالشام، فقدم وقد بايع الناس أبا بكر، فأتاه في مجلسه، فقال: يا أبا بكر هل نسيت
تسليمنا على علي بإمرة المؤمنين واجبة من الله ورسوله؟ قال: يا بريدة، إنك غبت
وشهدنا، وإن الله يحدث الأمر بعد الأمر، ولم يكن الله تعالى يجمع لأهل هذا
البيت النبوة والملك.

وأما ما جاء من الحديث في تهنئة الشيخين - أبي بكر وعمر - لعلي عليه السلام
بالإمامة والولاية، فقد أخرجها الجم الغفير من أعلام الأئمة، ورواها جمع كثيرون
من الحفاظ والمحدثين، وأعظم الأئمة، غير أنها في معزل عن أكثر الناس في
بلادنا، فظلت بين الكتب عاكفة، لقلة الباحثين عنها، أو كانوا عنها من المتغافلين
لأمور يفهمها النابه اللبيب.

واليك النصوص الثابتة، ما سجلها أصحاب المسانيد والسنن، واستكشفها
الأميني وجمعها في غديره [١ : ٢٧٢ ط دار الكتاب العربي. بيروت لبنان]:

١ - الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة (٢٣٥) أخرج بإسناده في «المصنف» عن البراء بن عازب، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة، فصلّى الظهر، فأخذ بيد علي، فقال: أستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقبه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٢ - إمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١) في مسنده [٤ : ٢٨١] بلفظ المذكور من طريق ابن أبي شيبة.

٣ - الحافظ أبو العباس الشيباني النسوي، قال: حدّثنا هذبة، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن زيد، وأبو هارون، عن عديّ بن ثابت، عن البراء، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلمّا أتينا على غدير خم، كسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ونودي في الناس: الصلاة جامعة، ودعا رسول الله ﷺ علياً وأخذ بيده، فأقامه عن يمينه، فقال: ألسنت أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى، قال: فإنّ هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقبه عمر بن الخطّاب، فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٤ - الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى سنة (٣٠٧) رواه في مسنده عن هذبة، عن حمّاد، إلى آخر السند والتمن المذكورين في طريق الشيباني.

٥ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠) في تفسيره [٣ : ٤٢٨] قال بعد ذكر حديث الغدير: فلقبه عمر، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي.

وأخرج أيضاً في كتابه «الولاية» حديثاً عن زيد بن أرقم، وفي آخره، فقال:

معاشر الناس، قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا بالسنتنا وصفقة بأيدينا إلى أولادنا وأهلينا، لا نبغي بذلك بدلاً، وأنت شهيد علينا، وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم، وسلّموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فإن الله يعلم كل صوت، وخائنة كل نفس، فمن نكث فإثمنا ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً. قولوا ما يرضي الله عنكم، فإن تكفروا فإن الله غني عنكم.

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس، إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد، وامتد ذلك إلى أن صلى العشائين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافحة ثلاثاً.

ورواه أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي في «مناقب علي بن أبي طالب» المؤلف سنة (٤١١) بالقاهرة، من طريق شيخه محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن، وفيه: فتبادر الناس إلى بيعته، وقالوا: سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله، بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا، ثم انكبوا على رسول الله وعلى عليّ بأيديهم، وكان أول من صافق رسول الله: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، ثم باقي المهاجرين والأنصار، والناس على طبقاتهم ومقدار منازلهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافحة ثلاثاً، ورسول الله كلما بايعه فوج بعد فوج، يقول: الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين. وصارت المصافحة سنة ورسمًا، واستعملها من ليس له حقّ فيها.

٦ - الحافظ أحمد بن عقدة الكوفي، المتوفى سنة (٣٣٣) أخرج من كتاب

«الولاية» وهو أول الكتاب، عن شيخه إبراهيم بن الوليد بن حمّاد، عن يحيى بن

يعلى، عن حرب بن صبيح، عن ابن أخت حميد الطويل، عن ابن جدعان، عن سعيد بن المسيب، قال: قلت لسعد بن أبي وقاص: إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أتقيك. قال: سل عما بدا لك فإنا أنا عمك. قال: قلت: مقام رسول الله ﷺ يوم غدير خم؟ قال: نعم، قام فينا بالظهير، فأخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٧ - الحافظ أبو عبد الله المرزباني البغدادي المتوفى سنة (٣٨٤) أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري في كتابه مرقاة الشعر^(١).

٨ - الحافظ علي بن عمر الدارقطني البغدادي، المتوفى سنة (٣٨٥) أخرج بإسناده حديث الغدير، وفيه: إن أبا بكر وعمر لما سمعا قالاه: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة. حكاه عنه ابن حجر في الصواعق [ص ٢٦].

٩ - الحافظ أبو عبد الله بن بطّة الحنبلي، المتوفى سنة (٣٨٧) أخرجه بإسناده في كتابه «الإبانة» عن البراء بن عازب، بلفظ الحافظ أبي العباس الشيباني المذكور بإسقاط كلمة «أمسيت».

١٠ - القاضي أبو بكر الباقلاني البغدادي، المتوفى سنة (٤٠٣) أخرجه في كتابه التمهيد في أصول الدين [ص ١٧١].

١١ - الحافظ أبو سعيد الخركوشي النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٧) رواه في تأليفه «شرف المصطفى» بإسناده عن البراء بن عازب، وإسناده آخر عن أبي سعيد الخدري، ولفظه: ثم قال النبي ﷺ هئتوني هئتوني إن الله تعالى خصني بالنبوة، وخص أهل بيتي بالإمامة، فلقني عمر بن الخطاب أمير المؤمنين علياً، فقال: طوبى لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

(١) وفي الغدير: سرقات الشعر.

١٢- الحافظ أحمد بن مردويه الاصفهاني، المتوفى سنة (٤١٦) أخرجه في تفسيره عن أبي سعيد الخدري، وفيه: فلقني علياً عليه السلام عمر بن الخطاب بعد ذلك، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

١٣- أبو اسحاق الثعلبي، المتوفى سنة (٤٢٧) أخرج في تفسيره الكشف والبيان [مخطوط] قال: أخبرنا أبو القاسم يعقوب بن أحمد السري، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد، حدّثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكنجي، حدّثنا حجاج بن منهال، حدّثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: لما نزلنا مع رسول الله في حجة الوداع كنا بغدير خم، فنادى إن الصلاة جامعة، وكسح للنبي تحت شجرتين، فأخذ بيد علي فقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

١٤- الحافظ ابن السمان الرازي، المتوفى سنة (٤٤٥) أخرجه باسناده عن البراء بن عازب باللفظ المذكور، عن أحمد بن حنبل. حكاه عنه محب الدين الطبري في الرياض النضرة [٢ : ١٦٩] والشنقيطي في حياة علي بن أبي طالب [٢٨].

١٥- الحافظ أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة (٤٥٨) رواه مرفوعاً إلى البراء بن عازب كما في الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي [ص ٢٥] ونظم درر السمطين [ص ١٠٩] للزرندي الحنفي، بسند عن أبي هريرة، ومن طريق الخوارزمي عن البراء وأبي هريرة.

١٦- الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، المتوفى سنة (٤٦٣) عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: إن النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدير خم أمر بما كان تحت

الشجرة من الشوك فقم، وذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعه، فرفعها حتى نظر الناس إلى إبطيه، حتى نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية. إلى آخر الحديث. راجع تاريخ بغداد [٨: ٢٩٠].

١٧- الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي، أخرج بالإسناد عن أنس، وفيه: فأخذ بيده وأرقاه المنبر، فقال: اللهم هذا مني وأنا منه، ألا إني مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه. قال: فانصرف علي قرير العين، فأتبعه عمر، فقال: بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. راجع المناقب [ص ١٩].

١٨- الحافظ أبو سعيد السمعاني، المتوفى سنة (٥٦٢) في كتابه فضائل الصحابة [مخطوط] بالإسناد عن البراء بن عازب بلفظ أحمد بن حنبل. راجع الإحقيق [٦: ٢٢٨ و ٢٣٥].

١٩- الغزالي أبو حامد الملقب بحجة الاسلام صاحب الإحياء، المتوفى سنة (٥٠٥) قال في تأليفه سر العالمين [ص ٩] باتفاق الجميع، وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر: بخ لك يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

٢٠- أبو الفتح الأشعري الشهرستاني، المتوفى سنة (٥٤٨). قال في كتابه الملل والنحل المطبوع في هامش الفصل لابن حزم [١: ٢٠٢]: قال: ومثل ما جرى في كمال الاسلام وانتظام الحال حين نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فلما وصل إلى غدير خم أمر بالدرجات فقم فنادوا: الصلاة جامعة، ثم قال ﷺ وهو على الرحال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار ألا هل بلغت؟ ثلاثاً. حتى قال عمر حين استقبال علياً: طوبى لك يا علي أصبحت مولاي وكل مؤمن ومؤمنة.

[ص ٢٥] عن أحمد والحافظ البيهقي، عن البراء بن عازب بلفظهما.

٣٨- الأذرعي الشافعي القاضي نجم الدين، المتوفى سنة (٨٧٦) في بديع المعاني [ص ٧٥] قال: وقد ورد أن عمر بن الخطاب حين سمع قول النبي ﷺ من كنت مولاة فعلي مولاة، قال لعلي (رضي الله عنه): هنيئاً لك أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٣٩- الميبدي كمال الدين، ذكر في شرح الديوان المعزوّ إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام [ص ٤٠٦] حديث أحمد، عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم بلفظه المذكور.

٤٠- السيوطي، المتوفى سنة (٩١١) رواه في جمع الجوامع كما في كنز العمال [٣٩٧: ٦] نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبه بلفظه المذكور.

٤١- السمهودي الشافعي المدني، المتوفى سنة (٩١١) رواه في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى [١٧٣: ٢] نقلاً عن أحمد بطريقه عن البراء بن عازب.

٤٢- القسطلاني، المتوفى سنة (٩٢٣) قال في المواهب اللدنية [١٣: ٢] في معنى المولى، وقول عمر: أصبحت مولى كل مؤمن، أي: ولي كل مؤمن.

٤٣- ابن حجر الهيتمي، المتوفى سنة (٩٧٣) في الصواعق المحرقة [ص ٢٦] قال: في مفاد الحديث: سلّمنا أنّه أولى، ولكن لا نسلم أنّ المراد أنّه أولى بالإمامة، بل بالاتباع والقرب منه - إلى أن قال: - وهو الذي فهمه أبو بكر وعمر، وناهيك بهما من الحديث، فإنّهما لمّا سمعاه قالاه: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة. أخرجه الدارقطني.

٤٤- المناوي الشافعي، المتوفى سنة (١٠٣١) في فيض القدير [٢١٨: ٦] قال: لمّا سمع أبو بكر وعمر ذلك - حديث الولاية - قالوا فيما أخرجه الدارقطني عن سعد بن أبي وقاص: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٤٥- الشيخاني السيّد محمود القادري المدني، قال في كتابه «الصرّاط

السوي في مناقب آل النبي» أخرج أبو يعلى، والحسن بن سفيان في مسنديهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، إلى آخر اللفظ المذكور عنهما، قال: قال الحافظ الذهبي: هذا حديث اتفق على ما ذكرنا جمهور أهل السنة.

٤٦- الزرقاني المالكي أبو عبد الله، المتوفى سنة (١١٢٢) قال في شرح المواهب [٧: ١٣] روى الدارقطني عن سعد: لما سمع أبو بكر وعمر ذلك، قالوا: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٤٧- الشيخ أحمد باكثير الشافعي، المتوفى سنة (١٠٤٧) رواه في «وسيلة المال في عد مناقب الآل» بلفظ البراء بن عازب.

٤٨- البدخشاني محمد ميرزا، ذكره في كتابيه مفتاح النجا في مناقب آل العبا وكتاب نزل الأبرار بما صح في أهل البيت الاطهار [ص ٥١] عن البراء وزيد من طريق أحمد.

٤٩- السيد أحمد زيني دحلان المكي الشافعي، المتوفى سنة (١٣٠٤) قال في كتابه الفتوحات الإسلامية [٢: ٣٠٦] وكان عمر يحب علي بن أبي طالب وأهل بيت رسول الله ﷺ، وقد جاء عنه في ذلك شيء كثير، فمن ذلك: أنه لما قال النبي ﷺ من كنت مولاة فعلي مولاة، قال أبو بكر وعمر: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة.

٥٠- المولوي ولي الله اللكهنوي ذكره في كتابه مرآة المؤمنين في مناقب أهل بيت سيد المرسلين بلفظ أحمد، ثم قال: وفي رواية: بخ بخ لك يا علي أصبحت وأمسيت إلى آخره.

٥١- الصنعاني السيد محمد، المتوفى سنة (١١٨٢) ذكر في «الروضة الندية شرح التحفة العلوية» عن محب الدين الطبري ما أخرجه من طريق أحمد عن البراء.

٥٢ - العاصمي أبو محمد أحمد قال في تأليفه زين الفتى: أخبرني شيخني محمد بن أحمد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو أحمد الهمداني، قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله - وفي تاريخ الخطيب [١ : ٤١١] عبدان بن جبلة القهستاني - قال: حدّثنا أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف القائي، قال: حدّثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: لما قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، قال عمر: هنيئاً لك يا أبا الحسن أصبحت مولى كل مسلم. انتهى بعض ما نقلناه من الكتاب المذكور مختصراً.

قال الأميني: إنّ هذه التهنئة المشفوعة بأمر من مصدر النبوة، والمصافقة بالبيعة المذكورة، مع ابتهاج بها بقوله: الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين. على ما عرفته من نزول الآية الكريمة في هذا اليوم المشهود، باكمال الدين واتمام النعمة، ورضا الرب فيما وقع فيه.

وقد عرف ذلك طارق بن شهاب الكتابي، الذي حضر مجلس ابن الخطّاب، فقال: لو نزلت فينا هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، لاتخذنا يوم نزولها عيداً. ولم ينكرها أحد من الحضور. الى آخره. راجع الغدير [١ : ٢٨٣].

أخرج تلك الرواية الأئمة الخمسة: مسلم، ومالك، والبخاري، والترمذي [في صحيحه ١٣ : ١٦٥ ط الصاوي بمصر] والنسائي [في الخصائص ص ٢٢ ط التقدّم بمصر] كما في تيسير الوصول [١ : ١٢٢] وغيرهم، كالطحاوي [في مشكل الآثار ٢ : ٣٠٧ ط حيدر آباد] والطبري، وابن كثير في تفسيرهما. انتهى.

ثمّ إنّنا لو وقفنا ساعة بعد ما اطلعنا على تلك المآثر القيّمة، والمناقب العظيمة، ما أثبتنا أولئك الأعلام المثبوتة في طيّات كتبهم ومعاجمهم، إمعان ونظر، لاستدرّ علينا منه العجب العجاب، من حيث لا ندري أيّة ريح ذهبت بتلك

الشورى وما جرى فيه ٥٣

الوصية، حتى مرّت على تلك الأذان مرّ السحاب، فإلى أين يا ترى غابت تلك البيعة والتهنئة التي لا تخفى على أحد في ذلك اليوم المشهود؟.

وصارت قرطاً في أذن الدنيا، فكان من أوّل حين غمضت فيه عين المصطفى ﷺ طائراً قد التقطها وألقاها في مكان سحيق، أو هوى بها إلى سقيفة بني ساعدة، فسحقها شوراها الذي ما تكون إلا من أفراد معدودين لا يتجاوزون عدد الأصابع، وهم: الخليفة عمر، وأبو عبيدة بن الجراح - حفار القبور كما قاله الأميني في غديره [٥: ٣٦٧] عن الطبقات الكبرى لابن سعد [٢: ٢٩٨ ط دارالفكر] وسيرة ابن هشام [٤: ٣٤٣] وتاريخ الطبري [٣: ٢٠٤] والإمتاع للمقرئزي [ص ٥٤٨] وتاريخ ابن كثير [٥: ٢٦٦] والسيرة الحلبية [٣: ٣٩٣].

وأسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة. كما رواه الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية [ص ٦ إلى ص ٧ ط ٢ سنة ١٣٨٧] وغيره من مؤرّخي أهل السنّة، ممّن جاء بذكر السقيفة وكيفية البيعة، فيما ذكره السيّد أمير محمّد الكاظمي في مناقشته مع النشاشيبي، في كتابه «الاسلام الصحيح».

الشورى وما جرى فيها

فأيّ شورى هي ياليت شعري؟؟ هل الشورى التي أشار إليها إليه الامام علي عليه السلام بقوله محتجاً على أبي بكر؟؟

إن كنت بالقربى حججت خصيمهم فسغورك أولى بالنبي وأقرب وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيب ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [٤: ٣١٩]، وشرف الدين الموسوي في تعليقاته من المراجعات [ص ٢٧٠].

إذ الوصي عليه السلام والعترة الطاهرة وبنو هاشم قد ألهاهم النبي الأعظم المسجى وقتئذ بين أيديهم ومكث ثلاثة أيّام لا يدفن، كما في تاريخ ابن كثير [٥: ٢٧١]

وتاريخ أبي الفداء [١ : ١٥٢] أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته كما في طبقات ابن سعد [٢ : ٣٠٥ ط دار الفكر بيروت] وسيرة ابن هشام [٤ : ٣٤٣] ومسند الإمام أحمد [٦ : ٢٧٤] وسنن ابن ماجه [١ : ٤٩٩] وسيرة ابن سيّد الناس [٢ : ٢٤٠] والسيرة الحلبيّة [٣ : ٣٩٤] وشرح المواهب للزرقاني [٨ : ٢٨٤] والسيرة الدحلانيّة المطبوع في هامش السيرة الحلبيّة [٢ : ٣٨٠]. قال أبو الفداء: الأصحّ دفنه ليلة الأربعاء. وقال ابن كثير: هو المشهور عن الجمهور. وقال: والصحيح أنّه دفن ليلة الأربعاء. انتهى. أو الشورى التي انتضى فيها سيف الصحابي الكبير البدرى الحباب بن المنذر على أبي بكر؟؟ وقال فيه - كما في العقد الفريد [٣ : ٦٢] والامامة والسياسة [١ : ١٥ - ١٦] ومسند الإمام أحمد [١ : ٥٦] وتاريخ الطبري [٣ : ٢٠٩] وتاريخ ابن كثير [٥ : ٢٤٦] وتاريخ ابن الاثير [٢ : ١٣٦] - : والله لا يرد عليّ أحد ما أقول إلاّ حطمت أنفه بالسيف، أنا جديّلها المحكّك وعذيقها المرجّب، أنا أبو الشبل في عرينه. الأسد يعزى إلى الأسد. فيقال عليه: إذن يقتلك الله، فيقول: بل ايّاك يقتل - أو أراك تقتل - وفي شرح النهج [٢ : ١٢٨]: فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه، فبادروا اليه منه، فجعل يضرب بثوبه وجوههم.

أو الشورى التي خالف فيها رجل بيعة أبي بكر؟؟ كما في الامامة والسياسة [١ : ١٧] وشرح النهج [٢ : ١٢٨] وينادي: أما والله أرميكم بكلّ سهم في كنانتي من نبل، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي، وذكره أيضاً الطبري في تاريخه [٢ : ٢١٠] وابن الأثير في تاريخه [٢ : ١٣٧].

أو الشورى التي ينادى فيها على سعد بن عبادة أمير الخزرج بغضب؟؟ كما في العقد الفريد [٣ : ٦٢] وشرح النهج [٢ : ١٢٨]: أقتلوا سعداً قتله الله، إنّّه منافق. وفي لفظ «إنّه صاحب فتنة» وقد قام الرجل على رأسه ويقول: لقد هممت أن أطاك حتّى يندر عضوك، أو تنذر عيونك. وذكره الإمام أحمد في مسنده [١ : ٥٦]

الشورى وما جرى فيه ٥٥

والطبري في تأريخه [٢١٠ : ٣] وابن هشام في تأريخه [٣٣٩ : ٤] والحلي في سيرته [٣٨٧ : ٣].

أو الشورى التي أخذ فيها قيس بن سعد بلحية عمر، قائلاً: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة. وفي لفظ: لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة.

أو الشورى التي اخترط الزبير سيفه بسببها؟؟ كما في الإمامة والسياسة [١ : ١٨] وشرح النهج [٢ : ١٢٢]، وقال: لا أغمده حتى يبايع علي. فقال عمر: عليكم الكلب، فيؤخذ سيفه من يده ويضرب به الحجر ويكسر. وذكر كذلك أيضاً الطبري في تأريخه [٣ : ١٩٩] ومحَبَّ الدين الطبري في رياضه [١ : ١٦٧].

أو الشورى التي بسببها بعث أبو بكر عمر إلى اللاتئين بدار النبوة مأمّن الأمة وبيت شرفها، بيت فاطمة وعلي، وقال لهم: فإن أبوا فقاتلهم، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرهم عليهم النار، حتى قالت فاطمة: يا ابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا؟؟ قال: نعم، أولاً تدخلون فيما دخلت فيه الأمة. وذكره ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» [١ : ١٩] وابن عبد ربّه في العقد الفريد [٣ : ٦٣]. وابن أبي الحديد [٢ : ١٣٤].

وفي رواية الطبري وابن قتيبة وابن أبي الحديد أيضاً: والله لنحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة - وفي لفظ: «لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ على من فيها» - فيقال للرجل: إنّ فيها فاطمة، قال: وإن!!

وإلى ذلك أشار شاعر النيل محمّد حافظ إبراهيم المتوفى سنة (١٩٣٣) ميلاديّة (١٣٥١) هجريّة، ممتدحاً ومثنيّاً على السلف في تلك الجنايات، كما نصّها الأميني في غديره [٧ : ٨٦]:

وقولة لعليّ قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميه
أو الشورى التي بسببها بكت عليها السلام وخرجت عن خدرها؟؟ كما في
الامامة والسياسة [١ : ٢٠] وأعلام النساء [٣ : ١٣٠٦] وتنادي بأعلى صوتها: يا أبت
يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة.

أو الشورى التي كانت تصرخ فاطمة عليها السلام بسببها وتولول ومعها نساء
من الهاشميات، وهي تنادي: يا أبابكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول
الله، والله لأأكلم عمر حتى ألقى الله، رواه ابن أبي الحديد في شرح
النهج [١ : ١٣٤].

أو الشورى التي يساق بسببها مولانا الامام علي عليه السلام، ويقال له: بايع! فيقول:
إن لم أفعل فمه؟؟ فيقال: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، قال: إذن
تقتلون عبد الله وأخا رسول الله. رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة [١ : ٢٠] كغيره
من أهل الأخبار والسير.

أو الشورى التي كلّف فيها عمر عليّاً ببيعة أبي بكر؟؟ كما في الامامة
والسياسة [١ : ١٦] بقوله: لست متروكاً حتى تبائع، فقال عليّ: والله يا عمر لا أقبل
قولك، ولا أبائعك، وقال: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردد عليك
غداً.

أو الشورى التي بسببها بعث عمر بن الخطاب رجلاً إلى الشام ليدعو سعد
بن عباد إلى البيعة، فلما أبى رماه بسهم فقتله. كما رواه ابن عبد ربّه في العقد
الفرید [٥ : ١٣ ط دار الفكر] وغيره من كتب السير. وقد انتشر فيما قيل وقتئذ: إنّ
سعد بن عباد قتلته الجنّ، ولعلّ وراء هذا القول أشياء يعرفها اللبيب النابذ.

أو الشورى التي لاذ بسببها علي عليه السلام بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟؟ كما في الامامة
والسياسة [١ : ٢٠] وهو يصيح ويبكي ويقول: يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا
أن يقتلوني.

أو الشورى التي وقفت بسببها أم مسطح بن أثاثه عند قبر النبي ونادت: يا رسول الله:

قد كان بعدك أنباء وهنبة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢: ١٣٢] وابن سعد في الطبقات [٢: ٣٣٢ ط
دار الفكر] وقد يعزى هذان البيتان إلى الصديقة فاطمة عليها السلام، كما ذكره
الأميني في التعليقات من غديره [٧: ٧٩].

فيمثل هذه الشورى قد بويع الخليفة الأول، فيا لها من بيعة لا تتم إلا بعد
الإرهاب والتهديد، وقضت تلك الوصمات، ويا لها من شورى التي شأنها كما قد
عرفت.

ومن ذلك كله قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بملاً من مدعي الفضائل، كما
في الغدير [٧: ٩٣]

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأخبر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن
مأذا الذي ردكم عنه فنعلمه ها إن بيعتكم من أول الفتن
ذكره اليعقوبي في تاريخه [٢: ١٠٣] والطبري في رياضه [١: ١٦٧] وأبو الفداء
في تاريخه [١: ١٥٦] وفي روضة المناظر المطبوع في هامش الكامل لابن أثير [٧:
١٦٤] وشرح النهج [٢: ١٣٤].

ويا لها من بيعة صححت عند بعضهم، وقد اعترف بعدها عمر بأن علياً أولى
بها، وذلك في قوله لابن عباس، كما في شرح النهج [٢: ١٣٤]: لقد كان علي فيكم
أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. وفي لفظ: أما والله إن كان صاحبك هذا لأولى

الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله.

ويا حبذا من بيعة عن مشورة المسلمين على قول بعضهم، وقد اعتذر منها أبو بكر إلى المسلمين لكونها فلتة، كما صرح ذلك بنفسه في خطبة له في أوائل خلافته فيما رواه الجوهرى، ونقلها ابن أبي الحديد [٢ : ١٣٢] من شرح النهج، واليك لفظه: إن بيعتي كانت فلتة، وقى الله شرها، وخشيت الفتنة.

وشهد بذلك عمر على رؤوس الأشهاد في خطبة خطبها على المنبر النبوي يوم الجمعة، كما أخرجها البخاري في صحيحه [٨ : ٤٥ ط دار الفكر] باب «رجم الحبلى من الزنا» وابن أبي الحديد في شرح النهج [٢ : ١٢٣ و ١٣٢] وابن جرير في حوادث سنة (١١) من تأريخه.

وأخرجها غير واحد من أصحاب السنن والأخبار، وذلك لما سمع عمر قائلاً يقول: لو مات عمر لبايعت علياً. فقال عمر: بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترون امرؤ، أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمت، ألا وقد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها. إلى أن قال: - من بايع رجلاً من غير مشورة، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا.

ويا لها من بيعة بعد أن قال أبو السبطين للقوم مذكراً - كما في الإمامة والسياسة [١ : ١٩] وفي ط آخرى [١ : ١٢] - : أنا عبد الله، وأخو رسول الله، أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي. وفي لفظ: فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به، لأننا أهل البيت، ونحن أولى بالأمر منكم - إلى أن قال - : فلا تتبعوا الهوى، فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً.

ويا لها من بيعة بعد أن قال الوصي للقوم مستضعفاً - كما في الإمامة والسياسة [١ : ١٩] - : الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه وحقه.

ويا لها من بيعة لولا خطبة الامام علي التي خطبها بمشهد من الناس بعد ما سمحت له الظروف - كما رواه علي بن محمد المدائني في شرح النهج [١: ١٠٠] - وإليك لفظه: أمّا بعد فإنّه لمّا قبض الله نبيّه ﷺ قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الدليل. إلى آخره.

ويا لها من بيعة لولا خطبة أبي الحسنين بعد ما انقضت مدّة من الزمن جرع فيها مرارة الصبر، وهي المسمّاة بالشقشقيّة، أوردها ابن أبي الحديد في شرح النهج [١: ٥٠] كغيره من المؤرّخين من أهل الأخبار والسير. وإليك لفظها: أمّا والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة. وإنّه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرحي، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشبّ فيها الصغير. إلى آخرها.

وممّا يزيدنا عجباً على عجب أنّ الخليفة الأوّل قد نبّه عمران بن الحصين وأبو بريدة، كما روي ذلك عن ابراهيم الثقفي، والسري بن عبد الله بإسنادهما، أنّ عمران بن الحصين وأبا بريدة. قال لأبي بكر: قد كنت يومئذ فيمن سلّم على علي ﷺ بإمرة المؤمنين، فهل تذكر ذلك اليوم أم نسيت؟ قال: بل أذكره. فقال أبو بريدة: فهل ينبغي على أحد من المسلمين أن يتأمّر على أمير المؤمنين؟ فقال عمر: إنّ النبوة والإمامة لا تجتمع في بيت واحد. فقال بريدة: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً» فقد جمع الله لهم النبوة والملك قال: فغضب عمر. وما زلنا نعرف في وجهه الغضب حتّى مات. راجع مناقب ابن شهر آشوب [٢: ٢٥٢].

ولعلّ من الخير ومن تمام الفائدة، أن نلحق ما ذكرناه من الأشعار والأخبار

بما أخرجه أساطين المحدثين وحفاظ السنن والآثار، ممّا ورد عن النبي المختار، فيما قاله في أبي العترة الأطهار، ليكون مؤيداً في صحّة تلك العبارات، وتأكيداً للمحات تلك الاشارات؛ فإنّ النصوص في هذا الموضوع، كما هو معلوم متواردة. وما سجل في طيّات الكتب من الأحاديث شاهدة، فلا بأس أن نذكر هنا عدّة منها تيمناً.

أخرج ابن مردويه كما في كتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل [١٥ : ١١] النور الله الحسيني، عن ابن عباس، قال: دخل عليّ ﷺ عليّ النبي ﷺ وعنده عائشة، فجلس بين النبي وعائشة، فقالت: ما كان لك مجلس غير فخذي؟ فضرب النبي ﷺ على ظهرها وقال: مه، لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة، يقعد على الصراط، فدخل أولياؤه الجنة، ويدخل أعداؤه النار.

وذكر فيما رواه الخطيب البغدادي مسنداً: ينادي ملك: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، إمام المتقين، قائد الغر المحجلين إلى جنّات النعيم. ذكره في ثلاثة مواضع من تأريخه وذكر أيضاً ما رواه الحاكم في المستدرک [٣ : ١٣٧ ط حيدرآباد] قال رسول الله ﷺ : أوحى إليّ في عليّ ﷺ ثلاث: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين. هذا الحديث حسن الاسناد، كذا قاله الحاكم. وأمّا ما أخرجه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه [ص ٤] كما في نفس المصدر بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ : يا علي، أنت سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب الدين.

وذكر أيضاً ما أخرجه الحاكم في المستدرک [٣ : ١٢٩] بإسناده إلى جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو أخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول، هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ثم مدّ صوته. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، أي: البخاري ومسلم.

وذكر في نفس المصدر أيضاً ما رواه الفخر الرازي في «نهاية العقول» على ما في مناقب الكاشي [ص ١٩٤] وابن حسويه في در بحر المناقب [ص ٧٨] والاصفهانى في تشييد العقائد في شرح تجريد العقائد [ص ٢٤٩] وكذا في المواقف [٢: ٦١٣ ط الأستانة مع شرح الجرجاني] قال رسول الله ﷺ: سلّموا على علي بإمرة المؤمنين.

وذكر ذلك أيضاً ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٢٥٢] تفسير الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إلى أربع آيات من سورة النحل نزلت في ولاية علي عليه السلام، وما كان من قوله ﷺ: سلّموا على علي بإمرة المؤمنين.

وذكر فيه أيضاً عن ابن عباس، قال علي: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال: يا رسول الله أنت حيّ وتسميني أمير المؤمنين؟ قال: نعم، إنما سمّاك جبريل من عند الله وأنا حيّ، يا علي مررت بنا أمس أنا وجبريل في حديث، فلم تسلّم علينا، فقال: ما بال أمير المؤمنين لم يسلم علينا؟ أما والله لو يسلم لسررنا ولرددنا عليه.

أمّا ما ذكره فيما ورد عن الحارث بن الخزرج صاحب راية الأنصار: فقول النبي ﷺ لعلي: لا يتقدّمك إلا كافر، وإنّ أهل السماوات يسمّونك أمير المؤمنين. وذكر أيضاً في نفس المصدر ممّا روي عن ابن مجلد عن علي عليه السلام قال: دخلت على رسول الله، فوجدته نائماً ورأسه في حجر دحية الكلبي، فسلمت عليه، فقال دحية: وعليكم السلام يا أمير المؤمنين، ويا فارس المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

ثمّ قال لي: تعال اخذ رأس نبيّك في حجرك، فأنت أحقّ بذلك، فلمّا دنوت من رسول الله ﷺ ووضعت رأسه في حجري لم أر دحية، ففتح رسول الله عينيه، وقال: يا علي من كنت تكلم؟ قلت: دحية، وقصصت عليه القصّة، فقال لي: لم يكن

دحية، وإنما كان جبريل أتاك ليعرفك أن الله تعالى سمّاك بهذه الأسماء.
وروى قريباً منه الخوارزمي مسنداً عن ابن عباس، كما في كتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل [٣: ٣٠٧] لنور الله الحسيني، وأورد فيه ما أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار [٣: ٣٩٩] وابن حسويه في درّ بحر المناقب [ص ١٨] والكشفي الحنفي في المناقب المرتضوية [ص ١٠٢ ط بومباي] قال النبي ﷺ: لو يعلم الناس متى سمّي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمّي بذلك وآدم بين الروح والجسد، قال الله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فقال تعالى: أنا ربكم، ومحمّد نبيكم، وعلي أميركم.

والى حديث دحية الكلبي وما قبله أشار خطيب منبج بقوله كما في مناقب آل أبي طالب [٢: ٢٥٤]:

ومن بالامرة اجتمعت عليه ملائكة السماء مسلّمينا
وسلّم فيه جبرائيل عليه علانية برغم الساخطينا
ولنعد إلى بعض شعر الحميري ما ذكره ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٣: ١٠ ط نجف و ٣: ٢٠٧ ط ايران] قال رحمه الله مشيراً إلى علامة المنافقين، كما ورد في الآثار وما أخرجها الحفاظ في كتبهم:

وجاء عن ابن عبد الله أنا به كنّا نميز مؤمنينا
فنعرفهم بحبهم علينا وإن ذوي النفاق ليس عرفونا
ببغضهم علي ألا فبعداً لهم ماذا عليه ينقمونا
ومما قالت الأنصار كانت مقالة عارفين مجربينا
ببغضهم علي الهادي عرفنا وحققنا نفاق منافقينا

قال جابر عبد الله الأنصاري، وزيد بن أرقم، كما في نفس المصدر: ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علينا. رواه ابن بطّة في «الابانة» وشرح الالكاني.

قال أبو سعيد الخدري: كنّا نعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم

علي بن أبي طالب. رواه البلاذري، والترمذي، والسمعاني.

وفيما رواه ابن بطّة في «الابانة» والامام أحمد في «الفضائل» وابن عقدة، قال جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري: كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم عليّاً. قال بعضهم:

بغض الوصي علامة معروفة
من لم يوال من الأنام وليّه
وقال آخر:

كتبت على جبهات أولاد الزنا
سيّان عند الله صلى أم زنا

من كان ذا علم وذا فطنه
فإنّما الذنب على أمّه
وقال آخر مشيراً إلى من طاب أصله ومولده:

وبغض أهل البيت من شأنه
إذ حملت من بعض جيرانه

أحبّ النبي وآل النبي
إذا شكّ في ولد والبد
وقال آخر:

لأنّي ولدت على الفطرة
فأبسته البغض للعترة

حبّ النبي محمّد ووصيّيه
من طاب مولده وصحّ ولاده
ينبيك عن أصلي وطيب المولد
صحّت ولايته لآل محمّد

وهذه الأشعار تلفتنا إلى ما ورد من الآثار ما أوردها أعلام الأئمة من المؤرّخين في مؤلّفاتهم وكتبهم، منهم: ابن مردويه، عن أحمد بن محمّد بن الصباح النيسابوري، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أحمد بن حنبل الإمام، قال: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: قال أنس بن مالك: ما كنّا نعرف الرجل لغير أبيه إلّا ببغض علي بن أبي طالب. انتهى.

قال أنس بن مالك: كان الرجل بعد يوم خبير يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي، فإذا نظر إليه، أوماً بإصبعه، يا بنيّ تحبّ هذا الرجل؟ فإن قال: نعم، قبله، وإن قال: لا، خرق به الأرض، وقال له: الحق بأهلك.

روى الهروي في الغريبين، قال عبادة بن الصامت: كنا نسير أولادنا بحب علي بن أبي طالب فإذا رأينا أحدهم لا يحبه، علمنا أنه لغير رشده.

روى الطبري في كتاب الولاية، عن الأصبع بن نباتة، قال علي عليه السلام: لا يحبني ثلاثة: ولد زناً، ومنافق، ورجل حملت أمه في بعض حيضها.

والله أشار الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني، الشاعر المشهور، صاحب العلم المنشور والتأليف القيمة، قد ترجمه العلماء الأعلام، كما صرح به الأميني في غديره [٤٢ : ٤].

قال رحمه الله:

حبّ علي بن أبي طالب يميّز الحرّ من النسل
لا تعدلوه واعذلوا أمّه إذ أثرت جباراً على البعل

وأورد ابن شهر آشوب في نفس المصدر ما أخرجه ابن بطة من سنده طرق، وابن ماجه [في سنن المصطفى ١ : ٥٥ ط التازية بمصر]، والترمذي [في صحيحه ١٣ : ١٧٧ ط الصاوي بمصر]، ومسلم [في صحيحه ١ : ٦٠ ط محمد علي صبيح مصر]، وأحمد [في المسند ١ : ٨٤ ط مصر]، وأبو القاسم الاصفهاني، وابن أبي شيبة عن وكيع، وعن الأعمش بأسانيدهم، عن زر بن حبیش، قال علي عليه السلام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق. [راجع: الاحقاق ٧ : ١٩٥ - ٢٠٨].

وأخرج أبو نعيم في حليته [٤ : ١٨٥]، والسمعاني في فضائله [مخطوط]، والمخطيب البغدادي في تاريخه [٢ : ٢٥٥ ط مصر]، والعكبري، وشرح الالكاني، عن زر بن حبیش، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: عهد إلي النبي ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

وأورد الترمذي في جامعه [١٣ : ١٧٧] وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والإمام أحمد في الفضائل، عن أم سلمة، وإبراهيم الثقفي عن أنس، قال رسول الله ﷺ أبشر فإنه لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق، ولو لا أنت لم يعرف حزب الله.

وروى ابن بطّة في إبانته عن عطية بن أبي سعيد، قال النبي ﷺ : من أبغضنا أهل البيت فهو منافق.

وروي عن ابن مسعود: قال النبي ﷺ : من زعم أنه آمن بما جئت وهو مبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن.

وعن أم سلمة وأنس، قال النبي ﷺ ونظر إلى علي عليه السلام : كذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا.

ولعل من أجل هذا الحديث الذي حدثت به أم سلمة وغيره من الأحاديث التي كثيراً ما طرقت سمعها جعلتها في أعلى مكانة من المعرفة بفضائل الوصي وعلو منزلته عند النبي ومبلغ محبته إياه، حتى أنها كانت تنكر على قوم يسبون علياً، فقامت مناصرة له لما عرفت من الحق، والحق أحق أن يقال ويتبع، قائلة: أيسب رسول الله وأنتم أحياء؟ ف قيل لها: أتى ذلك؟ قالت: أليس يسب علياً ومن يحب علياً؟ وقد كان رسول الله يحبه.

روى ذلك ابن شهر آشوب في مناقبه [٣ : ٢١] نقلاً عن مسند أبي يعلى الموصلي.

وروى أيضاً في نفس المصدر نظير ذلك، نقلاً عن كتاب الولاية للطبري، والإبانة للعكبري، وذلك أنه مرّ ابن عباس بنفر يسبون علياً، فقال: أيكم الساب لله؟ فأنكروا، قال: فأأيكم الساب لرسول الله؟ فأنكروا، قال: فأأيكم الساب علياً؟ قالوا: فهذا نعم، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله فقد كفر، ثم التفت إلى ابنه، فقال: قل فيهم،

فقال:

نظروا اليه بأعين مَحْمَرَة نَظُرَ التَّبَوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَازِرِ
 حَرَزُوا^(١) الْحَوَاجِبَ خَاضِعِي أَعْنَاقَهُمْ نَظَرَ الذَّلِيلِ إِلَى الْعَزِيزِ الشَّاهِرِ
 فقال ابن عَبَّاسٍ:

سَبَّوْا الْإِلَهَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَالْمُسَرْتَضَى ذَاكَ الْوَصِيَّ الظَّاهِرِ
 أَحْيَاؤُهُمْ خَازِي عَلَى أَمْوَاتِهِمْ وَالْمُسَيِّتُونَ فَضِيحَةَ الْغَابِرِ
 وإلى ذلك أشار العبدِي بقوله:

وَقَدْ رَوَى عَكْرَمَةُ فِي خَبَرٍ مَا شَكَ فُسَيْهَ أَحَدٍ وَلَا امْتَرَى
 مَرَّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى قَوْمٍ وَقَدْ سَبَّوْا عَلِيًّا فَنَاسْتَرَعَ وَبَكَى
 وَقَالَ مَغْتَاظًا لَهُمْ أَتَيْكُمْ سَبَّ إِلَهَ الْخَلْقِ جَلَّ وَعَلَا
 قَالُوا مَعَاذَ اللَّهِ قَالَ أَتَيْكُمْ سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ظُلْمًا وَاجْتَرَى
 قَالُوا مَعَاذَ اللَّهِ قَالَ أَتَيْكُمْ سَبَّ عَلِيًّا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى
 قَالُوا نَعَمْ قَدْ كَانَ ذَا فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ وَاللَّهِ النَّبِيَّ الْمَجْتَبَى
 يَقُولُ مَنْ سَبَّ عَلِيًّا سَبَّنِي وَسَبَّنِي سَبَّ الْإِلَهَ وَاكْتَفَى
 وللحميري أيضاً شعر يعبر عن أسبقية الإمام علي إلى الإسلام قبل الأمة،
 وما خص به دون غيره من الصحابة استفاداً ممّا ورد عن رسول الله ﷺ من
 الصحاح، ورواه الحفاظ والمحدثون بكلّ ارتياح، حتّى قال الإمام أحمد: لم ينقل
 لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ. هكذا ما ذكره ابن حجر في كتابه في ترجمة
 علي عليه السلام من الإصابة [٢: ٥٠٧ ط دار صادر بيروت].

قال في قصيدته:

من فضله أنّه قد كان أوّل من صَلَّى وَأَمِنَ بِالرَّحْمَنِ إِذْ كَفَرُوا

(١) في المناقب: خزر.

سنين سبعا وأياماً محرّمة مع النبيّ على خوف وما شعروا
ويسوم قال له جبريل قد علموا أنذر عشيرتك الأذنين إذ بصروا
فقام يدعوهم من دون أمّته فما تخلف عنه منهم بشر
فمنهم أكل في مجلس جذعاً وشارب مثل عسّ وهو محتضر
فصدّهم عن نواحي قصعة شيعاً فيها من الحبّ صاع فوقه الودر
فقال يا قوم إنّ الله أرسلني إليكم فاجيبوا الله وادّكروا
فأيّكم يجتبي قولي ويؤمن بي إنّي نبيّ رسول فانبري غدر
فقال تبّاً أتدعوننا لتلفتنا عن ديننا؟ ثمّ قام القوم فاشتَمروا
من الذي قال منهم وهو أحدثهم سنّاً وخيرهم في الذكر اذ سَطَروا
إلى آخره. راجع الغدير [٢: ٢٧٧]

لقد أشار رحمه الله في البيت الأوّل والثاني إلى أحاديث السيّد المصطفى المختار المنبئة إلى علوّ قدر ابن عمّه أبي الأطهار، التي تناقلها الحفظة ونقله الأخبار والآثار، منهم:

الأوّل: الحاكم وقد أخرج في مستدرّكه [٣: ١٣٦] والخطيب البغدادي في تاريخه [٢: ٨٣] قول النبيّ ﷺ: أوّلكم وروداً على الحوض، أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب.

الثاني: ما أخرجه الحاكم أيضاً في نفس المصدر، والمتّقي الهندي في كنز العمال [٦: ١٣] قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة: أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً.

وفي الاستيعاب [٣: ٣٣ ط دار صادر] قال النبيّ ﷺ لها: زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة، وإنّه لأوّل أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. قالت أسماء بنت عميس: فرمقت رسول الله ﷺ حين اجتمعا، جعل يدعو لهما ولا يشرك في دعائهما أحداً غيرهما، فجعل يدعو له كما دعا لها.

وروى في نفس المصدر: كان ﷺ مع عليّ عليّ حراء حين تحرّك: فقال له: أثبت حراء فما عليك إلّا نبيّ وصدّيق وشهيد. فقد استبان لنا بهذه الرواية، بأنّ المراد بالصدّيق والشهيد هو الامام عليّ نفسه لا غيره، كما رواه بعضهم.

الثالث: ما أخرجه الامام أحمد في المسند [٥ : ٣٦] وابن عبد البرّ في الاستيعاب [٢ : ٢٦] في ترجمة عليّ. والطبري في الرياض النضرة [٢ : ١٩٤] والهيثمى في مجمع الزوائد [٩ : ١٠١ و ١١٤] والحلبى في سيرته [١ : ٢٨٥] والمتقى الهندي في كنز العمال [٦ : ١٥٣] قال النبي ﷺ لابنته فاطمة: إنّهُ لأوّل أصحابي إسلاماً، أو أقدمهم أمّتي سلماً.

الرابع: ما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ١٠١] قال النبي ﷺ مشيراً إلى عليّ: إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهو أوّل من يضافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وفاروق هذه الأمة، يفرق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب الدين.

الخامس: فيما ورد من الآثار ما رواها جمع من أعلام القوم، منها: ما ذكره الخطيب البغدادي في تأريخه [٤ : ٢٣٣] وابن قتيبة في المعارف [ص ٧٤] وابن عبد البرّ في الاستيعاب في ترجمة عليّ، قال عليّ ﷺ: أنا أوّل من أسلم مع النبيّ وفي لفظ: أوّل من صلّى مع النبيّ.

السادس: ما أخرجه محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة [٣ : ١٥٨] قال عليّ ﷺ: أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبعين. وفي رواية ابن عبد البرّ في الاستيعاب [٣ : ٣١ ط دار صادر بيروت] قال عليّ: لقد عبدت الله قبل أن يعبدّه أحد من هذه الأمة خمس سنين.

السابع: ما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ١٠٢] والقرمانى في تأريخه [١ : ٢١٥] وابن حجر في الصواعق [ص ٧٢] والسيوطي في تاريخ الخلفاء [ص ١١٢] والصبان في إسعاف الراغبين [ص ١٤٨] قال عليّ ﷺ: بعث رسول الله يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء.

الثامن: ما رواه ابن قتيبة في المعارف [ص ٨٤] قال علي عليه السلام: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر.

التاسع: ما رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين [ص ١٦٨ ط مصر] قال علي عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: إن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثاً، أقربها من رسول الله، وأعلمها بالكتاب، وأفقهها في الدين، وأولها إسلاماً، وأفضلها جهاداً.

العاشر: ما رواه أبو جعفر الاسكافي في رسالته، والخوارزمي في مناقبه [ص ٣٢ ط تبريز] وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [٣: ٢٥٨] قال عمر بن الخطاب: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فيه ثلاث خصال، لوددت أن تكون لي واحدة منهن، وكانت أحب إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه، إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله عليّ منكب عليّ، فقال له: يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى .

الحادي عشر: ما رواه الترمذي في جامعه [٢: ٢١٥] والطبري في تاريخه [٢: ٥٥ ط مصر] وابن الأثير في الكامل [٢: ٣٧] وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [٣: ٢٥٦] قال ابن عباس: أول من صليّ عليّ.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة علي [٣: ٢٧ ط دار الكتاب العربي] قال سلمان الفارسي: أول هذه الأمة وروداً على الحوض وأولها إسلاماً علي بن أبي طالب .

وفي نفس المصدر، قال زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله علي بن أبي طالب.

وفي تاريخ الطبري [٢: ٥٥] وكامل ابن أثير [٢: ٣٧] وفي شرح ابن أبي الحديد [٣: ٢٥٨] قال جابر بن عبد الله الأنصاري: بعث النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصليّ

علي يوم الثلاثاء.

وفي مستدرك الحاكم [١١٣ : ٣] قال بريدة الأسلمي: أوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء.

وفي عيون الأثر [٢٩ : ١] والرياض النضرة [١٥٨ : ٢] وشرح النهج [٢٥٨ : ٣] قال أبو رافع: صلى النبي ﷺ أول يوم الاثنين، وصلت خديجة آخره، وصلى علي يوم الثلاثاء.

وفي المواهب اللدنية للقسطلاني [٤٥ : ١] والاستيعاب في ترجمة علي، قال أبو ذر الغفاري، والمقداد الكندي، وأبو سعيد الخدري، إن علي بن أبي طالب أول من أسلم.

الثاني عشر: ما أخرجه النسائي في الخصائص [ص ٣] والطبري في تاريخه [٢ : ٥٦ ط م سنة ١٣٥٧] وابن الأثير في كامله [٣٧ : ٢] والحلبي في سيرته [٢٨٨ : ١] وابن كثير في البداية والنهاية [٣ : ٣٥] والامام أحمد في مسنده [١ : ٢٠٩] وفي عيون الأثر [١ : ٩٣] قال عفيف الكندي: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فأتيت العباس بن عبد المطلب، وكان رجلاً تاجراً، وأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة، وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت، إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم قام مستقبل الكعبة.

ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام، فقام على يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب وركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب ورفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب وسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم؟ قال العباس: أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي. أتدري من الغلام؟ هذا علي ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إن ابن أخي هذا أخبرني أن ربّه ربّ السماء والأرض، أمره بهذا الذي هو عليه، ولا والله ما على الأرض كلها أحد على

هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

قال الحاكم في المستدرک [٣ : ١٨٣] ما لفظه: ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب عليه السلام أولهم إسلاماً.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب [٣ : ٢٨] في باب علي: اتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدّقه بما جاء به علي بعدها.

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه [١ : ٢٩٠] ما معناه: قد أجمع أكثر المفسرين على أن الله ما أنزل في القرآن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلي أميرها، لأنه أول الناس إسلاماً.

وعلى ذلك قد أصفق جمع من وجوه الصحابة وخيار التابعين، كمحمد بن المنكدر، وربيع بن أبي عبد الرحمن، وأبي حازم المدني، ومحمد بن السائب الكلبي، وقتادة، ومجاهد، وسلمان الفارسي، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وزيد بن أرقم، وأبي ذر، والمقداد، وحذيفة، وعمّار، والخدري، وابن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك، وأبي طفيل، وجبير بن مطعم، وعمرو بن الحمق وغيرهم.

وأما إسلام أبي بكر، فبعد أكثر من خمسين رجلاً على ما في نفس المصدر، نقلاً عن الطبري في تاريخه [١ : ٢١٥]

وفي تاريخ ابن كثير [٣ : ٢٨] عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، وقد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً، ولكن كان أفضلنا إسلاماً.

وأما إسلام عمر بن الخطّاب، فبعد خمسة وأربعين رجلاً واحدي وعشرين امرأة. «كتاب عمر لابن الجوزي».

وأما ما في رواية أبي هريرة بأن أبا بكر أول من أسلم، فلا عبرة لنا به، فإن عمر قد ضربه بالدرة لكثرة روايته، وقال: إنه لكذوب.

وفي شرح النهج [٣: ٢٥٦] أسلم أبو بكر بعد عدّة رجال.
وأما ما في رواية إبراهيم النخعي فكذلك، فإنه ناصبيّ جدّاً، قد تخلف عن
الحسين عليه السلام وخرج مع ابن الأشعث في جيش عبيد الله بن زياد إلى خراسان، وهو
القائل:

* لا خير إلا في النبذ الصلب *

أبو هريرة في كتب أساطين المحدثين

وربما استغرب بعض القراء من عدم اعتبارنا بما ورد عن أبي هريرة في
الحديث المذكور وغيره من بعض الأحاديث، فيتسارع إلى الإنكار بغير علم منه
وتحقيق، ظناً منه بأننا لأبي هريرة من المبغضين، وفيه من الطاعنين، ومعاذ الله أن
يكون ذلك منا، فإننا بحمد الله ممّن لا يجحد فضل فاضل، ولا ممّن ينكر عدل
عادل، ولكن هلمّ معنا إلى ما سجل في كتب أعيان القوم، وأساطين المحدثين،
ليتجلى له وجه الحقيقة، فيستنير تحت ضيائه، ثمّ ليستوح من عقله، وليقل
بما يشاء أن يقول بعد أن وقف على أقوال بعض الصحابة والتابعين والأئمة
المجتهدين فيه ما نقلناها مختصراً عن كتاب شيخ المصيرة.

قد أثبت علماء الحديث أمر أخذ أبي هريرة وغيره من كعب الأحمار،
وحسبك دلالة ما قاله السيوطي في ألفيته في باب رواية الأكابر عن الأصاغر أو
الصحابة عن التابعين [ص ٢٣٧ وص ٢٣٨] وقد عدّوا كعباً من كبار التابعين.

(١) قال السيوطي:

وقد روى الكبار عن صغار	في السنّ أو في العلم والمقدار
ومنه أخذ الصحب من أتباع	وتابع عن تابع الأتباع
كالجبر عن كعب وكالزهري	عن مالك ويحيى الأنصاري

(٢) «ابن كثير»:

قال في تفسيره [٣ : ١٠٤ و ١٠٥] بعد أن أورد حديثاً عن أبي هريرة: لعلّ أبا هريرة تلقاه عن كعب الأحبار، فإنه كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه، فحدث أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة أنّه مرفوع، فرفعه. والله أعلم.

وقد بين ابن كثير في مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة عن كعب الأحبار، ثمّ رفعه إلى النبي ﷺ.

(٣) «ابن عساكر»:

فقد أخرجه رحمه الله من حديث السائب بن يزيد، أنّه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله، أو لألحقنك بأرض دوس.

وقال كعب الأحبار: لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض قردة. وقد أورد هذين الخبرين الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء [٢ : ٤٣٣].

ومن أجل ذلك قال أبو هريرة كما في الكتاب المذكور [٢ : ٤٣٣ و ٤٣٤]: ما كنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتّى قبض عمر، كنّا نخاف السياط.

(٤) «الفقيه المحدث محمد رشيد رضا»:

قال في مجلة المنار [١٠ : ٨٥١]: لو طال عُمرُ عُمر حتّى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة التي منها [٤٤٩] في البخاري وحده - انتهى .

وقد أورد الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء [٢ : ٤٣٣]: كان أبو هريرة يقول: أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حيّ؟ أما والله لأيقنت المخففة ستباشر ظهري.

(٥) «الحاكم»:

فقد أورد رحمه الله في مستدركه ما جاء من غرائب، منها: قوله «دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان، وبيدها مشط، فقالت: خرج رسول الله من عندي أنفأ، رجلت شعره، فقال: كيف تجدين أبا عبد الله - يعني عثمان - قالت: بخير، قال:

أكرميته، فإنه من أشبه أصحابي خلقاً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، واهي المتن، فإن رقيّة ماتت سنة (٣) هـ عند فتح بدر، وأبو هريرة أسلم بعد فتح خيبر سنة (٧) من الهجرة، ولكنه أبو هريرة!

ومن ذلك قوله: «صلى بنا رسول الله الظهر والعصر في ركعتين، فقال ذو اليمين: أنقصت الصلاة أم نسيت؟». وذو اليمين قد استشهد ببدر قبل أن يسلم أبو هريرة بزمان.

(٦) «شعبة بن الحجاج»:

هو: الحجّة الحافظ إمام أهل الجرح والتعديل، الذي قال فيه الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

وقال الشافعي: لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق. كذا في التعليقات من الكتاب الذي نقلنا عنه [ص ٩٤] «شيخ المضيرة».

ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء [٢: ٤٣٨] قال يزيد بن إبراهيم: سمعت شعبة بن الحجاج يقول: كان أبو هريرة يدلس.

وقد جاء قول يزيد بن هارون تاماً، كما في البداية والنهاية [٨: ١٠٩] لابن كثير. وهاك نصّها كاملاً: قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس أي: يروي ما سمعه من كعب الأحبار، وما سمعه من رسول الله، فلا يميز هذا من هذا، ذكره ابن عساكر.

وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه «من أصبح جنباً فلا صيام له» فإنه لما حقق عليه، قال: أخبرني مخبر، ولم أسمع من رسول الله.

بالغ شعبة بن الحجاج في ذم التدليس، حتى قال: لأن أزني أحب إليّ من أن أدلس.

وقال أيضاً: التدليس أخو الكذب.

(٧) «إبن قتيبة»:

ذكر في كتابه تأويل مختلف الحديث [ص ٢٨] أنه لما روي حديث «من أصبح جنباً فلا صيام له» أنكرت عليه عائشة هذا الحديث، وقالت: إن رسول الله كان يدركه الفجر، وهو جنب من غير احتلام، فيغتسل ويصوم. وبعثت إليه أن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله، فقال: إنها أعلم مني وأنا لم أسمع من النبي، وإنما سمعته من الفضل بن العباس، وكان الفضل قد مات حينئذ.

ففي ذلك قال ابن قتيبة: إنه استشهد ميتاً، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله، ولم يسمعه.

وأما ما ذكر في كتاب اختلاف الحديث للشافعي: أن أبا بكر بن عبد الرحمن أحد الفقهاء السبعة قال: كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم، وهو أمير المؤمنين من قبل معاوية، فذكر له أن أبا هريرة يقول: من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم. فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا عبد الرحمن، لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فتسألهما عن ذلك.

أما عائشة، فقد قالت ليس كما قال أبو هريرة: يا أبا عبد الرحمن أترغب عما كان رسول الله يفعل؟ فقال عبد الرحمن: لا والله. قالت عائشة: فأشهد على رسول الله أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم. ثم دخلت أم سلمة رضي الله عنها، فسألاها عن ذلك، فقالت مثل ما قالت عائشة.

ثم جئنا مروان، فقال له عبد الرحمن ما قلنا، فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا محمد لتركن دابتي، فلتأتين أبا هريرة فتخبره بذلك.

قال: فركب عبد الرحمن وركبت معه حتى أتينا أبا هريرة، فتحدث معه عبد الرحمن ساعة. ثم ذكر له ذلك، فقال أبو هريرة: لا علم لي بذلك، وإنما أخبرني مخبر.

وفي رواية الحافظ ابن حجر في فتح الباري [٤: ١١٥] قال مروان

لعبدالرحمن: لتفزعن بها أبا هريرة. - وفي رواية: لتفزعن فكره - ولما اجتمع به بذي الحليفة وكانت لأبي هريرة داراً هناك، قال له: إني ذاكر لك أمراً، لولا مروان أقسم عليّ فيه لم أذكره لك، فذكر له قول عائشة وأمّ سلمة، فقال: كذلك حدّثني الفضل بن العباس؛ لأنّه قد مات هذا الزمن، إذ إنّّه - ﷺ - قد استشهد في طاعون عمواس سنة (١٨) في عهد عمر، ذلك بأنّ مروان كان والياً على المدينة من قبل معاوية، ومعاوية استولى على الحكم في سنة (٤١) هـ.

وفي رواية النسائي: أنّ مروان قال لعبدالرحمن: الق أبا هريرة فحدّثه بهذا، فقال: إنّّه لجاري وإني لأكره أن أستقبله بما يكره، فقال: أعزم عليك لتلقيه. وفي رواية معمر عن ابن شهاب: أنّ أبا هريرة لمّا ذكر له قول عائشة تلوّن وجهه.

وفي رواية أحمد بن حنبل في مسنده [٢: ٤٩١ برقم: ٧٣٤١ ط دار احياء التراث العربي] أنّ أبا هريرة قال: لا وربّ البيت ما أنا قلت «من أصبح جنباً فلا يصوم» محمّد وربّ الكعبة قاله. وقد نقل هذا الخبر ابن حجر في فتح الباري [٤: ١١٨].

(٨) «ابن أبي الحديد»:

ذكر في شرح النهج [١: ٣٦٠] أنّه قد روي عن عليّ بن أبي حمزة أنّه قال: إنّ أكذب الناس - أو قال: أكذب الأحياء - على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي.

(٩) «ابن عمر»:

وروى حافظ المغرب ابن عبد البرّ في كتابه جامع بيان العلم [٢: ١٥٤] عن طاووس، قال: كنت جالساً عند ابن عمر، فأتاه رجل، فقال: إنّ أبا هريرة يقول: إنّ الوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا، فقال ابن عمر: كذب أبو هريرة.

وفي رواية ابن كثير في البداية والنهاية [٨: ١٠٩]. لمّا روى حديث «إذا صلّى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه» قال له مروان: أما يكفي أحدنا ممشاه

إلى المسجد حتى يضطجع؟ فبلغ ذلك ابن عمر، فقال: أكثر أبو هريرة.
(١٠) «الزبير»:

وروى كذلك ابن كثير أن الزبير بن العوام لما سمع حديثه، قال: صدق!!
كذب!!

(١١) «ابن عباس»:

وفي كتاب فجر الاسلام [ص ٢٩٥]: أنكر عليه ابن عباس ما رواه عن النبي
من أن من حمل الجنازة فليتوضأ، قال: لا يلزمنا الوضوء من حمل عيدان يابسة.
(١٢) «ابن مسعود»:

وروى ابن عبد البر حافظ المغرب في كتابه جامع بيان العلم [٢: ٨٥] أن ابن
مسعود أنكر عليه في قوله «من غسّل ميتاً ومن حمّله فليتوضأ» وقال فيه قولاً
شديداً، ثم قال: لا تنجسوا موتاكم.

(١٣) «سعد بن أبي وقاص»:

وقد أورد سعد بن أبي وقاص حديثه «أبو هريرة» كما في كتاب سير أعلام
النبلاء [٢: ٤٣٥] فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب.

(١٤) «إبراهيم النخعي»:

وهو الذي قال فيه المغيرة بن مقسم: كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير.
وقال: وكان صرفياً في الحديث. وقال سعيد بن جبيرة: تستفتوني وفيكم إبراهيم
النخعي؟

روى الذهبي في سير أعلام النبلاء [٢: ٤٣٨] وابن كثير في البداية والنهاية
[٨: ١٠٩] وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [١: ٣٦٠] عن مغيرة بن مقسم،
عن إبراهيم النخعي، قال: كان أصحابنا يدعون حديث أبي هريرة. وقال: كانوا يرون
في حديث أبي هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون بكلّ حديث أبي هريرة إلا ما كان من
حديث صفة جنة أو نار، أو حثّ على عمل صالح، أو نهى عن شرّ جاء القرآن به.

وروى الأعمش عن إبراهيم النخعي، قال: ما كانوا يأخذون بكلّ حديث أبي هريرة.

(١٥) «أبو حنيفة»:

وروى محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كتاب مختصر كتاب المؤمل [ص ٣١ و ٣٢] لأبي شامة، عن أبي حنيفة أنّه قال: أقلّد من كان من القضاة والمفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والعبادلة الثلاثة، ولا أستجيز خلافتهم إلّا ثلاثة نفر.

وفي لفظ: أقلّد جميع الصحابة، ولا أستجيز خلافتهم إلّا ثلاثة نفر: أس بن مالك، وأبا هريرة، وسمرة بن جندب.

وروى أبو يوسف، قال: قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيئني عن رسول الله يخالف قياسنا، ما نصنع به؟ قال: إذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأي، فقلت: ما تقول في رواية أبي بكر وعمر؟ قال: ناهيك بهما، فقلت: وعليّ وعثمان؟ قال: كذلك، فلمّا رأيته أعاد الصحابة قال: والصحابة كلّهم عدول ما عدا رجلاً، وعدّ منهم: أبا هريرة، وأنس بن مالك.

(١٦) «ابن الأثير»:

قال في كتابه المثل السائر [ص ٨٠ و ٨١]: أمّا رواية أبي هريرة، فشكّ قوم فيها لكثرتها.

وفي كتاب الأحكام للآمدي [٢: ١٠٦]: إنّ الصحابة أنكرت على أبي هريرة كثرة روايته، حتّى قالت عائشة: رحم الله أبا هريرة لقد كان رجلاً مهذاراً. في حديث المهراس.

(١٧) «عمرو بن عبید»:

وهو المشهور بالزهد والورع، وكان تلميذاً للحسن البصري، وقد ذكر في فجر الاسلام [ص ٣٦١] أنّ المنصور كان قد أبلغ في الثناء عليه لزهده وورعه، حتّى

قال: كلَّكم يطلب الصيد غير عمرو بن عبيد، وكان يسبُّ أبا هريرة ويطعن في روايته.

(١٨) «أبو جعفر الإسكافي»:

قال كما في شرح نهج البلاغة [١ : ٣٦٠]: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر وقال: قد أكثرت من الرواية، وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ. إلى آخره.

(١٩) «مسلم»:

قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية [٨ : ١٠٩]: قال مسلم بن حجاج، عن بسر بن سعيد، قال: اتَّقُوا اللَّهَ، وتحفَّظُوا في الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله، ويحدث عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا، يجعل حديث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله. وفي لفظ: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله، وما قاله رسول الله عن كعب، فاتَّقُوا اللَّهَ وتحفَّظُوا في الحديث.

(٢٠) «محمد صادق الرافعي»:

قد كتب في تاريخ آداب العرب [١ : ٢٧٨] كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية، ولهذا كان عمرو وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه، وهو أول رواية اتهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه، لتطاول الأيام بها وبه إذ توفيت قبله بسنة.

نسبه:

واختلف أهل النسب في اسمه واسم أبيه:

قال ابن الأثير في كتابه أسد الغابة [٥ : ٣١٥ و ٣١٦]: وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، لم يختلف في آخر قبله ولا يقاربه: أمّا أمّه، فقد ذكروا أن اسمها

أميمة.

وقال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب المطبوع هامش الاصابة [٤ : ٢٠٢]:
واختلفوا في اسم أبي هريرة اختلافاً كثيراً، لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية
والاسلام، ومثل هذا الاختلاف والإضطراب لا يصحّ معه شيء يعتمد عليه.
وقال النووي كما في الاصابة [٤ : ٢٠٢]: اختلف في اسمه واسم أبيه على
نحو ثلاثين قولاً.

قال القطب الحلبي: اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً،
مذكورة في كتاب «الكنى» للحاكم.

وقد ذكر ذلك ابن حجر في كتابه الاصابة [٤ : ٢٠٢] وقال: فمجموع ما قيل
في اسمه وحده نحو من عشرين قولاً: عبد شمس، وعبد نهم، وعبد تيم، وعبد
غنم، وعبد العزى، وعبد ياليل، وعبيد، وعبيد الله وسكين، وسكن، وعمرو،
وعنبر، وعامر، وبرير، وبر، ويزيد، وسعد، وسعيد، وعبد الله، وعبد الرحمن.
وفي الاستيعاب من جملة أسمائه: كردوس.
هذا ما وقفنا للتوصل إليه مما ورد في أبي هريرة، فعسى الله أن يوفقنا
للصواب.

حديث إسلام علي عليه السلام

ثم إننا قد ابعدنا كثيراً فيما نحن بصدده، واندفعنا مضطرين إلى إيراد ما
استفاده الباحثون عن وجه الحقيقة في تلك الناحية حتى طال بنا الكلام في ذلك
المقام.

فلنعد الآن إلى الموضوع الذي نريد أن نخوض فيه مستعينين بالله، فنقول،
وبالله التوفيق والهداية، فإنه الهادي إلى سواء الطريق، في من أسلم بعد الامام علي
بن أبي طالب وخديجة الكبرى رضي الله عنهما ما اقتطفناه ونقلناه عن كتاب

مناقب آل أبي طالب [١ : ٢٩٠ ط نجف و ٢ : ٤ ط ايران] لابن شهر آشوب وغيره من كتب اعلام القوم، وأعيان الأئمة المجتهدين وأمناء التاريخ. ولعلّ المعبر لدى من عنده علم بالتواريخ والسير، ما أثبتته الشيخ المؤلف في كتابه المذكور بقوله رحمه الله: وقد استفاضت الرواية أنّ أول من أسلم علي وخديجة، ثمّ جعفر، ثمّ زيد، ثمّ أبو ذرّ، ثمّ عمرو بن عبسة السلمي، ثمّ خالد بن سعيد بن العاص، ثمّ سمية أمّ عمّار، ثمّ عبدة بن الحارث، ثمّ حمزة، ثمّ خباب بن الأرت، ثمّ سلمان، ثمّ المقداد، ثمّ عمّار، ثمّ عبد الله بن مسعود في جماعة، ثمّ أبو بكر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن زيد، وصهيب، وبلال.

والى ذلك أشار الحميري بقوله:

بعث النبيّ فما تلبّث بعده حتى تخيف غير يوم واحد
صلّى وزكّى واستسرّ بدينه من كسلّ عم مشفق أو والد
حججاً يكاتم دينه فإذا خلا صلّى ومجّد ربّه بمحامد
صلّى ابن سبع^(١) وارتدى في برجد ولداته يسعون بين براجد
ومما قاله أيضاً مشيراً إلى بعض ما خصّ به دون غيره من الصحابة، وبلوغه إلى منزلة الأنبياء غير أنّه ليس بنبيّ كما صرح بذلك الرسول في حديث المنزلة بقوله: إلا أنّه لا نبيّ بعدي. فمن ذلك: أنه أوتي الهدى صغيراً كما أوتي عيسى في مهده طفلاً ويحيى صبيّاً. كما قال في ذلك السيّد الحميري في بعض قصيدته:
وصلي محمّد وأبا بنيه ووارثه وفارسه الوفيّاً
وقد أوتي الهدى والحكم طفلاً كـيحيى يوم أوتيه صبيّاً
وله أيضاً:

وصي رسول الله والأول الذي غلاماً صلى مستسراً بدينه بمكة إذ كانت قريش وغيرها وقال أيضاً:

أليس علي كان أول مؤمن فما زال في سرّ يروح ويغتدي يصلي ويدعو ربه فهماً به وقال العوني:

علي خير الورى بعد النبي ومن علي صام وصلى القبلتين وكم وقال الزاهي:

صنو النبي المصطفى والكاشف الـ أول من صام وصلى سابقاً وقال بعضهم:

سنينا كوامل سبعاً بيت يناجي الاله له مستكينا
بذلك فضله ربنا على أهل فضلكم أجمعينا

ولعل هؤلاء وآخرين غيرهم يستفيدون فيما قالوا في هذا الموضوع ممّا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أخرجه جماعة عن أنس، وأبي أيوب، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن أبي رافع، وعلي رضي الله عنهم أجمعين، كما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه [١: ٢٩٨].

أمّا الديلمي، فقد روى في الفردوس [٣: ٤٨٢] عن جابر بن عبد الله قالوا:

قال النبي ﷺ: لقد صلت الملائكة علي وعلى علي بن أبي طالب سبع سنين قبل الناس، وذلك أنه كان يصلي، ولا يصلي معنا غيرنا.

وفي رواية: لم يصل فيها غيري وغيره.

وفي رواية: لم يصل رجل غيره.

وأما ما في سنن ابن ماجه [١: ٥٧] وتفسير الثعلبي [مخطوط] فعن عبد الله

بن رافع عن أبيه: أن علياً صلى مستخفياً مع النبي سبع سنين وأشهر.

وأما ما في تاريخ الطبري [٢: ٢١٣] وسنن ابن ماجه أيضاً، فعن عباد بن

عبد الله، قال: سمعت علياً يقول: أنا عبد الله، وأخو رسول الله، وأنا الصديق

الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله سبع سنين.

وأما ما في مسند أحمد بن حنبل وأبي يعلى الموصلي، فعن حبة العرني،

قال: قال علي عليه السلام: صليت قبل أن يصلي الناس سبعة. انتهى. راجع الغدير

[٢: ٣١٤].

فهذا ما انكشف لنا بما في ضمن البيت الأول والثاني من شعر الحميري

السابق ذكره.

وأما ما بقي منه بعد البيت من قوله «يوم قال له جبريل قد علموا» إلى

آخره، فقد حوى من الإشارة الباهرة، والمنقبة الزاهرة، ليعسوب العترة الطاهرة،

لأنه أوعز رحمه الله بذلك إلى معنى آية الإنذار في بدء الدعوة الكريمة ما

ارتبطت بها مآثرة جليلة عظيمة، التي قد ضبطها المآت من حفاظ المسلمين

وأثبتوها في صحاحهم.

منهم - كما ذكره الأميني في غديره [٣: ٢٢٨ - ٢٤٨]: الطبري في تفسيره [١٩]

: [٧٤] وابن كثير في تفسيره [٣: ٣٥١] وفي تاريخه البداية والنهاية [٣: ٤٠] والخازن

في تفسيره [ص ٣٩٠] والسيوطي في كتابه جمع الجوامع كما في ترتيبه [٦: ٣٩٢]

والإمام أحمد في مسنده [١: ١١١ وص ١٥٩] والحاكم في المستدرک [٣: ١١٣].

والذهبي في تلخيص المستدرک، والمتقي الهندي في كنز العمال المطبوع بهامش مسند الإمام أحمد [٥: ٤١ - ٤٣] وجرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي [١: ٣١] والاستاذ محمد حسين هيكل في حياة محمد [١: ١٠٤] والنسائي في الخصائص [ص ١٨] والكنجي في كفايته [ص ٨٩] وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٢٥٥] وابن مردويه بإسناده، وابن حاتم، والبغوي، والحلي في سيرته [١: ٣٠٤] وابن تيمية في منهاج السنة [٤: ٨٠] والشعبي في الكشف والبيان [مخطوط] والزرندي في نظم درر السمطين [ص ٨٣ ط النجف].

لفظ الحديث:

فقد ورد مسنداً عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب، قال: لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعاني رسول الله ﷺ، فقال: يا علي إن الله أمرني: أن أنذر عشيرتك الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عنه حتى جاء جبريل، فقال: يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب، حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب.

فلما اجتمعوا إليه، دعا بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وايم الله الذي نفس علي بيده، ان كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً. وAIM الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بادره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فقال: الغد، يا علي ان هذا الرجل قد سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي. قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعا بالطعام، فقرّبه لهم، ففعل مثل ما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء من حاجة، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً.

ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب! إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتم به. إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً. وقلت واني لأحدثهم سنأ، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برفقتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع.

لفت نظر:

فقد أجمل الطبري في تفسيره ما لهج به الرسول في قوله «هذا أخي ووصيي وخليفتي» إلى آخره بلفظ «هذا أخي وكذا وكذا» وما ندري ما في وراء هذا الإجمال، وهل عسى أن يكون لحكمة تراءت له؟ وتبعه في ذلك ابن كثير في تفسيره.

أشعار العبدى فى مناقب العترة

ومن الأشعار التى ترمى إلى الناحية التى نحن فيها، أشعار العبدى المسطورة فى كتاب الغدير [٢: ٣٠٥] نقلناها عسى أن تكون لتقريب المرام مؤيدة، ولنفى الشكوك وريب المريب مؤكدة.

والعبدى هو كما فى نفس المصدر [ص ٢٩٤]: أبو محمد سفيان بن مصعب الكوفى، وكان يأخذ الحديث عن الصادق عليه السلام فى مناقب العترة الطاهرة، فىنظمه فى الحال، ثم يعرضه عليه، كما رواه ابن عيَّاش فى «مقتضب الأثر». وكان الإمام الصادق عليه السلام يأمر شيعته أن يعلموا أولادهم شعره، فقال: يامعشر الشيعة، علموا أولادكم شعر العبدى فإنه على دين الله.

ومن شعره:

أهل الفضائل والمناقب	آل النبىِّ محمد
والمنقذون من اللواذب	المرشدون من العمى
السابقون إلى الرغائب	الصادقون الناطقون
حُمن فى القرآن واجب	فولاهم فرض من الر
فوقه ناج وناكب	وهم الصراط فمستقيم
يق شريف فى المناسب	صدّيقة خلقت لصدّ
طهرين من دنس المعائب	إختاره واختارها
بفضل العرش راتب	إسماهما قرنا على سطر
وأمينه جبريل خاطب	كان الإله وليّها
هبة تعالت فى المواهب	والمهر خمس الأرض مو
طبيت تلك المناهب	وتهابها من حمل طوبى

إذا نظرنا فى البيت الثالث نظر التأمل، علمنا أن مبلغه من العلم بالكتاب

والسنة واسع جداً، حيث أشار بقوله «الصادقون» إلى ما روى في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فإنَّ المعنى بالصادقين في هذه الآية هو الإمام علي عليه السلام كما ذكره الحافظ أبو نعيم، وابن عساكر، وابن مردويه، عن جابر بن عبد الله، وابن عباس، أي: كونوا مع علي بن أبي طالب. وروى ذلك أيضاً جمع كثيرون: كالكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ١١١] والحافظ السيوطي في «الدر المنثور» [٣: ٢٩٠] والسبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة خواص الأمة [ص ١٠] وقال: قال علماء قد يكون التفسير معناه: كونوا مع علي وأهل بيته. قال ابن عباس: علي سيد الصادقين.

وأما قوله «السابقون إلى الرغائب» في ذيل البيت المذكور، فقد أشار رحمه الله إلى آية في سورة الواقعة، وهي ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١] فإنها نزلت في علي عليه السلام كما أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس أنها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار الذي ذكر في سورة يس، وعلي بن أبي طالب. وكل رجل سابق أمته وعلي أفضلهم.

وأما ما أخرجه الديلمي، فعن عائشة. وأما ما أخرجه الطبراني، وابن الضحاك، والثعلبي، وابن المغازلي، وابن مردويه أيضاً، فعن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: السَّابِق - وفي لفظ: السَّابِق - ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون، وصاحب يس إلى عيسى، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. وزاد الثعلبي في لفظه: فهم الصادقون^(١) وعلي أفضلهم.

وروى ذلك أيضاً الطبري في كتابه الرياض النضرة [١: ١٥٧] والبيهقي في مجمع الزوائد [٩: ١٠٢] والكنجي الشافعي في كفايته [ص ٦٤] بلفظ: سَبَّاق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل

(١) في الغدير: الصديقون.

فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم. ثم قال: هذا سند اعتمد عليه الدارقطني واحتج به.

ورواه باللفظ الأول الحافظ السيوطي في تفسيره الدر المنثور [٦: ١٥٤] وابن حجر في الصواعق [ص ١٧٤].

وأما ما قاله في البيت الرابع:

فولاهم فرض من الرّحـ سنن في القرآن واجب

فقد أشار إلى قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] واتفقت إشارته مع ما ورد عن النبي ﷺ، فيما أخرجه جمع من الحفاظ والمفسرين، ورواه الكثيرون من العلماء والمؤرخين في كتبهم ومعاجمهم، من الأحاديث النبوية السردوفة بكلماتهم الصافية حول الآية الكريمة الزاهية.

منهم: ما نقلناه عن كتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل لنور الله الحسيني [٩: ٩٢ مط الإسلامية بطهران] وكتاب الغدير [٢: ٣٠٦ مط دار الكتاب العربي بيروت لبنان] والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، والإمام أحمد بن حنبل في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي في تفسيره، وأبو نعيم، وابن المغازلي في المناقب [ص ٣٠٧] بأسانيدهم عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. وفي لفظ: والحسن والحسين.

ورواه القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية [٧: ٣ ط الأزهر بمصر] وقال فيه: ألزم الله مودة قرباه كافة بريته، وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته، فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

ورواه أيضاً الطبري في الذخائر [ص ٢٥] والزمخشري في تفسيره الكشف [٢: ٣٣٩] والحموي في فرائد السمطين [٢: ١٣] والنيسابوري في تفسيره،

والرازي في تفسيره [٢٧ : ١٦٦] وأبو السعرد المطبوع في هامش تفسير الرازي [٧ : ٦٦٥] وابن كثير في تفسيره [٤ : ١١٢] والنسفي في تفسيره المطبوع في هامش تفسير الخازن [٤ : ٩٩] وأبو حيان في تفسيره [٧ : ٥١٦] والسيوطي في تفسيره الدر المنثور [٦ : ٧ ط مصر].

والشوكاني في تفسيره فتح القدير [٤ : ٥٢٢ ط مصر] والطبري في تفسيره جامع البيان [٢٤ : ١٦] والتفتازاني في شرح المقاصد [٢ : ٢١٩ ط الأستانة] والشبراوي في الإتحاف [ص ١٣ وص ٥ ط مصر] والبيضاوي في تفسيره [٢٥ : ٣١ ط مصر] وابن تيمية في منهاج السنة [٢ : ٢٥٠ ط القاهرة].

والخوارزمي في مقتل الحسين [ص ٧٥ ط النجف] وابن حجر في الصواعق [ص ١٠١ ط مصر] والعسقلاني في الكاف الشاف [ص ١٢٥ ط مصر] والطبراني في المعجم الكبير [ص ١٣١ من المخطوط] والكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ٣١].

والسيوطي في كتابيه إحياء الميت [ص ١١٠] والإكلیل [ص ١٩ ط مصر] والعلامة الحبيب أبو بكر بن شهاب الدين العلوي الحضرمي في رشفة الصادي [ص ٢٢ ط القاهرة] والعلامة الحبيب علوي بن طاهر الحداد في القول الفصل [ص ٤٨٢ ط جاوي].

وأخرج الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي في الكفاية [ص ٣١] من طريق أبي نعيم، عن محمد بن أحمد بن المخلد، عن الحافظ ابن أبي شيبه بإسناده، قال جابر بن عبد الله: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد إعرض علي الإسلام، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: تسألني عليه أجرًا؟ قال: لا، إلا المودة في القربى، قال: قرابتي أو قرابتك؟ قال: قرابتي، قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله. قال النبي ﷺ : آمين.

وأما قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] فقد أخرج الإمام أحمد وأبو حاتم، عن ابن عباس، قال: المودة لآل محمد. أي المراد بالحسنة التي في الآية هي: المودة لآل محمد.

ورواه كذلك الثعلبي في تفسيره مسنداً، وابن الصبّاح المالكي في الفصول المهمة [ص ١٣] وابن المغازلي الشافعي في المناقب [ص ٣١٦] وابن حجر في الصواعق [ص ١٠١] والسيوطي في الدر المنثور [٦ : ٧] وفي أحياء الميت المطبوع في هامش الإتحاف في حبّ الأشراف للشبراوي [ص ٢٣٩] وابن شهاب الدين الحضرمي في رشفة الصادي [ص ٢٣] والنبهاني في الشرف المؤبد [ص ٩٥].

وأخرج الطبري في تفسيره جامع البيان [٢٥ : ١٦ ط دار المعرفة بيروت لبنان] بإسناده عن السديّ عن أبي الديلمي، قال: لما جيء بعلي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما أسيراً فأقيم على درج دمشق. قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم، واستأصلكم، وقطع قرني الفتنة، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: أقرأت القرآن؟ فقال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

ورواه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان بإسناده. وأبو حيان في تفسيره البحر المحيط [٧ : ٥١٦] والسيوطي في تفسيره الدر المنثور [٦ : ٧] وابن حجر عن الطبراني [ص ١٠١ وص ١٣٦] والزرقاني في شرح المواهب [٧ : ٢٠].

ولذلك قال المناوي: قال الحافظ الزرندي: لم يكن أحد من العلماء المجتهدين والأئمة المهتدين، إلا وله في ولاية أهل البيت الحظّ الوافر والفخر الزاهر، كما أمر الله بقوله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قال ابن حجر في الصواعق [ص ٨٩]: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري، أنّ النبي ﷺ قال: وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي. وكأنّ هذا مراد

الواحد في بقوله: روي في قوله تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ أي عن ولاية علي وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه ﷺ أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم عن تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى أنهم يسألون: هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون عليهم المطالبة والمتابعة.

وممن قال بذلك من أعيان الأمة في كتبهم، كما في كتاب إحقاق الحق [٣: ٣] و ٩٢: ٩ ط بالمطبعة الإسلامية طهران:

١ - ابن الجوزي في كتابه التذكرة [ص ١٠] قال: قال مجاهد: وقفوهم إنهم مسئولون عن حب علي.

٢ - الألوسي في تفسيره روح المعاني عند الآية الشريفة [٢٣: ٨٠]، فقال: بعد أن ذكر الأقوال: وأولى هذه الأقوال أن السؤال عن العقائد والاعمال، ورأس ذلك لا إله إلا الله، ومن أجله ولاية علي كرم الله وجهه.

٣ - الطبرسي في تفسيره مجمع البيان [٥: ٢٨]

٤ - ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٤]

٥ - الأميني في كتابه سيرتنا وسنتنا [ص ١٥ ط الثانية الحيدرية بطهران] وفي

[٣١٠: ٢] من كتابه الغدير المشحون بالأقوال الوافية لتلك الناحية. انتهى.

وأما قوله:

وهم الصراط المستقيم فوقفه ناج وناكب

فقد اتفق مع ما أخرجه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» في قوله تعالى

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمد وآله.

وفي تفسير وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن السدي، ومجاهد، عن

ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حب محمد وأهل بيته.

وأخرج الحافظ الخوارزمي في المناقب: الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا، فهو علي بن أبي طالب. وأما صراط الآخرة، فهو جسر جهنم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة^(١).

ويوضح معنى ذلك، الحديث الذي أخرجه ابن عدي والديلمي كما في الصواعق [ص ١١١] عن رسول الله ﷺ قال: أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي.

وأخرج الحموي في فرائد السمطين [٢: ٢٥٤] بإسناده في حديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله: نحن خيرة الله والطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله. انتهى.

وهم الصراط إلى الله، فمن تمسك بهم فقد اتخذ إلى ربه سبيلاً، كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في كتاب شرف النبوة بإسناده عن رسول الله ﷺ، قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً. ذخائر العقبى [ص ١٦] للمحب الدين الطبري.

وأما البيت السادس وهو قوله:

صَدِّيقَةٌ خَلَقْتَ لَصَدِّيقَ شَرِيفٍ فِي الْمُنَاسِبِ

فقد أراد بالصديقة فاطمة بنت النبي ﷺ، فإن أباهاً سمّاها بها، كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة، والطبري في الرياض النضرة [٢: ٢٠٢] عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي: أوتيت ثلاثاً لم يُؤْتِهَنَّ أحدٌ ولا أنا، أوتيت صهرًا مثلي، ولم أوت صهرًا مثلي، وأوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم.

(١) لم أعثر عليه في المناقب، ورواه الصدوق في معاني الأخبار ص ٣٢.

وأخرج أبو نعيم في حليته [٢ : ٤٢] وابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٧٥١] وفي ط دار صادر [٤ : ٣٧٧] والطبري في ذخائر العقبى [ص ٤٤] والهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ٢٠١] وقال: رجاله رجال الصحيح، عن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها.

وقوله «لصدّيق» يعني به الإمام علي عليه السلام؛ لأنّ ذلك لقبه الخاص، الذي لقبه به الرسول ﷺ، كما قاله الطبري في الرياض النضرة أنّ رسول الله ﷺ سمّاه صدّيقاً، وقال في [ص ١٥٥]: قال الخجندي: وكان يلقّب بيعسوب الأُمّة، وبالصدّيق الأكبر.

وهناك أخبار كثيرة دوّنها الحفاظ في زبرهم:

فمنها: ما أخرجه الطبراني عن سلمان الفارسي وأبي ذرّ، والبيهقي عن حذيفة، والهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ١٠٢] والحافظ الكنجي في كفاية الطالب [ص ٧٩] من طريق ابن عساكر.

والمتّقّي الهندي في كنز العمال [٦ : ٥٦] عن رسول الله ﷺ: إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهو أوّل من يصفحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمّة، يفرق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين.

وروى شيخ الاسلام الحموي في فرائد السمطين [١ : ١٤٠] وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٢٥٧] والأيجي في المواقف [٣ : ٢٧٦] والصفوري في نزّهة المجالس [٢ : ٢٠٥] عن أبي رافع: أتيت أبا ذرّ بالربذة أودّعه، فلمّا أردت الانصراف قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة فاتّقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فاتّبعوه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول له: أنت أوّل من آمن بي، وأوّل من يصفحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيرني وخير من أترك بعدي وتنجز موعدني.

وأخرج محب الدين الطبري في الرياض النضرة [٢ : ١٥٥] عن ابن عباس وأبي ذرّ قالاً: سمعنا رسول الله ﷺ يقول لعلي: أنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وقال - وفي رواية -: وأنت يعسوب الدين.

وأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح، والنسائي في الخصائص [ص ٣] بسند رجاله ثقات، وابن أبي عاصم في السنة، والحاكم في المستدرک [٣ : ١١٢] وصحّحه، وأبو نعيم في المعرفة، وابن ماجه في سننه [١ : ٥٧] بسند صحيح، والطبري في تاريخه [٢ : ٢١٣] بإسناد صحيح، وابن الأثير في الكامل [٢ : ٢٢] وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٢٥٧] ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى [ص ٦٠] وفي رياضه [٢ : ١٥٥ و ١٥٨ و ١٦٧] والحموي في فرائد السمطين [١ : ٢٤٨] والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه [٦ : ٣٩٤] عن علي عليه السلام أنه قال: أنا عبد الله، وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترى، لقد صليت قبل الناس سبع سنين.

وفي الطبقات للشعراني [٢ : ٥٥] قال علي عليه السلام: أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب.

وأخرج ابن قتيبة في كتابه المعارف [ص ٧٣] ومحب الدين الطبري في الذخائر [ص ٥٨] وفي كتابه الرياض النضرة [٢ : ١٥٥ و ١٥٧] وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٢١٥ و ٢٥٧] والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه [٦ : ٤٠٥]، عن معاذة، قالت: سمعت علياً وهو يخطب على منبر البصرة يقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. أما قوله:

إسماهما قرنا على سطر بظل العرش راتب

فهو إشارة إلى ما ورد من الحديث الذي أخرجه جمع من أعلام القوم، كالخطيب البغدادي في تاريخه [١ : ٥٢٩] كما في الغدير [٢ : ٣١٤] للأميني، وغيره كما في

كتاب إحقاق الحق [٢٥٧ : ٩] كابن حجر في كتابه لسان الميزان [٧٠ : ٥ ط حيدرآباد] والخوازمي في المناقب [ص ٢٤٠] وصدر الحفاظ الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب [ص ٢٧٤ وص ٢٧٦] والسيوطي في ذيل اللاكي [ص ٦٦ ط ديلهي] والبدخشي في مفتاح النجاح [ص ١٥] والذهبي في ميزان الاعتدال [٢ : ٢١٧ ط القاهرة، وفي طبع دار احياء الكتب العربية ٢ : ٢١٧ وص ٤٧٨] وابن حسويه في كتابه بحر در المناقب كلهم بالإسناد عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: لَمَّا عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ حَبِيبُ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صَفْوَةُ اللَّهِ، فَاطِمَةُ أُمَةُ اللَّهِ، عَلِيٌّ مَبْغُضُهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ.

أما قوله في البيت التاسع:

كَانَ الْإِلَهُ وَلِيَّهَا وَأَمِينُهَا جَبْرِيلُ خَاطِبُ

فقد أشار رحمه الله به إلى أَنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى هو الذي زَوَّجَ فَاطِمَةَ عَلِيًّا عليهما السلام، وكان الله عزَّ وجلَّ وليَّ أمرها، وخطب فيه جبريل الأمين عليه السلام. كما ورد في كفاية الطالب للكنجي [ص ١٦٤] عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّني زَوْجَتُهُ ابْنَتِي فَاطِمَةُ، وَلَقَدْ خَطَبَهَا إِلَيَّ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ فَلَمْ أُجِبْ، كُلُّ ذَلِكَ أَتَوَقَّعُ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى جَاءَنِي جَبْرِيلُ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، فَقَدْ جَمَعَ الرُّوحَانِيَيْنِ وَالْكَرُوبِيِّينَ فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ: الْأَفِيحُ، تَحْتَ شَجَرَةٍ طُوبَى، وَزَوْجَ فَاطِمَةَ عَلِيًّا، وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ الْخَاطِبُ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْوَلِيُّ.

وروى كذلك الصفوري في نزهة المجالس [٢ : ٢٢٥] بلفظ آخر.

وأخرج الطبري في ذخائر العقبى [ص ٣١] بغير اللفظ المذكور عن علي عليه السلام.

وأما النسائي والخطيب البغدادي في تأريخه [٤ : ١٢٩] فبالإسناد عن عبد الله ابن مسعود.

وهناك أخبار كثيرة في هذا المعنى تركناها لاشتغالها.

ومن شعر العبدى قوله:

لَمَّا أَتَاهُ الْقَوْمُ فِي حَجْرَاتِهِ وَالطَّهْرُ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ
قَالُوا لَهُ إِنْ كَانَ أَمْرٌ مِنَّا خَلْفَ إِلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ يَرْجِعُ
قَالَ النَّبِيُّ خَلِيفَتِي هُوَ خَاصِفُ النِّعْلِ الزَّكِيِّ الْعَالَمِ السُّتُورِ
أشار بهذه الأبيات إلى حديث أم سلمة حين تذكر عائشة لما أرادت الخروج على علي عليه السلام في بدء وقعة الجمل، كما روي في شرح النهج لابن أبي الحديد [٢ : ٧٨].

وذلك قول أبي مخنف: جاءت عائشة إلى أم سلمة، فخادعتها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ وكبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بينك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك، فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة: إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان، فلمّا تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمتم على الخروج إلى البصرة فاخرجي معنا، لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا.

فقالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً، وإنك تعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند النبي ﷺ أفأذكرك؟ قالت: نعم.

قالت أم سلمة: أتذكرين يوماً أقبل علي عليه السلام ونحن معه حتى إذا هبط من فديد ذات الشمال خلا بعلي يناجيه، فأطال، فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك،

فعضيتني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكياً، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنني هجمت عليهما وهما يتناحيان، فقلت لعلني: ليس لي من رسول الله ﷺ إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله ﷺ علي غضبان محمّر الوجه، فقال: ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي، ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان، فرجعت نادمة ساقطة.

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت أم سلمة: وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه، وقال: يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذن، تنبجها كلاب الحوآب، فتكون ناكبة عن الصراط، فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب علي ظهرك، قال: إياك أن تكونيها، ثم قال: يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها، يا حميراء، أما أنا فقد أنذرتك.

قالت عائشة: نعم أذكر هذا.

قالت أم سلمة: وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفهما، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحدثانه فيما أرادا، ثم قالوا: يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا؟ فقال ﷺ لهما: أما إنني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا، ثم خرجا.

فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلت له وكنت أجراً عليه منا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال ﷺ: خاصف النعل، فنزلنا فلم نر أحداً إلا علياً، فقلت: يا رسول الله، ما أرى إلا علياً، فقال ﷺ: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر

ذلك.

فقالت أم سلمة: فأَيَّ خروج تخرجين بعد هذا؟

فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله.

فقالت أم سلمة: أنت ورأيك. وكنبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى

علي عليه السلام.

وذكر ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٣٣٦ مط الحيدرية

و٣: ١٤٩ ط ايران] عن الماوردي في أعلام النبوة، والديلمي في الفردوس، وأبو

يعلى في المسند، وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين، والبلاذري والطبري في

تأريخهما [أنساب الأشراف ٢: ٢٢٤ ط الأعلمي، وتاريخ الطبري ٣: ٤٧٥ ط

الأعلمي] والشعبي، وسالم بن أبي الجعد، وشعبة، في أحاديثهم: أنَّ عائشة لما

سمعت نباح الكلب، قالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوَّاب، قالت: إنا لله وإنا إليه

راجعون إني نهيته، قد سمعت رسول الله وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيتكنَّ

تنبحها كلاب الحوَّاب؟.

وفي رواية الماوردي: أيتكنَّ صاحبة الجمل الأدب فتنبحها كلاب

الحوَّاب، يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثير، وتنجو بعد ما كادت تقتل راجع

السبعة من السلف [ص ١٧٣ - ١٧٧].

وأخرج ابن مردويه، والخوارزمي وغيرهما في كتبهم بالأسانيد، كما ذكره

ابن شهر آشوب في نفس المصدر عن ابن عباس، وابن مسعود، وحذيفة، وقتادة،

وقيس بن أبي حازم، وأم سلمة، وميمونة، وسالم بن أبي الجعد، واللفظ له: أنَّه ذكر

النبيَّ خروج بعض نساؤه، فضحكت عائشة، فقال ﷺ: انظري يا حميراء لا تكوني

هي، ثم التفت إلى علي، فقال: يا أبا الحسن، إن وليت من أمرها شيئاً فافرق بها.

وإلى ذلك أشار الزاهي:

كم نهيت عن تبرج فعصت وأصبحت للسخلاف متبعه

قال لها في البيوت قري
وقال السوسي:

وما للنساء وحرب الرجال
ولو أننّها لزمت بيتها
وقال الحميري:

جاءت مع الأشقين في هودج
كأننّها في فعلها هرّة
وقال الأحنف بن قيس:

حجابك أخفى للذي تسترينه
فلا تسلكن الوعر صعباً محالة
وصدرك أوعى للذي لا أقولها
فتغبر من سحب الملاء ذيولها

قال ابن أبي الحديد: قال كلّ من صنّف في السير والأخبار: إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان، حتّى أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ، فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته، قالوا: أوّل من سمى عثمان نعتلاً عائشة، وكانت تقول: أقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً.

وقال أبو الفداء في تأريخه [١: ١٧٢]: كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه، وكانت تخرج قميص رسول الله ﷺ وشعره وتقول: هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلى دينه.

وفي الطبقات لابن سعد [٥: ٢٥ ط ليدن] قال ابن سعد: لما حصر عثمان وأرادت عائشة الحجّ، أتاهم مروان وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن عتاب، فقالوا: لو أقمتم فإنّ أمير المؤمنين على ما ترين محصور، ومقامك ممّا يدفع الله به عنه، فقالت: قد حلبت ظهري، وعريت غرائري، فلست أقدر على المقام، فأعادوا عليها الكلام، فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم، فقام مروان وهو يقول:

وحرّق قيس عليّ البلاد حتى إذا أضرمتم أجذما

وفي لفظ البلاذري في الأنساب [٥ : ٧ و ٧٥ و ٩١] قال مروان لعائشة: لو أقمت فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل، فقالت عائشة: قد قرنت ركابي، وأوجبت الحجّ عليّ نفسي، والله لا أفعل، فنهض مروان وصاحبه وهو يقول:

وحرّق قيس عليّ البلا د حتى إذا استعرت أجذما

فقالت عائشة: يا مروان وددت والله أنّه في غرارة من غرائري هذه، وأنّي طوّقت حملة حتى ألقيه في البحر.

وأخرج البلاذري في أنسابه [٥ : ١٢] مرّ ابن عبّاس بعائشة وقد ولّاه عثمان الموسم، وهي بمنزل من منازل طريقها، فقالت: يا ابن عبّاس، إنّ الله قد آتاك عقلاً وفهماً وبياناً، فأياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية.

وروى في نفس المصدر: كانت عائشة وأمّ سلمة حجّتا ذلك العام - أي: عام قتل عثمان - وكانت عائشة تؤلّب عليّ عثمان، فلما بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبّتها، فضربت في المسجد الحرام، وقالت: إني أرى عثمان سيشأم قومه، كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر.

وأخرج الطبري في تاريخه [٥ : ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٦] من طريقين: أنّ عائشة لما انتهت إلى سرف - موضع على ستّة أميال من مكة، راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عبد بن أمّ كلاب، وهو عبد بن أبي سلمة، فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانية، قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل الاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب، فقالت: والله ليت هذه - أي: السماء - انطبقت على هذه، إن تمّ الأمر على صاحبك، ردّوني ردّوني، فانصرفت إلى مكة، وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها ابن أمّ كلاب: ولم؟ فوالله إنّ أوّل من آمال حرقه لانت ولقد تقولين: أقتلوا نعثلاً

فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول.

فقال ابن أمّ كلاب.

ومنك الرياح ومنك المطر	منك البداء ومنك الغير
وقلت لنا إنه قد كفر	وأنت أمرت بقتل الامام
وقاتله عندنا من أمر	فهينا أطعناك في قتله
ولم ينكسف شمسنا والقمر	ولم يسقط السقف من فوقنا

فانصرفت إلى مكة، فنزلت على باب المسجد، فقصدت للحجر، فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: أيها الناس: إن عثمان قتل مظلوماً، والله لأطلبن بدمه. أخرجه أيضاً ابن الأثير في الكامل [٣: ٨٠] وشرف الدين في مراجعته [ص ٢٦٥] في التعليقات.

وروى المدائني في كتاب الجمل، قال: لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها، فلم تشك في أن طلحة صاحب الأمر، وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً، إيه ذا الاصبع، إيه أبا الشبل، إيه يا ابن عم، لكأنني انظر إلى إصبعه وهو يبائع له. قال: وكان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثم فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبي طالب.

قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة، وهي تقول: إيه ذا الاصبع لله أبوك، أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً، فلما انتهت إلى سرف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي، فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا علياً، فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا، ويحك انظر ماذا تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين، والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحق، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا

تكرهين ولايته؟ فما ردت عليه جواباً.

وقد روي من طرق مختلفة: أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، قالت: أبعد الله، ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد.

قال: وقد روى قيس بن أبي حازم أن عائشة لما بلغها قتل عثمان، فتحمّل إلى المدينة، قال: فسمعها تقول في بعض الطرق: إيه ذا الأصبع. وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعد الله. حتّى أتاها خبربيعة علي، فقالت: لوددت هذه وقعت على هذه، ثمّ أمرت بردّ ركابها إلى مكة، فرددت معها، ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنّها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفّان مظلوماً، فقلت لها: يا أمّ المؤمنين، ألم أسمعك آنفاً تقولين: أبعد الله؟ وقد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه وأقبحهم عليه قولاً؟ فقالت: لقد كان ذلك، ولكنّي نظرت في أمره، فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء، أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه.

وروى البلاذري في الأنساب قال: خرجت عائشة باكية تقول: قتل عثمان رحمه الله، فقال عمّار بن ياسر: أنت بالأمس تحرضين عليه، ثمّ أنت اليوم تبكينه؟ رواه أيضاً ابن عبد ربّه في العقد الفريد [٣: ٨٢ ط الازهرية بمصر سنة ١٣٤٦هـ].

وقال ابن عبد البرّ صاحب الاستيعاب [٢: ١٩٢ المطبوع على هامش الاصابة] في ترجمة الأحنف صخر بن قيس: كان الأحنف بن قيس عاقلاً حليماً ذا دين وذكاء وفصاحة ودهاء، لما قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس، فأبى أن يأتيها، ثمّ أرسلت إليه فأتاها، فقالت: ويحك يا أحنف، بما تعتذر إلى الله من ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان أمن قلة عدد؟ أو أنّك لا تطاع في العشيرة؟ قال: يا أمّ المؤمنين، ما كبرت السنّ ولا طال العهد، وإنّ عهدي بك عام أوّل تقولين فيه وتنالين منه، قالت: ويحك يا أحنف، إنهم ماصوه موص الإناء ثمّ قتلوه، قال: يا أمّ المؤمنين: إنّي آخذ بأمرك وأنت راضية، وأدعه وأنت

ساخطة.

وفي كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام كتبه لما قارب البصرة إلى طلحة والزبير وعائشة: وأنت يا عائشة فأئك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدان الإصلاح بين المسلمين، فخبّريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال، والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرّمة، ثم إنك طلبت عليّ زعمك دم عثمان، وما أنت وذاك؟ عثمان من بني أمية وأنت من بني تيم، ثم بالأمس تقولين في ملاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر، ثم تطلبين اليوم بدمه، اتقي الله، وارجعي إلى بيتك، وسبلي عليك سترك. والسلام. راجع مناقب آل أبي طالب [٣: ١٥٢ ط ايران].

وأخرج الطبري وابن قتيبة: أنّ غلاماً من جهينة أقبل على محمد بن طلحة يوم الجمل، وكان محمد رجلاً عابداً، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان، فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث عليّ صاحبة الهودج يعني عائشة، وثلث عليّ صاحب الجمل الأحمر يعني طلحة، وثلث عليّ بن أبي طالب، فضحك الغلام، وقال: ألا أراني عليّ ضلال، ولحق بعلي. وقال شعراً:

سألت ابن طلحة عن هالك	بجوف المدينة لم يقبر
فقال ثلاثة رهط همو	أما تروا ابن عفان فاستعبر
فثلث عليّ تلك في خدرها	وثلث عليّ راكب الأحمر
وثلث عليّ ابن أبي طالب	ونسحن بدوية قرقر
وقلت صدقت عليّ الأولين	وأخطأت في الثالث الأزهر

ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر، فيما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة [١: ٦٠] أقبل عليهم سعيد بن العاص عليّ نجيب له ومعه المغيرة ابن شعبة، فنزل وتوكأ عليّ قوس له سوداء، فأتى عائشة فقال لها: أين تريدان يا أم المؤمنين؟ فقالت: أريد البصرة، قال: وما تصنعين بالبصرة؟ قالت:

أطلب دم عثمان، قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك.

ثم أقبل على مروان، فقال: أين تريد أيضاً؟ قال: البصرة، قال: وما تصنع بها؟ قال: نطلب قتلة عثمان، قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، إن هذين الرجلين قتلا عثمان: طلحة والزبير، وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه، قالوا: نغسل الدم بالدم، والحبوبة بالتوبة.

ثم قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس إن كنتم إنّما خرجتم مع أمّكم، فارجعوا بها خيراً لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان. إلى آخره وروى ابن عبد ربّه في العقد الفريد [٣ : ٨٢ ط الأزهرية بمصر]: دخل المغيرة ابن شعبة على عائشة، فقالت: يا أبا عبد الله! لو رأيتني يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجي حتّى وصل بعضها إلى جلدي، قال لها المغيرة: وددت والله أنّ بعضها قتلك، قالت: يرحمك الله، ولم تقول هذا؟ قال: لعلّها تكون كفّارة في سعيك على عثمان.

وأما حديث طلحة بن عبيد الله ومواقفه تجاه الخليفة الثالث، فقد أخرج البلاذري في الأنساب [٥ : ٧١] بأسناده من طريق ابن سيرين، وابن عبد ربّه في العقد الفريد [٣ : ٨٦ ط الأزهرية] أنّه قال: لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أشدّ الناس على عثمان من طلحة.

وفي الإمامة والسياسة [١ : ٤٣] قال طلحة لأهل مصر وأهل الكوفة المحاصرين: إنّ عثمان لا يبالي ما حصرتموه، وهو يدخل إليه الطعام والشراب، فامنعوه الماء من أن يدخل عليه.

وحكى البلاذري في الأنساب عن أبي مخنف وغيره: أنّ طلحة اشتدّ على عثمان في الحصار، ومنع أن يدخل الماء إليه حتّى غضب علي عليه السلام من ذلك، فأدخل عليه روايا الماء.

وأخرج الطبري في تأريخه [٥ : ١٣٩] وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة

[١ : ١٦٨] من طريق حاكم بن جابر، قال علي لطلحة وعثمان محصور: أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها. وأخرج البلاذري في نفس المصدر [٥ : ٧٧] من طريق يحيى بن سعيد، قال: إن طلحة قد استولى على الناس في الحصار، فبعث عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إلى علي عليه السلام بهذا البيت:

وان كنت مأكولاً فكُن أنت آكلي والّا فأدركني ولمّا أمزّق

قال أبو مخنف: صلى علي عليه السلام بالناس يوم النحر وعثمان محصور، فبعث إليه عثمان بهذا البيت، ففرّق الناس عن طلحة، فلمّا رأى ذلك طلحة، دخل على عثمان فاعتذر، فقال له عثمان: يا ابن الحضرميّة، ألّبت عليّ الناس حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً، لا قبل الله ممّن قبل عذرَكَ.

وفي الأنساب [٥ : ٧٤] قال طلحة لمجمع بن جارية الأنصاري حين مرّ به: يا مجمع، ما فعل صاحبك؟ قال: أظنّكم والله قاتليه، فقال: فإن قتل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢ : ٤٠٤] والطبري [٥ : ١٣٩]: إن عثمان كان له عند طلحة خمسون ألفاً، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهياً مالك فاقبضه، فقال عثمان: هو لك يا أبا محمّد معونة لك على مروءتك. قال الراوي: فكان عثمان يقول وهو محصور: جزاء سنمار. السنمار: اللّص والذي لا ينام.

قال: وروى الناس الذين صنّفوا في واقعة الدار أنّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنّعاً قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام، وهو أصعد الناس إلى سطح بعض دار من الأنصار حين امتنعوا الدخول من باب الدار.

وأما حديث الزبير ومواقفه تجاه الخليفة الثالث، فقد قال ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢ : ٤٠٤]: كان طلحة من أشدّ الناس تحريضاً على عثمان، وكان

الزبير دونه في ذلك، روي أن الزبير كان يقول: أقتلوا فقد بدّل دينكم، فقالوا له: إن ابنك يحامي عند الباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني، إن عثمان لجيفة على الصراط.

وأخرج الطبري في تاريخه [٥ : ٢٠] وابن الأثير في كامله [٣ : ١٠٢] والمسعودي في مروج الذهب [٢ : ١٠] في حديث وقعة يوم الجمل: أخرج علي فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا وتحدّثا، إلى أن قال علي: أتطلب دم عثمان وأنت قتلتها. إلى آخره.

وقال البلاذري في الأنساب: وجدت في كتاب لعبدالله عن الصالح العجلي ذكروا: أن عثمان نازع الزبير، فقال الزبير: إذا شئت تقاذفنا؟ فقال عثمان: بماذا، أبا البعير يا أبا عبدالله؟ لا والله، ولكن بطبع خباب وریش المقعد. وكان خباب يطبع السيف، وكان المقعد يریش النبل.

وأخرج الطبري في تاريخه [٥ : ١٦٨] من طريق عتبة بن المغيرة بن الأخنس، قال: لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات العرق، فقال: أين تذهبون وثأركم على أعجاز الابل؟ فاقتلوهم - يعني طلحة والزبير - ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم، قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً. فخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إن ظفرتما فلمن تجعلان الأمر؟ اصدقاني. قالوا: لأحدنا، أيّنا اختاره الناس، قال سعيد: بل اجعلوا لولد عثمان، فإنكم خرجتم تطلبون بدمه، قالوا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟

وأخرج ابن سعد في طبقاته [٣ : ٢٢٢ ط دار الفكر بيروت] وابن عساكر في تاريخه [٧ : ٨٤] والسبط ابن الجوزي في التذكرة [ص ٤٤] قال: كان طلحة يقول يوم الجمل: إنا داهنا في أمر عثمان، فلا شيء أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٢٢١]: لا يختلف العلماء الثقات في أن

مروان بن الحكم قاتل طلحة، وكان في حربه يوم الجمل، وذلك بعد ما انهزم جيشه.

وأخرج الحاكم في المستدرک [٣ : ٣٧٠] بالاسناد عن عكراش، قال: كنّا نقاتل عليّاً مع طلحة ومعنا مروان، قال: فانهزمنا، قال: فقال مروان: لا أدرك بشأري بعد اليوم من طلحة، قال: فرماه بسهم فقتله.

وقال السيّد الحميري [كما في مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٥٠ ط ايران]:

أعائش ما دعاك إلى قتال	الوصيّ وما عليه تنقمينا
ألم يـعهد إليك الله ألا	تري أبداً من المتبرجينا
وأن ترخي الحجاب وأن تقري	ولا تتبرجي لناظرينا
وقال لك النبيّ أيا حميرا	سيبدي منك فعل الحاسدينا
وقال سستبحين كلاب قوم	مسن الأعراب والمتعربينا
وقال ستركبين على خدب	يسمّى عسكرياً فتقاتلينا
فخنت محمّداً في أقربيه	ولم ترعي له القول الوضينا

وقد ظهر لنا بما في البيت الثاني والثالث أنّه رحمه الله أشار بهما إلى قوله

تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الاحزاب: ٣٣].

وذكر ابن شهر آشوب في نفس المصدر [٢ : ٢٦٠ ط النجف] سلّم محمّد بن

أبي بكر على عائشة يوم الجمل فلم تكلمه، فقال: أسألك بالله الذي لا إله إلا هو، سمعتك تقولين: إلزم علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّي سمعت رسول الله يقول: الحقّ مع علي وعلي مع الحقّ، لا يفترقان أو لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، قالت: بلى سمعت ذلك منه.

وعن الأصبغ بن نباتة وجميع التميمي كليهما عن عائشة، أنّها لما روت هذا

الخبر قيل لها: ولم حاربتيه؟ قالت ما حاربتيه من ذات نفسي إلا حملني طلحة وزبير.

وفي رواية قالت: أمر قد قدر، وقضاء غلب. نفس المصدر [٢ : ٢٦٥] عن الدارمي.

وفي نفس المصدر عن أبي يعلى في مسنده، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، قال: مرّ علي بن أبي طالب، فقال النبي: الحق مع ذا الحق مع ذا. وسئل أبو ذر عن اختلاف الناس عنه، فقال: عليك بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب، فإنني سمعت رسول الله يقول: علي مع الحق والحق معه وعلى لسانه، والحق يدور حيثما دار علي.

وروى أبو جعفر الإسكافي في كتابه النقض على العثمانية كما في كتاب إحقاق الحق [٤ : ٣٤ ط الاسلامية طهران] عن أبي رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودّعه فلمّا أردت الانصراف، قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب. (الخ) كما مرّ في صفحة [٨٥].

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب [٤ : ١٦٩] مسنداً إلى أبي ليلى الغفاري قال: ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فإنه أوّل من يراني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين.

وفي المناقب لابن شهر آشوب [٢ : ٢٦١] عن الخطيب البغدادي في تأريخه [١٤ : ٣٢١ ط السعادة بمصر] عن ثابت مولى أبي ذر، قال: دخلت على أمّ سلمة، فرأيتها تبكي، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة.

وذكره السمعاني في كتابه فضائل الصحابة.

ومن شعر العبدى

قوله في مدح الإمام علي عليه السلام:

وعليك الورود تسقي من الحو
ض ومن شئت ينثني محروما

وإليك الجواز تدخل من شئت
جناناً ومن تشاء جحيما

أشار رحمه الله بالبيت الأوّل الى ما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل في

الفضائل عن أبي حرب بن أبي الاسود الدؤلى، وفي أخبار أبي رافع من خمسة طرق، ما نقلناه عن مناقب ابن شهر آشوب [٢ : ١٢] قال النبى: يا على، ترد على الحوض وشيعتك رواء مرووين، ويرد عليك عدوك ظماء مقمحين.

وأورد الزمخشري في كتابه الفائق [٢ : ٧٤ ط دار الكتب العربية بمصر] وابن الاثير في نهاية اللغة [٣ : ٨] كما في كتاب إحقاق الحق لنور الله الحسيني [٤ : ٢٦٦] قال النبى ﷺ لعلي: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة، تذود عنه الرجال، كما يذاد البعير الصادي.

وذكر ذلك أيضاً ابن شهر آشوب في نفس المصدر. [٢ : ١٦٢ ط ايران]. وروى فيه أيضاً قول الإمام علي عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لأقمعن بيدي هاتين من الحوض أعداءنا إذا وردته أحباؤنا.

وفي نفس المصدر عن أبي نعيم باسناده إلى عطية، عن أنس، قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فقال: قد أعطيت الكوثر، فقلت: يا رسول الله، وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب أحد منه فيظماً، ولا يتوضأ أحد منه فيشعث، لا يشربه إنسان أخفر ذمتي، ولا قتل أهل بيتي.

وأخرج الطبراني كما ذكره الأميني في كتابه الغدير [٢ : ٣٢١ ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان] ومحب الدين الطبري في ذخائره [ص ٩١] وفي رياضه [٢ : ٢١١] والهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ١٣٥] وابن حجر في الصواعق [ص ١٤] بإسناد رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبى ﷺ: يا على، معك يوم القيامة عصاً من عصي الجنة، تذود بها المنافقين عن الحوض.

وأخرج الامام أحمد بن حنبل في المناقب باسناده عن عبد الله بن إجارة، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو على المنبر يقول: أنا أذود عن حوض رسول الله ﷺ بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين، كما تذود السقاة

غريبة الإبل عن حياضهم.

ورواه الطبراني في الأوسط، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٣٩ : ٩] والطبري في رياضه [٢١١ : ٢] والمتقي الهندي في كنز العمال [٤٠٣ : ٦].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، قال لعلي عليه السلام: أنت أمامي يوم القيامة، فيدفع إليّ لواء الحمد فأدفعه إليك، وأنت تذود الناس عن حوضي.

وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه [٤٠٠ : ٦] وفي ص ٣٩٣ عن ابن عباس، عن عمر في حديث طويل عن رسول الله ﷺ: وأنت تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي.

وأخرج أحمد في المناقب بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت في علي خمساً، هو أحب إليّ من الدنيا وما فيها، أمّا واحدة، فهو تكأتي بين يدي الله عز وجل حتّى يفرغ من الحساب. وأمّا الثانية، فلواء الحمد بيده، آدم ومن ولده تحته. وأمّا الثالثة، فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمّتي. الحديث.

وذكره في الرياض النضرة [٢٠٣ : ٢] وكنز العمال [٤٠٣ : ٦] وأخرج شاذان الفضيلي بإسناده عن أمير المؤمنين علي قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي سألت ربّي عز وجل فيك خمس خصال فأعطاني، أمّا الأولى، فإنّي سألت ربّي أن تنشقّ عني الأرض وانفض التراب عن رأسي وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثانية، فسألته أن يوقفني عن كفة الميزان وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثالثة، فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون والفائزون بالجنة، فأعطاني. وأمّا الرابعة، فسألته ربّي أن يسقي أمّتي من حوضي، فأعطاني. وأمّا الخامسة، فسألته ربّي أن يجعلك قائد أمّتي إلى الجنة، فأعطاني. وتجده في المناقب للخوارزمي [٢٠٣] وفي فرائد السمطين [١٠٦ : ١] للحموي، وفي كنز العمال [٤٨ : ٦].

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة في حديث، قال: قال رسول الله ﷺ: كَأَنِّي يَا عَلِيَّ، وَأَنْتَ عَلِيُّ حَوْضِي تَذُودُ عَنْهُ النَّاسَ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَأَبَارِيقَ مِثْلَ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ، وَإِنِّي وَأَنْتَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ وَعَقِيلٌ وَجَعْفَرٌ فِي الْجَنَّةِ إِخْوَانًا عَلِيُّ سُورٍ مُتَقَابِلِينَ، أَنْتَ مَعِيَ وَشِيعَتُكَ فِي الْجَنَّةِ.

وتجد هذا الحديث في مجمع الزوائد [١٧٣: ٩].

وأخرج الحاكم في المستدرك [١٣٨: ٣] بإسناده، وصححه، عن علي بن أبي طلحة، قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة، ومعنا معاوية بن خديج، فقيل للحسن، إِنَّ هَذَا مُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ السَّابِّ لِعَلِيٍّ: فَقَالَ: عَلِيٌّ بِهِ، فَأَتَى بِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ السَّابِّ لِعَلِيٍّ؟ فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنْ لَقَيْتَهُ، وَمَا أَحْسَبُكَ تَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَتَجِدَهُ قَائِمًا عَلَى حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَذُودُ عَنْهُ رَايَاتُ الْمُنَافِقِينَ بِيَدِهِ عَصًا مِنْ عَوْسَجٍ، حَدَّثَنِيهِ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ ﷺ وَقَدْ خَابَ مِنْ افْتَرَى.

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي قَوْلُهُ:

وإليك الجواز تدخل من شئت
حناناً ومن تشاء جحيماً

أشار به إلى معنى ورد في أخبار كثيرة نقتصر بذكر بعضها.

أخرج الحافظ ابن سمان في الموافقة عن قيس بن حازم، قال: التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب، فتبسم أبو بكر في وجه علي، فقال له: مَا لَكَ تَبَسَّمْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَجُوزُ أَحَدُ الصَّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيُّ الْجَوَازِ.

وذكر هذا الحديث في الرياض النضرة [١١٧: ٢] و [٢٤٤] وفي الصواعق [ص

١٧٥] وفي إسعاف الراغبين [ص ١٦١].

وأخرج الخوارزمي في المناقب [ص ٢٥٣] وابن المغازلي في المناقب

[ص ١٣١ و ٢٤٢] والقرشي في شمس الأخبار [ص ٣٦] عن مجاهد، عن ابن عباس

قال: قال رسول الله ﷺ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقَامَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَبْرِيلَ وَمُحَمَّدًا عَلَيَّ

قال الفيروزآبادي كما في الغدير [٧ : ٨٧] في خاتمة كتابه سفر السعادة: خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيء صحيح، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيء.

ثم عدّ أبواباً إلى أن قال: «باب فضائل أبي بكر الصديق» أشهر المشهورات من الموضوعات، أن الله يتجلى للناس عامة، ولأبي بكر خاصة. وحديث: ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصبّه في صدر أبي بكر. وحديث: كان النبي ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل شية أبي بكر. وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان. وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر، وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل.

وعدّ العجلوني في كتابه كشف الخفاء [ص ٤١٩ - ٤٢٤] مائة باب من أبواب الفقه وغيره، فقال: لم يصح فيه حديث - أو ليس فيه صحيح - وقال في [ص ١٤٩]: فضائل أبي بكر الصديق أشهر المشهورات من الموضوعات، كحديث: إن الله يتجلى للناس عامة، ويتجلى لأبي بكر خاصة إلى آخر عبارة الفيروزآبادي.

وذكر السيوطي في كتابه اللاكي المصنوعة [١ : ١٨٦ - ٣٠٢] ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر ممّا اتخذها المؤلفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه، وأرسلوه إرسال المسلّم بلا أيّ سند، أو مبالاة، وزيفها وحكم فيها بالوضع.

وقال الأميني في المصدر المذكور [٧ : ٨٩] نصّ الحفاظ على كلّ واحد منها بالوضع أو الضعف - إلى أن قال - : ويشهد لبطلان تلكم الروايات في فضائل الخليفة الأول خلّو الصحاح الستّ، والسنن، والمسانيد القديمة منها، ولو كان مؤلفوها يجدون على شيء منها مسحة من الصحة لما أجمعوا على تركه. وإليك ما التقطناه من بعض ما جمعه الأميني - شرف قدره - في غديره [٥ : ٣٣٣] ممّا بثّها في الملاء أرباب التأليف المزوّرة، روماً لطمس الحقّ، وتمويه الحقيقة:

١ - حديث: أبو بكر الصديق خير أهل الأرض إلا أن يكون نبياً. عن إياس بن

سلمة عن أبيه، من طريق إسماعيل بن أبي زياد الشقري. قال يحيى بن معين: كذاب. وقال أبو حاتم: مجهول. وقال الذهبي في ميزانه [١: ٢٣١]: فإن لم يكن هو واضعه، فالآفة ممّن دونه.

٢ - حديث: إنّ جبريل قال للنبيّ: أبو بكر وزيرك في حياتك، وخليفتك بعد موتك. من طريق إسماعيل بن محمد بن يوسف أبي هارون الجبريني. قال ابن حبان: يسوق الحديث لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن الجوزي: كذاب. ميزان الاعتدال [١: ٢٤٧].

٣ - حديث: ألا أبشرك يا أبا بكر، أنّ الله يتجلّى للخلائق يوم القيامة عامّة، ويتجلّى لك خاصّة. عن أبي هريرة، من طريق أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم الحنفي، كذّبه أبو حاتم وابن سعد. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال مرة: متروك. وقال ابن عديّ: حدّث عن الثقات بمناكير، وكان ينسخ العجائب، وكان قاسم المطرز يقول: كتبت عنه خمسمائة حديث، ليس عند الناس منها حرف. ميزان الاعتدال [١: ٤٣] للذهبي، وأخرج فيه [٣: ١٢٠] عن يحيى القطان، وقال: فهذا أقطع بأنّه وضع هذا الشويخ.

٤ - حديث: عن أنس، كنت مع النبيّ ﷺ فجاء أبو بكر، فقال: افتح وبشّره بالجنّة، وأخبره بأنّه الخليفة بعدي. ومن طريق بكر بن المختار بن فلفل عن أبيه. قال ابن حبان: لاتحلّ الرواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار. ميزان الاعتدال [١: ٣٤٨]

٥ - حديث: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح. عن ابن عمر مرفوعاً، وفي سنده عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد.

قال الذهبي في ميزانه [٢: ٤٥٥]: قال أبو حاتم وغيره: أحاديثه منكورة. وقال ابن الجنيّد: لا يساوي فلساً. وقال ابن عدي: روى أحاديث عن أبيه لا يتابع عليها.

٦ - حديث: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. عن ابن عمر مرفوعاً من طريق محمد بن عبد الله بن عمر، حفيد عمر بن الخطّاب العدوي العمري.

١٤ - حديث: أبو بكر يلي من بعدي. عن عائشة مرفوعاً.

قال الأميني في غديره [٥ : ٣٣٦]: ذكره الذهبي في ميزانه [٣ : ٩٣] وقال: خبر كذب، جاء به محمد بن عبد الرحمن، وهو لا يعرف، أو هو ابن قراد الكذاب الوضاع.

١٥ - حديث: الخليفة بعدي أبو بكر وعمر ثم يقع الاختلاف، فقمنا إلى علي فأخبرناه، فقال: صدق الزبير، سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

قال الأميني في غديره [٥ : ٢٣٦]: من موضوعات عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة، ذكره الذهبي في ميزانه [١ : ٧٤٧] فقال: هذا باطل، والآفة من عبد الرحمن. قال الأميني: إن كان أمير المؤمنين سمع ما سمعه الزبير، فما باله يدعيها لنفسه عند طلب البيعة، ويخالف رسول الله فيما نص عليه - إلى أن قال: - وما بال الزبير الراوي عن رسول الله تخلف عن بيعة أبي بكر يوم ذاك، واختلط سيفه وهو يقول: لا أغمده حتى يبايع علي.

١٦ - حديث: لما عرج بي قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدي علياً، فارتجت السماوات وهتف بي الملائكة: يا محمد اقرأ: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقد شاء الله أبا بكر.

ذكره الذهبي في ميزانه [٣ : ٣٢٩] وقال: إن هذا من وضع يوسف بن جعفر الخوارزمي. وأخرجه الجرجاني وفي آخره: قد شاء الله أن يكون الخليفة من بعدك أبو بكر الصديق، ثم قال: موضوع وضعه يوسف بن جعفر. وفي لفظ: إن الله يفعل ما يشاء، والخليفة بعدك أبو بكر. الغدير [٥ : ٣٣٧] عن اللاكي المصنوعة [١ : ١٥٦] للسيوطي.

١٧ - حديث: عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ [التحریم: ٣] قال: أسر إلى حفصة أن أبا بكر ولي الأمر بعده، وإن عمر واليه بعد أبي بكر، وأخبرت بذلك عائشة، قالت: أسر النبي إليها أن أبا بكر

خليفتي من بعدي.

عدّه الذهبي في ميزانه [٢٩٤ : ١] كما في الغدير من أباطيل خالد بن إسماعيل المخزومي الكذاب.

وفي نزهة المجالس [١٩٢ : ٢] قال ابن عباس: واللّه، إنّ إمارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله، وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه حديثاً، قال لحفصة: أبوك وأبو عائشة أولياء الناس بعدي، فإياك أن تخبري به أحداً.

١٨ - حديث: لمّا نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ جاء العباس إلى عليّ، فقال: قم بنا إلى رسول الله، فصارا إلى رسول الله، فسألاه عن ذلك، فقال: يا عباس يا عمّ رسول الله، إنّ الله عزّ وجلّ جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا، قال العباس: فأطاعوه واللّه فرشدوا. وفي لفظ: يا عمّ، إنّ الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه، فأطيعوه تهتدوا، واقتدوا به ترشدوا، قال ابن عباس: ففعلوا فرشدوا.

ذكره الأميني في غديره [٣٤٢ : ٥] وقال: أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه [٢٩٤ : ١١] من دون أيّ غمز في سنده ومثنه، من طريق عمر بن إبراهيم بن خالد الكذاب. وقال الذهبي في ميزانه [٢٤٩ : ٢] وفي [ط ٣ : ١٨٠]: هذا الحديث ليس بصحيح.

١٩ - حديث: عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: يا حفصة، ألا أبشرك؟ قالت: بلى، قال: يلي الأمر بعدي أبو بكر، ثمّ أبوك. اكنمي عليّ، فخرجت حتّى دخلت على عائشة، فقالت لها: ألا أبشرك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: بماذا؟ فذكرت لها، فقالت: قد استكتمني فاكتميه، فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآية

قال الأميني في غديره [٣٤٩ : ٥]: أخرجه الماوردي في أعلام النبوة [ص ٨١] مرسلاً. والعقيلي من طريق موسى بن جعفر الأنصاري، فقال: مجهول

١٢٠ المقتطفات ج ١

بالنقل، لا يتابع على حديثه، ولا يصحح. وذكره الذهبي في ترجمة موسى، وقال:
لا يعرف وخبره ساقط، ثم قال: قلت: هذا باطل، لسان الميزان لابن حجر [٦]:
١١٣.

وقال الأميني: متن الحديث أفسد من سنده، لأنّ الولاية المذكورة إن كانت
شرعية، فإنّ من واجبه عليه السلام إفشاؤها إلى آخره
٢٠ - حديث: حبّ أبي بكر وشكره واجب على أمّتي. عن سهل بن سعد،
من طريق عمر بن إبراهيم الكردي الهاشمي مولاهم.

قال الذهبي في ميزانه [٣: ١٨٠]: هذا منكر. وقال الدار قطني: كذاب. وقال
الخطيب: غير ثقة. وقال الذهبي: وهذا الحديث ليس بصحيح، ويبطله أنّ العباس
قال لعلي: ألا تدخل بنا إلى رسول الله فنسأله؟ الحديث، وهو في الصحيح.
٢١ - حديث: ما ينفعني مال ما ينفعني مال أبي بكر.

أخرجه ابن عدي بالاسناد، وفي سنده عمّار بن هارون أبو ياسر المستملي،
قال: عامّة ما يرويه غير محفوظ. وقال موسى بن هارون: متروك الحديث. وقال
محمّد بن الضريس: سألت علي بن المدائني عن الشيخ فلم يرضه، وزاد عمّار بن
هارون في الحديث المذكور، كما في ميزان الذهبي [٣: ١٧١]: وأبو بكر وعمر منّي
بمنزلة.

٢٢ - حديث: إنّ الله عزّ وجلّ يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق في الأرض.
عن معاذ بن جبل مرفوعاً.

قال الأميني في غديره [٥: ٣١٢]: أخرجه الحارث في مسنده من طريق
محمّد ابن سعيد المصلوب الكذاب الوضّاع، فقال: موضوع، تفرد به أبو الحارث
نصر بن حمّاد الذي كذّبه يحيى بن معين. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال مسلم:
ذاهب الحديث، وبكر بن خنيس قال الدار قطني: متروك. اللآلي المصنوعة [١]:
١٥٥.

وعده النسائي كما في تاريخ بغداد وميزان الذهب والغدير [٥ : ٢٥٨] من الكذابين الأربعة المعروفين بوضع الحديث على رسول الله. وقال عبد الله بن أحمد بن سواده: قلبوا اسمه على مائة اسم وزيادة. راجع الكتب المذكورة في ترجمة: محمد بن سعيد المعروف بالمصلوب الشامي.

٢٣ - حديث: إن الله أيدني بأربعة وزراء، قلنا: من هؤلاء الأربعة الوزراء يا رسول الله؟ قال: إثنين من أهل السماء وإثنين من أهل الأرض، قلنا: من هؤلاء الاثنين من أهل السماء؟ قال: جبريل وميكائيل، وقلنا: من هؤلاء الاثنين من أهل الأرض أو من أهل الدنيا؟ قال: أبو بكر وعمر. عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الأميني في غديره [٥ : ٣١٨]: من موضوعات محمد بن مجيب الصائغ، أخرجه الخطيب في تاريخه [٣ : ٢٩٨] من طريقه، وقال: كان كذاباً عدواً للذهب الحديث. وأخرجه الذهبي من طريق معلى بن هلال الكذاب الوضاع، الذي قال فيه أحمد بأن كل أحاديثه موضوعة. راجع تاريخ بغداد، واللاكي، وطبقات الحفاظ، وأسنى المطالب للمقدسي، وميزان الاعتدال، والغدير [٥ : ٢٦٦].

٢٤ - حديث: سيّد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر، وإنّ أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء. عن أنس مرفوعاً.

عده الأميني في سلسلة الموضوعات في غديره [٥ : ٣٢٢] وقال: من موضوعات يحيى بن عنبسة وهو ذلك الدجال الوضاع. وذكر الذهبي شطره الأول من طريق عبد الرحمن بن مالك بن مغول الكذاب الأفاك الوضاع.

وفي الإمامة والسياسة أخرجه ابن فتيبة عن ابن أبي مريم الكذاب الوضاع، وهو عن أسد بن موسى، وهو الذي حدّث بأحاديث منكورة على ما قاله سعيد بن يونس.

وأخرجه الخطيب: من طريق بشار بن موسى الشيباني الخفاف، الذي قال فيه ابن معين: ليس بثقة، إنّه من الدجالين.

٣٣ - حديث: ذكر أبو بكر عند رسول الله ﷺ فقال: ومن مثل أبي بكر، كذبني الناس وصدقني، وآمن بي وزوجني ابنته، وأنفق ماله وجاهد معي في جيش العسرة ألا إنّه يأتي يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة، قوائمها من المسك والعنبر قد تكون أرجلها من الزمرد الأخضر، وزمامها من اللؤلؤ الرطب، عليه حلّتان خضراوان من سندس وإستبرق، يحاكيني يوم القيامة وأحاكيه، فيقال: هذا محمد رسول الله، وهذا أبو بكر الصديق.

الحديث عن ابن عباس. أخرجه ابن حبان من طريق إسحاق بن بشر بن مقاتل، فقال: إسحاق كذاب يضع.

راجع ميزان الاعتدال [١: ١٨٦] وتاريخ بغداد، وتذكرة الموضوعات للمقدسي، واللاكي المصنوعة للسيوطي، وقال: كذاب وضاع بالاتفاق، كما ذكره الأميني في غديره [٥: ٢١٨].

٣٤ - حديث: أتاني جبريل فقال: يا محمد، إنّ الله أمرك أن تستشير أبا بكر. عن عقبه مرفوعاً، عدّ من موضوعات محمد بن عبدالرحمن بن عزوان الكذاب الوضاع، الشهير بابن قراد، كان يضع الحديث. له عن ثقات الناس بواطيل، حدّث بوقاحة عن مالك، وشريك، وضمام بن اسماعيل ببلايا. راجع تاريخ بغداد [٢: ٣١١] وميزان الاعتدال [٣: ٩٣] وتذكرة الموضوعات [ص ٤٠] ولسان الميزان لابن حجر [٥: ٢٥٣].

٣٥ - حديث: أوّل من يدخل الجنة من الأمة أبو بكر وعمر، وأنّي لموقوف مع معاوية للحساب. أخرجه ابن الجوزي في الواهيات، راجع ميزان الاعتدال. [١: ٢٧١] والحديث عن علي مرفوعاً.

٣٦ - حديث: ابتاع رسول الله ﷺ من أعرابي قلائص إلى أجل، فقال: رأيت إن أتى عليك أمر الله؟ قال: أبو بكر يقضي ديني وينجز موعدتي، قال: فإن قبض؟ قال: عمر يحذوه ويقوم مقامه، قال: فإن أتى علي عمر أجله؟ قال: فإن استطعت أن

تموت فمت.

عن ابن عمر أخرجه أبو نعيم من طريق خالد بن عمرو القرشي الأموي السعدي، من ولد سعيد بن العاص.

قال الإمام أحمد: ليس بثقة. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال صالح جزرة: يضع الحديث. أمّا أبو زرعة، فقد ضرب حديثه. قال ابن عدي: عندي أنّه وضع هذه الأحاديث. ميزان الاعتدال [١ : ٦٣٦].

وفي الغدير [٥ : ٣٥١] قال الأميني: إنّ ابن درويش ذكره في أسنى المطالب [ص ٢٤٩] بتغيير يسير في لفظه، وقال: في سنده: الفضل بن مختار ضعيف جداً، أو إنّّه واه لا يعول عليه.

وقال أبو حاتم، كما في الميزان [٤ : ٤٤٩]: أحاديثه منكرة يحدث بالباطيل. وقال الأزدي: منكر الحديث جداً. وقال ابن عدي عامّة أحاديثه منكرة، عامتها لا يتابع عليها.

٣٧ - حديث: ما أحبّ أبا بكر وعمر إلّا مؤمن تقّي، ولا أبغضهما إلّا منافق شقي. عن أبي هريرة، مرفوعاً من طريق إبراهيم بن مالك البصري. قال ابن عدي: أحاديثه موضوعة. وقال الذهبي: وعندي، إبراهيم هو ابن البراء.

أقول: فإن كان هو، فقد قال فيه الدارقطني: روى حديثاً لا يتابع عليه. وقال أبو حاتم ضعيف الحديث. وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير. ميزان الاعتدال [١ : ٥٤].

٣٨ - حديث: أرحم هذه الأمة بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأفرضهم زيد، وأقضاهم علي، وأصدقهم حياء عثمان، وأمين الأمة أبو عبيدة، وأقروهم أبي، وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمان علم لا يدرك، ومعاذ علم الناس بحلال الله وحرامه. وما أضلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أو البطحاء من ذي لهجة

أصدق من أبي ذر. عن أبي سعيد، مرفوعاً من طريق سلام بن سلم التميمي السعدي الطويل.

قال البخاري: سلام بن سلم الطويل عن يزيد بن العمي، تركوه. وقال ابن معين: ضعيف لا يكتب حديثه. وقال أحمد: منكر الحديث. وقال ابن عدي: لا يتابع على شيء منها، وقال: لعلّ البلاء فيه منه، أو عن زيد. ميزان الإعتدال [١٧٥: ٢].

٣٩ - حديث: حبّ أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهما نفاق. عن أنس مرفوعاً، من طريق حازم بن الحسين أبي اسحاق الحميسي.
قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو داود: روى مناكير. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. ميزان الإعتدال [٦٢٦: ١].

٤٠ - حديث: يكون بعدي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث بعدي إلا قليلاً، وصاحب رحا دارة العرب، يعيش حميداً، ويقتل شهيداً، قالوا ومن هو؟ قال: عمر، ثم التفت إلى عثمان، وقال: إن كساك الله قميصاً فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه، فوالذي نفسي بيده لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط.

قال الاميني في غديره [٣٤٢: ٥]: أخرجه البيهقي كما في تاريخ ابن كثير [٢٠٦: ٦] باسناده، وفيه عبدالرحمن بن صالح الكذاب، وفيه ربيعة بن سيف الذي قال البخاري فيه: عنده مناكير. وذكره الذهبي في ميزانه [٤٤٣: ٢] عن يحيى بن معين.

ثم قال: أنا أتعجب من يحيى مع جلالته ونقده كيف يروي هذا الباطل ويسكت عنه.

وقال النسائي: ليس بثقة. وقال صالح جزرة: كان ابن معين يوثقه وهو عندي يكذب في الحديث. وقال ابن المدائني: لا أروي عنه. وقال ابن حبان: كان في

نفسه صدوقاً وإنما وقعت المناكير من جاره إلى آخره. راجع ميزان الاعتدال [٢]:
[٤٤٣] تجد أقوال أئمة الحديث في عبد الله بن صالح بن محمد بن سلم الجهني
المصري أبي صالح، كاتب الليث بن سعد.

٤١ - حديث: خرج رسول الله ﷺ مع بلال وقال: ناد في الناس: إنَّ الخليفة
أبو بكر، وإنَّ الخليفة بعده عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ قال: امض، أبا الله إلا ذاك. عن ابن
عمر من طريق سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني.

قال أبو حاتم: يتكلمون فيه، روى أحاديث كذب. وقال الذهبي في ميزانه
[٢: ١٥٠]: فهذا موضوع.

قال الأميني في غديره [٥: ٣٣٦]: أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة،
والخطيب البغدادي في تاريخه [٧: ٤٢٩] من دون أي غمز فيه، وابن عساكر في
تاريخ الشام.

٤٢ - حديث: قم يا أنس فافتح لأبي بكر، وبشره بالخلافة بعدي، وكذا عمر
وعثمان. عن أنس بن مالك، من طريق صقر بن عبد الرحمن أبي بهز.
قال ابن عدي: كان أبو يعلى إذا حدثنا عنه ضعفه. وقال ابن أبي شيبه: كان
يضع الحديث. وقال أبو علي جزرة: كذاب. وقال الذهبي: حدث بحديث كذب،
وقال ردّاً على من يقول: إنه صدوق: من أين جاءه الصدق. ميزان الإعتدال [٢]:
[٣١٧].

٤٣ - حديث: أحشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر حتى أوقف بين الحرمين.
عن ابن عمر، أخرجه الخطيب، وفي إسناده عبد الله بن إبراهيم الغفاري، وهو
عبد الله بن أبي عمرو، ثمَّ قال: فهذا غير صحيح.

وقال الحاكم: عبد الله يروي عن جماعة من الضعفاء أحاديث موضوعه.
وأما ابن حيّان، فقد نسبته إلى أنه يضع الحديث. وقال ابن عدي: عامّة روايته لا
يتابع. وقال الدارقطني: حديث منكر. ميزان الإعتدال [٢: ٣٨٩].

كما في غدير الأميني [٥ : ٢١٤]: هذا الحديث وحديث المشط موضوعان.

٥٠ - حديث: أتيت في المنام بعسّ مملوء لبناً فشربت منه حتى امتلأت، فرأيت يجرى في عروقي فضلت فضلة فأخذها عمر بن الخطاب فشربها، أولوا وقالوا: هذا علم آتاكه الله حتى امتلأت فضلت منه فضلة فأخذها عمر بن الخطاب، قال: أصبتم. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً.

قال الأميني في غديره [٥ : ٣٢٦]: من موضوعات عبدالرحمن العدوي الكذاب حفيد عمر بن الخطاب، كان كذاباً يقلب الحديث، متروك الحديث، حديثه أحاديث مناكير. راجع تاريخ بغداد وتهذيب التهذيب لابن حجر [٦ : ٢١٣].

أخرجه الخطيب في تاريخه. وأخرج البخاري في صحيحه [٤ : ١٩٨ ط دار الفكر] في فضائل عمر بلفظ: بينا أنا نائم. والترمذي في نوادر الأصول [ص ١١٩] وفي الاستيعاب [٢ : ٤٢٩] وفي الرياض النضرة [٢ : ٨] وفي المصابيح للبغوي [٢ : ٢٧٠].

٥١ - حديث: ما في الأرض شيطان إلا وهو يفرق من عمر، وما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر. عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الأميني في غديره [٥ : ٣١١]: من موضوعات موسى بن عبدالرحمن الصنعاني الدجال الوضع رواه عبد الغني بن سعيد. ضعفه ابن يونس. كما في الميزان [٢ : ٦٤٢] وعنه بكر بن سهل، ضعفه النسائي.

وعدّ ابن عدي هذه الرواية من الأباطيل، كما في ميزان الذهب [٤ : ٢١٢] وكذا رآها السيوطي موضوعة. وفي جامع الصغير [ص ٣٧]: إنّ الشيطان ليفرق منك يا عمر.

٥٢ - حديث: أنا مع عمر وعمر معي حيث حللت، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني. عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الأميني في غديره [٥ : ٣١٧]: رواه الذهبي في ميزانه [٢ : ١٥٨] وقال:

كذب. وذكر في ترجمة قاسم بن يزيد بلفظ: عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان. وقال: أخاف أن يكون كذباً مختلقاً. وذكره ابن درويش الحوت في أسنى المطالب [ص ١٤٤] بلفظ الثاني، فقال: لم يصح. رواه السيوطي في جامعه الصغير [ص ٢٠٧].

٥٣ - حديث: إنَّ أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر. قال الأميني في غديره [٥: ٣٢٦]: عدّه المقدسي في تذكّره من موضوعات الوليد بن الفضل الوضّاع. ذكره السيوطي في جامعه الصغير [ص ٦].

٥٤ - حديث: أخذ رسول الله بكتفي أبي بكر وعمر، فقال: أنتما وزيراى. من موضوعات زكريّا بن دويد الكندي. نصّ على ذلك المقدسي في التذكرة، والذهبي في الميزان [٢: ٧٣].

٥٥ - حديث: من أبغض عمر فقد أبغضني. إنَّ الله باهى بالناس عشية عرفة عامّة، وباهى بعمر خاصّة. عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

رواه الطبراني في الأوسط، وقال الذهبي: خبر باطل. رواه أبو سعيد خادم الحسن البصري لا يدري من هذا. ميزان الاعتدال [٣: ٣٦٠].

٥٦ - حديث: رأيت أني وضعت في كفة، وأمتي في كفة فعدلتها، ثمّ وضع أبو بكر فعدل بأمتي، ثمّ عمر فعدلها، ثمّ عثمان فعدلها، ثمّ رفع الميزان.

أخرجه الذهبي في ميزانه [٣: ٢٩١] مرفوعاً من طريق عمرو بن واقد الدمشقي، وقال: لم يشك أنّه كان يكذب، وقال بعد ذكره مع عدّة أحاديث: هذه الأحاديث لا تعرف إلّا من رواية عمرو، وهو هالك. راجع الغدير [٥: ٣٢٥].

٥٧ - حديث: أوّل من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأُمّة عمر بن الخطّاب، وله شعاع كشعاع الشمس، قيل: فاين أبو بكر؟ قال: تزفّه الملائكة إلى الجنان.

أخرجه الخطيب عن زيد بن ثابت، من طريق عمر بن إبراهيم الكردي الكذاب، فقال: المتّهم به عمر. وعدّه السيوطي في اللآلي من الموضوعات [١]:

١٣٤ المقتطفات ج ١

وفي الرياض النضرة [٢ : ٨] قال خالد الأسدي: صحبت عمر، فما رأيت أحداً أفقه في دين الله ولا أعلم بكتاب الله ولا أحسن مدارس منه.
وفي نوادر الأصول للترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: أمرت أن أقرأ القرآن على عمر.

وفي المستدرک [٣ : ٨٦] عن ابن مسعود قال: كان عمر أتقانا للرب، وأقرأنا لكتاب الله.

وفي الاستيعاب [٢ : ٤٣٠] وأعلام الموقعين [ص ٦] قال حذيفة: كان علم الناس قد درس في حجر عمر مع علم عمر.

نظرة في هذه الأحاديث:

قبل أن نتمم الحديث فيما ورد من الفضائل الجمّة مما يعزى إلى الخليفة الثاني، أرى أنّ الوقوف سويعة، للنظر في صحّة هذه الأقوال ممّا لا بأس به ان لم يكن من المهمّات.

فماذا يا ترى نقول تجاه هذه الأحاديث على فرض أنّها أحاديث نبويّة صحيحة بناءً على حسن الظنّ، فأين كان موضع عمر بن الخطّاب منها؟؟.

أليس هو القائل: كلّ الناس أفقه من عمر كما في شرح النهج [١ : ٦١]، وفي [٣ : ٩٦]: كلّ الناس أفقه من عمر حتّى ربات الحجال.

وفي لفظ الرازي في أربعينه [ص ٤٦٧]: كلّ الناس أفقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت.

وفي تفسير القرطبي [٥ : ٩٩] وتفسير النيسابوري [ج ١ - سورة النساء] وتفسير الخازن [١ : ٣٥٣]: كلّ الناس أفقه منك يا عمر.

وفي المستطرف [١ : ٧٠] نقلاً عن المنتظم لابن الجوزي: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

جهل الخليفة بمعنى الأب ١٣٥

وفي مسند أبي يعلى الكبير، وسنن سعيد بن منصور، والمحاملي في أماليه، وابن الجوزي في سيرة عمر [ص ١٢٩] وابن كثير في تفسيره [١ : ٤٦٧] والهيثمي في المجمع [٤ : ٢٨٤] والسيوطي في الدر المنثور [٢ : ١٣٣]، والشوكاني في تفسيره فتح القدير [١ : ٤٠٧] والعجلوني في كشف الخفاء [١ : ٢٢٩] وابن درويش الحوت في أسنى المطالب [ص ١٦٦] قال عمر: اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر.

وفي لفظ: كل أحد أعلم وأفقه من عمر.

وفي سنن البيهقي الكبرى [٧ : ٢٣٣]: كل أحد أفقه من عمر.

وذلك كله لما منع الناس في خطبته أن لا يغالوا من مهور النساء، وأن لا يزيدوا على أربعمائة، فردّت عليه امرأة بقولها: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾؟ فرجع وركب المنبر، فقال: أيها الناس، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن - إني أن قال - : فمن شاء أن يعطي من ماله فليفعل.

وفي لفظ: فمن طابت نفسه فليفعل.

وفي تفسير النسفي المطبوع في هامش تفسير الخازن [١ : ٣٥٣] قال عمر: كل أحد أعلم من عمر، تزوّجوا على ما شئتم.

جهل الخليفة بمعنى الأب

أليس هو القائل لما قرأ قوله تعالى ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧ - ٣١]: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب. وفي لفظ: وما عليك يا ابن أمّ عمران أن لا تدري ما الأب.

وعن ثابت: إن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾

ما الأب؟ فقال: نهينا عن التعمق والتكلف.

راجع في ذلك: تفسير ابن جرير [٣٨ : ٣٠] ومستدرك الحاكم [٥١٤ : ٢] وتاريخ الخطيب [٤٦٨ : ١١] وتفسير الزمخشري الكشاف [٢٥٣ : ٣] والرياض النضرة [٤٩٠ : ٢] للطبري، والموافقات للشاطبي [٢١ : ١] وسيرة عمر لابن الجوزي [ص ١٢٠] ونهاية ابن الأثير [١٠ : ١] ومقدمة ابن تيمية في أصول التفسير [ص ٣٠] وتفسير ابن كثير [٤٧٣ : ٤] وتفسير الخازن [٣٧٤ : ٤] والدر المنثور [٣١٧ : ٦] وتفسير أبي السعود المطبوع في هامش تفسير الرازي [٣٨٩ : ٨] وإرشاد الساري للقسطلاني [٢٩٨ : ١٠] وعمدة القاري للعيني [٤٦٨ : ١١] وفتح الباري لابن حجر [٢٣٠ : ١٣].

وقد خفي أيضاً معنى الأب على الخليفة الأول، كما في الغدير للأميني [١٠٠ : ٦].

جهل الخليفة بمعنى الكلالة

أليس هو القائل لما سئل عن الكلالة: الكلالة، وأخذ بلحيته ثم قال: لأن أعلمها أحب إلي من أن يكون لي ما على الأرض من شيء.

راجع تفسير الطبري [٣٠ : ٦] والدر المنثور [٢٥١ : ٢].

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الفرائض [٣ : ٢]: إن عمر خطب يوم الجمعة، وقال: ثم إني لا أدع شيئاً أهمّ عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله في شيء ما راجعته في الكلالة. إلى آخره.

وذكره أحمد في مسنده [٤٨ : ١] وابن ماجه في سننه [١٦٣ : ٢] والجصاص في أحكام القرآن [١٠٦ : ٢] والبيهقي في سننه [٢٢٤ : ٦] و [١٥٠ : ٨] والقرطبي في تفسيره [٢٩ : ٦].

وأخرج ابن مردويه: أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي ﷺ عن الكلالة،

فقال: من أمرك بهذا؟ أعمار؟ ما أراه يقيمها، وما تكفيه آية الصيف.

وأخرج الطبري في تفسيره [ج ٦] قال عمر: لأن أكون أعلم الكلالة أحب إلي من أن يكون لي مثل قصور الشام. كنز العمال [٦ : ٢٠].

وروي القرطبي في تفسيره [٦ : ٢٩] وابن كثير في تفسيره [١ : ٥٩٤] عن حذيفة في حديث، قال: لما نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] فلما رآها رسول الله ﷺ حذيفة، فلما رآها حذيفة عمر، فلما كان بعد ذلك سأل عمر عنها حذيفة، فقال: والله إنك لأحمق، إن كنت ظننت أنه لقانيها رسول الله ﷺ فلقيتها، كما لقانيها رسول الله، والله لا أزيدك عليها شيئاً أبداً.

وفي السنن الكبرى للبيهقي [٦ : ٢٢٤]: إن عمر بن الخطاب، قال: أتى علي زمان ما أدري ما الكلالة، وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد.

وأما أبو بكر حين سئل عنها كما في سنن الدارمي [٣ : ٣٦٥] والسنن الكبرى [٦ : ٢٢٣] قال: إني سأقول فيها برأيي، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأً فمني ومن الشيطان.

جهل الخليفة بكتاب الله

وأيّن كانت أعلميته بكتاب الله، وأحسنيته في مدارسته، وأفقهيته في دين الله، وقد ذهل عن قوله تعالى ﴿الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الاحقاف: ١٥] وذلك لما همّ برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فبلغ ذلك عليّاً، وقال: ليس عليها رجم، فسأله عمر، فقرأ علي الآية فصّده، وقال: لولا علي لهلك عمر. كذا في لفظ النيسابوري، والحافظ الكنجي الشافعي.

وأما في لفظ ابن الجوزي: فخلي وقال: اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب.

وأما ما أخرجه الحافظان العقيلي وابن السَّمَّان، عن أبي حزم بن الأسود:
فترك عمر رجمها، وقال: لولا علي لهلك عمر.
راجع السنن الكبرى [٧: ٤٤٢] ومختصر جامع العلم [ص ١٥٠] والرياض
الضررة [٢: ١٩٤] وذخائر العقبي [ص ٨٢] كلاهما للطبري، وتفسير الرازي
[٧: ٤٨٤] وأربعين الرازي [ص ٤٦٦] وتفسير النيسابوري [ج ٣ في سورة
الاحقاف]. وكفاية الكنجي الشافعي [ص ١٠٥] ومناقب الخوارزمي [ص ٥٧]
وتذكرة الخواص [ص ٨٧] والدر المنثور [١: ٢٨٨، و ٦: ٤٠] وكنز العمال [٣: ٩٦
و ٢٢٨].

قضاء الخليفة على مجنونة قد زنت

وأين كان فقهه الذي صار الفقهاء عنده كالصبيان؟ وقد استشار أناساً في
مجنونة زنت وأمر بها أن ترحم، فمرّ بها علي رضي الله عنه، فقال: ارجعوا بها. ثم قال لعمر:
أما علمت، أما تذكر أن رسول الله ﷺ قال: رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى
يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ؟ وإن هذه معتوهة بني
فلان، لعل الذي أتاها أتاها في بلائها، فخلّ سبيلها، فجعل عمر يكبر.

وفي رواية: فقال عمر: لولا علي لهلك عمر.

وقد أخرجه البخاري [٨: ٢١] في صحيحه في كتاب المحاربين، في باب «لا
يرجم المجنون والمجنونة» غير أنه ما جاء بصدر الحديث حفاظاً على أن لا تمس
كرامة الخليفة مسّة، فقال: قال علي لعمر: أما علمت أن القلم رفع عن المجنون
حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ؟

وأين كان ذلك العلم الذي لو وضع في كفة وعلم أهل الأرض في كفة لرجح
ذلك العلم؟ وقد حمل معنى قوله تعالى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾
[الأحقاف: ٢٠] على أغرب محمل، حتى أخبره شاب من فتيان الأنصار بقوله: يا

أمير المؤمنين، إنها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة. اقرأ ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر. راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد [١: ٦١].

جهل الخليفة بمعارض الكلم

أليس هو القائل: أعوذ بالله من معضلة لا علي بها؟ وذلك كما في نور الأبصار للشبلنجي [ص ٧٩]: أن رجلاً أتى إلى عمر بن الخطاب، وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سأله: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأومن بمن لم أره، وأقر بما لم يخلق. فأرسل عمر إلى علي، فلما جاءه أخبره بمقالة الرجل، قال: صدق يحب الفتنة، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ويكره الحق يعني الموت، قال الله تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ويصدق اليهود والنصارى، قال الله تعالى ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ويؤمن بمن لم يره، يؤمن بالله عز وجل ويقر بما لم يخلق، يعني الساعة.

وأما ما في كفاية الكنجي [ص ٩٦] والفصول المهمة لابن الصبّاح المالكي [ص ١٨] فمن حذيفة بن اليمان، وهو القائل القول المذكور بتغيير يسير وبزيادة: إن لي في الأرض ما ليس لله في السماء. وفيه غضب عمر لقوله، وعزم علي أذى حذيفة لولا أن كشف علي ما عذب عنه من معارض الكلم، ولما استبان له حقيقته ومغزاه قال: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب.

رأي الخليفة في الميراث

وماذا نقول فيما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى [٦: ٢٥٥] بعدة طرق،

والدارمي في سننه [١ : ١٥٤] مختصراً، وابن عبد البر في كتاب العلم [ص ١٣٩] عن مسعود الثقفي، قال شهدت عمر بن الخطاب أشرك الإخوة من الأب والأم الشقيق مع الإخوة من الأم في الثلث، فقال له رجل: قضيت في هذا عام أول بغير هذا قال: كيف قضيت؟ قال: جعلته للإخوة من الأم، ولم تجعل للإخوة من الأب والأم شيئاً، قال: تلك على ما قضينا، وهذا على ما قضينا. وفي لفظ: تلك على ما قضينا يومئذ، وهذه على ما قضينا اليوم.

حكم الخليفة برجم امرأة حبلى

وماذا يقال فيما أخرجه الطبري في رياضه [٢ : ١٩٦] وفي ذخائره [ص ٨١] وفي كفاية الكنجي الشافعي [ص ١٥٠]: أنه دخل عليّ عمر، وإذا امرأة حبلى تقاد لترجم، فقال: ما شأن هذه؟ قالت: يذهبون بي ليرجموني، فقال: يا أمير المؤمنين لأي شيء ترجم؟ إن كان لك سلطان عليها، فما لك سلطان على ما في بطنها، فقال عمر: كل أحد أفقه مني - ثلاث مرّات - فضمنها عليّ حتى وضعت غلاماً، ثم ذهب بها إليه فرجمها.

وفي نفس المصدر أيضاً، ومطالب السؤول [ص ١٣] ومناقب الخوارزمي [ص ٤٨] والأربعين للفخر الرازي [ص ٤٦٦] قال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب. لولا عليّ لهلك عمر.

كل الناس أفقه من عمر

وكيف يستغرب من كان علم الناس قد درس في حجره في علمه، قول من يدعو عنده: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وقليل من عبادي الشكور، فأنا أدعو أن يجعلني من

حكم الخليفة برجم مضطرة ١٤١

ذلك القليل، فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر.

أخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن إبراهيم التيمي،
راجع تفسير القرطبي [٢٧٧: ١٤] وتفسير الكشاف [٤٤٥: ٢] وتفسير السيوطي الدر
المنثور [٢٢٩: ٥].

حكم الخليفة برجم مضطرة

وماذا يقال لمن قال: صحبت عمر فما رأيت أحداً أفقه في دين الله منه، إذا
قوبل بما رواه ابن القيم في الطرق الحكمية [ص ٥٣] وما سجله المتقي الهندي في
كنز العمال [٩٦: ٣] نقلاً عن البغوي، أن عمر بن الخطاب أتى بامرأة زنت فأقرت،
فأمر برجمها، فقال علي: لعل لها عذراً، ثم قال لها: ما حملك على الزنا؟ قالت: كان
لي خليط وفي إبله ماء ولبن، ولم يكن في إبلي ماء ولا لبن، فظمئت فاستقيته فأبى
أن يسقيني حتى أعطيه نفسي، فأبيت عليه ثلاثاً، فلما ظمئت وظننت أن نفسي
ستخرج أعطيته الذي أراد، فسقاني، فقال علي: الله أكبر، فمن اضطرّ غير باغ ولا
عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم.

وفي سنن البيهقي [٢٣٦: ٨] والرياض النضرة [١٩٦: ٢] فقال علي: هذه
مضطرة أرى أن تخلي سبيلها، ففعل.

قضاياه في عسّه وتجسسه

وكيف بمن قال: لا أعلم أحداً أفقه في دين الله، ولا أعلم بكتاب الله من
عمر، وقد ذهل عن قوله تعالى ﴿وَأَثُوا بُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] حتى
تسور على سطح؟ كما ذكر في الرياض النضرة [٤٦: ٢] وشرح النهج [٦١: ١] والدر
المنثور [٩٣: ٢] والفتوحات الإسلامية [٤٧٧: ٢]. وذلك أنه كان يعسّ ليلة، فمرّ
بدار سمع فيها صوتاً، فارتاب، فرأى رجلاً عند امرأة وزقّ خمر.

وفي المستطرف [٢: ١١٥] في الباب الحادي والستين: ومعه جماعة، فقال عمر: يا عدو الله أظننت أن الله يترك وأنت على معصية؟ فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين، إن كنت أخطأت في واحدة، فقد أخطأت في ثلاث. قال الله تعالى ﴿فَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ٤٩] وقد تجسس، وقال: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فقد تسورت، وقال: ﴿إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا﴾ [النور: ٦١] فما سلمت. إلى آخره.

جهل الخليفة بطلاق الأمة

وكيف يجهل بطلاق الأمة، كما أخرجه الحافظان الدارقطني وابن عساكر؟ مع ما بلغ من العلم أقصى مبلغ، حتى يقال فيه: إذا اختلف في شيء فخذوا بما قال عمر، وقد قال عمر: ردوا قول عمر إلى علي.

وذلك: أن رجلين أتيا عمر، وسألاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع، فقال: أيها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه، ثم أوما بالسبابة والوسطى، فقال لهما عمر: تطليقتان. فقال أحدهما: سبحان الله، جئناك وأنت أمير المؤمنين، فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته، فرضيت منه أن أوما إليك، فقال لهما: تدريان من هذا؟ قالا: لا. قال: هذا علي بن أبي طالب. أشهد على رسول الله لسمعته وهو يقول: إن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعا في كفة، ثم وضع إيمان علي في كفة، لرجح إيمان علي بن أبي طالب.

وفي لفظ الزمخشري: جئناك وأنت الخليفة، فسألناك عن طلاق، فجئت إلى رجل فسألته، فوالله ما كلمتك.

ورواه الكنجي [ص ١٢٩] وقال: هذا حسن ثابت. والخوارزمي في المناقب

جهل الخليفة بالسنة ١٤٣

وأما حديث الميزان، فقد رواه الطبري في رياضه [١ : ٢٤٤] عن عمر.
والصفوري في نزهة المجالس [٢ : ٢٤٠] كما ذكره الأميني في غديره [٢ : ٢٩٩].

جهل الخليفة بالسنة

وأين تلك الأفقيّة التي فاق بها أهل زمانه، وقد جهل بالسنة حتى جعل
الصدّاق في بيت المال؟ وذلك كما أخرجه ابن المبارك، قال: حدّثنا أشعث، عن
الشعبي، عن مسروق، قال: بلغ عمر أنّ امرأة من قريش تزوّجها رجل من ثقيف في
عدّتها، فأرسل إليها، ففرّق بينهما وعاقبهما، وقال: لا ينكحها أبداً، وجعل الصدّاق
في بيت المال.

فبلغ عليّاً كرم الله وجهه، فقال: رحم الله أمير المؤمنين، ما بال الصدّاق
وبيت المال؟ إنهما جهلا، فينبغي للإمام أن يردّهما إلى السنة. قيل: فما تقول أنت
فيها؟ قال: لها الصدّاق بما استحلّ من فرجها، ويفرّق بينهما، ولا جلد عليهما،
وتكمل عدّتها من الأوّل، ثمّ تكمل عدّتها من الآخر، ثمّ يكون خاطباً. فبلغ ذلك
عمر، فقال: ردّوا الجهالات إلى السنة.

وفي لفظ: فرجع عمر إلى قول علي. راجع: أحكام القرآن [١ : ٥٠٤]
للجصاص.

وفي لفظ الخوارزمي: ردّوا قول عمر إلى علي.

وفي التذكرة فقال عمر: لو لا علي لهلك عمر.

ورواه البيهقي في سننه الكبرى [٧ : ٤٤١] وابن السّمّان في الموافقات، وأبو

عمر في كتاب العلم [٢ : ١٨٧] والطبري في رياضه [٢ : ١٩٦] والخوارزمي في
المناقب [ص ٥٧] والسبط ابن الجوزي في تذكّره [ص ٨٧].

رأي الخليفة في شجرة الرضوان

وكيف يحكم على من يصلي تحت شجرة الرضوان بحكم أهل الردّة؟ وهل من تبخره في علم الفقه أنّ يهدد بالقتل من يصلي تحت شجرة الرضوان؟
كما في طبقات ابن سعد [ص ٦٠٧ الطبعة القديمة] وسيرة عمر لابن الجوزي [ص ١٠٧] وشرح نهج البلاغة [٣: ٣٣٧] وفتح الباري [٧: ٣٦١] لابن حجر، وارشاد الساري [٦: ٣٣٧] وشرح المواهب [٢: ٢٠٧] والدر المنثور [٦: ٧٣] وعمدة القاري للعيني [٨: ٢٨٤] وقال: إسناد صحيح، عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان فيصلّون عندها، فبلغ ذلك عمر، فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت.

وفي لفظ كما في شرح النهج [١: ٦٠]: كان الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها، فيصلّون عندها، فقال عمر: أراكم أيها الناس رجعتُم إلى العزّي، ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته، كما يقتل المرتد، ثمّ أمر بها فقطعت.
وهل يبلغ أحد من فقهاء الأمة على شئ مذهبهم كبلغه من الفقه؟

رأي الخليفة في المجوس

وأين ذلك العلم الراجح الذي استعلى به على أهل الأرض، وقد خفيت عليه جزية المجوس، وقال: ما أدري ما أصنع بالمجوس وليسوا من أهل الكتاب.
وفي لفظ: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب.
أخرجه يحيى بن سعيد بإسناده عن عمر بن الخطاب.

وعن بجاله قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية على منادر - كورة من كور الأهواز - فجاءنا كتاب عمر: أنظر المجوس من قبلك، فخذ منهم الجزية، فإنّ عبد الرحمن

بن عوف أخبرني أنّ رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر.
وعنه قال: لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس، حتّى شهد عبد الرحمن
بن عوف أنّ رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر.
راجع: الأموال لأبي عبيد [ص ٣٢] وموطأ مالك [١: ٢٠٧] وصحيح
البخاري كتاب فرض الخمس باب الجزية. وجامع الترمذي [١: ١٩٢] وفي طبع ١:
[٣٠٠] بعدة طرق، صحّح بعضها، وحسن أخرى.

وسنن الدارمي [٢: ٢٣٤] وسنن أبي داود [٢: ٤٥] وكتاب الرسالة للشافعي
[ص ١١٤] وأحكام القرآن للجصاص [٣: ١١٤] وفتوح البلدان للبلاذري [ص ٢٧٦]
وسنن البيهقي [٨: ٢٤٨ و ٩: ١٨٩] ومصابيح البغوي [٢: ٩٧] وصحّحه. وسيرة عمر
[ص ١١٤] لابن الجوزي ومشكاة المصابيح [ص ٣٤٤] وتيسير الوصول [١: ٢٤٥].

جهل الخليفة بالسنة المشهورة

وأيّن ذلك العلم الذي لا يعدّله علم أحياء العرب، وقد خفيت على صاحبه
السنة المشهورة المعروفة عند صغار القوم فضلاً عن كبارهم؟.

وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه [٢: ٢٣٤] في كتاب الآداب] عن عبيد بن
عمير: أنّ أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً، فكأنّه وجده مشغولاً فرجع، فقال عمر:
ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس؟ - يعني أبا موسى - ائذنوا له، فدعي به، فقال: ما
حملك على ما صنعت؟ قال: إنّنا كنّا نؤمر بهذا، قال: لتقيمنّ على هذا بيّنة أو لأفعلنّ.
وفي لفظ: فوالله لأوجعنّ بطنك وظهرك.

وفي لفظ الطحاوي: والله لأضربنّ بطنك وظهرك أو لتأتيني بمن شهد لك.
فخرج وانطلق إلى مجلس الأنصار، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا. فقام
أبو سعيد فقال: كنّا نؤمر بهذا، فقال عمر: خفيّ عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ،
ألّهاني عنه الصفق في الأسواق.

ورواه البخاري في صحيحه [٣: ٨٣٧ ط الهند]. والإمام أحمد في مسنده [٣: ١٩] والدارمي في سننه [٢: ٢٧٤] وأبو داود في سننه [٢: ٣٤٠] والطحاوي في مشكل الآثار [١: ٤٩٩].

وفي لفظ: قال أبو سعيد: أنا أصغر القوم.
قال النووي في شرحه. معناه أن هذا الحديث مشهور بيننا، معروف لكبارنا وصغارنا حتى أن أصغرنا يحفظه ويسمعه من رسول الله ﷺ.

رأي الخليفة في من قال: إني مؤمن

وما يقال لمن قال: ما أعلم أحداً أعلم بعهد رسول الله من عمر بن الخطاب؟ وقد أنكر علي من قال: إني مؤمن، حتى استقدمه من الشام؟ كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان، والمتقي الهندي في كنز العمال [١: ١٠٣] فيما ذكره الأميني في غديره [٦: ٢٤٠].

وذلك عن مسند عمر عن سعيد بن يسار، قال: بلغ عمر بن الخطاب أن رجلاً بالشام يزعم أنه مؤمن، فكتب إلى أميره: أن ابعث به إليّ، فلما قدم، قال: أنت الذي تزعم أنك مؤمن؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ويحك وممّ ذلك؟ قال: أو لم تكونوا مع رسول الله ﷺ أصنافاً: مشرك، ومنافق، ومؤمن؟ فمن أيهم كنت؟ فمدّ عمر يده إليه معرفة لما قال حتى أخذ بيده.

سكوت الخليفة عن حكم الطلاق

ولم سكت صاحب العلم الراجح لما سُئل عن حكم الطلاق؟
وذلك كما رواه صاحب كنز العمال في كنزه [٥: ١٦١] وفي منتخب الكنز بهامش مسند أحمد بن حنبل [٣: ٤٨٢] عن قتادة، قال: سئل عمر بن الخطاب عن رجل طلق امرأته في الجاهلية تطليقتين، وفي الإسلام تطليقة، فقال: لا أمرك ولا

أنهاك، فقال عبدالرحمن بن عوف: لكنني آمرك، ليس طلاقك في الشرك بشيء.

رأي الخليفة في صوم رجب

وكيف لم ير أحد بعهد رسول الله ﷺ أفقه في دين الله ولا أعلم منه وقد عزب عنه ما جاء به رسول الله ﷺ في فضيلة صوم رجب وترغيبه فيه؟
أخرج ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط فيما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد [٣: ١٩١] والمتقي الهندي في كنز العمال [٤: ٢٤١] عن خرشة بن الحر، قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكف الرجال في صوم رجب، حتى يضعوها في الطعام، ويقول: رجب، وما رجب؟ إنما رجب شهر يعظمه أهل الجاهلية، فلما جاء الإسلام ترك.

رأي الخليفة في بيت المقدس

وكيف يخفى على من كان الفقهاء عنده كالصبيان فضل بيت المقدس، حتى ضرب من قصده زائر؟

وذلك فيما أخرجه الأزرقى كما في كنز العمال [٧: ١٥٧] عن سعيد بن المسيب، قال: استأذن رجل عمر بن الخطاب في إتيان بيت المقدس، فقال له، اذهب وتجهّز، فإذا تجهّزت فأعلمني، فلمّا تجهّز جاءه، فقال له عمر: إجعلها عمرة.

وقال: ومرّ به رجلان، وهو يعرض إبل الصدقة، فقال لهما من أين جئتما؟ قالوا: من بيت المقدس، فعلاهما بالدرّة، وقال: حجّ كحج البيت؟ قالوا: إنا مجتازين. وقد قلّ أن تخلو كتب الحفاظ من حديث: لا تشدّوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى.

رأي الخليفة في المتعتين

وأين كانت تقواه للرب، وقد نهى عن السنّة المشروعة الجارية منذ عهد النبي إلى عهد أبي بكر إلى منتصف عهده، فأوعد من يعمل بها بالرجم؟.

كما أخرجه مسلم في صحيحه [٣٩٥ : ١] والبيهقي في سننه [٢٠٦ : ٧] عن أبي نضرة، قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه آت، فقال: إنّ ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثمّ نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما.

وفي سنن البيهقي أيضاً، عن أبي نضرة، عن جابر رضي الله عنه، قال: قلت: إنّ ابن الزبير ينهى عن المتعة، وابن عباس يأمر بها، قال: على يدي جرى الحديث، تمتّعنا مع رسول الله ومع أبي بكر، فلمّا ولي عمر خطب، فقال: إنّ رسول الله ﷺ هذا الرسول، وإنّ القرآن هذا القرآن، وإنّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما. إحداهما متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوّج إلى أجل إلّا غيّبته بالحجارة، والأخرى متعة الحج.

قال: أخرجه مسلم في الصحيح من وجه آخر عن همام.

فنحن لا نشكّ في أيّ القولين أحقّ أن يتّبع.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده [٣٥٦ : ٣ و ٣٦٣] بطريقتين أحدهما: طريق عاصم، رجاله كلّهم ثقات بالاتفاق، وذكره السيوطي، كما في كنز العمال [٢٩٣ : ٨] عن الطبري، عن جابر بن عبد الله قال: تمتّعنا متعتين على عهد النبي ﷺ: متعة الحجّ، والنساء، فنهانا عمر عنهما، فانتهينا.

وأخرج مسلم في صحيحه [٤٦٧ : ١] والجصاص في أحكام القرآن [٢ : ١٧٨] والبيهقي في سننه [٢١ : ٥] والرازي في تفسيره [٢٦ : ٣] والمتقي الهندي في كنز العمال [٢٩٣ : ٨] والسيوطي في الدر المنثور [٢١٦ : ١] عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله،

فقال: عليّ يدي دار الحديث، تمتّعنا مع رسول الله ﷺ فلمّا قام عمر قال: إنّ الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، فاتموا الحجّ والعمرة كما أمر الله وانتهوا - وابتوا - عن نكاح هذه النساء، لا أوتى برجل نكح - تزوّج - امرأة إلى أجل إلا رجّمته.

وفي مسند أبي داود الطيالسي [ص ٢٤٧] قال عمر: إنّ الله عزّ وجلّ كان يحلّ لنبيّه ما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازل، فافصلوا حجّتكم من عمرتكم، واتّبعوا نكاح النساء، فلا أوتى برجل - تزوّج - إلى أجل إلا رجّمته.

وروى مسلم في صحيحه [١ : ٣٩٥] وابن الأثير في جامع الأصول، وابن الديبع في تيسير الوصول [٤ : ٢٦٢] وابن القيم في زاد المعاد [١ : ٤٤٤] وابن حجر في فتح الباري [٩ : ١٤١] والمتّقي الهندي في كنز العمّال [٨ : ٢٩٤] عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، حتّى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

وأخرج الإمام مالك في الموطأ [٢ : ٣٠] بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات، والشافعي في الأمّ [٧ : ٢١٩] والبيهقي في سننه الكبرى [٧ : ٢٠٦] عن عروة بن الزبير أنّ خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطّاب، فقالت: إنّ ربيعة بن أميّة استمتع بامرأة مولدة، فحملت منه، فخرج عمر يجرّ رداءه فزعاً، فقال: هذه المتعة ولو كنت تقدّمت فيه لرجّمته.

وأخرج الطبري في تفسيره [٥ : ٩] بإسناد صحيح، والثعلبي في تفسيره، والرازي في تفسيره [٣ : ٣٠٠] وأبو حيّان في تفسيره [٣ : ٢١٨] والنيسابوري في تفسيره، والسيوطي في تفسيره الدرّ المنثور [٢ : ١٤٠] بعدّة طرق عن الحكم، قال: قال عليّ عليه السلام: لو لا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقيّ.

وفي الكتب المذكورة أيضاً: عن الحكم أنّه سئل عليّ عن هذه الآية - آية المتعة - أمسوخة؟ قال: لا، وقال عليّ: لو لا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقيّ. وفي أحكام القرآن للجصاص [٢ : ١٧٩] وبداية المجتهد لابن رشد [٢ : ٥٨]

والنهاية لابن الأثير [٢: ٢٤٩] والغريبين للهروي، والفائق للزمخشري [١: ٣٣١] عن ابن جريج، عن عطاء، قال: سمعت ابن عباس يقول: رحم الله عمر، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله لأمة محمد، ولولا نهيه لما احتاج إلى الزنا إلا شفاً - أي: قليل من الناس.

وفي لفظ، كما في تفسير القرطبي [٥: ١٣٠] وتفسير السيوطي [٢: ١٤٠]: إلا شقي.

وأخرج الطبري عن جابر قال: كانوا يتمتعون من النساء حتى نهاهم عمر بن الخطاب. كنز العمال [٨: ١٩٣].

وفي صحيح مسلم [١: ٣٩٥] في باب نكاح المتعة، ومسند الإمام أحمد [٣: ٣٨٠] قال عطاء: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثم ذكروا المتعة، فقال: استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر.

وفي لفظ أحمد: حتى إذا كان في آخر خلافة عمر.

وأخرج عبد الرزاق، وأبو داود في ناسخه، وابن جرير الطبري، كما في كنز العمال [٨: ٢٩٤] عن علي، قال: لو لا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة، ثم ما زنا إلا شقي.

وفي كنز العمال [٨: ٢٩٤] عن سليمان بن يسار، عن أم عبد الله ابنة أبي خيثمة أن رجلاً قدم من الشام، فنزل عليها، فقال: إن العزبة قد اشتدت علي، فأبغني امرأة أتمتع معها، قالت: فدلتها على امرأة، فشارطها وأشهد على ذلك عدولاً، فمكث معها ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه خرج فأخبر عن ذلك عمر بن الخطاب، فأرسل إليّ فسألني: أحق ما حدث؟ قلت: نعم. قال: فإذا قدم فأذيني، فلما أخبرته أرسل إليه، فقال: ما حملك على الذي فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله ﷺ ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه الله، ثم مع أبي بكر فلم ينهنا عنه حتى قبضه

الله. ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً، فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدّمت في نهى لرجمتك، إلى آخره.

وفي فتح الباري [٣: ٣٣٨] عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى لم تنزل آية بعدها تنسخها، فأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتعنا مع رسول الله ﷺ ومات ولم ينهنا عنها، قال رجل بعد برأيه - يعني عمر - .

وذكره المفسرون عند قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] راجع: تفسير الثعلبي، وتفسير الرازي [٣: ٢٠٠ و ٢٠٢] وتفسير ابن حيّان [٣: ٢١٨] وتفسير النيسابوري.

وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي: كان عمر رضوان الله عليه يقول: والله لا أوتى برجل أباح المتعة إلا رجّمته.

وفي كتاب العلم لأبي عمر [٢: ١٩٦]. وفي مختصره [ص ٢٢٦] وفي زاد المعاد لابن القيم [١: ٢١٩] عن أيوب، قال عروة بن الزبير لابن عباس: ألا تتقي الله ترخص في المتعة؟ فقال ابن عباس: سل أمك يا عروة، فقال عروة: أمّا أبو بكر وعمر فلم يفعلوا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدّثكم عن النبي ﷺ وتحدّثونا عن أبي بكر وعمر.

وفي عمدة القاري للعيني [٨: ٣١٠] عن أبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله قالوا: تمتعنا إلى نصف خلافة عمر حتى نهى عمر الناس في عمرو بن حريث.

وأخرج ابن رشد في بداية المجتهد [٢: ٥٨] عن جابر بلفظ: تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر، ثم نهى عنها عمر الناس.

وفي المحاضرات [٢: ٩٤] قال الراغب الإصفهاني: عيّر عبد الله بن زبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة، فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك. فسألها فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة.

وفي العقد الفريد [٢ : ١٣٩] قال ابن عباس: أول مجمر سطر في لمتعة مجمر آل زبير.

وفي الإصابة [٢ : ٦٣] أن سلمة بن أمية بن خلف استمتع بامرأة، فبلغ عمر فتوغده. وفي [ص ٨١] قال سمير - لعله سمرة بن جندب: كنا نتمتع على عهد رسول الله ﷺ.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل [٢ : ٩٥] بإسناده عن عبد الرحمن بن نعم - أو نعيم - الأعرجي، قال: سألت رجل ابن عمر عن المتعة وأنا عنده، متعة النساء؟ فقال: والله ما كنا على عهد رسول الله ﷺ زانين ولا مسافحين.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده [٤ : ٤٣٦] بإسناد رجاله كلهم ثقات، عن عمران بن الحصين، قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى، وعملنا بها مع رسول الله ﷺ فلم تنزل آية تنسخها ولم ينهاها النبي ﷺ حتى مات.

وأخرج الطبري في تفسيره [٥ : ٩] بإسناده عن أبي نضرة، قال: سألت ابن عباس عن متعة النساء، قال: أما تقرأ سورة النساء؟ قال: قلت: بلى، قال: فما تقرأ فيها: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؟ قلت له: لو قرأتها هكذا ما سألتك. قال: وإنها هكذا.

وفي حديث: قال ابن عباس: والله لأنزلها الله كذلك، ثلاث مرّات. وأما من قال: إن تحريم المتعة يوم خيبر صحيح، فقد قال الأميني في غديره [٢٢٦ : ٦] : إن ذلك القول مردود بقول السهيلي في كتابه قد يكون الروض الأنف [٢ : ٢٣٨] وإليك لفظه: هذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الآثار أن المتعة حرمت يوم خيبر.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب، وحكاها عنه الزرقاني في شرح المواهب [٢ : ٢٣٩] وفي شرح الموطأ [٢ : ٢٤] : إنه غلط، ولم يقع يوم خيبر تمتع النساء. وقال ابن عيينة، كما في سنن البيهقي [٧ : ٢٠١] وزاد المعاد [١ : ٤٤٣] : إن

التأريخ في الحديث إنما هو في النهي عن لحوم الحمر الأهلية، لا في النهي عن نكاح المتعة، فتوهم بعض الرواة فجعله ظرفاً في تحريمها.

وقال القرطبي في تفسيره [٥ : ٣٥] في قوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِضَةِ﴾ قال القائلون بأن الآية في المتعة، هذه إشارة إلى ما تراضينا عليه من زيادة في مدة المتعة إلى أن قال ما معناه: وإذا انقضت المدة فربما كان يقول: زيدني في الأجل أزدك في المهر. بيد أن ذلك جائز عند التراضي.

وقال ابن رشد في بداية المجتهد [٢ : ٥٨]: اشتهر عن ابن عباس تحليلها - أي: المتعة - وتبع ابن عباس على القول بها أصحابه من أهل مكة وأهل اليمن، ورووا أن ابن عباس كان يحتج لذلك بقوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ الآية، وفي حرف عنه: إلى أجل مسمى.

وذكر الرازي في تفسيره [٣ : ٢٠٠] اختلف قول الأمة في الآية، إلى أن قال: فذهب السواد الأعظم من الأمة إلى أنها صارت منسوخة. وقال السواد منهم: إنها بقيت مباحة كما كانت.

وقال أبو حيان في تفسيره بعد نقل حديث إباحتها: وعلى هذا جماعة من أهل البيت والتابعين.

وقد ذهب إلى إباحة المتعة جماعة، مثل ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز المكي المتوفى سنة (١٥٠) قال الشافعي كما في تهذيب التهذيب [٦ : ٤٠٦]: استمتع ابن جريج بسبعين امرأة، وقال الذهبي في ميزانه [٢ : ١٥١]: نحواً من تسعين امرأة نكاح المتعة.

وقال السرخسي في المبسوط: تفسير المتعة أن يقول رجل لامرأته: أتمتع بك كذا من المدة بكذا من المال. وهذا باطل عندنا، جائز عند مالك بن أنس، وهو الظاهر من قول ابن عباس.

وقال فخر الدين أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي في تبيان الحقائق شرح

لكنز الحقائق: قال مالك: هو - نكاح المتعة - جائز، لأنه كان مشروعاً، فيبقى إلى أن يظهر ناسخه. واشتهر عن ابن عباس تحليلها، وتبعه على ذلك أكثر أصحابه من أهل اليمن ومكة.

وينسب جواز المتعة إلى مالك في فتاوى الفرغاني للقاضي فخر الدين حسن بن منصور الفرغاني.

وفي خزانة الروايات في الفروع الحنفية للقاضي جكن الحنفي. وفي كتاب الكافي في الفروع الحنفية. وفي العناية في شرح الهداية لأكمل الدين محمد بن محمود الحنفي. وفي شرح الموطأ للزرقاني قال: إنه أحد قولي مالك.

وقال ابن حزم في المحلى [٩: ٥١٩ ط دار الجيل]، كما في الغدير [٦: ٢٢٢] بعد ما عدّ جملة ممن ثبت على إباحة المتعة من الصحابة: ورواه جابر عن جميع الصحابة مدة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر. ثم قال: ومن التابعين: طاووس، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، وسائر فقهاء مكة. انتهى.

فقد ظهر لنا بما مرّ ذكره أنّ من أباح المتعة من الصحابة والتابعين، هم:

١ - الإمام علي.

٢ - ابن عباس.

٣ - عمران بن حصين كما مرّ حديثه.

٤ - جابر بن عبد الله كما مرّ حديثه.

٥ - عبد الله بن مسعود.

٦ - عبد الله بن عمر.

٧ - أبو سعيد الخدري، كما في المحلى لابن حزم، وشرح الموطأ للزرقاني.

٨ - معاوية بن أبي سفيان، كما في المحلى لابن حزم، وشرح الموطأ

للزرقاني.

٩ - سلمة بن أمية بن خلف، كما في المحلى لابن حزم، وشرح الموطأ

للزرقاني.

- ١٠- معبد بن أمية، كما في المحلى لابن حزم، وشرح الموطأ للزرقاني.
 - ١١- الزبير بن العوام، كما في المحلى لابن حزم، وشرح الموطأ للزرقاني.
 - ١٢- خالد بن مهاجر بن خالد المخزومي، قال: «بينما» أو «بينما» هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة، فأمره بها، فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري: مهلاً، فقال: ما هي؟ قال: والله لقد فعلت في عهد امام المتقين. كنز العمال [٢٩٣: ٨].
 - ١٣- عمرو بن حريث، كما أخرجه الطبري، عن سعيد بن المسيب، قال: استمتع ابن حريث وابن فلان وولد له من المتعة زمان أبي بكر وعمر. كنز العمال [٨: ٢٩٣].
 - ١٤- أبي بن كعب، كما مر في قراءته.
 - ١٥- ربيعة بن أمية كما مر حديثه.
 - ١٦- سمير. قال الأميني: لعله سمرة بن جندب، كما في الإصابة [٢: ٨١] قال: كنا نتمتع على عهد رسول الله ﷺ.
 - ١٧- سعيد بن جبير، عده ابن حزم ممن ثبت على إباحتها.
 - ١٨- طاووس اليماني، عده ابن حزم ممن ثبت على إباحتها.
 - ١٩- عطاء أبو محمد المدني، عده ابن حزم ممن ثبت على إباحتها.
 - ٢٠- السدي، كما في تفسيره.
 - ٢١- مجاهد.
 - ٢٢- زفر بن أوس المدني، كما في البحر الرائق لابن نجيم [٣: ١١٥]. انتهى مختصراً والله أعلم بالصواب، فمن أراد التفصيل، فعليه بالغدير للأميني الجليل ففيه ما يشفي العليل ويروي الغليل.
- لعل الباحث في مسألة المتعة سيقف على خمسة وعشرين حديثاً فيما بين

الصحيح والمسانيد، ما يعلمه بأن المتعة مباحة في شرع الإسلام، وكان الناس يعملون بها في عصر النبي ﷺ، وعصر أبي بكر وردحاً من خلافة عمر، ثم نهى عنها في أواخر خلافته، كما شهدت على ذلك كتب السنن والتفاسير منها:

١ - صحيح البخاري في باب التمتع [٦ : ١٢٩ ط دار الفكر].

٢ - مسلم في صحيحه [١ : ٣٩٥ - ٣٩٦].

٣ - مسند أحمد [٤ : ٤٣٦ و ٣ : ٣٥٦].

٤ - موطأ مالك [٣ : ٣٠].

٥ - سنن البيهقي [٧ : ٢٠٦].

٦ - تفسير الطبري [٥ : ٩].

٧ - أحكام القرآن [٢ : ١٧٨] للجصاص.

٨ - النهاية لابن الأثير [٢ : ٢٤٩].

٩ - الغريبين للهروي.

١٠ - الفائق [١ : ٣٣١] للزمخشري.

١١ - تفسير القرطبي [٥ : ١٣٠].

١٢ - تاريخ ابن خلكان [١ : ٣٥٩].

١٣ - المحاضرات [٢ : ٩٤] للراغب الاصفهاني.

١٤ - تفسير الرازي [٣ : ٢٠١].

١٥ - فتح الباري [٩ : ١٤١] لابن حجر.

١٦ - الدر المنثور [٢ : ١٤٠] للسيوطي.

١٧ - الجامع الكبير [٨ : ٢٩٣] للسيوطي.

١٨ - تاريخ الخلفاء [ص ٩٣] للسيوطي.

١٩ - شرح التجريد في مبحث الإمامة للقوشجي. انتهى.

وقبل أن نضيف شيئاً إلى ما مرّ من تلكم الأحداث وغيرها ممّا تضمّنته هذه

الأسطورة. نرى من المهم للقارئ أن يعلم بأنه ليس مرادنا من إيراد أي شيء منها إلا ليكون مقياساً للعاقل الناقد الحر، ليقبس به ما نسجته يد الغلو في الفضائل، لا نبشاً للأحقاد، ولا استثارة للخلاف، ولا قدحاً في كرامة أحد من المسلمين من أهل الفضائل، إذ الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء من عباده. لا بإفراط المغدقين في الثناء على من يحبونه، ولا بإغراء المغالين في الفضائل المتقادين لداعية الحبّ الاعمى، ودافع العصبية العمياء، حتى جاوزوا أقصى حدود الحقيقة، فصارت غشاوة وتعمية لجهلة الأمة.

جهل الخليفة بالغسل من الجنابة

وإليك الآن رواية تنم عن عدم معرفة الخليفة الثاني بالغسل من الجنابة، الذي هو أول ما يلزم على المكلفين علمه، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٥: ١٥] وابن أبي شيبة في مصنفه، والعيني في عمدة القاري [٢: ٧٢] والهيثمي في مجمع الزوائد [١: ٢٦٦] والزركشي في الإجابة [ص ٤٨] فيما رواه الأميني في غديره [٦: ٢٦١]:

عن رفاعه بن رافع، قال: بينا أنا عند عمر بن الخطاب، إذ دخل عليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين هذا زيد بن ثابت يفتي الناس في المسجد برأيه في الغسل من الجنابة، في الذي يجامع ولا ينزل. فقال عمر: عليّ به، فجاء زيد، فلمّا رآه عمر، قال: أي عدوّ نفسه قد بلغت أنك تفتي الناس برأيك. فقال: يا أمير المؤمنين بالله ما فعلت، ولكنني سمعت من أعمامي حديثاً فحدثت به من أبي أيوب، ومن أبي بن كعب، ومن رفاعه بن رافع.

فأقبل عمر على رفاعه بن رافع، فقال: وكنتم تفعلون ذلك إذا أصاب أحدكم من المرأة فأكسل ولم يغتسل؟ فقال: قد كنّا نفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ فلم يأتنا فيه تحريم، ولم يكن من رسول الله نهي.

قال: رسول الله يعلم ذلك؟ قال: لا أدري، فأمر عمر بجمع المهاجرين والأنصار، فجمعوا له، فأشار الناس أن لا غسل في ذلك إلا ما كان من معاذ وعلي رضي الله عنهما، فإتتهما قالوا: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل فقال عمر: هذا وأنتم أصحاب بدر وقد اختلفتم، فمن بعدكم أشد اختلافًا، فقال علي: يا أمير المؤمنين إئتني ليس أحد أعلم بهذا ممن سأل رسول الله من أزواجه، فأرسل إلى حفصة. فقالت: لا علم لي بهذا، فأرسل إلى عائشة، فقالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. فقال عمر: لا أسمع برجل فعل ذلك إلا أوجعته ضرباً.

اجتهاد الخليفة في التنفل بعد العصر

واعطف على ذلك نهيه عن التنفل بعد العصر، وضربه بعض الصحابة على ذلك، مع ما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، كما رواه أئمة المحدثين في صحاحهم ومسانيدهم، كالبخاري، ومسلم، والإمام أحمد، والإمام مالك، وابن حجر، والعسقلاني، والزرقاني، والهيثمي، والبيهقي، وأبي داود، والدارمي، والمتقي الهندي، والزرکشي.

فإليك ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد [٢: ٢٢٢] وصححه وقال: رجال الطبراني رجال الصحيح.

١ - عن تميم الداري قال: إئتني ركعتين بعد نهى عمر بن الخطاب عن الصلاة بعد العصر، فأتاه عمر فضربه بالدرّة، فأشار إليه تميم أن اجلس وهو في صلاته، فجلس عمر، ثم فرغ تميم من صلاته، فقال تميم لعمر: لم ضربتني؟ قال: لأنك ركعت هاتين الركعتين وقد نهيت عنهما، قال: إئتني صليتهما مع من هو خير منك رسول الله ﷺ، فقال عمر: إئتني ليس بي أنتم أيها الرهط، ولكنني أخاف أن يأتي بعدكم قوم يصلّون ما بين العصر إلى المغرب، حتّى يمروا بالساعة التي هي رسول

الله أن يصلّوا فيها، كما وصلوا ما بين الظهر والعصر.

٢ - وعن وبرة، قال: رأى عمر تميمًا الداري يصلّي بعد العصر، فضربه بالدرّة، فقال تميم: لم يا عمر تضربني على صلاة صلّيتها مع رسول الله؟ فقال عمر: يا تميم ليس كلّ الناس يعلم ما تعلم.

٣ - وعن عروة بن الزبير، قال: خرج عمر على الناس، فضربهم على السجدين بعد العصر، حتّى مر بتميم الداري، فقال: لا أدعهما، صليتهما مع من هو خير منك رسول الله ﷺ فقال عمر: إنّ الناس لو كانوا كهيئتك لم أبال.

٤ - عن السائب بن يزيد: أنّه رأى عمر يضرب المنكدر في الصلاة بعد العصر.

٥ - وعن الأسود: إنّ عمر كان يضرب على الركعتين بعد العصر.

٦ - عن زيد بن خالد الجهني، قال: إنّّه رآه عمر بن الخطاب، وهو خليفة يركع بعد العصر ركعتين، فمشى إليه فضربه بالدرّة وهو يصلّي كما هو: فلمّا انصرف قال زيد: اضرب يا أمير المؤمنين، فوالله لا أدعهما أبدًا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يصلّيهما، فجلس إليه عمر، وقال: يا زيد بن خالد لو لا أنّي أخشى أن يتّخذها الناس سُلماً إلى الصلاة حتّى الليل لم أضرب فيهما. قال الهيثمي: إسناده حسن.

٧ - عن طاووس: إنّ أبا أيوب الأنصاري كان يصلّي قبل خلافة عمر ركعتين بعد العصر، فلمّا استخلف عمر تركها، فلمّا توفي ركعهما، فقبل له: ما هذا؟ فقال: إنّ عمر كان يضرب عليهما.

٨ - وأخرج مسلم عن المختار بن فلفل، قال: سألت أنس بن مالك عن التطوّع بعد العصر، فقال: كان عمر يضرب الأيدي على الصلاة بعد العصر، وكنا نصلي على عهد النبي ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب، فقلت له: أكان ﷺ صلاهما؟ قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا.

٩ - وأخرج أبو العباس السراج في مسنده، عن المقدم بن شريح، عن أبيه.

ومسلم في صحيحه [٣١٠ : ١] والإمام أحمد في مسنده [٤ : ١٠٢ و ١١٥] والإمام مالك في الموطأ [١ : ٩٠] والزرکشي في الإجابة [ص ٩١ و ٩٢] والهيثمى في مجمع الزوائد [٢ : ٢٢٢] وابن حجر في فتح الباري [٢ : ٥١، و ٣ : ٨٢] والمتقى الهندي في كنز العمال [٤ : ٢٢٥ - ٢٢٦] والزرقاني في شرح المواهب [٨ : ٢٣] والزرقاني في شرح الموطأ [١ : ٣٩٨]: عن المقدم بن شريح، عن أبيه، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ كيف كان يصلي الظهر؟ قالت: كان يصلي بالهجير، ثم يصلي بعدها ركعتين، ثم يصلي العصر، ثم يصلي بعدها ركعتين، قلت: قد كان عمر يضرب عليهما وينهى عنهما، قالت: وكان ﷺ يصليها. إلى آخره.

١٠- وأورد البخاري في صحيحه [١ : ١١ ط دار الفكر] ومسلم في صحيحه [١ : ٣٠٩ و ٣١٠] وأبو داود في سننه [١ : ٢٠١] والدارمي في سننه [١ : ٣٣٤] والبيهقي في سننه [٢ : ٤٥٨] وابن حجر في فتح الباري [٢ : ٥١] أن رسول الله ﷺ صلاها وما تركها بعد العصر قط، كما أخبرت به عائشة، وقالت: والذي ذهب به ما تركهما حتى لقي الله، وما لقي الله تعالى حتى ثقل عن الصلاة، وكان يصلي كثيراً من صلاته قاعداً تعني ركعتين بعد العصر. وقالت: ما ترك النبي السجدين بعد العصر عندي قط. وقالت: لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سرّاً ولا علانية. وقالت: ما كان النبي ﷺ يأتيني في يوم بعد العصر إلا صلى ركعتين.

١١- وفي لفظ البيهقي: قال ايمن: إن عمر كان ينهى عنهما، ويضرب عليهما، فقالت: صدقت، ولكن كان النبي ﷺ يصليهما.

١٢- وفي تعليق الإجابة للزرکشي [ص ٩١] نقلاً عن أبي منصور البغدادي في استدراكه من طريق أبي سعيد الخدري، قال: كان عمر يضرب عليهما رؤوس الرجال - يعني الصلاة بعد الفجر حتى مطلع الشمس، وبعد العصر حتى مغرب الشمس - فرأى أبو سعيد ابن الزبير يصليها. قال: فنهته، فأخذ بيدي، فذهبنا إلى عائشة فقال لها: يأم المؤمنين إن هذا ينهاني.... فقالت: رأيت رسول الله ﷺ

اجتهاد الخليفة في الأضحية ١٦٣
يصلّيهما.

وممن روي عنه الرخصة في التطوع بعد العصر، كما صرح به الأميني في غديره [١٨٦ : ٦]: الإمام علي عليه السلام، ابن الزبير، تميم الداري، النعمان بن بشير، أبو أيوب الأنصاري، عائشة أم المؤمنين. الأسود بن يزيد، عمرو بن عيمون، عبد الله بن مسعود وأصحابه، بلال، أبو الدرداء، ابن عباس، مسروق، شريح، عبد الله بن أبي الهذيل، أبو بردة، عبد الرحمن بن الأسود، عبد الرحمن بن البيهقي، الأحنف بن قيس. نقلاً عن طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي [١٨٦ : ٢]. ونص على إباحتها أيضاً القطب الشعراني في كتابه كشف الغمّة [١٣٩ : ١].

اجتهاد الخليفة في الأضحية

وإذا عرفت ما نهى عنه الخليفة الثاني من السنن الثابتة في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وردحاً من خلافته، فاعجب الآن ممّا تركه هو ومستخلفه من السنّة المقدّسة الثابتة عن رسول الله، الشائعة بين الصحابة، التي تلقّتها الأمة المحمّدية جيلاً عن جيل إلى عصرنا هذا.

وذلك ما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٢٦٥ : ٩] والطبراني في المعجم الكبير، وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه [٤٥ : ٣] والحاكم في الكنى والأسماء، عن حذيفة بن أسيد، قال: رأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وما يضحّيان عن أهلهما خشية - أو مخافة - أن يستنّ بهما، فحملني أهلي على الجفاء بعد أن علمت السنّة، حتّى أني أضحي عن كلّ.

قال الشافعي في كتاب الأمّ [١٨٩ : ٢]: بلغنا أنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان لا يضحّيان، كراهية أن يُقتدى بهما، فيظن من رآهما أنّها واجبة.

وفي مختصر المزني هامش كتاب الأمّ [٢١٠ : ٥] قال الشافعي: بلغنا أنّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحّيان، كراهية أن يرى أنّها واجبة. انتهى.

أنا لا أفهم شيئاً من خاصية تلك الكراهية، أو حكمة تلك الخشية المؤدية إلى ترك سنة نبوية مطهرة، بحجة الخوف من وقوع الناس في اعتقاد الوجوب بتلك السنة، وكلّ منهما وقتئذ كان مرجعاً للأمر الديني.

ولعلّ من قال: إنّ الناس قد جمعت الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فوجدوا أصوبها وأدّلها على علم صاحبها: قد تكون هنا كلمة «فتاوى» أبي بكر وعمر، كما في منهاج السنة [٣ : ١٢٨] أو من قال: إنّ عمر أفقه وأعلم الصحابة في زمانه على الإطلاق، كما في الفصل [٤ : ١٣٦] لابن حزم، قد أحاطوا بأسرار تلك الكراهية، أو تلك الخشية، وأدركوا مفادها، وكذا جميع من لفّ لفهم من الذين جاؤا بالأخبار والآثار والأقوال التي تنمّ عن فضل علم الشيخين على علم علي عليه السلام، فإنّهم بطبيعة الحال قد أدركوا مغزاها ووصلوا إلى كنيّتها ما لم يبلغه كثير من الناس، ولكن.... ليتني.... ب....

اجتهاد الخليفة في قراءة الصلاة

ولنعطف على ذلك كلّ ما هو أعجب من هذا، وذلك ممّا ذكره ابن حجر في فتح الباري [٣ : ٦٩] عن عبد الرحمن بن حنظلة بن الراهب: أنّ عمر بن الخطاب صلّى المغرب، فلم يقرأ في الركعة الأولى، فلمّا كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرّتين، فلمّا فرغ وسلّم، سجد سجدة السهو.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى [٢ : ٣٨٢] بلفظ: صلّى بنا عمر بن الخطاب، فلم يقرأ في الركعة الأولى شيئاً، فلمّا قام في الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وسورة، ثمّ عاد فقرأ فاتحة الكتاب وسورة، ثمّ مضى، فلمّا فرغ من صلاته سجد سجدة بعدها سلّم.

وفي لفظ: سجد سجدة، ثمّ سلّم.

وذكره السيوطي في جمع الجوامع، كما في كنز العمال [٤ : ٢١٣] باللفظ

الثاني، نقلاً عن جمع من الحفاظ.

وأخرج البيهقي أيضاً في السنن [٢ : ٣٤٧ و ٣٨١] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عمر بن الخطاب كان يصلي بالناس المغرب، فلم يقرأ فيها، فلما انصرف قيل له: ما قرأت، قال: فكيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً، قال: فلا بأس إذن.

قال البيهقي: قال الشافعي: وكان أبو سلمة يحدث به بالمدينة، وعند آل عمر، لا ينكره أحد. والإسناد صحيح. رجاله كلهم ثقات. وحكاية السيوطي عن مالك، وعبد الرزاق، والنسائي في جمع الجوامع، كما في ترتيبه [٤ : ٢١٣].

وأخرج البيهقي في سننه الكبرى أيضاً [٢ : ٣٨٢] ورواه المتقي الهندي في كنز العمال [٤ : ٢١٣] عن إبراهيم النخعي أن عمر بن الخطاب صلى بالناس المغرب، فلم يقرأ شيئاً حتى سلم، فلما فرغ قيل له: إنك لم تقرأ شيئاً، قال: إنني جهّزت عبيراً إلى الشام، فجعلت أنزلها منقلة منقلة، حتى قدمت الشام، فبعيتها وأقتابها وأحلاسها وأحمالها، فأعاد عمر وأعادوا.

وعن الشعبي أن أبا موسى الأشعري قال لعمر بن الخطاب: أقرأت في نفسك؟ قال: لا، فأمر المؤذن فأذّنوا وأقاموا، وأعاد الصلاة بهم.

لعل القارئ مثلي لا يبلغ ما بلغه الخليفة من العلم، في تركه قراءة الفاتحة في الركعة الأولى، وقراءتها مرتين في الركعة الثانية، واحتياطة تارة فأمر باستئذان الأذان والإقامة وإعادة الصلاة، وتارة اقتصر على حسن ركوعه وسجوده فيها، ونحن لا نشك لو صدقت هذه الروايات في أن ذلك كله من غوامض العلوم، التي لا ينالها إلا خواص الخواص، دون فقهاء الأمة فضلاً عن عوامها، أو عن أناس يرون ذلك مصداق قول من قال: علم كل ذي حس علم ضروري، إن الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند علي من العلم، كما في الفصل [٤ : ١٣٦].

ولكن ما عسى أن يقال لأولئك الذين ينحتون تلك الدعاوي الفارغة سوى

قولنا «يا ليت الأحلام قد صدقت» فإنّ اعترافات عمر وبخوع عدّة من وجوه الصحابة بنبوغ علي في العلوم، وبراعته في الفنون، وفضله فيها على من سواه، ظلّت ثابتة شاهدة، قد أثبتتها وبثّها لفيف من المؤرّخين في كتبهم وزبرهم.

اعتراف الخليفة بفضل علي عليه السلام ولولاه لهلك

فهلّمّ معنا ان نخرج من تلك المزاعم الخياليّة، الرؤى المناميّة إلى عالم الملك والشهادة، الذي هتف فيه عمر بعباراته المتكررة في عدّة مواطن فمنها:

١ - قوله لولا علي لضلّ عمر. تمهيد الباقلاني [ص ١٩٩].

٢ - قوله اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب. التذكرة سبط ابن الجوزي [ص ١٥٧].

٣ - قوله: لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن.

وفي لفظ: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. المستدرک [١: ٤٥٧] وسيرة عمر [ص ١٠٦] لابن الجوزي، وارشاد الساري [٣: ١٩٥] للقسطلاني، وعمدة القاري [٤: ٦٠٦] للعيني، والجامع الكبير، كما في ترتيبه [٣: ٣٥] للسيوطي، والفتوحات الإسلاميّة [٢: ٤٨٦] لزيني دحلان، والغدير [٦: ١٠٣] للأميني.

٤ - قوله: اللهم لا تنزل بي شدّة إلا وأبو الحسن إلى جنبي. الرياض النضرة [٢: ٥٠ و ١٩٤] وذخائر العقبى [ص ٨٢] كلاهما للطبري، والكفاية [ص ٥٧] للشنقيطي، والغدير [٦: ١٠٤] للأميني.

٥ - قوله: كاد يهلك ابن الخطّاب لولا علي بن أبي طالب. الكفاية [ص ٩٦] للمحافظ الكنجي الشافعي، والفصول المهمّة [ص ١٨] لابن الصّبّاع.

٦ - قوله: أعوذ بالله من معضلة لا عليّ بها. نور الأبصار [ص ١٩] للشبلنجي.

٧ - قوله: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب. كتاب الأذكياء [ص ١٨] والأخبار

اعتراف الخليفة بفضل علي(ع) ١٦٧

الظراف [ص ١٩] كلاهما لابن الجوزي، والرياض النضرة [٢: ١٩٧] وذخائر العقبي
[ص ٨٠] كلاهما للطبري، والتذكرة [ص ٨٧] لسبط ابن الجوزي، ومناقب
الخوارزمي [ص ٦٠] والغدير [٦: ١٢٦].

٨ - قوله: يا أبا الحسن أنت لكل معضلة تدعى. العرائس [ص ٢٣٢ - ٢٣٩]
لأبي إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة [٤٢٧] أو [٤٣٧] والغدير [٦: ١٤٨].

٩ - قوله: يا أبا الحسن لا أبقاني الله لشدة لست لها، ولا في بلد لست فيه. كنز
العمال [٣: ١٧١٩] ومصباح الظلام [٢: ٥٦] للجرداني، والغدير [٦: ١٧٢].

١٠ - قوله: يا ابن أبي طالب فما زلت كاشف كل شبهة. وموضح كل حكم. كنز
العمال [٣: ١٧٩] والغدير [٦: ١٧٤].

١١ - قوله: لولاك لافتضحنا. صحيح البخاري. في كتاب الحج، باب كسوة
الكعبة وسنن أبي داود [١: ٣١٧] وسنن ابن ماجه [٢: ٢٦٩] وسنن البيهقي [٥:
١٥٩] وفتوح البلدان [ص ٥٥] للبلاذري، وشرح النهج [٢: ٢٠١] والرياض النضرة
[٢: ٢٠] وربيع الأبرار للزمخشري [٤: ٢٦ ط بغداد] وفتح الباري [٢: ٣٥٨] لابن
حجر العسقلاني، وكنز العمال [٧: ١٤٥] والغدير [٦: ١٧٧].

١٢ - قوله: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن. الفضائل للامام أحمد
بن حنبل، والغدير [٦: ٢٤٧].

١٣ - قوله: عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك
عمر. الرياض النضرة [٢: ١٩٦] وذخائر العقبي [ص ٨٠] كلاهما للطبري، ومطالب
السؤول [ص ١٣] لمحمد بن طلحة الشافعي، ومناقب الخوارزمي [ص ٤٨].
والأربعين للفخر الرازي [ص ٤٦٦] والغدير [٦: ١١٠].

رأي الصحابة في علم أمير المؤمنين علي عليه السلام

قول ابن عباس:

قال رضي الله عنه: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر. الاستيعاب لابن عبد البر [٣: ٤١] والرياض النضرة [٢: ١٤٩].

وقال رضي الله عنه: علم النبي من علم الله، وعلم علي من علم النبي، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم الصحابة في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر. ينابيع المودة [٧٠].

وقال رضي الله عنه أيضاً: العلم ستة أسداس، لعلي خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى لهُو أعلم به منا. مناقب الخوارزمي [ص ٥٥]. وفرائد السمطين [١: ٣٦٩].

قول ابن مسعود:

قال رضي الله عنه: كنّا نتحدّث أنّ أقصى أهل المدينة علي. المستدرک [٣: ٤١] وأسنى المطالب للجزري [ص ١٤] والصواعق لابن حجر [ص ٧٦].
وقال أيضاً: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً، وعلي أعلمهم بالواحد منها، كنز العمال [٥: ١٥٦ و ٤٠١] نقلاً عن غير واحد من الحفاظ.

وقال أيضاً: أعلم بالفرائض علي بن أبي طالب الاستيعاب [١: ٤١] والرياض النضرة [٢: ١٩٤].

وقال أيضاً: أفرض أهل المدينة وأقضاها علي. الرياض النضرة [٢: ١٩٨] وتاريخ الخلفاء للسيوطي [ص ١١٥].

رأي الصحابة في علم علي (ع) ١٦٩

وقال أيضاً: إِنَّ القرآن أنزل على سبعة احرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإنَّ علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن. مفتاح السعادة [١ : ٤٠٠] والغدير [٣ : ٩٩].

قال عدي بن حاتم في خطبة له: واللَّه لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنَّه - يعني علياً - لأعلم الناس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنَّه لأخو نبيِّ الله، والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى العقول والنحائز إنَّه لأشدَّ الناس عقلاً وأكرمهم نحيزة. جمهرة خطب العرب [١ : ٢٠٢]. النحيزة: الطبيعة.

قال أبو سعيد الخدري: أقضاهم علي. فتح الباري لابن حجر [٨ : ١٣٦].
قالت عائشة: علي أعلم الناس بالسنة. الاستيعاب [٣ : ٤٠] هامش الاصابة،
الرياض النضرة [٢ : ١٩٣] مناقب الخوارزمي [ص ٥٤]. الصواعق [ص ٧٦] تاريخ
ال خلفاء [ص ١١٥].

سئل عطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا والله ما أعلمه.
الاستيعاب [٣ : ٤٠] الفتوحات الإسلامية [٢ : ٣٣٧].

وقال سعيد بن المسيب: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو
الحسن. المناقب للإمام أحمد. الاستيعاب لابن عبد البر في هامش الإصابة [٣ :
٣٩] صفة الصفوة لابن الجوزي [١ : ١٢١] الإصابة [٢ : ٥٠٩] الرياض النضرة [٢ :
١٩٤] الصواعق لابن حجر [ص ٧٦] فيض القدير للمناوي [٤ : ٣٥٧].

قال معاوية: كان عمر إذا اشكل عليه شيء أخذ من علي. الرياض النضرة
[٢ : ١٩٤] مطالب السؤول [ص ٣٠].

وقال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلا علي بن
أبي طالب.

قال علي عليه السلام: إنَّ رسول الله ﷺ أسرَّ إلي ألف حديث، وفي كل حديث ألف
باب، وفي كل باب مفتاح، وإني أعلم بهذا العلم. ينابيع المودة [ص ٧٢].

وقال ﷺ: سلوني، والله ما تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم، أبليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل. الاتقان [٢ : ٣١٩] تهذيب التهذيب [٧ : ٣٣٨] فتح الباري [٨ : ٤٨٥] كلاهما لابن حجر، عمدة القاري للعيني [٩ : ١٦٧] مفتاح السعادة [١ : ٤٠٠] ينابيع المودة [ص ٧٤].

أضف إلى تلكم الأقوال والكلمات أحاديث لا يشك في صدورها عن مصدر النبوة ومنبع الرسالة ﷺ، وهي قاطعة بأنه ليس لأي أحد من الصحابة أن يوازي أبا العترة الطاهرة ويضاهيه، أو أن يقرب منه في شيء من العلم، والكرم، والزهد، والشجاعة، والوفاء، والبراعة، وغير ذلك من الصفات المحمودة، والشمائل المرضية، والأخلاق الراقية، كما أخرجها جمع من أعلام الأمة، وأعظم المحدثين في مدوناتهم ومؤلفاتهم. فضلاً عن أن يفوقه في شيء، كما تفوّه به البطّالون من الكلمات الفارغة، والآراء الزائغة ما تضادّ نداء المشرع الأعظم، فمن ذلك:

قوله ﷺ للطاهرة المطهرة: زوّجتك خير أمتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً. أخرج الخطيب، والسيوطي في جمع الجوامع، كما في ترتيبه [٦ : ٣٩٨].

٢ - وقوله ﷺ لها: أما ترضين أنّي زوّجتك أول المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً. أخرج المتقي الهندي في كنز العمال [٦ : ١٣].

٣ - قوله ﷺ لها: إنّه لأول أصحابي إسلاماً - أو أقدم أمتي سلماً - وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. أخرج الإمام أحمد في مسنده [٥ : ٢٦] وابن عبد البر في الاستيعاب [٣ : ٣٦] والطبري في الرياض النضرة [٢ : ١٩٤] والهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ١٠١ و ١١٤] والحلي في سيرته [١ : ٢٨٥] والدحلان في سيرته المطبوع في هامش السيرة الحلبية [١ : ١٨٨].

ما ورد في علم علي (ع) ١٧١

٤ - قوله ﷺ: أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب. أخرجه الديلمي عن سلمان، وذكره الخوارزمي في كتابيه المناقب [ص ٤٩] ومقتل الحسين [ص ٤٣] والمتقي الهندي في كنز العمال [٦: ١٥٣].

٥ - قوله ﷺ: علي وعاء علمي، ووصيي، وبابي الذي أوتي منه. راجع شمس الأخبار [ص ٣٩] وكفاية الكنجي [ص ٧٠ و ٩٣].

٦ - قوله ﷺ: علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي. أخرجه الديلمي عن أبي ذر، كما في كنز العمال [٦: ١٥٦]. وفي كشف الخفاء [١: ٢١٤].

٧ - قوله ﷺ: علي خازن علمي. شرح النهج لابن أبي الحديد [٢: ٤٤٨].

٨ - قوله ﷺ: علي عيبة علمي. شرح النهج [٢: ٤٤٨] الجامع الصغير، وجمع الجوامع كلاهما للسيوطي، كما في ترتيبه [٦: ١٥٣] مصباح الظلام [٢: ٥٦] شرح العزيزي [٢: ٤١٧] حاشية شرح العزيزي للحفني [٢: ٤١٧].

٩ - قوله ﷺ: أقضى أمتي علي. مصباح البغوي [٢: ٢٧٧] الرياض النضرة [٢: ١٩٨] مناقب الخوارزمي [ص ٥٠] فتح الباري لابن حجر [٨: ١٣٦] بغية الوعاة [ص ٤٤٧].

١٠ - قوله ﷺ: يا علي أخصمك بالنبوة، ولا نبوة بعدي، وتخصم بسبع - إلى أن عد منها: - وأعلمهم بالقضية. وفي لفظ: وأبصرهم بالقضية. أخرجه أبو نعيم في الحلية [١: ٦٦] الرياض النضرة [٢: ١٩٨] مطالب السؤول [ص ٣٤] تاريخ ابن عساكر، وكفاية الكنجي [ص ١٣٩] كنز العمال [٦: ٥١٣].

١١ - قوله ﷺ: قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً. حلية الأولياء [١: ٦٥] أسنى المطالب للحافظ الجزري [ص ١١٤].

وخلاصة القول: أن الذي بلغ منزلة الأنبياء وإن لم يكن نبياً لا يشك أحد من ذوي العقول في أنه لا يكون دون غيره في العلوم والمعارف؛ إذ مقام النبوة منتهى

كل مقام، كما هو معلوم على الإطلاق.

فأي مسلم قرع سمعه حديث المنزلة ولم يدعن له بالتسليم؟ وعلى ذلك تضافرت الأحاديث المتواترة مشيرة إلى فضل علي حتى بلغ به المقال غايته ومنتهاه، بأن يشبهه النبي بالأنبياء في علمه، وحلمه، وفهمه، وحكمته، وزهده، وتقواه، وبطشه، كما أثبتته الحفظة وأساطين المحدثين في مؤلفاتهم ومدوناتهم. فمنها:

١ - ما أخرجه الإمام أحمد كما في الغدير [٣ : ٣٥٥] قوله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته، وإلى محمد في تمامه وكمالته، فلينظر إلى هذا المقبل، فتناول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب، كأنما ينقلع من صلب، وينحط من جبل.

٢ - أخرج البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، المتوفى سنة (٤٥٨) في فضائل الصحابة بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

٣ - أخرج الحافظ أحمد بن محمد العاصمي في كتابه زين الفتى في شرح سورة هل أتى، بإسناده، من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العباسي، عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب. وفي لفظ: وإلى يحيى بن زكريا في زهده.

٤ - أخرج الخوارزمي المتوفى سنة (٥٦٨) بإسناده في المناقب [ص ٤٩] من طريق البيهقي عن أبي الحمراء بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر

إلى علي.

٥- وأخرج في [ص ٣٩] من طريق ابن مردويه، عن الحارث الأعور، صاحب راية علي بن أبي طالب، قال: بلغنا أن النبي ﷺ كان في جمع من أصحابه، فقال: أيكم آدم في علمه، ونوح في فهمه، وإبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع أن طلع علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخ بخ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: ألا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: بخ بخ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن.

٦- روى أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة (٦٥٢) في كتابه مطالب السؤول نقلاً عن كتاب فضائل الصحابة للبيهقي بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

٧- وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢: ٢٣٦] قال: روى المحدثون عنه ﷺ أنه قال: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزته، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

وروى في [ص ٤٤٩] من طريق أحمد والبيهقي.

٨- وأخرج الحافظ الكنجي الشافعي، المتوفى سنة (٦٥٨) في كتابه كفاية الطالب [ص ٤٥] بإسناده عن ابن عباس، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس في جماعة من أصحابه، إذ أقبل علي، فلما بصر به رسول الله ﷺ قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

٩- روى الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري، المتوفى سنة (٦٩٤) في كتابه الرياض النضرة [٢: ٢١٨] بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح

في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

١٠- وأخرج أيضاً عن ابن عباس بلفظ: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى يوسف في جماله، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

١١- أخرج شيخ الاسلام الحموي المتوفى سنة (٧٢٢) في فرائد السمطين [١٧٠ : ١] بلفظ الطبري المذكور بعدة أسانيد، من طرق الحاكم، والبيهقي، ما يقرب منه.

١٢- وروى القاضي عضد الدين الأيجي الشافعي، المتوفى سنة (٧٥٦) في كتابه المواقف [٣ : ٢٧٦] بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

١٣- التفتازاني الشافعي، المتوفى سنة (٧٩٢) قد أورد في كتابه شرح المقاصد [٢ : ٩٩] بلفظ القاضي الأيجي المذكور.

١٤- ابن الصبّاح المالكي، المتوفى سنة (٨٥٥) فقد روى في كتابه الفصول المهمة [ص ٢١] نقلاً عن كتاب فضائل الصحابة للبيهقي باللفظ المذكور.

١٥- السيّد محمد الألوسي المتوفى سنة (١٢٧٠) فقد روى في كتابه شرح العينية لعبد الباقي العمري [ص ٢٧] بلفظ البيهقي.

١٦- قال الصفوري في كتابه نزهة المجالس [٢ : ٢٤٠]: قال النبي ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى محمد في بهائه، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب. ذكره ابن الجوزي.

وفي حديث آخر ذكره الرازي في تفسيره: من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسى في صفوته،

فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

١٧- وأورد السيّد أحمد القادري خاني بلفظ البيهقي في كتابه هداية المرتاب

اص ١٤٦] وارجع في مصادر هذه الأحاديث إلى كتاب الغدير [٣: ٣٥٥ - ٣٦٠].

وإلى ذلك أشار المفجع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب

النحوي المصري أوحدي من رجالات العلم والحديث، وواسطة العقد بين أئمة

اللغة والأدب، المشهور بأشعاره ومؤلفاته القيّمة، المذكور اسمه في كتب أعلام

الائمة، قائلاً، كما في الغدير [٣: ٣٥٣]:

قم ذميماً إلى الجحيم خزيّاً

مذوداً عن الهدى مزويّاً

وفطيماً وراضعاً وغذيّاً

لم شرح الأسماء والمكنيّاً

ير في الفلك إذ علا الجوديّاً

أيّها اللائمى بحبّي عليّاً

أبخير الأنام عرضت لا زلت

أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً^(١)

كان في علمه كآدم إذ عُ

وكنوح نجا من الهلك من سد

وله أيضاً:

سبق الحاضرين والبدويّاً

ماعيل شبه ما كان عني خفيّاً

سبة إذ شاد ركنها المبنيّاً

له إذ يغسلان منها الصفيّاً

نام عن سطحها المثل الجثيّاً

كساد يناد تحته مشنيّاً

صنوه ما أجلّ ذاك رُقيّاً

سبة ينفي الأرجاس عنها نفيّاً

وعليّ لما دعاه أخوه

وله من أبيه ذي الأيدي اسد

إنّه عاون الخليل على الكعد

ولقد عاون الوصيّ حبيب الدّ

رام حمل النبيّ إذ يقلع الأصـ

فحناه ثقل النبوة حتّى

فارتقى منكب النبيّ عليّ

فأمّاط الأوثان ظاهر الكعد

ولو انّ الوصيّ حاول مسّ الد
أفهل تعرفون غير عليّ
وله أيضاً:

لم يكن أمره بدوحات خ
إنّ عهد النبيّ في ثقله
نصب المرتضى لهم في مقام
علماً قائماً كما صدع الب
قال هذا مولى لمن كنت مولا
وال يا ربّ من يواليه وانصر
إنّ هذا الدعا لمن يتعدّى
لا يبالي أ مات موت يهود
من رأى وجهه كمن عبد الله
كان سؤل النبيّ لم تمنى
إذ دعا الله أن يسوق أحبّ
فإذا بالوصيّ قد قرع البا
فثناه عن الدخول مراراً
وذخيراً لقومه وأبى الرح
ورمى بالبياض من صدّ عنه

جـم بالكفّ لم يجده قصيّا
وابنه استرحل النبيّ مطيّا

مّ مشكلاً عن سبيله ملويّا
حجّة كنت عن سواها غنيّا
لم يكن خاملاً هناك دنيا
در تماماً دجنّة أو دجيا
ه جهاراً يقولها جهوريّا
ه وعاد الذي يعادي الوصيّا
راعياً في الأنام أم مرعيّا
من قلاه أو مات نصرانيّا
مديم القنوت رهبانيّا
حين أهدوه طائراً مشويّا
الخلق طراً إليه سوقاً وحيّا
ب يريد السلام ربّانيّا
أنس حين لم يكن خزرجيّا
ـمان إلّا إمامنا الطالبيا
وحبا الفضل سيّداً أريحيّا

نظرة إلى ما يتبع من الشعر

لا يخفى على من ألمّ بشيء من العلم، أو وقف على شيء من التاريخ، أن
في ضمن هذه الأبيات بكلّ مفرداتها إشارات تلفت قارئها إلى ما مضى من المآثر
العظيمة، والمناقب الجليلة، التي تدلّ على سعة باع الناظم بالمعالم التاريخيّة،

وتعرب عن عظيم إحاطته بالمعارف الدينيّة، من علمي الكتاب والسنة، ونباغته في الفنون الأدبيّة.

ارتقاء علي عليه السلام على منكب الرسول (ص) لكسر الأصنام

وقد ظهر لنا من بين تلك الأبيات بيتٌ أوعز به إلى إشارة قيمة، شدّ أن تسمعها أذن، مع أنّها كانت قديماً وحديثاً ماثورة في صحائف كتب أمة من الحفظة، وأئمة الحديث والتاريخ، وتلقّتها أعلام القوم قرناً عن قرن، حتّى وصلت إلى رجال التأليف في القرون المتأخّرة، وذكروها في كتبهم. ألا وذلك في قوله:

فارتقى منكب النبيّ عليّ
صنوه ما أجلّ ذاك رقيّاً

لقد أشار رحمه الله إلى ما ورد عن علي عليه السلام قال: انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام، فقال: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثمّ صعد رسول الله ﷺ على منكبي، ثمّ قال: انهض بي إلى الصنم، فنهضت به، فلمّا رأى ضعفي تحته، قال: اجلس، فجلست وأنزلته عني، وجلس لي رسول الله ﷺ ثمّ قال لي: يا علي اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه.

ثمّ نهض بي رسول الله ﷺ، فلمّا نهض بي خيل لي أني لو شئت نلت افق السماء، وصعدت على الكعبة، وتنحّى رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موطداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله ﷺ: عالجه فعالجته، فما زلت أعالجه ورسول الله ﷺ يقول: إيه إيه إيه، فلم أزل أعالجه حتّى تمكّنت منه، فقال: دقّه فدقّته وكسّره ونزلت.

وفي لفظ: قال رسول الله ﷺ: اقذف به، فكدّفت به، فتكسّر كما تكسر القوارير، ثمّ نزلت.

وفي لفظ: ونزوت من فوق الكعبة.

عن ابن عباس قال: قال النبيّ ﷺ لعلي: قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة

لنكسره، فقاما جميعاً، فلما أتياه قال له النبي ﷺ: قم على عاتقي حتى أرفعك إليه. فأعطاه عليّ ثوبه، فوضعه رسول الله على عاتقه، ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ عليّ الصنم وهو من نحاس، فرمى به من فوق الكعبة كأنما كان له جناحان.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلنا مع النبي ﷺ مكة، وفي بيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً، فأمر بها النبي ﷺ فألقيت كلها لوجوهها، وكان عليّ البيت صنم طويل، يقال له: هبل، فنظر النبي ﷺ إلى عليّ، وقال له: يا عليّ تركب عليّ أو أركب عليك؟ لألقي هبل عن ظهر الكعبة، قلت: يا رسول الله بل تركبني، فلما جلس عليّ ظهري، لم أستطع حمله لثقل الرسالة، فضحك رسول الله ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الاسراء: ٨١].

أخرج هذه الأثرية جمع من أئمة الحديث والتأريخ، وإليك جملة منهم، كما في الغدير [٧: ٩ - ١٣].

- ١ - أسباط بن محمد القرشي، المتوفى سنة (٢٠٠) وروى عنه الإمام أحمد.
- ٢ - الحافظ أبو بكر الصنعاني، المتوفى سنة (٢١١) حكى عنه السيوطي.
- ٣ - الحافظ ابن أبي شيبه، المتوفى سنة (٢٣٥) حكاه عنه الزرقاني، والسيوطي.

- ٤ - الإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة (٢٤١) في مسنده [١: ٨٤] بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

- ٥ - ابن أحمد علي المازني، المتوفى سنة (٢٦٣) روى عنه النسائي

٦ - الحافظ أبو بكر البزار، المتوفى سنة (٢٩٢) كما في ينابيع المودة [ص

١٩٣].

٧ - ابن شعيب النسائي، المتوفى سنة (٣٠٣) في الخصائص [ص ٣١].

٨ - أبو يعلى الموصلي، المتوفى سنة (٣٠٧) في مسنده.

٩ - أبو جعفر الطبري، المتوفى سنة (٣١٠) كما في جمع الجوامع للسيوطي.

١٠ - أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة (٣٠٦) كما في تاريخ الخميس

للدياربكري المالكي.

١١ - الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٥) في المستدرک [٢ : ٣٦٧]

وصححه.

١٢ - أبو بكر الشيرازي، المتوفى سنة (٤٠٧) في كتابه نزول القرآن، من طريق

جابر بن عبد الله.

١٣ - محمد بن أحمد العاصمي، المتوفى سنة (٤٠٧) في كتابه زين الفتى في

شرح سورة هل أتى.

١٤ - أبو نعيم الاصفهاني، المتوفى سنة (٣٤٠) وروى عنه الخطيب إملأء.

١٥ - أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة (٤٥٨) ومن طريقه الخوارزمي.

١٦ - الخطيب البغدادي، المتوفى سنة (٤٦٣) في تأريخه [١٣ : ٣٠٢].

١٧ - ابن المغازلي، المتوفى سنة (٤٨٣) في مناقبه [ص ٢٠٢] من طريق أبي

هريرة.

١٨ - الخوارزمي، المتوفى سنة (٥٦٨) في مناقبه [ص ٧٣] من طريق البيهقي

والحاكم.

١٩ - ابن الجوزي، المتوفى سنة (٥٩٧) في كتابه صفة الصفوة [١ : ١١٩].

٢٠ - الحافظ رضي الدين الحاكمي في كتابه الأربعين في فضائل علي.

٢١ - الحافظ أبو عبد الله ابن النجار، المتوفى سنة (٦٤٣) كما في كفاية

١٨٠ المقتطفات ج ١

الطالب للكنجي.

٢٢- ابن طلحة الشافعي، المتوفى سنة (٦٥٢) في كتابه مطالب السؤول [ص ١٢].

٢٣- سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة (٦٥٤) في كتابه تذكرة الخواص [ص ١٧].

٢٤- الحافظ الكنجي، المتوفى سنة (٦٥٨) في كتابه كفاية الطالب [ص ١٢٨].

٢٥- محب الدين الطبري، المتوفى سنة (٦٩٤) في الرياض النضرة [٢ : ٢٠٠].

٢٦- ابن النقيب أبو عبد الله جمال الدين، المتوفى سنة (٦٩٨) في تفسيره والعبر.

٢٧- الحموي شيخ الإسلام، المتوفى سنة (٧٢٢) في فرائد السمطين [١ : ٢٤٩].

٢٨- شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة (٧٤٨) في تلخيص المستدرک.

٢٩- الحافظ الزرندي، المتوفى سنة (٧٥٠) في نظم درر السمطين [ص ١٢٥].

٣٠- السيوطي، المتوفى سنة (٩١١) في الجامع الكبير كما في ترتيبه [٢ : ٤٠٧].

٣١- القسطلاني، المتوفى سنة (٩٢٣) في المواهب اللدنية [١ : ٢٠٤].

٣٢- الحلبي الشافعي، المتوفى سنة (١٠٤٤) في السيرة الحلبية [٣ : ٩٧].

٣٣- الديار بكري، المتوفى سنة (٩٦٦) أو (٩٨٢) في تاريخ الخميس [٢ : ٩٥].

٣٤- الزرقاني المالكي، المتوفى سنة (١١٢٢) في شرح المواهب [٢ : ٣٣٦].

٣٥- السيد زيني دحلان، المتوفى سنة (١٢٣٢) في السيرة النبوية [٢ : ٢٩٣].

٣٦- الألوسي، المتوفى سنة (١٢٧٠) في شرح العينية [ص ٧٥].

٣٧- القندوزي خواجه كلان، المتوفى سنة (١٢٩٣) في ينابيع المودة [ص ١٩٣].

٣٨- الشيخ أبو بكر بن محمد الحنفي، المتوفى سنة (١٢٧٠) في قرّة العيون المبصرة [١ : ١٨٥].

٣٩- القراغولي السيّد محمود الحنفي في جوهرة الكلام [ص ٥٥ - ٥٩].

عود إلى أحاديث الغلو

لنعد إلى الأحاديث الغريبة، والأقوال العجيبة، البعيدة عن مستوى الحقيقة، الناشئة عن مزعمة قوم صدّتهم عصبيتهم، وأمالتهم عاطفتهم عن وجه السداد إلى ما يخالف الأمر الواقع بين الملأ.

منها: ما قاله ابن عمر: كنّا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيّر أبا بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان رضي الله عنهم.

أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ. وذكر في باب مناقب عثمان، قال ابن عمر: كنّا في زمن النبي ﷺ لا نعدّل بأبي بكر أحداً، ثمّ عمر، ثمّ عثمان ثمّ نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. وبهذا اللفظ حكاه الحافظ العراقي عن الصحيحين في طرح التثريب [١ : ٨٢].

وأخرج في تأريخه [١ : ١٤] بلفظ: كنّا في عهد النبي ﷺ وبعده نقول: خير أصحاب النبي ﷺ أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان.

وأخرج ابن داود، والطبري، عن ابن عمر: كنّا نقول ورسول الله ﷺ حيّ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره. ذكره ابن حجر في فتح الباري [٧ : ١٣] والحافظ العراقي في طرح التثريب [١ : ٨٢].

وروى ابن سليمان في فضائل الصحابة، من طريق سهل بن أبي صالح، عن أبيه، عن ابن عمر: كنّا نقول: إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان استوى الناس، فيسمع النبي ﷺ ذلك فلا ينكره. فتح الباري [٢: ١٣].

وفي لفظ البزار: كنّا نقول في عهد النبي ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان - يعني بالخلافة - تاريخ ابن كثير [٧: ٢٠٥].

وفي لفظ الترمذي في صحيحه [٢: ١٣ و ١٦١]: كنّا نقول ورسول الله ﷺ

حيّ.

وفي لفظ البخاري قسم الأول [ص ٤٩]: كنّا نقول في زمن النبي ﷺ: من يلي هذا الأمر بعد النبي؟ فيقال: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم سكت. انتهى.

نقول: ربّما لاحت من خلال هذه الكلمات المركّبة في تلك الأقوال لمن توقّف فيها معتبراً لمعة من نور الرشيد تشير إلى أنّ مفاد قول القائل ومرماه، هو عدم رضاه بأن يفضّل أحد على أحد من أولئك الثلاثة، حتّى زعم أنّ الناس جميعاً بعدهم سواء.

فهذا ممّا لا يشكّ في بطلانه أحد من أهل العلم، فضلاً عن أن يجعلوه أساس مبدئهم وعمدة مبانيهم في الأمور الدينيّة، لا سيّما بعد أن قرع أسماعهم هتاف الصادع الكريم في فضائل ابن عمّه، سيّد العترة المطهّرة ما ملأ بها الخافقين. وعلى ذلك لو كانت هذه المزعمة صادقة، أو كانت على تلك العبارة مسحة من الصّحّة لما أهملها وجوه الأمة، وذهل عنها أعيان الصحابة، حتّى لجأ بهم الخلاف إلى النزاع الشديد يوم السقيفة.

ومن طبيعة الحال أن يحتجّ بها أبو بكر وقتئذ. وكيف يكون رأي ابن عمر سديداً، بجعل الناس بعد الثلاثة سواءً، وفي أمّة محمّد أهل الكساء المطهرون، وغيرهم من رجال الفضائل والفواضل؟ كأبي ذرّ الذي قال فيه النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي، وابن سعد من طريق عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر نفسه،

وأبي الدرداء مرفوعاً: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذرّ.
وأخرج الترمذي بلفظ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة
أصدق ولا أوفى من أبي ذرّ، شبّه عيسى بن مريم، فقال عمر بن الخطاب كالحاسد:
يا رسول الله، أفتعرف ذلك له؟ قال: نعم، فاعرفوه.

رواه الحاكم في المستدرک [٣ : ٣٤٢، و ٤ : ٤٨٠] وصحّحه الذهبي، وابن
ماجة في سننه [١ : ٦٨] والترمذي في صحيحه [٢ : ٢٢١] والإمام أحمد في مسنده
[٢ : ١٦٣ و ١٧٥ و ٢٢٣] وابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٨٤] وابن حجر في الإصابة
[٢ : ٦٢٢] وابن الديبع في تمييز الطيب [ص ١٣٧] والمناوي في شرحه للجامع
الصغير [٥ : ٤٢٣] أخرجه على اختلاف ألفاظه. راجع الغدير [٨ : ٣١٢].

وفي الاستيعاب [٢ : ٦٦٤] قال ﷺ: أبو ذر في أمّتي على زهد عيسى بن
مريم. وفي [١ : ٨٤] أبو ذر في أمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده.

وفي لفظ: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فليُنظر إلى أبي ذر.
وقوله ﷺ: إن الله أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبّهم: علي، وأبو ذرّ،
والمقداد، وسلمان.

أخرجه الترمذي في صحيحه [٢ : ٢١٣] وابن ماجه في سننه [١ : ٦٦]
والحاكم في المستدرک [٣ : ١٣٠] وابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٥٥٧] وابن حجر
في الإصابة [٣ : ٤٥٥].

وقوله ﷺ: كما أخرجه البرّار من طريق أنس بن مالك مرفوعاً: الجنّة تشتاق
إلى ثلاثة: عليّ، وعمّار، وأبي ذر. رواه الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ٣٣٠] فقال:
إسناده حسن.

ثمّ لو كان الأمر كما زعمه ابن عمر، فلماذا قال أبو بكر لأهل السقيفة، بايعوا
أحد الرجلين؟ أو قوله: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، يعنى: عمر وأبا عبيدة
بن الجراح. ولماذا قال أبو بكر في خطبة له: أما واللّه ما أنا بخيركم، ولقد كنت

لمقامي هذا كارهاً؟ أو قوله: إني وليت عليكم ولست بخيركم.

ولماذا قال له طلحة بن عبيد الله حين استخلف عمر: ما تقول لربك وقد وليت فظاً غليظاً؟ ولماذا ندم أبو بكر في أواخر أيام خلافته: وددت أني يوم سقيفة بني ساعد، كنت قذفت الأمر في أحد عنق الرجلين؟ يعني عمر وأبا عبيدة بن الجراح، فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً. راجع تاريخ ابن عساكر [٧: ١٦٠].

ولماذا قال عمر لابن عباس: أما والله يا بني عبدالمطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر؟ راجع: المحاضرات للإصفهاني [٧: ٢١٣]. ولماذا قال عمر يوم طعن: لو كان سالم - بن معقل أحد الموالى - حياً ما جعلتها شورى؟

وفي لفظ الطبري: استخلفته.

ولماذا قال العباس عم النبي لأبي بكر: فإن كنت برسول الله طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين؟ إلى آخره. وإلى ذلك أشار الامام علي عليه السلام بقوله:

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فسغيرك أولى بالنبي وأقرب وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيب ولماذا قال عمر لأصحاب الشورى: لله درهم إن ولّوها الاصيلع - يعني علياً - أو قال: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح؟ راجع الأنساب للبلاذري [٥: ١٦] الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة عمر [٤: ٤١٩] فتح الباري لابن حجر [٧: ٥٥] شرح النهج لابن أبي الحديد [٣: ١٧٠].

ولماذا قال عمر: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح، ثم وليته، ثم قدمت على ربي، فقال لي: لم استخلفته على أمة محمد؟ لقلت: سمعت عبدك وخليتك يقول: لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح؟

ولماذا قال عمر: لو أدركت خالداً، ثم وليته، ثم قدمت على ربي، فقال لي: من استخلفت على أمة محمد؟ لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول لخالد: سيف من سيوف الله سلّه على المشركين؟ راجع: تاريخ ابن كثير [١٠٢: ٥].
أو قوله كما في طبقات ابن سعد [٣: ٢٤٨ ط ليدن]: لو أدركت أبا عبيدة لاستخلفته وما شاورت.

ولماذا قال الزبير: لو مات عمر لباعنت طلحة، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة؟ ولماذا أجابه الزبير يوم قال عمر: أكلكم يطمع بالخلافة بعدي؟ بقوله: ما الذي يبعدنا منها؟ وليتها انت فقمتم بها، ولسنا دونك في قریش، ولا في السابقة، ولا في القرابة؟ شرح النهج [١: ٦٢].

وشتان بين اختيار ابن عمر، وبين ما جاء عن أبي مليكة، قال: قيل لعائشة: من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر، قيل لها: ثم من؟ قالت: عمر، فتيل لها: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة، وانتهت إلى هذه. راجع صحيح مسلم [٤: ١٨٥٦ ط دار احياء التراث العربي] وتاريخ ابن عساكر [٧: ١٦١].

وشتان بين قوله، وبين قول أبيه لعلي يوم الغدير: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. كما أسلفنا ذكره.

وأين كان ابن عمر عن أناس كانوا يفضلون بلالاً الحبشي على أبي بكر، كما جاء به ابن عساكر في تاريخه [٣: ٣١٤] حتى قال بلال: كيف تفضلونني عليه، وإنما أنا حسنة من حسناته؟ وأين كان ما قاله ابن عمر من قول كعب بن زهير:

صهر النبي وخير الناس كلهم
وكل من رامه بالفخر مفخور
صلّى الصلاة مع الأمي أولهم
قبل العباد ورب الناس مكفور؟

وأين كان من قول ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منتقل
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلي لقبلتهم
وأعلم الناس بالآيات والسنن

الموصل إلى الإطلاع من وراء ستر رقيق على حقائق الأمور ودقائقها، كتقاعده من بيعة الإمام علي عليه السلام، كما ذكره ابن حجر في فتح الباري [٥: ١٦٣] وبيعته لمعاوية ولولده يزيد بعده، وبيعته لعبد الملك بن مروان، كما في نفس المصدر [١٣: ١٦٥]. ذكر الصعدي في كتابه جواهر الأخبار المطبوع في هامش البحر الزخار [٥: ٧١]: أنه لما تخلف ابن عمر عن بيعة الإمام علي عليه السلام أمر بإحضاره فأحضر، فقال له: بايع. قال: لا أباع حتى يبايع الناس، قال له علي: فأعطني حميلاً - أي كفيلاً - أن لا تبرح، قال: ولا أعطيك حميلاً، فقال الأشر: يا أمير المؤمنين، إن هذا أمن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه. قال عليه السلام: لست أريد منه على كره، خلّوا سبيله. فلما انصرف قال الإمام علي عليه السلام: وقد كان صغيراً وهو سيئ، الخلق، وهو في كبره أسوأ خلقاً.

وروي أن ابن عمر أتى الإمام علياً عليه السلام في اليوم الثاني، فقال له: بني لك ناصح، إن بيعتك لم يرض بها الناس كلهم، فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين، فقال الإمام علي عليه السلام: ويحك، وهل ما كان عن طلب مني؟ ألم يبلغك صنعهم بي؟ قم يا أحمق، ما أنت وهذا الكلام؟ فخرج، ثم أتى علياً آت في اليوم الثالث، فقال: إن ابن عمر قد خرج إلى مكة يفسد الناس عليك، فأمر الإمام بالبعثة في أثره، فجاءت أم كلثوم ابنته فسألته وضرعت إليه فيه، وقالت: يا أمير المؤمنين، إنما خرج إلى مكة ليقيم بها، وإنه ليس بصاحب سلطان، ولا هو من رجال هذا الشأن، وطلبت إليه أن يقبل شفاعتها في أمره لأنه ابن بعلها فأجابها وكف البعثة إليه، وقال: دعوه وما أراد. انتهى.

أليس من الواجب على الرجل أن يبايع علياً عليه السلام مع من يبايعه من السهاجرين والانصار من البدرتين وأصحاب الشجرة؟ بل ويقا تل معهم، كما يقا تل ويبايع أبا بكر من غير تقديمه الشرط الذي قدّمه إلى علي عليه السلام بقوله: لا أباع حتى يبايع الناس. ومن العجب أنه علم أن بيعة أبي بكر لم تنعقد إلا برجال كانوا يعدون

بالأنامل، كما مر ذكره.

قال ابن حجر في فتح الباري [٥٨٦ : ٧]: كانتبيعة علي عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة (٣٥) فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم، إلا معاوية في أهل الشام. انتهى.

فلعلهم كانوا هم المرادين والمعنيين بالناس باشتراط ابن عمر علي عليه السلام في البيعة، أو شردمة المعتزلة العثمانيين، كما ذكر في الغدير [١٤٣ : ٧] وهم: أسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وأبو موسى الأشعري، وأبو مسعود الأنصاري، وحسان بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، ومحمد بن سلمة، وبعض آخرون من ولاية عثمان على الصدقات وغيرها.

ولا أرى هذا الاشتراط إلا مهماً لدى الأمة، ولا له عند أئمة القوم المجتهدين وزناً في سوق الاعتبار.

قال القاضي عضد الدين الأيجي الشافعي في المواقف، المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة: إنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق بالإجماع، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد. إلى آخر ما قال.

قال الأميني في غديره [١٤١ : ٧]: وقد أقره شراحه، وهم: السيد الشريف الجرجاني، والمولى حسن چلبی، والشيخ محمود الشرواني. راجع شرح المواقف [٢٦٥ : ٣].

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية [ص ٤]: اختلفت العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد من كل بلد ليكون الرضا عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً. وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، ولم ينتظر في بيعته قدوم غائب.

وقالت طائفة أخرى: أقل ما تنعقد به منهم الإمامة، خمسة يجتمعون على

عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، استدلالاً بأمرين: أحدهما: أنَّ بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثمَّ تابعهم الناس فيها، وهم: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولّاها أحدهم برضا الاثنين، ليكونا حاكمين وشاهدين، كما يصحَّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين.

وقال إمام الحرمين الجويني، المتوفى سنة (٤٧٨) في الإرشاد [ص ٤٢٤] باب في الاختيار وصفته، وذكر ما تنعقد الإمامة به: اعلّموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجتمع الأمة على عقدها، والدليل عليه: أنَّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار. الى آخره.

قال الامام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي [١٣ : ٢٢٩]: لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه.

وقال القرطبي في تفسيره [١ : ٢٣٠]: فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد، فذلك ثابت ويلزم الغير فعله، خلافاً لبعض الناس، حيث قال: لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد، ودليلنا أنَّ عمر بن الخطاب عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

أقول: كأنَّ القرطبي قد خفي عليه من تخلف في بيت الزهراء عليها سلام الله حتّى جاءهم عمر بقبس من النار.

فإذا علمت ذلك فأَيّ عذر إذن لابن عمر وغيره، حتّى يعتذر به عن تقاعسه عن بيعة الإمام علي؟ ومتى اختلف في بيعته اثنان من رجال الحلّ والعقد وصلحاء الأمة؟ وأين هو من قوله صلى الله عليه وآله وسلّم فيما أخرجه مسلم في

صحيحه [١٤٧١ : ٣] وابن ماجه في سننه [٩٥٩ : ٢] وابن الديبع في تيسير الوصول [٣٥ : ٢] كلهم عن الشيخين، والإمام أحمد في مسنده [٢٩٧ : ٢]: ستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟، قال: فوالله ببيعة الأول فالأول.

ومن قوله ﷺ: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما. رواه مسلم في صحيحه [١٤٨٠ : ٣] والحاكم في المستدرک [١٥٦ : ٢] والبيهقي في سننه [١٤٤ : ٨] وابن حزم في الفصل [٨٨ : ٤] وابن ديبع في تيسير الوصول [١٥٦ : ٢].

وأين ابن عمر من قوله ﷺ: من بايع إماماً، فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. رواه مسلم في صحيحه [١٤٧٣ : ٣] والحاكم في المستدرک [١٥٦ : ٢] والبيهقي في سننه [٨ : ١٦٨] من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص.

قال النووي في شرح مسلم المطبوع في هامش إرشاد الساري [٤٣ : ٨]: قوله ﷺ: «فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» معناه: ادفعوا الثاني، فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقاتل فقاتلوه، فإن دفعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان؛ لأنه ظالم معتد في قتاله. انتهى.

فكيف يتقاعد عن القتال مع الإمام الظاهر، ويباع معاوية بعد مع هذه النصوص؟ قال عبد الله بن هاشم المرقال كما في كتاب صفين [ص ٤٠٥] لابن مزاحم: فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الأكباد.

وليته إن فاتته تلك النصوص كان يأخذ برأي أبيه في الاستخلاف، فقد سمعه يقول: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد، ثم في كذا وكذا. وليس فيها لطلق ولا لولد طلق ولا لمسلمة الفتح. راجع طبقات ابن سعد [٣ : ٢٤٨ ط ليدن] وفتح الباري [١٣ : ١٧٦] وأسد الغابة [٤ : ٣٨٧].

وقال أيضاً كما في الإصابة [٢ : ٣٠٥] لابن حجر: لا تختلفوا فيناكم إن

اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم. وإن هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء.

ولعل هذا الرأي من المتسالم عليه عند السلف، وبذلك احتج الإمام علي على معاوية في كتاب له كتب إليه بقوله: واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعقد لهم الإمامة، ولا يدخلون في الشورى. الإمامة والسياسة لابن قتيبة [١: ٨٥] والعقد الفريد لابن عبد ربه، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [١: ٢٤٨، و٣: ٣٠٠].

وكتب ابن عباس إلى معاوية: ما أنت وذكر الخلافة؟ وإنما أنت طليق ابن طليق، والخلافة للمهاجرين الأولين، وليس للطلاق منها شيء. الإمامة ولسياسة [١: ٨٥] وفي ط ص ٩٧ وفي شرح النهج [٢: ٢٨٩].

وفي لفظ: إن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان في الشورى، فما أنت واخلافة؟ وأنت طليق الإسلام، وابن رأس الأحزاب، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر. ومن كتاب لمسور بن محزمة إلى معاوية: إنك أخطأت خطأ عظيماً، وأخطأت مواضع النصر، وتناولتها من مكان بعيد، وما أنت والخلافة يا معاوية وأنت طليق وأبوك من الأحزاب، فكف عنا، فليس لك قبلنا ولي ولا نصير. الإمامة والسياسة [١: ٧٥، وفي ط ٨٥].

وعاتب عبدالرحمن بن غنم الأشعري الصحابي أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص لما انصرفا من عند علي رسولين لمعاوية، وكان مما قال لهما: عجبا منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به؟ تدعوان علياً إلى أن يجعلها شورى؟ وقد علمتما أن علياً قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأن من رضىه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه، وأي مدخل لمعاوية في الشورى؟ وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة، وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب. فندما على مسيرهما وتابا منه بين يديه. الاستيعاب في ترجمة عبدالرحمن [٢: ٤٠٢] وأسد

الغابة، والحاكم في المستدرك [١٥٦ : ٢] والبيهقي في سننه [١٦٨ : ٨] من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص.

ومن كلام لصعصعة بن صوحان يخاطب معاوية، كما في مروج الذهب للمسعودي [٧٨ : ١]: إنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ فأنتى تصحّ الخلافة لطلق؟

وفي منازعة لسعنة بن عريض الصحابي مع معاوية: منعت ولد الرسول ﷺ، وما هي؟ وأنت طليق ابن طليق.

وأين كان هو من قول قيس بن سعد بن عبادة أمير الخزرج في كتاب له إلى معاوية: أمّا بعد، فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك؟ ومن قوله: ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه؟

وفي لفظ: أمّا بعد، فإنّما أنت وثنيّ ابن وثنيّ، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدواً لله ولنبيّه وللمؤمنين من عباده. الى آخره. راجع: الكامل [١ : ٣٠٩] البيان والتبيين [٢ : ٦٨] تاريخ اليعقوبي [٢ : ١٦٣] عيون الأثر لابن قتيبة [٢ : ٢١٣] مناقب الخوارزمي [ص ١٧٣] شرح النهج [٤ : ١٥].

ومن قول معين بن يزيد بن الأحنس السلمي الصحابي، ممّن شهد بدر لمعاوية: ما ولدت قرشيّة من قريشي شرّاً منك. راجع: الإصابة لابن حجر [٣ : ٤٠]، و [١ : ٥٩].

وأين كان هو من قول عمّار بن ياسر يوم صفّين: يا أهل الإسلام، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله، وجاهداهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين؟ إلى أن قال: ألا فإنه معاوية، فالعنوه لعنه الله، وقاتلوه، فإنه ممّن يطفئ

نور الله، ويظاهر أعداء الله. راجع: تاريخ الطبري [٦: ٧] كتاب صفين لابن مزاحم
[ص ٢٤٠] الكامل لابن الأثير [٣: ١٣٦].

ومن قول عبدالله بن بديل يوم صفين: إن معاوية ادّعى ما ليس له، ونازع
الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم
بالأعراب والأحزاب، وزين لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم الفتنة، ولبس عليهم
الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم، وأنتم والله على نور من ربكم وبرهان مبين. إلى
أن قال: قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله، وقد قاتلتهم مع النبي ﷺ، والله
ما هم في هذه بأزكى ولا أنقى ولا أبرّ، قوموا إلى عدوّ الله وعدوّكم، رحمكم الله.
راجع: الغدير [١٠: ١٦٣] تاريخ الطبري [٦: ٩] كتاب صفين [ص ٢٦٣] الاستيعاب
في ترجمة عبدالله بن بديل، شرح ابن أبي الحديد [١: ٤٨٣] جمهرة الخطب
[١: ١٧٦].

هل خفي على الرجل هذه كلها أم لم يتأثر بها؟ كأنه يرى في مخالفتهم
مدخلاً للاجتهاد، فلو قيل: إن في مخالفته إيتاهم مجالاً للاجتهاد، فماذا يقول فيما
جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث الواردة في معاوية؟ أمن الممكن أنه لم يبلغه
شيء منها؟ كقوله ﷺ فيما ذكره ابن مزاحم في كتاب صفين [ص ٢٤٤] والأميني
في الغدير [١٠: ١٣٩] عن البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال
رسول الله ﷺ: اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس، فقال ابن البراء
لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية.

وفي تاريخ الطبري [١١: ٣٥٧]: قد رأى رسول الله ﷺ أبا سفيان مقبلاً على
حمار ومعاوية يقود به وابنه يزيد يسوق به، قال: لعن الله القائد، والراكب،
والسائق.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده [٤: ٤٢١] وأبو يعلى، وابن مزاحم في كتاب
صفين [ص ٢٤٦ ط مصر] من طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني من طريق ابن

ما ورد عن الرسول (ص) في معاوية ١٩٥

عبّاس: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر. وهو يقول:

لا يزال حوارى تلوح عظامه زوى الحرب عنه أن يجنّ فيقبرا
فقال النبي ﷺ انظروا من هما؟ قال: فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص، فرفع رسول الله يديه، فقال: اللهم اركسهما ركساً، ودعهما إلى النار دعاً.
وفي لفظ ابن عبّاس: اللهم اركسهما في الفتنة ركساً.
وفي تاريخ الطبري [١١ : ٣٥٧]: إنّ رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفجّ رجل من أمّتي يحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية.
وفي لفظ ابن مزاحم في كتاب صفين [ص ٢٤٧]: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت حين يموت على غير سنّتي.

وأخرج البلاذري في تأريخه الكبير مسنداً عن عبد الله بن عمرو قال: كنت جالساً عند النبي، فقال: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت يوم يموت على غير ملّتي. قال: وتركت أبي يلبس ثيابه، فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية. الغدير [١٠ : ١٤١].

وفي الحديث المرفوع المشهور فيما رواه الطبري في تأريخه [١١ : ٣٥٧] وابن مزاحم في كتاب صفين [ص ٢٤٣]: أنّه ﷺ قال: إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنّان يا منّان الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

وأخرج ابن مزاحم، وابن عدي، والعقيلي، والخطيب، والمناوي، من طريق أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

وفي لفظ: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه.
وفي لفظ: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه.

وفي لفظ أبي سعيد: فلم نفعل ولم نفلح.
وقال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا.

راجع: كتاب صفين [ص ٢٤٣ - ٢٤٨ ط مصر] تأريخ الطبري [١١ : ٣٥٧]
تاريخ الخطيب [١٢ : ١٨١] شرح ابن أبي الحديد [١ : ٣٤٨] كنوز الحقائق للمناوي
[ص ١٠] اللآلي المصنوعة للسيوطي [١ : ٤٢٤] تهذيب التهذيب لابن حجر
[٢ : ٤٢٨].

قال الأميني في غديره [١٠ : ١٤٣]: ذكره السيوطي في اللآلي [١ : ٤٢٤] -
[٤٢٥] بعدة طرق لابن عدي، والعقيلي، وزيفها، غير أن البلاذري أخرجه بغير تلکم
الطرق في تأريخه الكبير. قال: حدّثنا يوسف بن موسى، وأبو موسى إسحاق
الفروي، قال: حدّثنا جرير بن عبد الحميد، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد،
والأعمش، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري
فاقتلوه. فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم ينجحوا. ورجال الإسناد كلّهم من رجال
الصحاح الست.

وقال البلاذري، كما في الغدير [١٠ : ١٤٣]: حدّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل،
حدّثنا حجاج بن محمد، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة،
عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسل
السيف في عهد عمر حتّى نكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله يقول: إذا رأيتم
معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه، قالوا: ونحن سمعناه، ولكن لا نفعل حتّى
نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه، فلم يأتهم جواب حتّى مات. ورجال الإسناد من رجال
البخاري أو من رجال مسلم، أو من رجالهما جميعاً.

ومن قوله ﷺ فيما ذكره الأميني في غديره [٣ : ٢٥٧] نقلاً عن الخصائص [٢ :
١٣٩] وتطهير الجنان لابن حجر في هامش الصواعق [ص ١٤٥]: إن أول من يبدّل
سنّتي رجل من بني أميّة.

وقوله ﷺ: لا يزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد.

وقال: مسند رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه انقطاعاً.
أخرج ابن شعبة، وأبو يعلى: أن يزيد لما كان أبوه أمير الشام غزا المسلمون، فحصل لرجل جارية نفيسة، فأخذها منه يزيد، فاستعان الرجل بأبي ذرّ، فمشى معه إليه وأمره بردها ثلاث مرات، وهو يتلکأ، فقال أبو ذرّ: أما والله لئن فعلت فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول من يبدّل سنتي لرجل من بني أمية، ثم ولى، فتبعه يزيد فقال: أنا هو؟ فقال: لا أدري. فردّها يزيد.

قال ابن حجر في تطهير الجنان في هامش الصواعق [ص ١٤٥]: لا ينافي هذا الحديث المذكور المصرّح بيزيد، إلى أن قال: علم أبو ذرّ أنّه يزيد، ولكنّه لم يصّرّح له بذلك خشية الفتنة، لا سيّما وأبو ذرّ كان بينه وبين بني أمية أمور. إلى آخره.

أقول: ولو فرضنا على أن الرجل لم يبلغه شيء من تلك الأحاديث النبوية، فهل يخفى عليه ما ازدحمت به ساحة معاوية من بوائق وموبقات؟

معاوية والخمر

فاليك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٥ : ٣٤٧] من طريق عبد الله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفراش، ثم أوتينا بطعام، فأكلنا، ثم أوتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثم ناول أبي، فأبى، ثم قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ، ثم قال معاوية: كنت أجمل شباب قريش، وأجودهم ثغراً. وما شيء كنت أجده له لذّة كما كنت أجده، وأنا شابّ غير اللبن، أو إنسان حسن الحديث يحدثني.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه [٧ : ٢١١] من طريق عمير بن رفاعه، قال: مرّ

على عبادة بن الصامت وهو في الشام قطارة تحمل الخمر، فقال: ما هذه؟ أزيث؟ قيل: لا، بل خمر تباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له: أما تمسك عنا أخاك عبادة؟ أما بالغدوات فيغدو إلى السوق، فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقعد بالمسجد، فليس له عمل إلا شتم أعراضنا أو عيبتنا، فأمسك عنا أخاك، فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة، فقال له: يا عبادة، ما لك ولمعاوية؟ ذره وما حمل؛ فإن الله يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

قال: يا أبا هريرة، لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله، لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا بيثرب، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله ﷺ، وفي الله له بما بايع عليه نبيّه، فلم يكلمه أبو هريرة بشيء.

وأخرج أيضاً في [٧: ٢١٣] من طريق عمرو بن قيس، قال: إن عبادة أتى حجرة معاوية وهو بأنطراطوس - أنطراطوس: بلدة من سواحل بحر الشام - فألزم ظهره الحجرة، وأقبل على الناس بوجهه، وهو يقول: بايعت رسول الله ﷺ أن لا أبالي في الله لومة لائم، ألا إن المقداد بن الأسود قد غلّ بالأمس حماراً، وأقبلت أوسق من مال، فأشار إليها، فقال: أيها الناس، إنها تحمل الخمر، والله لا يحلّ لصاحب هذه الحجرة أن يعطيكم منها شيئاً، ولا يحلّ لكم أن تسألوه، وإن كانت مقبلة - يعني سهماً - في جنب أحدكم، فأتى رجل المقداد وفي يده قرصافة، فجعل يتلّ الحمار وهو يقول: معاوية، هذا حمارك شأنك به، حتى أورده الحجرة.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه، وابن مندة، وغيرهما، من طريق محمد بن كعب القرظي، قال: غزا عبدالرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشام، فمّرت به روايا خمر لمعاوية، فقام: إليها برمحه، فبقر كلّ راوية منها، فناوشه الغلمان حتّى بلغ شأنه معاوية، فقال: دعوه فإنّه شيخ قد ذهب عقله، فقال عبدالرحمن: كلاً واللّه ما ذهب عقلي، ولكن رسول الله ﷺ نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرًا، وأحلف باللّه لئن بقيت حتّى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله ﷺ لأبقرن بطنه، أو لأموتنّ دونه.

ذكره ابن حجر في الإصابة [٢: ٤٠١] ولخصه في كتابه تهذيب التهذيب [٦: ١٩٢] وابن عبد البر في الاستيعاب [٢: ٤٢٠] ملخصاً، وابن الأثير في أسد الغابة [٣: ٢٩٩] والأميني في غديره [١٠: ١٨١].

معاوية يأكل الربا

وأخرج مالك في الموطأ [٢: ٥٩] والشافعي في اختلاف الحديث [٧: ٢٣] والنسائي في سننه [٧: ٢٧٩] والبيهقي في سننه [٥: ٢٨٠] والأميني في غديره [١٠: ١٨٤] من طريق عطاء بن يسار: أنّ معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل، فقال معاوية: ما أرى به بأساً، فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها. ثمّ قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطّاب فذكر له ذلك، فكتب عمر إلى معاوية أن لا تبع ذلك إلا مثلاً بمثل، ووزناً بوزن.

وأخرج مسلم في صحيحه [١: ٦٩٢ ط بندوغ] والبيهقي في سننه [٥: ٢٧٧] والقرطبي في تفسيره [٣: ٣٤٩] والأميني في غديره [١٠: ١٨٤] من طريق أبي الأشعث، قال: غزونا غزاة، وعلى الناس معاوية، فغنمنا غنائم كثيرة، فكان فيما

غنمنا آنية من فضة، فأرسل معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس، فتسارع الناس في ذلك، فبلغ عبادة بن الصامت، فقام فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، إلا سواءً بسواء، عيناً بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، فرد الناس ما أخذوا.

فبلغ ذلك معاوية، فقام خطيباً، فقال: ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كنا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه. فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة، ثم قال: لنحدثن بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية. أو قال: وإن رغم معاوية، ما أبالي إن لا أصحابه في جنده في ليلة سوداء.

ترك التلبية خلافاً لـعلي عليه السلام

وأخرج النسائي في سننه [٥٣: ٥] والبيهقي في السنن الكبرى [١١٣: ٥] كما في الغدير [١٠: ٢٠٥] من طريق سعيد بن جبير، قال: كان ابن عباس بعرفة، فقال: يا سعيد، ما لي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت: يخافون معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه، فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاوية، اللهم عنهم فقد تركوا السنة من بغض علي.

قال السندي في تعليق سنن النسائي: من بغض علي، أي: لأجل بغضه. وفي كنز العمال [٥: ١٥٣] ط مؤسسة الرسالة عن ابن عباس قال: لعن الله فلاناً أنه كان ينهى عن التلبية في هذا اليوم يعني يوم عرفة؛ لأنّ علياً كان يلبّي فيه. ابن جرير كما في الغدير في نفس الصفحة.

أقول: لعل ابن عمر كان يغض بصره عمّا كان من أخبار معاوية ويزيد والحجاج، حتّى بايع معاوية وابنه، وكره أن يصلي وراء الإمام علي عليه السلام وراح يصلي

خلف الحجاج، فكان ذلك كله عملاً لتحقيق ما أرتآه أن الناس بعد الثلاثة سواء، كما أسلفناه في [ص ١٧١ - ١٧٢] من هذه الأسطورة، ممّا رواه بعض المحدثين في كتبهم، وتمسك به قوم، فجعلوه عمدة مبادئهم في التفضيل والمفاضلة بين وجوه الصحابة وكبرائهم.

نعم، إذ ليس من الغريب أن يتنكر عالم لما يعرف من الحقائق، فيبرزها بصورة غير صورتها، بل ومن السهل جداً أن يغمض عينيه عن واقع الأمر ومحاسن الأشياء وغيرها، كتصحيح السقيم، وتعليل الصحيح وتضعيف القويّ وعكسه، وإن اتّضح له بأن ذلك ممّا لا يسوغه ذو عقل كريم، وطبع سليم، ومنطق مستقيم، من ذوي الإنصاف والمروءة.

وراح بعضهم يلتمس الحجج الواهية لحطّ كرامة من يتعصّب عليه، وإعلاء مقام من يتعصّب له، انقياداً لداعية الهوى، أو رغبة في زخارف الدنيا. نسأل الله العافية من الزيغ والزلل، وممّا بطن في النفوس من موبقات الأمراض والعلل.

ومن العجب العجاب بعد ذلك كله بيعته ليزيد الذي أباح دماء مجاوري رسول الله ﷺ وأموالهم، فاستباحها ثلاثة أيام نهياً وقتلاً، حتّى قتل من حملة القرآن سبعمائة نفس، كما حكاه البلاذري في الانساب [٥ : ٤٢] وابن حجر في الإصابة [٣ : ٤٧٣] وابن كثير في البداية والنهاية [٨ : ٢٢١] والسمهودي في وفاء الوفاء [١ : ٩٣] وابن عبد البر في الاستيعاب [١ : ٢٥٨].

وحكى البلاذري: أنّه قتل بالحرّة من وجوه قريش، سبعمائة رجل وكسر، سوى من قتل من الأنصار، وفيهم ممّن صحب رسول الله ﷺ جماعة، وممّن قتل صبراً من الصحابة: عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وقتل معه ثمانية من بنيّه، ومعقل بن سنان الأشجعي، وعبد الله بن زيد، والفضل بن العباس بن ربيعة، وإسماعيل بن خالد، ويحيى بن نافع، وعبد الله بن عتبة، والمغيرة بن عبد الله، وعياض بن حمير، ومحمّد بن عمرو بن حزم، وعبد الله بن أبي عمرو، وعبيد الله

٢٠٢ المقتطفات ج ١

وسليمان ابنا عاصم. ونجى الله أبا سعيد، وجابرأ، وسهل بن سعد. راجع:

الاستيعاب [٢٥٨ : ١] الإصابة [٤٧٣ : ٣] أنساب البلاذري [٤٢ : ٥].

وقد جاء في قتلى الحرة عن رسول الله ﷺ، كما ذكره السهيلي في الروض

الأنث [١٨٥ : ٥]: إنهم خير أمتي بعد أصحابي. انتهى.

ثم بايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد ومن امتنع قتل، كما في الغدير [١٠ :

٣٥] نقلاً عن ابن حجر في لسان الميزان [٢٩٤ : ٦].

ووقعت بعد ذلك، كما في تاريخ ابن كثير [٢٢١ : ٨] والإتحاف [ص ٢٢

وفاء الوفاء [٨٨ : ١] جرائم وفجائع وطامات، حتى قيل: إنه قتل في تلك الأيام نحو

من عشرة آلاف إنسان سوى النساء والصبيان، وافتض فيها نحو ألف بكر، وحبلت

ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، ولما بلغ يزيد تلك الواقعة المخزية قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

قد قتلنا القرم من ساداتهم

فأهلوا واستهلوا فرحاً

لست من خندف إن لم أنتقم

لعبت هاشم بالملك فلا

جزع الخزرج من وقع الأسل

وعدلنا ميل بدر فاعتدل

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

من بني أحمد ما كان فعل

خبر جاء ولا وحي نزل

ذكره البلاذري في الأنساب [٤٢ : ٥]. والطبري في تاريخه [٣٥٨ : ١١].

نعم كان من رأي ابن عمر أنه كان يصلي وراء من غلب ولا يقاتل في الفتنة،

كما أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى [٤ : ١١٠ ط ليدن].

وقال ابن حجر في فتح الباري [١٣ : ٣٩]: كان رأي ابن عمر ترك القتال في

الفتنة، ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى سبيلة.

وقال ابن كثير في تأريخه [٩ : ٥]: كان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى

خلفه، وأدى إليه زكاة ماله.

أقول: لكن من المعجب جداً أن تكون تلك الحروب في نظره فتنة، بعد أن

ما أخبر به الرسول (ص) من الحوادث ٢٠٣

صرح النبي ﷺ بمثل قوله ﷺ لعائشة: كأنني بك تنبحك كلاب الحوآب، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة. العقد الفريد [٢: ٢٨٣].

وقوله ﷺ لزوجاته: كأنني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوآب، وإياك أن تكوني أنت ياحميراء - يعني عائشة - راجع: الإمامة والسياسة [١: ٥٦] وتاريخ اليعقوبي [٢: ١٥٧] وجمع الجوامع للسيوطي كما في ترتيبه [٦: ٨٤].

أو قوله ﷺ كما في المستدرک [٣: ١٣٢]: إن منكم من يقاتل علياً تأويل القرآن، كما قاتلت علياً تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، يعني علياً، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعها من رسول الله ﷺ. قال الحاكم: هذا حديث علي شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أو قوله ﷺ كما في نفس المصدر [٣: ١٢٦] في خطبة له في حجة الوداع: لاقتلن العمالقة في كتيبة، فقال جبريل عليه السلام: أو علي، قال: أو علي بن أبي طالب. أو قوله ﷺ: سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهاده بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء. أخرجه الطبراني في مجمع الزوائد [٩: ١٣٤] وكنز العمال [٦: ١٥٥].

وقوله ﷺ للزبير: إنك ستقاتل علياً وأنت ظالم له.

وبهذا احتج الإمام علي عليه السلام الزبير يوم الجمل، وقال: أتذكر لما قال لك رسول الله ﷺ إنك تقاتلني وأنت ظالم لي؟ فقال: اللهم نعم. أخرجه الحاكم في المستدرک [٣: ٣٦٦] وصححه هو والذهبي. والبيهقي في دلائل النبوة، والسيوطي في الخصائص [٢: ١٣٧] والطبري في تاريخه [٥: ٢٠٠].

وفي الخصائص [٢: ١٣٧]: قيل لحذيفة بن اليمان: حدثنا ما سمعت عن رسول الله ﷺ، قال: لو فعلت لرجمتوني، قلنا: سبحان الله، قال: لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني، ومن يصدقك

بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها.

وأخرج الحاكم في أربعينه، كما ذكره السيوطي، والكنجي في الكفاية [ص ٧٢] وابن كثير في تاريخه [٣٠٥ : ٧] عن أبي سعيد الخدري، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه [١٥٥ : ٦]. وحكاه الزرقاني في شرح المواهب [٣١٧ : ٣] عن عمّار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي، ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني.

وأخرج الحافظ ابن حبان والطبري، كما ذكره السيوطي، ورواه الحاكم في أربعينه ومستدركه [١٢٩ : ٣]. وابن عبد البر في الاستيعاب [٥٣ : ٣]: قال عتاب بن ثعلبة، قال أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي. ورواه أصبغ بن نباته غير أن فيه: أمرناه.

وأخرج الحاكم في الأربعين، والطبري في رياضه [٢٤٠ : ٢] وابن كثير في تاريخه [٣٠٥ : ٧] وابن طلحة في مطالب السؤول [ص ٢٤] نقلاً عن مصابيح البغوي، والحموئي في فرائد السمطين [١٥٠ : ١] والمتقي الهندي في كنز العمال [٣٩١ : ٦] عن عبد الله بن مسعود، قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة. فجاء علي، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة: هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين.

أقول: فكيف كان يرى ابن عمر أنّ تلکم الحروب فتنة بعد هذه النصوص أليس كان الأمر كما قاله الصحابي الكبير حذيفة بن اليمان: لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك، إنّما الفتنة إذا اشتبه عليك الحقّ والباطل. ذكره ابن حجر في فتح

الباري [١٣ : ٤٠].

هب أنه لم يكن يسمع هذه الأحاديث المذكورة، فهل خفي عليه ما كان قبلها من هتاف الصادع الكريم، كقوله ﷺ فيما أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه [١٤ : ٣٢١]: علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وقوله ﷺ فيما رواه الحاكم في المستدرک [٣ : ١٢٤]: علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

أو قوله ﷺ كما أخرجه ابن مردويه، عن أبي ذر: علي مع الحق، والحق معه، أو علي لسانه، والحق يدور حيث ما دار علي.

أو كقوله ﷺ فيما ذكره ابن حجر في الإصابة [٤ : ١٧١] وابن عبد البر في الاستيعاب [٤ : ١٧٠] بهامش الإصابة: ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يصفحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة. يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الاسراء: ٦٠].

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، عن سعيد بن المسيب، قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية على المنابر، فسأه ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: إنما هي دنيا أعطوها، فقرت عينه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ الآية.

وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما، من طريق سهل بن سعد، قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فسأه ذلك، فما استجمع صاحكاً حتى مات، وأنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ الآية.

وفي لفظ الحاكم والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر، وأبي يعلى، من طريق أبي هريرة: إني أريت في منامي كأن بني العاص ينزون على منبري كما تنزو لقردة، فما روي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي.

قال الألوسي في تفسيره [١٥ : ١٠٧]: ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاءً لهم ومختبراً، وبذلك فسره ابن المسيب، كأن هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا.

مروان بن الحكم

ومنهم: مروان بن الحكم، هو ابن عمّ عثمان بن عفان، وصهره من ابنته أمّ أبان، الذي أعطاه عثمان خمس غنائم إفريقية وهو خمسمائة ألف دينار. وفي ذلك قال عبدالرحمن بن حنبل الجمحي من أبيات له:

دعوت اللعين فادنسيته خلافاً لسنة من قد مضى

وأعطيت مروان خمس العبا د ظلماً لهم وحميت الحمى

وذكر ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد [٢ : ٢٦١] عن عبدالله بن الزبير أنّه قال: أغزانا عثمان سنة (٣٧) إفريقية، فأصاب عبدالله بن أبي سرح غنائم جليلة، فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج [١ : ٦٧]: أمر عثمان لمروان بمائة ألف من بيت المال، وقد زوّجه ابنته أمّ أبان، وجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟ قال: لا، ولكن أبكي لأنّي أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال عثمان: ألق المفاتيح يا بن أرقم، فإننا سنجد غيرك.

وأناه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلّها في بني أمية

قال الحلبي في سيرته [٢ : ٨٧]: وكان من جملة ما نُقِمَ به على عثمان أنّه أعطى ابن عمّه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية.

وقوله ﷺ فيما رواه أبو جعفر الإسكافي في كتابه النقض على العثمانية، عن أبي رافع، قال: أتيت أبا ذرّ بالربذة أودّعه، فلما أردت الانصراف قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة فاتّقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فاتّبعوه. فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول له: أنت أول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزير، وخير من أترك بعدي، تقضي ديني وتنجز موعدتي.

وقوله ﷺ كما في المستدرک [٣ : ١٣٤]: يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك فقد فارقني.

أو قوله ﷺ لعلي وحليلته وشبليته: أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم.

أو قوله: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم.

أو قوله وهم في الخيمة: معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، ووليّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلّا سعيد الجدّ، طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدّ، رديء المولد.

أو قوله ﷺ كما في المستدرک [٣ : ١٢٩] وهو آخذ بضبع علي: هذا أمير البرّة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

إلى ما هنالك من الأخبار العديدة مما امتلأت به الكتب والمدوّنات.

وربّما ذهل ابن عمر عن تلكم النصوص والبيّنات التي اتّفق عليها أهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار، حتّى حمّله الذهول على أن يبايع معاوية ويزيد وصلى خلف الحجاج بن يوسف.

وما أدراك ما الحجّاج ؟:

أخرج الحاكم في المستدرک [٥٥٦ : ٢] وابن عساکر في تاريخه [٦٩ : ٤] كما في الغدير [٥١ : ١] عن الأعمش قال: واللّه لقد سمعت الحجّاج بن يوسف يقول: يا عجباً من عبد هذيل - يعني عبد الله بن مسعود - يزعم أنّه يقرأ قرآنًا من عند الله، واللّه ما هو إلّا رجز من رجز الأعراب، واللّه لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه. وزاد ابن عساکر: ولأخيلينّ منه المصحف ولو بضلع خنزير.

وذكر ابن عساکر في تاريخه [٦٩ : ٤] من خطبة له قوله: اتّقوا الله ما استطعتم، فليس فيها مثوبة، واسمعوا وأطيعوا لأمر المؤمنين عبد الملك فإنّها المثوبة، واللّه لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد، فخرجوا من باب آخر لحلّت لي دماؤهم وأموالهم.

على أنّ ابن عمر هو الذي جاء بقوله عن رسول الله ﷺ: في ثقیف كذاب ومبیر. أو قوله: إنّ في ثقیف كذاباً ومبیراً. كما أخرجه الترمذی في صحیحہ [٩ : ٦٤] و [١٣ : ٢٩٤] والامام أحمد في مسنده [٢ : ٩١] وابن عساکر في تاريخه [٤ : ٥٠]. قال الجاحظ: خطب الحجّاج بالكوفة، فذكر الذين يزورون قبر النبی ﷺ بالمدينة، فقال: تبّاً لهم، إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هالاً طافوا بقصر عبد الملك؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله؟ راجع النصائح لابن عقيل [ص ٨١] الغدير [١ : ١٥].

وقال ابن عساکر في تاريخه [٤ : ٨١]: اختلف رجلان، فقال أحدهما: إنّ الحجّاج كافر، وقال الآخر: إنّهُ مؤمن ضالّ، فسألا الشعبي، فقال لهما: إنّهُ مؤمن بالحبّ والطاغوت، كافر باللّه العظيم.

وقال: وسئل عنه واصل بن عبد الأعلى، فقال: تسألوني عن الشيخ الكافر؟ وقال: قال القاسم بن مخيمرة: كان الحجّاج ينتقض من الإسلام. وقال عاصم بن أبي النجود: ما بقيت لله حرمة إلّا وقد انتهكها الحجّاج.

وقال: قال طاووس: عجبت لإخواننا من أهل العراق يسمّون الحجّاج مؤمنًا.
وقال الأجهوري: وقد اختار الإمام محمد بن عرفة والمحقّقون من أتباعه
كفر الحجّاج. راجع: الإتحاف للشبراوي [ص ٢٢].

وأخرج الترمذي، وابن عساكر، من طريق هشام بن حسان، أنّه قال: أحصي
ما قتل الحجّاج صبراً، فوجد مائة ألف وعشرين ألفاً. راجع صحيح الترمذي [٩ :
٢٤] وتاريخ ابن عساكر [٤ : ٨٠] وتيسير الوصول [٤ : ٣٦].

ووجد في سجنه ثمانون ألفاً محبوسون، منهم ثلاثون ألف امرأة.
قال الأميني في غديره [١٠ : ٥٢]: وكانت هذه المجزرة الكبرى والسجن
العامّ بين يدي ابن عمر ينظر إليهما من كثب، أدرك أيام الحجّاج كلّها، ومات وهو
حيّ يذبح ويفتك.

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى [٤ : ١١٠]: كان ابن عمر يصلي مع
الحجّاج بمكة.

وقال ابن حزم في كتابه المحلّي [٤ : ٢١٣]: كان ابن عمر يصلي خلف
الحجّاج ونجدة، وكان أحدهما خارجيّاً، والثاني أفسق البريّة.

وذكره أبو البركات في كتابه بدائع الصنائع [١ : ١٥٦] ونجدة هو: ابن عامر -
أو عمير - اليماني من رؤساء الخوارج، زاعغ عن الحقّ، خرج باليمامة عقب موت
يزيد بن معاوية، وقدم مكة، وله مقالات معروفة، وأتباع انقرضوا، قتل سنة سبعين.
لسان الميزان لابن حجر [٦ : ١٤٨].

الفضائل المختلفة للخلفاء

ولم يكتف أوّلئك القوم المغالون في الفضائل ببعض ما أسلفنا ذكره من
الأحاديث التي قد عرفت، مع أقوال أساطين المحدثين ومهرة ذلك الفنّ فيها،
حتّى اختلقوا أحاديث أخرى ونسبوها إلى الإمام علي عليه السلام.

فمنها: ما أخرجه ابن الجوزي في صفوة الصفوة [١: ٩٧] كما في الغدير [٨]:
[٣٦] من طريق الحسن، قال: قال علي عليه السلام: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا،
فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضي رسول
الله ﷺ لدينا، فقدّمنا أبا بكر.

وأخرج الطبري في رياضه [١: ١٥٠] كما في نفس المصدر مرسلًا، قال:
وعنه قال: قال علي عليه السلام: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلي بالناس، وقد رأى مكاني
وما كنت غائبًا ولا مريضًا، ولو أراد أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رضي
رسول الله ﷺ لدينا.

وعن قيس بن عباد، قال: قال لي علي بن أبي طالب: إنّ رسول الله ﷺ
مرض ليالي وأياماً ينادي بالصلاة، ويقول: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فلمّا قبض
رسول الله ﷺ فإذا الصلاة علم الاسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي
رسول الله ﷺ لدينا، فبايعنا.

أقول وبالله التوفيق: فما أبعدَ تلكم الأقاويل المنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام
عن بديهة العقل، وما أغنانا عن النظر في مثل تلك الأساطير بعد ما علمنا فيما مرّ
من أخبار السقيفة، وكيفية البيعة فيها، على ما جاء به أهل الأخبار والسير من
الوقائع التاريخية وقت ذاك، المشفوعة بالأحاديث الصحيحة، والنصوص
الصريحة عن مولانا الإمام علي عليه السلام.

وهل هي إلا إختلاقات قوم زعموا ورأوا أنّ إمامة الجماعة في الصلاة حجة
لاستحقاق الإمامة العامة على المسلمين، فوضعوا تلك الأحاديث المكذوبة على
الإمام علي عليه السلام تشييداً لمذاهبهم، وتثبيتاً لأساس مبدئهم، وتمويهاً للحقائق بأمثال
هذه الأفائك، لإغراء بسطاء الأمة وجهلة الناس.

وكيف يتسنّى للعاقل الناقد واللبيب النابه أن يقطع بصحة تلك المزعمة
وذلك الرأي؟ وكيف لا يستبعد قول من يقول ورأي من يرى، أنّ إمامة الجماعة

حجة بالغة لتسنّم عرش الخلافة إذا قورن بقوله ﷺ: صلّوا خلف كلّ برّ وفاجر؟ فأيّ قيمة لهذا الرأي في جانب هذا الحديث؟

فإن قيل: إنّ تلك الأقوال اتّفقت مع ما رواه البخاري في صحيحه [١: ١٢٢] عن عائشة، في قوله ﷺ وسلّم: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس؟

فيقال: فما بال النبيّ تكلف الخروج بعد ما أمر أبا بكر ورأى أن يصلّي بالناس، مع ما لقيه من ثقل الألم حتّى صلى معهم فصلّى أبو بكر بصلاة النبيّ وصلّى الناس بصلاة أبي بكر؟ وأيّ إمام من أئمّة المذاهب الأربعة يقطع بصحّة صلاة جماعة واحدة بإمامين؟ وعلى ذلك ألم يكن أبو بكر في تلك الصلاة مأموماً لا إماماً؟

ولو سلّمنا جدلاً، أو بناءً على حسن الظنّ بالحديث المذكور، فقد توقّفنا في مغزى قوله ﷺ «إنكنّ صواحب يوسف»، كما في سياق الحديث. بل لو كان شيء من ذلك يدلّ على استحقاق الخلافة العظمى، أليس كان عبدالرحمن بن عوف أولى بالأمر من أبي بكر وغيره؟ لأنّ النبيّ ﷺ كان يصلّي خلفه فيما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية [٥: ٢٢] وغيره من حفاظ أهل السنّة، كما في مناقشة الكاظمي مع النشاشيبي في كتاب الإسلام الصحيح.

ولكان عمرو بن العاص أيضاً أولى بالأمر من الشيخين؛ لكونه إماماً لهما ولجميع المهاجرين والأنصار مدّة إمارته عليهم في واقعة السلاسل، كما رواه ابن كثير في البداية والنهاية [٤: ٢٧٣] والحلبي في سيرته [٣: ١٣١] كما في نفس المصدر.

بل إنّ سالماً مولىّ أبي حذيفة كان أولى بالخلافة منهم جميعاً، لأنّ النبيّ قدّمه للصلاة بالمهاجرين والأنصار قبل قدومه بالمدينة.

ومما يقتضي التوقّف للنظر في الحديث المذكور كونه معارضاً لما أخرجه ابن عبد البرّ في الاستيعاب عند ترجمة أبي بكر، وذلك قوله ﷺ: مروا من يصلّي

بالناس.

وقوله ﷺ: فمن شاء أن يصلي ومن شاء فليدع.

فهذا الحديث يدل دلالة ظاهرة على عدم تعيين النبي ﷺ أحداً مطلقاً.

وخلاصة القول أن قياس الخلافة العامة على الإمامة في صلاة الجماعة

ليس له وزن في سوق الاعتبار.

فلو تماشنا مع من تشبث بذلك الرأي تساهلاً، أو على سبيل المباشطة

مثلاً، لقلنا: هلاً يكون أمره ﷺ بذلك مدفوعاً بقول سيدنا عمر، لأنه كان يقول: إن

النبي ﷺ هجر، وفي لفظ: غلب عليه الوجع، وذلك حين هم النبي ﷺ بكتابة

الوصية لأمته، ما إن تمسكوا بها لن يضلوا.

كما أخرجه الحفظ والمؤرخون في كتبهم، منهم: البخاري في صحيحه [٤ :

٧ ط دار الفكر بيروت، و ٢ : ٦١، و ٣ : ١٧٨، و ١ : ٣٢] ومسلم في صحيحه [٢ : ١٤

في آخر الوصايا، و ١ : ٢٢٢] والطبري في تاريخه [٢ : ٤٣٦ ط مصر] والجوهري في

كتاب السقيفة كما في شرح النهج لابن أبي الحديد [٢ : ٢٠].

وإليك لفظ الحديث، فلنقتصر بما أخرجه البخاري في صحيحه [٤ : ٧ ط

دار الفكر بيروت] باب قول المريض قوموا عني.

عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن

الخطاب، قال النبي ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي

قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت

فاختصموا، منهم من يقول: قروا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم

من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ، قال رسول الله

صلى الله عليه وآله: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية

ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

وفي نفس المصدر [٢ : ١٧٨] باب جوائز الوفد، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن

عبّاس أنّه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتّى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتدّ على رسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند النبي ﷺ تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه. وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة.

الأحاديث النبويّة الدالة على وصاية الإمام علي عليه السلام

فلنعد إلى الغرض، وليس ذلك ممّا يهّمنا ولا من غرضنا حتّى نخوض فيه، وما تعرّضنا لذلك إلّا على سبيل الاعتبار، لا إنكاراً لمبدأ قوم، ولا ميلاً إلى مبدأ قوم آخرين، وما نأتي بتلك الاستفهامات إلّا استبعاداً لما نسب به بعضهم من تلك الأقاويل إلى الإمام علي عليه السلام، حيث رأى فيما زعموا أنّ الإمامة في الصلاة حجة بالغة على الأولويّة بالخلافة العظمى على عامّة المسلمين، ودليل قاطع على استحقاق الإمامة العامّة على كافّة المؤمنين.

مع كونه عليه السلام عيبة علمه ﷺ، ووارثه، وباب مدينة علمه، وأمينه، وصفّيّه، ووصيّته، ووزيره، وخليفته من بعده، وحامل لوائه دنيا وأخرى، وخير من يترك بعده، وخير البشر بعده، وأنّه سيّد المسلمين، وأمير المؤمنين، ووليّ المؤمنين، وأوّل الناس إسلاماً، وآخرهم به عهداً، إلى ما هنالك ممّا شهدت عليه الأخبار المتواترة، وامتألت به الكتب والدفاتر، فمنها:

ما أخرجه الحاكم في المستدرک [٣ : ١٣٧] عن أسعد بن زرارة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ وسلّم: أوحى إليّ في علي ثلاث، أنّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغر المحجلّين.

وأخرج ابن مردويه، كما في الاحقاق [٤ : ١٨] عن ابن عبّاس، قال: دخل

عليّ على النبي ﷺ وعنده عائشة، فجلس بين النبي وعائشة، فقالت: ما كان مجلس غير فخذي؟ فضرب النبي ﷺ على ظهرها، وقال: مه لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة، يقعد على الصراط، فيدخل أولياءه الجنة، ويدخل أعداءه النار.

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه [١٣ : ١٢٢] مسنداً: ينادي ملك: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، إمام المتقين، قائد الغر المحجلين إلى جنّات النعيم.

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء [١ : ٦٦] مسنداً عن الشعبي، قال: قال علي: قال لي رسول الله ﷺ: مرحباً بسيّد المسلمين وإمام المتقين، فقليل لعليّ: فأيّ شكر كان من شكرك؟ قال: حمدت الله تعالى على ما آتاني، وسألته الشكر على ما أولاني، وأن يزيدني ممّا أعطاني.

وروى الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ [٣ : ٤٤] مسنداً عن عائشة، قالت: أقبل عليّ يوماً فقال رسول الله ﷺ: هذا سيّد المسلمين، فقلت: أأست سيّد المسلمين يا رسول الله؟ قال: أنا خاتم النبيين ورسول رب العالمين.

وروى الحاكم وأبو نعيم مسنداً عن الحسن بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي سيّد العرب، يعني: علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: أأست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب، فلمّا جاء أرسل إلى الأنصار، فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار، ألا أدلكم ما إن تمسّكنم به لن تضلّوا بعدي أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا أخي علي فأحبّوه بحبّي، وأكرموا بكرامتي، فإنّ جبريل أمرني بالذي قلت لكم من الله عزّ وجل. المستدرک [٣ : ١٢٤] وحلية الأولياء [١ : ٦٣].

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه [١١ : ٨٩] مسنداً إلى سلمة بن كهيل، قال: مرّ علي بن أبي طالب على النبي ﷺ وعنده عائشة، فقال لها: إذ سرّك أن

تنظري إلى سيّد العرب، فانظري إلى علي بن أبي طالب، فقالت: يا نبي الله ألسنت سيّد العرب؟ فقال: أنا إمام المسلمين، وسيّد المتّقين، إذا سرّك أن تنظري إلى سيّد العرب، فانظري إلى علي بن أبي طالب.

وروى الحاكم في المستدرک [١٢٧-١٢٨: ٣] مسنداً عن ابن عبّاس قال: نظر النبي ﷺ إلى عليّ، فقال: يا علي، أنت سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله. والويل لمن أبغضك بعدي. صحيح على شرط الشيخين.

وروى ابن مردويه في المسند، قال رسول الله ﷺ لعليّ: يا علي أنت أخي، ووزير، وخير من أخلفه بعدي. ورواه البلاذري والخوارزمي في كتابيهما، كما في مناقب ابن شهر آشوب [٢: ٢٦٨].

وروى الإمام أحمد بن حنبل مسنداً عن أسماء بنت عميس، تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم أقول كما قال أخي موسى: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً اشدّد به أزرّي، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، كما في الإحقيق [٤: ٥٦].

وروى الثعلبي في تفسيره بسند يرفعه إلى عباية بن الربيع، قال: بينا عبد الله بن العبّاس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل معتمّ بعمامة، فجعل يقول: قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ، قال ابن عبّاس: أسألك بالله من أنت؟

فكشف عن وجهه، وقال: أيّها الناس من عرفني، فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة أبو ذرّ الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمّتا، ورأيت بهاتين وإلا عميتا، يقول: عليّ قائد البرّة، قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل

في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده، وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راکعاً، فأوماً بخنصره اليمنى، وكان يتختم فيها، وذلك بعين النبي ﷺ

فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم إن أخي موسى سألک فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾. فانزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلَ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾.

اللهم وأنا محمد نبيك ووصيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً اشدد به أزمري» أي: ظهري.

قال أبو ذر: فوالله فما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل جبريل من عند الله تعالى، فقال: يا محمد اقرأ، فقال وما أقرأ؟ فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. إحقاق الحق [٤٥٩] عن تفسير الثعلبي.

وروى ابن المغازلي الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن محمد التسافعي الواسطي، المتوفى سنة (٤٨٣) في المناقب [ص ٣٢٨] بسند إلى ابن عباس، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، وأخذ بيد علي، فصلّى أربع ركعات، ثم رفع يده إلى السماء، فقال: اللهم سألک موسى بن عمران، وإنّ محمداً يسألک أن تشرح لي صدري وتيسر لي أمري، وتحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً اشدد به أزمري، وأشركه في أمري.

قال ابن عباس: فسمعت منادياً ينادي: يا أحمد، قد أوتيت ما سألت.

فقال النبي ﷺ: يا أبا الحسن ارفع يدك واسأله يعطك، فرفع علي يده إلى السماء وهو يقول: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك وداً، فنزل الله

تعالى على نبيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾
[مريم: ٩٦] فتلاها النبي ﷺ على أصحابه، فعجبوا من ذلك عجباً شديداً.

فقال النبي ﷺ وسلم: ممّ تعجبون؟ إن القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع حلال، وربع حرام، وربع فرائض وأحكام، والله أنزل فينا كرائم القرآن.

وروى الهيثمي وهو الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الشافعي، المتوفى سنة (٨٠٧) في مجمع الزوائد [٩: ١١١، و ١٧٣ ط مطبعة القدسي بالقاهرة] عن سلمان الفارسي، قال: قلت: يا رسول الله، إن لكل نبي وصياً فمن وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأي، فقال: يا سلمان، فأسرعت إليه، قلت: لبيك، قال: تعلم من وصي موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون. قال: لم؟ قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ، قال: فإن وصيي وموضع سرّي وخير من أتركه بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب.

وروى القندوزي الشيخ العلامة سليمان البلخي، المتوفى سنة (١٢٩٣) في ينابيع المودة [ص ١٣٣ ط إسلامبول] عن جعفر الصادق، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين عليهم السلام، قال: بلغ أمّ سلمة أنّ مولى لها ينتقص علياً كرم الله وجهه، فأرسلت إليه، فأتى إليها، فقالت: يا بني، أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، قال: يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي: هذا عليّ أخي في الدنيا والآخرة، وحامل لوائيّ في الدنيا، وحامل لوائيّ غداً في القيامة، وهذا عليّ وصيي، وقائدي، والذائد عن حوضي المنافقين، يا أمّ سلمة، هذا عليّ سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين. وقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة، وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: ابن أبي سفيان وأصحابه من أهل الشام، قلت: ومن المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. قال مولاها: وجزاك الله عني خيراً لا أسبّه

أبداً.

وروى ابن المغازلي في مناقبه [ص ١٠٢ ط إيران] بالإسناد إلى أبي أيوب الأنصاري في حديث طويل، وذلك لما دخلت فاطمة على أبيها وهو مريض فخنقتها العبرة - إلى أن قال النبي ﷺ: يا فاطمة، إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين والآخرين قبلنا - أو قال من الأنبياء - ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا: منّا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر ابن عمك، ومنّا سبطا هذه الأمة وهما إبنك، ومنّا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة.

وروى الخوارزمي الحنفي في مناقبه [ص ٦٦ و ص ٥٦ طبع تبريز] مسنداً عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل عليّ بن أبي طالب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده - فقبض منها - ثمّ قال: والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال: إنّ أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله تعالى، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيّة، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة.

قال: وفي ذلك الوقت نزلت فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

قال: وكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل عليّ، قالوا: قد جاء خير البريّة. ورواه الشيرازي في كتابه نزول القرآن، كما في مناقب ابن شهر آشوب ٢١: [٢٦٧] عن أبي سعيد الخدري.

وروى في نفس المصدر مسنداً عن ابن مسعود، قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين سورة، وختمت على خير الناس علي بن أبي طالب. وروى ابن مردويه في مناقبه [ص ٤١٠] والخطيب البغدادي في تاريخه

[٧: ٤٢١ ط السعادة بمصر] والحموي وهو العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن حمويه في كتابه فرائد السمطين [١: ١٥٤] والإمام فخر الرازي في كتابه نهاية العقول [ص ١١٤] على ما في مناقب عبد الله الشافعي، والمتقي الهندي في كنز العمال [٦: ١٥٩ ط حيدر آباد] والعسقلاني في تهذيب التهذيب [٩: ٤١٩ ط حيدر آباد] والكشفي وهو العلامة مير محمد صالح الحسيني الحنفي المتوفى سنة (١٠٢٥) في كتابه المناقب المرتضوي [ص ١٠٦ ط بومباي] والمناوي الشافعي في كنوز الحقائق [ص ٩٨ ط بولاق مصر] روى مرفوعاً إلى حذيفة اليماني، قال: قال رسول الله ﷺ: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر.

وذكر ذلك أيضاً - كما قاله ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٣٩٥ ط الحيدريه بنجف] - ابن مجاهد في التاريخ، والطبري في كتاب الولاية، والديلمي في الفردوس، والإمام أحمد في الفضائل.

وروى الإمام أحمد بالإسناد إلى أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله وقد سقط حاجباه على عينيه، فسألناه عن علي، فقلت: أخبرنا عنه فرفع حاجبيه بيديه فقال: ذاك خير البشر.

وأخرج البدخشي في مفتاح النجاة عن عطاء أنه قال: سألت عائشة عن علي عليه السلام، فقالت: ذاك خير البرية ولا يشك.

وروى ابن مردويه بإسناده إلى أم سلمة، قال: كان لها مولى حُضِنَها وربَّاهَا، وكان لا يصلي صلاة إلا سبَّ علياً وشتمه، فقالت له: يا أبت، ما حملك على سبِّ علي؟ قال: لأنَّه قتل عثمان وشرك في دمه، قالت: لولا أنَّك مولاي وربيتني وإنك عندي بمنزلة والدي ما حدَّثتك بسرَّ رسول الله ﷺ، ولكن اجلس حتَّى أُحدِّثك عن علي وما رأيتَه.

أقبل رسول الله ﷺ وكان يومي، وإنَّما كان يصيبني في تسعة أيَّام يوم واحد، فدخل النبي ﷺ وهو يخلل أصابعه في أصابع علي واضعاً عليه يده، فقال:

يا أم سلمة، أخرجني من في البيت وأخليه لنا، فخرجت وأقبلا يتناجيان، وأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان، حتى إذا قلت: قد انتصف النهار أقبلت، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: لا تلجني وارجعي مكانك.

ثم تناجيا طويلاً حتى قام عسود الظهر، فقلت: ذهب يومي وشغله علي، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال النبي ﷺ: لا تلجني، فرجعت فجلست مكاني، حتى إذا قلت: قد زالت الشمس، الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، ولم أر يوماً قط أطول منه.

أقبلت أمشي حتى وقفت على الباب، فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: نعم تلجين، فدخلت وعلي واضع يده على ركبتي الرسول صلى الله عليه وآله قد أدنى فاه من أذن النبي، وفم النبي على أذن علي يتساران، وعلي يقول: أفأمضي وأفعل؟ والنبي ﷺ يقول: نعم، فدخلت وعلي معرض وجهه، حتى دخلت فخرج.

فأخذني النبي ﷺ وأقعطني في حجره، فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار، ثم قال: يا أم سلمة لا تلوميني، فإن جبريل أتاني من الله يأمرني أن أوصي علياً من بعدي. وكنت بين جبريل وعلي، وجبريل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبريل بما هو كائن إلى يوم القيامة، فاعذرني ولا تلوميني، إن الله قد اختار من كل أمة نبياً، واختار لكل نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة، وعلي وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي.

فهذا ما شهدت من علي، الآن يا أبتاه فسبّه أودعه، فأقبل أبوها يناجي الليل والنهار ويقول: اللهم اغفر لي ما جهلت من أمر علي، وتاب توبة نصوحاً.

وذكر ابن شهر آشوب نحوه من ذلك في كتابه مناقب آل أبي طالب [٢: ٦٢] نقلاً عن الترمذي في جامعه، والخطيب في الأربعين، وأبي يعلى في المسند، والسمعاني في الفضائل، وأبي بكر بن مهدويه في الأمالي.

وأخرج الخوارزمي في المناقب [ص ٢٣٣ ط تبريز] بالإسناد إلى علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي سألت ربي فيك خمس خصال فأعطاني. أمّا أولها: فسألت ربي أن تنشق عني الأرض وأنفض التراب عن رأسي وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثانية: فسألت ربي أن يوقفني عند كفة الميزان وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثالثة: فسألت الله أن يجعلك حامل لوائي الأكبر، وهو لواء الحمد عليه المفلحون الفائزون بالجنة، فأعطاني. وأمّا الخامسة: فسألت الله أن تكون قائد أمتي إلى الجنة، فأعطاني، فالحمد لله الذي منّ عليّ بذلك.

وروى أيضاً في نفس المصدر [ص ٢٤٠] بالإسناد إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، وفاطمة أمة الله، عليّ مبغضهم لعنة الله.

ورواه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان [٥ : ٧٠ و ٤ : ١٩٤ ط حيدر آباد] والكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ٢٧٤] والسيوطي في ذيل اللاكي [ص ٦٦ ط دلهي].

وروى أيضاً في نفس المصدر [ص ١٧٩] مسنداً يرفعه إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله آية فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعليّ رأسها وأميرها.

وروى الحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد [٩ : ١١٢ ط مكتبة القدسي بالقاهرة] عن ابن عباس، قال: ما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعليّ أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ في غير مكان، وما ذكر عليّاً إلا بخير. ورواه الطبراني، والسيوطي في تاريخ الخلفاء [ص ٦٦ ط الميمنة بمصر] وجماعة من الحفاظ والأعلام.

وروى أيضاً في نفس المصدر [ص ٤] بالإسناد إلى عائشة، قالت: قال رسول

اللّٰهُ صَلَّي اللّٰهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَهُوَ فِي بَيْتِي لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ: ادْعُوا لِي حَبِيبِي، فدَعَوْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي حَبِيبِي، فَقُلْتُ: وَيْلَكُمْ، ادْعُوا لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَوَاللّٰهِ مَا يَرِيدُ غَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ اسْتَوَى جَالِسًا، وَفَرَجَ الثَّوْبَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ادْخَلَهُ فِيهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَضِنُهُ حَتَّى قَبِضَ وَيَدُهُ عَلَيْهِ.

وروى ذلك أيضاً في كتابه مقتل الحسين [ص ٣٨ ط الغري] والطبري في كتابه ذخائر العقبى [ص ٧٢ ط مكتبة القدسي بمصر].

وروى الذهبي في ميزانه [٢: ٦٧ ط القاهرة] مسنداً إلى عبد الله بن عمرو: أنَّ رسولَ اللّٰهِ ﷺ قال في مرضه: ادْعُوا لِي أَخِي، فدَعِيَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي أَخِي، فدَعِيَ لَهُ عُثْمَانُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ دَعِيَ لَهُ عَلِيٌّ، ففَسَّرَهُ بِثَوْبِهِ وَأَكْبَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قِيلَ لَهُ: مَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ.

وروى الذهبي في ميزانه [١: ٣٣٦ ط القاهرة] عن أنس: إنْقَضَ كَوَكَبٌ، فَقَالَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ: انْظُرُوا، فَمِنْ انْقَضَ فِي دَارِهِ فَهُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدِي، فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ فِي مَنْزِلِ عَلِيٍّ، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: قَدْ غَوَى مُحَمَّدٌ فِي حُبِّ عَلِيٍّ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ورواه كذلك ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان [٢: ٤٤٩ ط حيدر اباد].

وروى الخوارزمي في المناقب [ص ١٨ ط تبريز] بالإسناد عن ابن عباس، قال رسولُ اللّٰهِ ﷺ: لَوْ أَنَّ الْغِيَاضَ أَقْلَامٌ، وَالْبَحْرَ مِدَادٌ، وَالْجَنَّ حُسَّابٌ، وَالْإِنْسَ كِتَابٌ، مَا أَحْصَوْا فَضَائِلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

ورواه كذلك الحافظ الكنجي في كتابه كفاية الطالب [ص ١٢٣ ط الغري] والحموي في كتابه فرائد السمطين [١: ١٦]، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان [٥: ٦٢ ط حيدر اباد] والعلامة المحدث عطاء اللّٰهِ الهروي في الأربعين

حديثاً.

إلى أضعاف ذلك من الأحاديث النبوية التي ثبت ما لعلني من الفضائل القيمة والمكرّمات الجمّة، مما شحنت بها الكتب والتأليفات وامتلات بها المعاجم والمدونات.

الشجرة الملعونة

فبالت ابن عمر إذا فاته شيء من ذلك ممّا لهج به السيّد المختار في أخيه وابن عمّه أبي الأطهار، كان لا يذهل عمّا جاء به القرآن الكريم، من الآيات البيّنات، والذكر الحكيم الناصّ على علوّ قدره، وعظيم منزلته عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله، ولم يكن يخفى عليه فيه من عبارات وأمثال ضربها الله عزّ وجلّ للناس لعلهم يتفكرون.

كقوله علت قدرته وجلت عظمتها، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ٥٠] و﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] و﴿هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ وَالظِّلُّ وَالْحَرُورُ﴾ [الرعد: ١٦] وكقوله تعالى ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [ابراهيم: ٢٤] وقوله تعالى ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [ابراهيم: ٢٦] وكقوله تعالى ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥] وقوله تعالى ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الاسراء: ٦٠] فهل تستوي الشجرتان؟ لا، والله، وشتان ما بين الشجرتين، وما أبعد البون بينهما.

ويشهد على ذلك ما نقل إلينا من تأويل المصطفى ﷺ فيما رواه الحفاظ والمفسّرون، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه رأى في منامه أنّ بني أميّة ينزون على منبره نزو القرودة، فسأه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتّى مات صلوات الله عليه وآله، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ

الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ﴿ قيل: المراد بالشجرة هم بنو أمية.

راجع: تفسير الطبري [٧٧ : ١٥] وفي تأريخه [٣٥٦ : ١١] وتأريخ الخطيب
البغدادى [٤٤ : ٩، و ٢٨٠ : ٨] وتفسير النيسابورى هاشم الطبري [٥٥ : ١٥] وتفسير
القرطبي [٢٨٣ : ١٠] وتفسير الشوكاني فتح القدير [٢٣٨ : ٣] وتفسير الخازن
[١٧٧ : ٣] وأسد الغابة لابن الأثير [١٤ : ٣] وكتاب النزاع والتخاصم للمقريزي
[ص ٢٥] وخصائص النسائي [١١٨ : ٢] نقلاً عن الترمذي، والبيهقي، والحاكم في
مستدركه [٨٠ : ٤].

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرک [٤ : ٤٧٩ ط دار الفكر
بيروت لبنان] بالإسناد إلى أبي ذرٍّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغت بنو
أمية أربعين، اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً.
وروى أيضاً عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك هذه
الأمّة على يدي أغيلمة من قريش. ثمّ قال الحاكم: ولهذا الحديث توابع وشواهد
عن رسول الله ﷺ وصحابته الطاهرين، والأئمة من التابعين، لم يسعني إلا ذكرها،
فذكرت بعض ما حضرني منها.

وعن عبدالرحمن بن عوف، قال: كان لا يولد لأحد مولود، إلا أتى به إلى
النبي ﷺ فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ ابن الوزغ،
الملعون ابن ملعون.

وعن حلام بن جذل الغفاري، قال: سمعت أبا ذر جندب بن جنادة الغفاري
يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغ بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله
دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً، قال حلام: فأنكر ذلك على أبي ذرٍّ، فشهد
علي بن أبي طالب أنه سمع رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء
من ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ، وأشهد رسول الله ﷺ قاله.

وروى أيضاً بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا

بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً، إتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً.

وأخرج أيضاً بالإسناد إلى أبي برزة الأسلمي، قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية، وبنو حنيفة، وثقيف.

وأخرج أيضاً مسنداً عن محمد بن زياد، قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد، قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، وقال عبدالرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال: أنزل الله فيك: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف: ١٧] فبلغ عائشة، فقالت: كذب والله، ما هو به، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه. فمروان بعض من لعنة الله عز وجل.

وأما ما أخرجه ابن مردويه، والسيوطي في الدر المنثور [٦: ٤١ و ٢٥١] بلفظ: فسمعت ذلك عائشة فقالت: إنها لم تنزل في عبدالرحمن، ولكن نزل في أبيك: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ - ١١] وكذا رواه الحلبي في سيرته [١: ٣٣٧] والشوكاني في تفسيره [٥: ٢٦٣] والآلوسي في تفسيره [٢٩: ٢٨] والدحلان في سيرته [١: ١٤٥].

ترجمة الحكم بن أبي العاص

ومنهم الحكم بن أبي العاص أبو مروان، فقد روى الدميري في كتابه حياة الحيوان [١: ١٩٤] كما في الغدير [٨: ٢٤٢]: كان خصّاء يخصي الغنم، وكان أحد جيران النبي ﷺ بمكة، من أولئك الأشداء عليه ﷺ، المبالغين في إيدائه. كما قاله ابن هشام في سيرته [٢: ٢٥].

أخرج الطبراني من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر، قال: كان الحكم يجلس عند النبي ﷺ، فإذا تكلم اختلج فبصر به النبي ﷺ، فقال: كن كذلك. فما زال يختلج حتى مات.

وفي لفظ مالك بن دينار، كما قال في الإصابة لابن حجر [١ : ٣٤٥] والسيرة الحلبية [١ : ٣٣٧] والفائق للزمخشري [٢ : ٣٠٥] وتاج العروس للزبيدي [٦ : ٣٥]: مرّ النبي ﷺ بالحكم، فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ بإصبعه، فالتفت النبي ﷺ فرآه، فقال: اللهم اجعل به وزغاً، فرجف مكانه وارتعش. الوزغ: الرعدة والارتعاش.

وأخرج البلاذري في الأنساب [٥ : ٢٧]: أن الحكم بن أبي العاص كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهلية، وكا أشد جيرانه أذىً له في الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة، وكان مغموصاً - أي مكذوباً - عليه في دينه، وكان يمرّ خلف رسول الله ﷺ فيغمز به ويحكيه، ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصبعه، فبقي على تخليجه، وأصابته خيلة.

واطلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه، فعرفه وخرج إليه بعنزة، وقال: من عذيري من هذه الوزغة اللعين؟ ثم قال: لا يساكنني ولا ولده، فغرّ بهم جميعاً إلى الطائف.

فلما قبض رسول الله ﷺ كلم عثمان أبا بكر فيهم، وسأله ردّهم، فأبى أبو بكر ذلك، وقال: ما كنت لأوي طرداء رسول الله ﷺ، ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم، فقال مثل قول أبي بكر، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة، وقال: قد كنت كلمت رسول الله ﷺ فيهم، فوعدني أن يأذن لهم، فقبض قبل ذلك، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إياهم المدينة.

وفي أسد الغابة [٢ : ٣٤] والاستيعاب [١ : ٣١٧ ط دار صادر بيروت] قال ابن عبد البر: أخرج رسول الله ﷺ من المدينة، وطرده عنها، فنزل الطائف وخرج معه ابنه مروان.

واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إياه، فقيل: كان يتحيل ويستخفي ويتسمّع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين، وكان يفشي ذلك عنه حتّى ظهر ذلك عليه، وكان يحكيه

في مشيته وحركاته، إلى أمور غيرها كرهت ذكرها.

ذكروا أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ، وكان الحكم يحكيه، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله يوماً فرآه يفعل ذلك، فقال ﷺ: فكَذَلِكَ فلتكن، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ، فعيره عبدالرحمن بن حسان بن ثابت، فقال في ولده عبدالرحمن بن الحكم يهجوه:

إنَّ السَّعِين أَبُوكَ فَارْمِ عِظَامَهُ إِنْ تَرْمِ تَرْمِ مَخْلُجاً مَجْنُوناً
يَمْسِي خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى وَيُظَلُّ مِنْ عَمَلِ الْخَبِيثِ بَطِيناً
وأخرج ابن عبدالبر في الاستيعاب [١: ٣١٨ ط دار صادر بيروت] من طريق عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل عليكم رجل لعين، وكنت تركت عمراً - أي أباه - يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ، فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل، فدخل الحكم بن أبي العاص.

وأخرج ابن حجر في كتابه تطهير الجنان المطبوع في هامش الصواعق [ص ١٤٤] بسند رجاله رجال الصحيح، عن عبدالله بن عمر أنه ﷺ قال: ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين، فوالله ما زلت أتشوق داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان. يعني: الحكم، كما صرحت به رواية أحمد.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك - أبي العاص بن أمية -: إلكم الشجرة الملعونة في القرآن. ذكره: السيوطي في الدر المنثور [٤: ١٩١] والحلي في سيرته [١: ٣٣٧] والشوكاني في تفسيره [٣: ٢٣١] والآلوسي في تفسيره [١٥: ١١٧] والقرطبي في تفسيره [١٠: ٢٨٦] بلفظ: قالت عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت بعض من لعنه الله، ثم قالت: والشجرة الملعونة في القرآن.

وأخرج ابن مردويه، عن الحسين بن علي أن رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم، فقيل: ما لك يا رسول الله؟ فقال: إني أريت في المنام كأن بني أمية

يتعاورون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله لا تهتم فإنّ دنيانا لهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ الآية [الإسراء: ٦٠].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم، فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله لذلك، فأنزل الله تعالى الآية الشريفة.

وأما ما قاله النبي ﷺ في مروان، فقد أخرج ابن النجيب، كما في أسد الغابة [٢: ٢٤] لابن الأثير، والإصابة لابن حجر [١: ٣٤٦ ط دار صادر بيروت] والسيرة الحلبية [١: ٣٣٧] وكنز العمال [٦: ٤٠] من طريق جبير بن مطعم، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ ويل لأمتي ممّا في صلب هذا. وفي شرح نهج البلاغة [٢: ٥٥] نقلاً عن الاستيعاب لابن عبد البر: نظر عليّ عليه السلام يوماً إلى مروان، فقال له: ويل لك وويل لأمة محمد منك، ومن بيتك إذا شاب صدغاك.

وفي لفظ ابن الأثير، كما في أسد الغابة [٤: ٣٤٨]: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ورواه ابن عساكر بلفظ آخر كما في كنز العمال [٦: ٩١].

وفي طبقات ابن سعد [٥: ٣٠] قال علي بن أبي طالب حين نظر إلى مروان: ليحملنّ راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه، وله إمرة كلحسة الكلب أنفه.

وفي شرح النهج [٢: ٥٣] وقال مولانا أمير المؤمنين يوم قاله الحسنان السبطان: يبايعك مروان يا أمير المؤمنين؟ قال: أولم يبايعني قبل قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنها كفّ يهوديّة لو بايعني بيده لغدر بسبّته، أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة.

يعني هم: بني عبد الملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشاماً، كذا فسّره الناس، وعند ابن أبي الحديد هم أولاد مروان: عبد الملك، وبشر، ومحمد، وعبد العزيز، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر.

وكان مروان، كما في الاستيعاب في ترجمة أسامة بن زيد: فاحشاً متفحشاً، كما قاله ذلك صاحب الترجمة.

وذلك كما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ : ٧٢] من طريق أبي يحيى: قال: كنت بين يدي الحسن، والحسين ومروان يتسابقان، فجعل الحسن يسكت الحسين، فقال مروان: أهل بيت ملعونون، فغضب الحسن، وقال: قلت أهل بيت ملعونون؟ فوالله لقد لعنتك الله وأنت في صلب أبيك. أخرجه: الطبراني، وذكره السيوطي في جمع الجوامع، كما في ترتيبه [٦ : ٩٠] نقلاً عن ابن سعد، وأبي يعلى، وابن عساكر.

قال ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق [ص ١٤٢] بسند رجاله ثقات: إن مروان لما ولي المدينة، كان يسب علي بن أبي طالب على المنبر كل جمعة، وكان الحسن يعلم ذلك، فيسكت ولا يدخل المسجد إلا عند الإقامة، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن في بيته بالسب البليغ لأبيه وله.

ومنه قوله: ما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أبي الفرس، فقال الحسن للرسول: ارجع إليه فقل له: والله، لا أمحو عنك شيئاً مما قلت بأنني أسبكت، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة، قد أكرم جدّي أن يكون مثلي مثل البغلة.

لفت نظر

قال ابن معين، كما حكاه ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب [١ : ٥٠٩]: إن كل من شتم عثمان، أو طلحة، أو واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. انتهى.

فماذا يا ترى يقال فيمن سب الإمام علي ولعنه وحمل الأمة عليها وعلى حربه وقتله بكلّ حول وطول؟ هل يكتب عنه ويقبل حديثه، ويعدّ من الصحاح، أو من الثقات الأثبات؟ إن هذا لشيء عجيب، كأن لعنه وسبّه ومحاربته من

المنجيات، والأعمال الصالحات، نسأل الله العافية، ودمّر الله العصبية.

ترجمة أبي سفيان

أمّا أبو سفيان، فهو الذي أعطاه الخليفة عثمان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بمائة ألف. كما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج [٦٧: ١].

وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب [٢: ٦٩٠] وفي [طبع دار صادر بيروت ٨٥: ٤]: كان أبو سفيان كهفًا للمنافقين منذ أسلم، وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة. قال الزبير يوم اليرموك لما حدّثه ابنه، أنّ أبا سفيان كان يقول: إيه بني الأصفر، قاتله الله، يابئ إلا نفاقاً، أو لسنا خيراً له من بني الأصفر؟. وقال له علي: ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله.

وروى من طريق ابن المبارك، عن الحسن، أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: صارت إليك - يعني الخلافة - بعد تيم وعدي - يعني أبا بكر وعمر - فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار، فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل. وفي تاريخ الطبري [١١: ٣٥٧] قال: يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي في كتابه مروج الذهب [١: ٤٤٠]: يا بني أمية تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثته.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه [٢: ٤٠٧] عن أنس: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمي، فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا، فقال: اللهمّ اجعل الأمر أمر الجاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية.

وقال ابن حجر في الإصابة [٢ : ١٧٩]: كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب. وقال ابن سعد في إسلامه: لما رأى الناس يطأون عقب رسول الله ﷺ حسده، وقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل، فضرب رسول الله في صدره، ثم قال: إذن يخزيك الله، وفي رواية: قال في نفسه: ما أدري لم يغلبنا محمد؟ فضرب في ظهره، وقال: بالله يغلبك.

وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج [٤ : ٢٢٠] من كتاب للإمام علي عليه السلام كتبه لمعاوية قوله: فلقد سلكت طرائق أبي سفيان أبيك وعتبة جدك، وأمثالهما من أهلك، ذوي الكفر والشقاق والأباطيل.

وقال أبو ذر لمعاوية لما قال له: يا عدو الله ورسوله: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر. الغدير [٨ : ٢٧٩].

فلا عجب مما صدر عن أبي سفيان من سوء أعماله وقبيح مقاله الذي يودّي إلى أشياء يفهمها ذو مسكة، فإن الله عز وجل قد أنزل فيه قوله ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَشْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢] راجع: تفسير الطبري [١٠ : ٣٦٢، وفي ط دار المعرفة ١٠ : ٦٢] وتفسير ابن جزى [٢ : ١٨] تفسير السيوطي، وتفسير الخازن [٢ : ٢١٨] وتفسير الألوسي [١٠ : ٥٩] وتاريخ ابن عساكر [٦ : ٢٩٣].

وأنزل فيه قوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصَّدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦] راجع تفسير الطبري [٩ : ١٥٩ ط دار المعرفة بيروت] تفسير الرازي [٤ : ٣٧٩] تفسير ابن جزى [٢ : ٦٥] تفسير الزمخشري [٢ : ١٣] تفسير الألوسي [٩ : ٢٠٦] تاريخ ابن عساكر [٦ : ٦٥].

وأنزل فيه قوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] راجع تفسير النسفي هامش الخازن

[٢: ١٩٣] وتفسير الألوسي [٩: ٢٠٦].

فهو رأس المشركين يوم أحد، ومجهّز جيش الأحزاب، والرافع على رسول الله ﷺ عقيرته وهو يرتجز بقوله: اعل هبل، اعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبونه، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: إن لنا عزى لا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبونه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. راجع: سيرة ابن هشام [٣: ٤٥] تاريخ ابن عساكر [٦: ٣٩٦] عيون الأثر لابن قتيبة [٢: ١٨] تفسير القرطبي [٤: ٢٣٤]. وهو الذي مشى مع جمع من رجال قريش إلى أبي طالب قائلين له: إن ابن أخيك قد سب آلهم، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإمّا أن تكفه عنّا، وإمّا أن تخلي بيننا وبينه. ذكره ابن هشام في سيرته [١: ٢٧٧، و٢: ٢٦].

وهو الذي أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية، وكلّ أوقية اثنتان وأربعون مثقالاً، واستأجر ألفين من الأحابيش من بني كنانة ليقاتل بهم رسول الله ﷺ عليه وآله، سوى من استجاش من العرب. راجع: تفسير الطبري [٩: ١٥٩] تفسير الزمخشري [٢: ١٣] تفسير الرازي [٤: ٣٩٧] وتفسير الخازن [٢: ١٩٢] تفسير الألوسي [٩: ٢٠٤].

وهو الذي لعنه رسول الله ﷺ في يوم أحد في صلاة الصبح بعد الركعة الثانية بقوله: اللهم العن أبا سفيان، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام. كذا في تفسير الطبري، وأخرجه الترمذي في جامعه، كما في نيل الأوطار [٢: ٣٩٨] للشوكاني.

وهو الذي لعنه رسول الله ﷺ في سبعة مواطن:

١ - يوم لقي رسول الله ﷺ خارجاً من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبه وشتمه وكذبه وتوعّده، وهم أن يبطش به، فلعنه رسول الله ﷺ وصرف عنه.

٢ - يوم العير، إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي آتية من الشام، فطردها أبو سفيان وساحل بها، فلم يطف المسلمون بها، ولعنه رسول الله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر.

٣ - يوم أحد، حيث وقف تحت الجبل ورسول الله ﷺ في أعلاه، ونادى أبو سفيان: اعل هبل، اعل هبل، فلعه رسول الله ﷺ عشرات، ولعه المسلمون.

٤ - يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعه رسول الله ﷺ وابتهل.

٥ - يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، ذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله ﷺ أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: ملعونون كلهم، وليس فيهم من يؤمن، فقل: يا رسول الله فما يرجئ الإسلام لأحد منهم؟ وكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد.

٦ - يوم الجمل الأحمر.

٧ - يوم وقفوا لرسول الله ﷺ في العقبة، ليستفروا ناقتة، وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان. شرح النهج لابن أبي الحديد [١٠٢ : ١٠٣].

وهو الذي كان يضرب في شدة حمزة بن عبدالمطلب بزج الرمح قائلاً: ذق عقق. سيرة ابن هشام [٤٤ : ٤٤].

وهو الذي داس قبر حمزة برجله، وقال: يا أبا عمار، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في أيدي غلماننا اليوم يتلاعبون به. شرح النهج لابن أبي الحديد [٥١ : ٤] وهو الذي دخل على عثمان يوم تسلم عرش الخلافة، وقال: صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة. كما مرّ ذكره.

وهو الذي عرفه أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتاب له إلى معاوية بقوله: منّا النبي ومنكم المكذب. قال ابن أبي الحديد في شرحه [٤٥٧ : ٣]: يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدوّ رسول الله ﷺ، والمكذب له والمجلب له.

وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب، كما في تاريخ ابن عساكر: أبو سفيان عدو الله، وقد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني يا رسول الله أضرب عنقه. وفي الإصابة لابن حجر [٢: ١٨٠] قال عمر: إنَّ أبا سفيان لقد يم الظلم.

ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح

ومنهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، أخو عثمان من الرضاعة، الذي أعطاه عثمان الخمس من غنائم إفريقية.

قال ابن كثير في تاريخه [٧: ١٥٢]: أعطاه خمس الخمس، وكان مائة ألف دينار على ما ذكره أبو الفداء، من تقدير ذلك الخمس بخمسمائة ألف دينار، وكان حظَّ الفارس من تلك الغنيمة ثلاثة آلاف، وحظَّ الراجل ألف. كما ذكره ابن الأثير في كتابه أسد الغابة [٣: ١٧٣].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه [١: ٦٧]: أعطى الخليفة عثمان عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه، من فتح إفريقية بالمغرب، وهي: من طرابلس إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وقال البلاذري في الأنساب [٥: ٢٦]: كان عثمان كثيراً ما يولي من بني أمية من لم يكن له مع النبيِّ صحبة، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فكان يستعذب فيهم فلا يعزلهم، فلمَّا كان في الست الأواخر استأثر بني عمِّه فولاهم. وولَّى عبدالله بن أبي سرح مصرًا، فمكث عليه سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه - إلى أن قال: - وضرب عبدالله بن أبي سرح بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتَّى قتله، فخرج أهل مصر في سبعمائة إلى المدينة، فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد ﷺ.

فقام طلحة إلى عثمان، فكلمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة تسأله أن

ينصفهم من عامله، ودخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم، فقال له: إنما يسألك القوم رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قبله دماً، فاعزله عنهم واقض بينهم. إلى آخره.

وعبد الله بن أبي سرح هذا، هو الذي أمر رسول الله ﷺ يوم الفتح بقتله وأباح دمه، ولو وجد تحت أستار الكعبة، ففرّ إلى عثمان، فغيبه حتى جاء به إلى رسول الله ﷺ بعد ما اطمأن أهل مكة، فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: نعم. فلمّا انصرف عثمان قال ﷺ: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، وقال رجل من الأنصار، فهلاً أومأت إليّ يا رسول الله! فقال: إنّ النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين.

ترجمة عقبة بن أبي معيط

ومنهم: عقبة بن أبي معيط، كان أشدّ الناس على رسول الله صلى الله عليه في إيذائه من جيرانه.

عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: كنت بين شرّ جارين، بين أبي لهب وابن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالروث فيطرحانها على بابي، حتى أنّهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى، فيطرحونه على بابي. كذا ذكره ابن سعد في طبقاته [١٨٦: ٢] وقال في [ص ١٨٥]: كان أهل العداوة والمناواة لرسول الله ﷺ، يعني عقبة بن أبي معيط وأصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل: أبو جهل، وأبو لهب، إلى أن عدّ عقبة بن أبي معيط، والحكم بن أبي العاص. فقال: وذلك أنّهم كانوا جيرانه، وأمّا الذي كانت تنتهي عداوة رسول الله ﷺ إليهم منهم: أبو جهل، وأبو لهب، وعقبة.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل بإسناد صححه السيوطي، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنّ عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي

بمكة لا يؤذيه، وكان له خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبا عقبة، وقدم خليله من الشام ليلاً، فقال لامرأته: ما فعل محمد ممّا كان عليه؟ فقالت: أشدّ ما كان أمراً، فقال: ما فعل خليلي عقبة؟ فقالت: صبا، فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه عقبة، فحيّاه، فلم يرد عليه التحيّة، فقال: ما لك لا ترد عليّ تحيّي؟ فقال: كيف أردّ عليك تحيّيّك وقد صبأت؟ قال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: نعم، قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلته؟ قال: تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم. ففعل، ولم يردّ رسول الله عليه شيئاً، غير أنّه مسح وجهه من البزاق، ثمّ التفت إليه، فقال: إن وجدتكَ خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً. فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه أبا أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا، قال: وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً. فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك، فلو كانت الهزيمة طرّت عليه، فخرج معهم. فلما هزم الله المشركين وحمله جملة في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه عقبة، فقال: أتقتلني من بين هؤلاء؟ قال: نعم، بما بزقت في وجهي.

وفي لفظ الطبري: بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله، فأمر عليّاً فضرب عنقه. فأنزل الله فيه ﴿يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الآية.

راجع: تفسير الطبري [١٩ : ٦] تفسير البيضاوي [٢ : ١٦١] تفسير القرطبي [١٣ : ٢٥] تفسير الزمخشري [٢ : ٣٢٦] تفسير ابن كثير [٣ : ٣١٧] تفسير النيسابوري في هامش الطبري [١٩ : ١٠] تفسير الرازي [٦ : ٦٨] تفسير الخازن [٣ : ٣٦٥] تفسير النسفي في هامش الخازن [٣ : ٣٦٥] تفسير الشوكاني [٤ : ٧٢] تفسير الألوسي [١٩ : ١١].

ترجمة الوليد بن عقبة

ومنهم: الوليد بن عقبة أخو الخليفة عثمان لأُمّه.

أخرج البلاذري في الأنساب [٣٣: ٥] من طريق محمد بن سعد بالإسناد عن أبي إسحاق الهمداني: أنَّ الوليد بن عقبة شرب مسكراً فصلَّى بالناس الغداة ركعتين، ثمَّ التفت، فقال: هل أزيدكم؟ فقالوا: لا، قد قضينا صلاتنا، ثمَّ دخل عليه بعد ذلك، أبو زينب، وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران، فانتزعا خاتمه من يده ولا يشعر سكرًا.

قال أبو إسحاق: وأخبرني مسروق أنَّه حين صلَّى لم يرم حتَّى قاء، فخرج في أمره إلى الخليفة عثمان أربعة نفر: أبو زينب، وجندب بن زهير، وأبو حبيبة الغفاري، والصعب بن جثامة، فاخبروا عثمان خبره، فقال عبدالرحمن بن عوف: ما له؟ أجنَّ؟ قالوا: لا، ولكنَّه سكر، قال: فأوعدهم عثمان وتهدَّدهم، وقال لجندب: أنت رأيت أخي يشرب الخمر؟ قال: معاذ الله، ولكنِّي أشهد أنَّي رأيته سكران، وأنَّي أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق: فأتى الشهود عائشة، فاخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان، وأنَّ عثمان زبرهم، فنادت عائشة: إنَّ عثمان أبطل الحدود، وتوعد الشهود.

وقال الواقدي: وقد يقال: إنَّ عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً، فأتوا عليّاً فشكوا ذلك إليه، فأتى عثمان، فقال: عطَّلت الحدود، وضربت قوماً شهدوا على أخيك فقلَّبت الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أميَّة وآل أبي معيط على رقاب الناس. قال عثمان: ماذا ترى؟ قال: أرى أن تعزله، ولا تولِّيه شيئاً من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود، فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عدواة أقمت على صاحبك الحد.

وقال الواقدي: وقد يقال: إنَّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها، وقال: وما

أنت وهذا؟ إنما أمرت أن تقرّي في بيتك، فقال قوم مثل قوله، وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها؟ فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأخرج من عدّة طرق: أنّ طلحة والزبير أتيا عثمان، فقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئاً من أمور المسلمين فأبيت، وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله، وقال له عليّ عليه السلام: اعزله وحّدّه إذا شهد الشهود في وجهه، فولّى عثمان بن سعيد بن العاص الكوفة، وأمره بإشخاص الوليد، فلمّا قدم سعيد الكوفة غسل المنبر ودار الإمامة وأشخص الوليد.

فلمّا شهد عليه في وجهه وأراد عثمان أن يحّدّه ألبسه جبّة حبر وأدخله بيتاً، فجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش ليضربه، قال له الوليد: أنشدك الله أن تقطع رحمي وتغضب أمير المؤمنين عليك، فيكفّ.

فلمّا رأى ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام أخذ السوط ودخل عليه ومعه ابنه الحسن، فقال له الوليد مثل تلك المقالة، فقال له الحسن: صدق يا أبت، فقال علي: ما أنا إذن بمؤمن، وجلده بسوط له شعبتان.

وفي لفظ: فقال علي للحسن ابنه: قم يا بنيّ فاجلده، فقال عثمان: يكفيك ذلك بعض ماترى، فأخذ علي السوط ومشى إليه، فجعل يضربه والوليد يسبّه. وفي لفظ الأغاني للإصفهاني: فقال له الوليد: نشدتك بالله والقراية، فقال له علي: اسكت يا أبا وهب فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود، فضربه، وقال: لتدعني قريش بعد هذا جلادها.

وقال أبو مخنف وغيره: خرج الوليد بن عقبة لصلاة الصبح وهو يميل، فصلّى ركعتين، ثمّ التفت إلى الناس، فقال: أزيدكم؟ فقال له عتاب بن علق أحد بني عوافة بن سعد وكان شريفاً: لا زادك الله مزيد الخير. ثمّ تناول حفنة من حصي، فضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس، وقالوا: والله ما العجب، إلّا ممّن ولّاك.

وذكر بعضهم: أنَّ القتيء غلب على الوليد مكانه، فقال يزيد بن قيس الأرحبي، ومعل بن قيس الرياحي: لقد أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد. وذكر أبو الفرج الإصفهاني في كتاب الأغاني [٤ : ١٧٨] وابن عبد البر في الاستيعاب [٣ : ٦٣٤] المطبوع في هامش الإصابة ط بيروت: قال جرول بن أوس بن مالك العبسي في ذلك:

تكلّم في الصلاة وزاد فيها	علانيةً وجاهر بالنفاق
ومجّ الخمر في ستر المصلّي	ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني	فما لكم ومالي من خلاق

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب، هامش الإصابة [٣ : ٦٣٤]: وخبر صلّاته بهم وهو سكران، وقوله: «أزيدكم» بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور، من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار.

وهكذا جاء في مسند أحمد بن حنبل [١ : ١٤٤] وسنن البيهقي [٨ : ٣١٨] وتاريخ يعقوبي [٢ : ١٤٢].

وقال ابن الأثير في أسد الغابة [٥ : ٩١]: قوله لهم: «أزيدكم»؟ بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من روايات الثقات من أهل الحديث. ثم ذكر حديث الطبري في تعصب القوم على الوليد، وقول عثمان له: يا أخي، اصبر فإنّ الله يأجرك، ويبوء القوم بإثمك.

وذكر ذلك أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب [٣ : ٦٣٥] وقال: والصحيح عند أهل الحديث أنّه شرب الخمر وتقيّأها وصلّى الصبح أربعاً.

وقال أبو الفداء في تأريخه [ص ١٧٦] وابن حجر في الإصابة [٣ : ٦٣٨]: وقصة صلّاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجة.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء [ص ١٠٤] والحلي في سيرته [٢ : ٣١٤]: صلّى بأهل الكوفة أربع ركعات، وصار يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني،

ثمّ قاء في المحراب، ثمّ سلّم وقال: هل أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: لا، لا زادك الله خيراً، ولا من بعثك إلينا، وأخذ فردة خفّه وضرب به وجهه، وحصبه الناس، فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح. الى آخره.

وحكى أبو الفرج الإصفهاني في كتابه الأغاني [٤ : ١٧٨] وابن عبد البرّ في الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة [٣ : ٦٣٣]: عن أبي عبيد، والكلبي، والأصمعي أن الوليد بن عقبة كان زانياً شريب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثمّ التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقيّاً في المحراب.

وفي لفظ الإصفهاني: وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

وذكر في [ص ١٧٩] نقلاً عن عمر بن شيبة. وفي [ص ١٨٠] روى من طريق المدائني عن الزهري أنّه قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال عثمان: أكلّمَا غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل؟ لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم.

واستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مرّاق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة؟ فسمعت عائشة، فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت: تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل، فتسامع الناس، فجاءوا حتّى ملأوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا؟ حتّى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال.

ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان، فقالوا له: اتق الله، لا تعطل الحدّ، واعزل أخاك عنهم، فعزله عنهم.

وأخرج من طريق مطر الوراق، قال: قدم رجل المدينة، فقال لعثمان: إني صليت الغداة خلف الوليد بن عقبة، فالتفت إلينا فقال: أزيدكم؟ إني أجد اليوم

نشاطاً، وأنا أشمّ منه رائحة الخمر، فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عطّلت الحدود، وضربت الشهود. الغدير [٨: ١٢٣].

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب المطبوع في هامش الإصابة [٣: ٦٣٢]: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنّ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية [الحجرات: ٦] نزلت في الوليد.

أمّا عطاء الخليفة عثمان للوليد فيما حكى البلاذري في كتابه أنساب الأشراف [٥: ٣٠] كما في الغدير [٨: ٢٧١]: أنّه لمّا قدم الوليد الكوفة ألقى ابن مسعود على بيت المال، فاستقرضه مالاً، وكانت الولاة تفعل ذلك ثمّ تردّ ما تأخذه، فأقرضه ابن مسعود ما سأله، ثمّ اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك الى عثمان، فكتب عثمان إلى ابن مسعود: إنّما أنت خازن لنا، فلا تعرّض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح، وقال: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك.

وفي عقد الفريد لابن عبد ربّه [٢: ٢٧٢] عن عبد الله بن سنان، قال: خرج إلينا ابن مسعود ونحن في المسجد، وكان على بيت مال الكوفة، وفي الكوفة الوليد بن عقبة، فقال: يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب أمير المؤمنين، قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك، فنزعه عن بيت المال.

ترجمة الحارث بن الحكم

ومنهم: - أي: من ثمرات تلك الشجرة - الحارث بن الحكم أخو مروان. وكان صهر الخليفة الثالث عثمان من ابنته عائشة، وقد أعطاه الخليفة ثلاثمائة ألف درهم، كما في الأنساب للبلاذري [٥: ٥٢]. وقال في [ص ٢٨]: قدمت إبل الصدقة على عثمان، فوهبها للحارث بن الحكم.

قال ابن قتيبة في المعارف [ص ٨٤] وابن عبد البر في العقد الفريد [٢: ٢٦١] والإصفهاني في المحاضرات [٢: ٢١٢]: تصدّق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف «بهمزون» على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم. وقال الحلبي في سيرته [٢: ٨٧]: أعطى الحارث عشر ما يباع في السوق - أي: سوق المدينة - .

الإمام علي عليه السلام

ونحن لا نتعرّض لما خصّه عثمان بالحارث ممّا تصدّق رسول الله ﷺ على كافة أهل الإسلام، ولكن لنا حقّ النظر للتمييز ما بين صنائع الخليفة الثالث، وبين صنائع الخليفة الرابع.

وذلك فيما رواه ابن حجر في صواعقه [ص ٧٩] كما رواه الأميني في غديره [٨: ٢٦٨] وغيره من المؤرّخين: أنّ أخاه عقيلاً جاءه يوماً يستميحه صاعاً من البرّ للتوسّع له ولعِياله ممّا قدّر له في العطاء، فأدّى عليه ما هو حقّ الاخوة والتربية، ولا سيّما في مثل عقيل من الأشراف الأعظم الذين يجب فيهم التهذيب أكثر من غيرهم، فأدنى إليه الحديدية المحمّاة فتأوّه، فقال عليه السلام: تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنّم؟.

وفي رواية ابن الأثير في كتابه أسد الغابة [٣: ٤٢٣] كما في نفس المصدر من طريق سعد: أنّ عقيل بن أبي طالب لزمه دين، فقدم على علي بن أبي طالب الكوفة، فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه، فلمّا أمسى دعا بعشائه، فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلّا ما أرى؟ فقال: لا، قال عقيل: فتقضي ديني؟ قال: وكم دينك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: ما هي عندي، ولكن اصبر حتّى يخرج عطائي فإنّه أربعة آلاف، فأدفعه إليك، فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك؟ فقال عليه السلام: أأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتموني عليها؟

اقرأ: ﴿فَاخْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص: ٢٦].

وذكر في شرح النهج [٢٠٥: ٣] لمحمد عبده أنه قال الإمام علي عليه السلام: واللّه لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم.

وروى المسعودي في مروج الذهب [٢: ٣٣ ط سنة ١٣٦٧] قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة، وكان من خواص علي عليه السلام: صف لي علياً، قال: أعفني، قال معاوية: لا بدّ من ذلك.

فقال: أما إذا كان لا بدّ من ذلك، فإنّه كان واللّه بعيد المدى، شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشن، ومن اللباس ما قصر، وكان واللّه يجيبنا إذا دعونا، ويعطينا إذا سألناه، وكنا واللّه على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتدئه لعظمته في نفوسنا، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويرحم المساكين، ويطعم في المسغبة، يتيماً ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة، يكسو العريان، وينصر اللفهان، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته.

وكأنّي به وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو في محرابه قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، أبي تعرّضت، أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات لا حان حينك، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، عمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

وفي منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد [٥: ٥٨]: قال زيد بن وهب: خرج علينا علي وعليه رداء وإزار قد وثقه بخرقة، فقيل له - أي في ذلك - فقال: إنّما ألبس هذين الثوبين ليكون أبعد لي من الزهو، وخيراً لي في صلاتي، وسنة للمؤمنين.

وفي نفس المصدر أيضاً، عن عبد الله بن شريك عن جدّه: أنّ علي بن أبي

طالب أتى بفالودج، فوضع قدّامه، فقال: إنّه طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعام، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتد.

وفي منتخب الكنز أيضاً [٥ : ٥٦] وكامل ابن الأثير [٣ : ٧٠١] عن علي بن أرقم، عن أبيه، قال: رأيت علي بن أبي طالب يعرض سيفاً له في رحبة الكوفة، ويقول: من يشتري منّي سيفي هذا؟ واللّه لقد جلوت به غير مرّة عن وجه رسول الله ﷺ، ولو أنّ عندي ثمن إزار ما بعته.

وفي رواية: لو كان عندي أربعة دراهم ثمن إزار لم أبعه
قال سفيان: إنّ عليّاً لم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحبوبة من المدينة في جراب، وكان ﷺ ختم على الجراب الذي يأكل منه، ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلّا ما أعلم. انتهى.

الشجرة الطيّبة المباركة

فيالها من خصال حميدة، وأخلاق محمودّة، ونفسيّة مجيدة، التي حلاه الله عزّ وجلّ بها، وتطلّ شاهدة، وتبقى معربة عن وصف معنى الشجرة الطيّبة المباركة الزيتونيّة.

كما أشار إليها النبي ﷺ بقوله معبراً: شجرة أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ورقها، فهل يخرج من الطيّب إلّا الطيّب، وأنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب.

وفي لفظ الحاكم في المستدرک [٣ : ١٦٠]: أنا شجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنّة عدن، وسائر ذلك في الجنّة.

وفي لفظ الطبري: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة، وأغصانها في الدنيا، فمن تمسّك بنا اتّخذ إلى ربّه سبيلاً.

وفي لفظ الحموي بزيادة: من تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة، يا علي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالحنايا وصلّوا حتى صاروا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبّهم الله على النار.

رواه جمع من أعلام القوم، منهم:

- ١ - ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان [٦ : ٢٤٣ ط حيدرآباد، وفي ط مصر ٥٠٧ : ٣، وفي ٤ : ٣٥٤، و ٤٣٤].
- ٢ - العلامة الذهبي في ميزان الاعتدال [٢ : ٢٨١ ط القاهرة] وفي كتابه تلخيص المستدرک بهامش المستدرک [٢ : ١٦٠ ط حيدرآباد].
- ٣ - الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ٤٥٨ وص ١٧٨ ط الغري].

٤ - الأمر تسري في أرجح المطالب [ص ٤٥٨ وص ٣١٢ ط لاهور].

٥ - الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. كما في أرجح المطالب.

٦ - ابن حسويه في بحر درر المناقب [ص ٧٨]

٧ - الخوارزمي في مقتل الحسين [ص ٦١ وص ١٠٨ ط الغري]

٨ - الكنانى وهو العلامة أبو الحسن علي بن محمد المصري في تنزيه

الشریعة [١ : ٤٠٠]

٩ - القندوزي في ينابيع المودة [ص ٢٥٤ وص ٢٤٥ وص ١٩١ ط إسلامبول]

١٠ - الحاكم في المستدرک [٣ : ١٦٠]

١١ - السيوطي في ذيل اللاكي [ص ٦٣ ط لكهنوا].

١٢ - الكشف الحنفى الحسيني، وهو المولى محمد صالح الترمذي في

المناقب المرتضوية [ص ٩٠].

١٣ - البدخشي في مفتاح النجا [ص ٦٣].

١٤ - الصفوري في نزهة المجالس [٢ : ٢٢٢ ط القاهرة] وفي كتابه المحاسن

المجتمعة [ص ١٨٨ نسخة جامعة طهران].

١٥- ابن حجر في الصواعق [ص ٢٣٠ وص ٢٣ ط عبداللطيف بمصر].

١٦- الطبري في ذخائر العقبى [ص ١٦ ط مكتبة القدس بمصر].

١٧- العلامة عبدالله الشافعي في مناقبه [ص ٢٠٩].

١٨- العلامة الشيخ أحمد بن الفضل باكثر الحضرمي في وسيلة المال [ص

٩ ط مكتبة الطاهرية بدمشق].

١٩- الحبيب أبو بكر بن شهاب الدين العلوي الحضرمي في رشفة الصادي

[ص ٤٤].

٢٠- الحموي في فرائد السمطين [١ : ٥١]

ترجمة عمرو بن العاص

ومن ثمرات تلك الشجرة الخبيثة أيضاً: عمرو بن العاص.

وأما نسبه من جهة أبيه، فهو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد -

بالتصغير - بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي.

وأبوه العاص هو الأبتَر، كما دلت عليه آية من سورة الكوثر، كما قال في

ذلك أكثر المفسرين في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فَإِنَّ الْآيَةَ نازلة فيه، كما

ذكره ابن سعد في الطبقات [١ : ١١٥] وابن قتيبة في المعارف [ص ١٢٤].

وابن عساكر في تاريخ الشام [٧ : ١٣٠]: والأميني في الغدير [٢ : ١٢٠].

قال الفخر الرازي في تفسيره [٨ : ٥٠٣]: روي أَنَّ العاص بن وائل كان يقول:

إِنَّ مُحَمَّدًا أَبْتَرُ لَا ابْنَ لَهُ يَقُومُ مَقَامَهُ بَعْدَهُ، فَإِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، وَاسْتَرَحْتَمَ مِنْهُ. قَالَ

ذَلِكَ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خَدِيجَةَ. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَقَاتِلٍ، وَانْكَلَبِيِّ،

وعامة أهل التفسير.

وروي التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي في كتابه على ما في الغدير

[٢: ١٢٠] أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَمْرٍو نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ شَانِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا مَاتَ وَلَدَهُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ صَارَ أَبْتَرًا لَا عَقْبَ لَهُ، فَبِذَلِكَ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ أَبِيَاتٍ لَهُ، قَائِلًا:

إِنْ يَسْقُرُنَا وَصِيَّتُهُ وَالْأَبْتَرَا شَانِي الرُّسُولِ وَاللَّعِينِ الْأَخْزَرَا
وَبِذَلِكَ ذَكَرَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، كَمَا سَيَأْتِي حَدِيثُهُمَا مَعَهُ، وَبِذَلِكَ قَالَ لَهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ فِي كِتَابٍ لَهُ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَبْتَرِ بْنِ الْأَبْتَرِ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ شَانِي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ. انْتَهَى.
وِخْلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَعْطِي اللَّيْبَ الْمُنْصَفَ عِلْمًا بِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَهُوَ.....

وَلنُضْفِ إِلَى ذَلِكَ نَسَبَهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ:

وَأَمَّا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ، فَقَدْ قَالَ الْكَلْبِيُّ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٢٠٤) وَقِيلَ: سَنَةَ (٢٠٦) فِي كِتَابِهِ مِثَالِبُ الْعَرَبِ: بَابُ تَسْمِيَةِ ذَوِي الرِّيَاسَاتِ، وَأَمَّا النَّابِغَةُ أُمُّ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - هِيَ حَبْشِيَّةٌ - فَإِنَّهَا كَانَتْ بَغِيَّةً، قَدِمَتْ مَكَّةَ وَمَعَهَا بَنَاتٌ لَهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فِي عِدَّةٍ مِنْ قَرِيْشٍ، مِنْهُمْ: أَبُو لَهَبٍ، وَأُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَهِشَامُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَأَبُو سَفْيَانَ، فَوُلِدَتْ عَمْرًا، فَتَخَاصَمَ الْقَوْمُ جَمِيعًا فِيهِ، كُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّهُ ابْنُهُ.

ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْهُ ثَلَاثَةٌ، وَأَكْبَ عَلَيْهِ اثْنَانِ، وَهُمَا: الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَنَا وَاللَّهِ وَضَعْتُهُ فِي حَرِّ أُمِّهِ، فَقَالَ الْعَاصُ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُ، هُوَ ابْنِي، فَحَكَّمَا أُمُّهُ فِيهِ، فَقَالَتْ: لِلْعَاصِ. فَقِيلَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ وَأَبُو سَفْيَانَ أَشْرَفُ مِنَ الْعَاصِ؟ فَقَالَتْ: إِنَّ الْعَاصَ كَانَ يَنْفِقُ عَلَى بَنَاتِي، وَلَوْ أَلْحَقْتَهُ بِأَبِي سَفْيَانَ لَمْ يَنْفِقْ عَلَيَّ الْعَاصُ شَيْئًا وَخَفْتُ الضَّيْعَةَ.

وَزَعَمَ ابْنُهَا عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ أُمَّهُ مِنْ عَنزَةَ بْنِ أَسَدَ بْنِ رَبِيعَةَ، كَمَا ذَكَرَهُ سَبْطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَذَكُّرَتِهِ [ص ١١٧] نَقْلًا عَنْ مِثَالِبِ الْعَرَبِ لِلْكَلْبِيِّ.

وقد عدّه الكلبي في مثالبه من أدعياء الجاهلية، وقال: قال الهيثم: ومن الأدعياء عمرو بن العاص، وأمه النابغة الحبشية، وأخته لأمّه أرينب، وكانت تدعى لعفيف بن أبي العاص، وفيها قال عثمان بن عفان لعمرو بن العاص: ممّن كانت تدّعي أختك يا عمرو؟ فقال: لعفيف بن أبي العاص، قال عثمان: صدقت.

وروى أبو عبيدة بن المثنى، المتوفى سنة (٢٠٩) وقيل (٢١١) في كتاب الأنساب: أنّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان، والعاص بن وائل، فقيل: لتحكم أمّه، فقالت: إنّه من العاص، فقال أبو سفيان: أما إنّي لا أشكّ أنّني وضعته في رحم أمّه، فأبت إلاّ العاص، فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً، فقالت: إنّ العاص بن وائل كثير النفقة عليّ، وأبو سفيان شحيح. وفي ذلك قال حسان بن ثابت:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت

لنا فيك منه بيّنات الدلائل

كما مرّ من الأبيات السالف ذكرها، راجع ذلك كله في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢: ١٠٠ ط دار لفكر بيروت] والغدير [٢: ١٢٣].

وقال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار [٣: ٥٤٨]: كانت النابغة أمّ عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة، فسبيت، فاشتراها عبد الله بن جدعان بمكّة، فكانت بغياً.

وممّن قال بذلك الحسن بن علي عليه السلام، فيما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [٢: ١٠١] وسبط ابن الجوزي في تذكرته [ص ١١٤] نقلاً عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، كما ذكره الأميني في غديره [٢: ١٢٢]. حيث قال: فبذلك قال له الإمام السبط الحسن بن علي عليه السلام بمحضر من معاوية وجمع آخرين من أعوانه: أمّا أنت يا بن العاص، فإنّ أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة - وفي تذكرة السبط: خمسة - من قريش، فغلب عليك

جزّارها. ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شائنئ محمد الأبت، فأنزل الله فيه ما أنزل.

وروى المبرد في الكامل، وابن قتيبة في عيون الأخبار [٢٨٤ : ١] وابن عبد البرّ في الاستيعاب [٥٠١ : ٢] دار الكتاب العربي، وابن أبي الحديد في شرح النهج [١٠٠ : ٢] وفي جمهرة الخطب [١٩ : ٢]: أنّه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمّه، فأتاه الرجل وكان عمرو بمصر أميراً، فقال: أردت أن أعرف أمّ الأمير. فقال: نعم، كانت إمراة من عنزة، ثمّ من بني جلاّن تسمّى ليلى، وتلقّب بالنابغة، ثمّ قال: اذهب وخذ ما جعل لك.

وقال الحلبي في سيرته [٤٦ : ١] في نكاح البغايا ونكاح الجمع: من أقسام نكاح الجاهليّة:

الأول: أن يطأ البغي جماعة متفرّقون، واحداً بعد واحد، فإذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه.

الثاني: أن تجتمع جماعة دون العشرة على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلّهم يطؤونها، فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل أن يمتنع حتّى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت وهو ابنك يا فلان، تسمّى من أحبّت منهم، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع منهم الرجل وإن لم يغلب شبهه عليه.

ثمّ قال الحلبي: وحينئذ يحتمل أن تكون أمّ عمرو بن العاص من القسم الثاني، فإنّه يقال: إنّه وطئها أربعة، وهم العاص بن وائل، وأبو لهب، وأمّية بن خلف، وأبو سفيان، وادّعى كلّهم عمرواً، فألحقته أمّه بالعاص لإنفاقه على بناتها. وفيما روي عن الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد [ص ١٠٢ وفي ط ص ١١٨] وكذا كتاب المحاسن والمساوي [٦٩ : ١] للبيهقي: أنّه بلغ غانمة بنت غانم سبّ معاويه وعمرو بن العاص بني هاشم في مكّة.

فقالت: يا معشر قريش، واللّه ما معاوية بأمرير المؤمنين، ولا هو كما يزعم، هو واللّه شأنى رسول اللّه ﷺ، إني آتية معاوية وقائلة له بما يعرق منه جبينه، ويكثر منه عويله.

فكتب عامل معاوية إليه بذلك، فلمّا بلغ معاوية أنّ غانمة قد قربت منه، أمر بدار ضيافة فنظفت، وألقي فيها فرش، فلمّا قربت من المدينة، استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه.

فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم، فقال لها يزيد: إنّ أبا عبد الرحمن - يعني معاوية - يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته، وكانت لا تعرفه، فقالت: من أنت كلاك اللّه. قال: يزيد بن معاوية، قالت: فلا رعاك اللّه يا ناقص لست بزائد، فتعمّر لون يزيد، فأتى أباه فأخبره، فقال: هي أسنّ قريش وأعظمهم، فقال يزيد: كم تعدّ لها يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت تعدّ على عهد رسول اللّه أربعمائة عام، وهي من بقيّة الكرام.

فلما كان من الغد أتتها معاوية، فسلم عليها، فقالت: على المؤمنين السلام، وعلى الكافرين الهوان، ثمّ قالت: من منكم ابن العاص؟ قال عمرو: ها أنا ذا، فقالت: وأنت تسبّ قريش وبني هاشم؟ وأنت أهل السبّ وفيك السبّ وإليك يعود السبّ، يا عمرو، إني واللّه لعارفة بعيوبك وعيوب أمك، وإني أذكر ذلك عيباً عيباً:

ولدت من أمة سوداء حمقاء، تبول من قيام، وتعلوها اللثام، إذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً. وأما أنت، فقد رأيتك غاوباً غير راشد، ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرث ولا أنكرت.

وأما أنت يا معاوية، فما كنت في خير ولا ربّيت في خير، فما لك ولبنى هاشم؟ أنساء بني أميّة كنسائهم؟ إلى آخر ما قالت. الغدير [٢: ١٥٠].

وممن قال بذلك أيضاً عبدالله بن جعفر الطيار ذي الجناحين، فيما رواه الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ الشام [٧ : ٣٣٠] وذلك أن عمرو بن العاص قال لعبدالله بن جعفر: يا ابن جعفر، يريد تصغيره، فقال له: لئن نسبتني إلى جعفر فلست بدعي ولا أبتري. ثم ولئى وهو يقول:

تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفرت اختياراً ثم آمنت خيفة ويغضك إيانا شهيد بذلكا

وممن قال بذلك أيضاً عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي، فيما رواه ابن عساكر أيضاً في تاريخه [٧ : ٤٣٨] وذلك أن عبدالله قدم على معاوية وعنده عمرو، فجاء الأذان، فقال: هذا عبدالله، وهو بالباب، فقال معاوية: ائذن له.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتلهي، والطربات للتغني، صدوق عن السنان، محب للقيان، كثير مزاحه، شهيد طماحه، ظاهر الطيش، لين العيش، أخاذ للسلف، صفاف للشرق.

فقال عبدالله: كذبت يا عمرو، وأنت أهله، ليس كما وصفت، ولكنه: لله ذكور، ولبلائه شكور، وعن الخنا زجور، سيد كريم، ماجد صميم، جواد حلیم، إذا ابتدأ أصاب، وإذا سئل أجاب، غير حصر ولا هياب، ولا فاحش ولا عياب، كذا قضى الله في الكتاب، فهو كالليث الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعي ولا دني، كمن اختصم فيه من قريش شرافها، فغلب عليه جزارها. الى آخره.

وممن قال بذلك أيضاً عمار بن ياسر، فيما رواه نصر بن مزاحم في كتابه صفين [ص ١٧٦] وشرح النهج لابن أبي الحديد [٢ : ٣٧٣]، وذلك أنه اجتمع عمار بن ياسر مع عمرو بن العاص في المعسكر يوم صفين، فنزل عمار والذين معه، فاحتبوا بحمائل سيوفهم، فتشهد عمرو بن العاص - يعني قال: أشهد أن لا إله إلا

اللّٰه - فقال عمار: اسكت، فقد تركتها في حياة محمّد ومن بعده. ونحن أحقّ بها منك، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني.

قال عمرو: يا أبا اليقظان، ليس لهذا جئت، إنما جئت لأنّي رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم، أذكرك اللّٰه إلّا كففت سلاحهم، وحقنت دماءهم، وحرضت على ذلك، فعلام تقاتلنا؟ ألسنا نعبد إلهاً واحداً؟ ونصلي قبلتكم؟ وندعو دعوتكم؟ ونقرأ كتابكم؟ ونؤمن برسولكم؟

قال عمّار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك، إنّها لي ولأصحابي: القبلة، والدين، وعبادة الرحمن، والنبّي، والكتاب، من دونك ودون أصحابك، الحمد لله الذي قرّرك لنا بذلك، دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالاً مضلاً، لا تعلم هاد أنت أم ضالّ، وجعلك أعمى، وساخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك: أمرني رسول الله أن أقاتل الناكثين - يعنى أهل الجمل - فقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين، فانتهم هم، وأمرني أن أقاتل المارقين فما أدري أدركهم أم لا.

أيّها الابتر، ألسنت تعلم أنّ رسول الله قال لعلي: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟ وأنا مولى الله ورسوله، وعليّ من بعده. الى آخره. الغدير [٢: ١٤٤ - ١٤٥].

ترجمة معاوية بن أبي سفيان

ومن ثمراتها معاوية، فهو ابن أبي سفيان الأموي، كما هو معروف ومشهور. وأمّا نسبه من جهة أمّه، فهو - كما في كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة، القسم الأوّل، مطبعة الحيدري، تأليف مرتضى العسكري، وغيره من كتب التاريخ - معاوية ابن هند آكلة الأكباد، وكانت - كما في شرح النهج لابن أبي الحديد [١]:

١١١- بمكة وتذكر بالفجور والعهر، وأول من تزوجها الفاكه بن المغيرة المخزومي، ثم اتهمها بالزنا، فبانت منه، ذكره ابن أبي الحديد في قصة طويلة ما جرى بينها وبين زوجها الفاكه.

وروى أيضاً أن المسافر بن عمرو عشقها حتى اتهم بها وحملت منه، فلما بان حملها، أو كاد خرج هارباً إلى النعمان بن المنذر أحد ملوك الحيرة يستعينه على أمره، فتزوجها أبو سفيان.

وقال الأصمعي وابن هشام الكلبي في كتابه مثالب العرب فيما ذكره سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص [ص ٢٠٢ ط النجف]: إن معاوية يقال من أربعة، وهم: عمارة بن الوليد، ومسافر بن عمرو، وأبو سفيان، والعبّاس بن عبدالمطلب.

وهؤلاء ندماء أبي سفيان، وكلّ منهم يتّهم بهند.

وقال الكلبي: إن عامة الناس قالوا: إن معاوية من مسافر بن أبي عمرو الهارب إلى ملك الحيرة، فأقام بها ومرض هناك من عشقه لهند، فلما انفصل عن مكة تزوجها أبو سفيان، ثم إن أبا سفيان قدم الحيرة، فأخبر مسافراً أنه قد تزوج هنداً، فازداد مرضاً حتى مات.

وقال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار [٣: ٥٥١] وابن أبي الحديد في شرح النهج [١: ١١١]: إن معاوية يعزى إلى أربعة، وهم: مسافر بن أبي عمرو، وعمارة بن الوليد، والعبّاس بن عبدالمطلب، والصباح مغني عمارة بن الوليد وكان شاباً، فدعته هند إليها فغشيها، وكان أبو سفيان دميماً قصيراً. وقالوا: إن عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية من الصباح، وكرهت هند أن تدعه في منزلها، فخرجت به فوضعت في البطحاء.

وفي هذا المعنى قال حسان بن ثابت أيام المهاجرة بين المشركين والمسلمين قبل فتح مكة:

لمن الصبي بجانب البطحا في الترب ملقى غير ذي مهد
 نجلت به بيضاء آنسه من عبد شمس صلته الخد

وقال الكلبي أيضاً في مثالب العرب كما رواه سبط ابن الجوزي في تذكرته
 [ص ٢٠٣ ط النجف]: كانت هند من المغيلمات وكانت تميل إلى السودان من
 الرجال، وكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلتها.
 وقد أشار بشيء من ذلك رسول الله ﷺ إلى هند، وذلك أنها جاءت بعد فتح مكة
 إلى النبي ﷺ لتبايعه، فقالت: على ما أباعك، فعرفها رسول الله ﷺ، فنظر إلى عمر
 فتبسّم.

هذه هي هند كما عرفنا بما سجله المؤرخون في تاريخهم.
 وأما ولدها معاوية فهو الذي بعث بسر بن أرطاة بالجيش وعلي يومئذ
 حياً، وأمر أن يسير في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي تحت كل حجر
 ومدر، ولا يكفوا أيديهم عن النساء والأطفال، حتى قدم المدينة، فهرب أبو أيوب
 الأنصاري، وكان عاملاً على المدينة لعلي عليه السلام.
 فدخل ابن أرطاة المدينة بعد أن قتل ناساً من أصحاب علي عليه السلام، فصعد
 المنبر ونادى: يادينار يانجار يارزيق، - هؤلاء بطون الأنصار - والله مالكم عندي
 أمان حتى تؤتونني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوجة النبي صلى
 الله عليه وآله فقال لها: ماذا ترين؟ إن هذه بيعة ضلالة. وقد خشيت أن أقتل قالت:
 أرى أن تباع، فأني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة، وختني عبد الله بن زمعة أن
 يبايعاه، فأتاه جابر فبايعه.

ثم هدم ابن أرطاة دوراً بالمدينة، وفي رواية البخاري في تاريخه: أحرق
 دياراً، ثم استمر إلى مكة، فقاتل نفراً من آل أبي لهب، ثم أتى السراة، فقتل من بها
 من أصحاب علي عليه السلام، وأتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه،
 وكانا من أصهار بني العباس عامل علي عليه السلام.

ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عامل علي عليه السلام، وكان غائباً وقيل هارباً، ووجد ابنين له صبيين وهما عبدالرحمن وقثم، فأخذهما ابن أوطاة، فذبحهما بمدينته، وقال بعضهم: إنّه وجدتهما عند رجل من بني كنانة بالبادية، فلمّا أراد قتلهما قال له الكناني: لم تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلتهما فاقتلني معهما، فدافع عنهما حتّى قتل فقتل الصبيين، فخرجت نساء من بني كنانة، فقالت امرأة منهنّ: يا هذا قتلت الرجال، فعلام تقتل هذين الصبيين؟ واللّه ما كانوا يقتلون في الجاهليّة ولا في الإسلام، واللّه يا ابن أوطاة، إنّ سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير، والشيخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام، لسلطان سوء.

ولمّا بلغ علياً عليه السلام قتل الصبيين جزع لذلك جزعاً شديداً، ودعا علي بسر بن أوطاة، فقال: اللهم اسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتّى تسلبه عقله، فأصابته دعوة علي عليه السلام وفقد عقله، وكان يهذي بالسيف ويطلبه، فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه منقوخ، فلا يزال يضربه حتّى يسأم. وفي لفظ: إلى أن مات وفي الاستيعاب [١ : ٦٥] لابن عبدالبر، قال الشيخ المؤلّف: وفي هذه الخرجة أغار بسر بن أوطاة على بني همدان وسبى نساءهم، فكنّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بني سعد

ثم اخرج المؤلّف حديثاً مسنداً عن أبي ذر الغفاري عليه السلام أنّه دعا وتعوّذ في صلاة صلاتها وأطال قيامها وركوعها وسجودها، فسئل ممّ تعوّذت؟ وفيم دعوت؟ قال: تعوّذت من يوم البلاء يدركني، ويوم العورة أن أدركه، وقال: أمّا يوم البلاء، فتلتقي فئتان من المسلمين، فيقتل بعضهم بعضاً. وأمّا يوم العورة، فإنّ من المسلمات سبين فيكشف عن سوقهنّ، فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتريت على عظم ساقها، فأسأل الله أن لا يدركني هذا الزمان.

قال يحيى بن معين: كان بسر بن أوطاة رجلاً سوء.

وقال الدارقطني: ولم تكن له استقامة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وفي شرح نهج البلاغة [٣ : ١٥]: كان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل لكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، وكان قد استعمل معاوية عليهم زياد بن سمية، وضمّ إليها البصرة، وكان زياد يتتبع الشيعة، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق.

ثمّ كتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الآفاق كتاباً:
الأول: كتب إلى جميع عمّاله أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

الثاني: كتب إلى جميع عمّاله أن نظروا إلى من كان من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائل عثمان ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كلّ رجل منهم مع اسمه واسم أبيه، ففعلوا ذلك، حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه معاوية إليهم من الصلوات والهبات والقطائع.

الثالث: كتب معاوية إلى عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر، وغشا في مصر وناحيته، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض في فضائل الصحابة مفتعلة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني.

الرابع: ثمّ كتب إلى عمّاله إلى جميع البلدان: انظروا إلى من أقيمت عليه البيّنة أنّه ممن يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفّع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم - يعني علياً وأهل بيته - فنكّلوا به واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيّما بالكوفة، حتّى أنّ الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به، فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا

يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر. راجع: تاريخ الطبري [٧٧ : ٦] كامل ابن الأثير [١٦٢ : ٣] تاريخ ابن عساكر [٢٢٢ : ٣] الاستيعاب [٦٥ : ١] لابن عبد البر هامش الإصابة [١٥٤ : ١] تاريخ ابن كثير [٣١٩ : ٧] وفاء الوفاء [٣١ : ١] النزاع والتخاصم [ص ١٣] تهذيب التهذيب [٤٣٥ : ١] الأغاني [٤٤ : ١٥] شرح نهج البلاغة [١١٦ : ١] لابن أبي الحديد، الغدير [١١ : ١٦ - ٢٩] للأميني.

معاوية وسمرة بن جندب وجنايتهما

أخرج الطبري في تاريخه [١٣٢ : ٦] من طريق محمد بن سليم، قال: سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتله سمرة؟! استخلفه زياد بن سمية على البصرة، وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال له معاوية: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت.

قال أبو سوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن.

وأخرج الطبري أيضاً في [١٦٤ : ٦] من طريق سليمان بن مسلم العجلي، قال: سمعت أبي يقول: مررت بالمسجد، فجاء رجل إلى سمرة فأدّى زكاة ماله، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقه، فإذا رأسه في المسجد وجسده في ناحية، فمرّ أبو بكر، فقال: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ قال أبي: فشهدت ذلك، فمات سمرة حتى أخذه الزمهرير، فمات شرمية.

وقال: وشهدته وقد أتى بناس كثيرين، وأناس بين يديه، فيقول للرجل: ما دينك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده

ورسوله، وأنا بريء من الحرورية - أي الخوارج - فيقدم فيضرب عنقه، حتى مرّ بضعة وعشرون.

وروى من طريق عمر بن شبه، قال: لما عزله معاوية، قال سمرة: لعن الله معاوية، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذّبتني أبداً.

وذكر في شرح النهج [١: ٣٦١] أنّ معاوية أعطى سمرة بن جندب من بيت المال أربعمائة ألف درهم «٤٠٠، ٠٠٠» على أن يخطب في أهل الشام بأنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُغْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أنّه نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ نزل في ابن ملجم.

معاوية وزیاد بن سمیة

وكان زياد من مقدّمي عمّال معاوية المهاجمين لسيد العترة وشيعته. وكان يجمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي عليه السلام.

وفي لفظ البيهقي: يحرضهم على البراءة من علي عليه السلام فملاً منهم المسجد والرحبة، فمن أبى ذلك عرضه على السيف.

وروى ابن الجوزي في المنتظم: أنّ زياداً لمّا حصبه أهل الكوفة، وهو يخطب على المنبر، قطع أيدي ثمانين منهم، وهم أن يخرب دورهم، ويحمر نخيلهم، فجمعهم حتى ملأ المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من علي عليه السلام. راجع: مروج الذهب [٢: ٦٩] والمحاسن والمساوي للبيهقي [١: ٣٩] وشرح النهج [١: ٢٨٦] لابن أبي الحديد.

عبادة بن الصامت مع ماذح معاوية

كان خطيب يمدح معاوية ويثني عليه، فقام عبادة بتراب في يده فحثاه في فم الخطيب، وكان يقول لعثمان وهو بالمدينة: تستعمل الصبيان، وتقرب أولاد الطلقاء. راجع أعلام النبلاء للذهبي [٢ : ٢].

سعد بن أبي وقاص ومعاوية

وروى الذهبي في سير أعلام النبلاء [١ : ١٢٢ ط مؤسسة الرسالة]: دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت، قال سعد: فنحن المؤمنون ولم نؤمرك، فإنك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرنني أني الذي أنت عليه وأنني هرقت عليه محجمة دم. وفي صحيح مسلم [٤ : ١٨٧١ ط دار احياء التراث العربي] قال معاوية: ما منعك أن تسب علياً؟ قال سعد: أما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله؟ فذكر حديث المنزلة، وآية التطهير، وحديث إعطاء الراية.

قيس بن سعد ومعاوية

وذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين [٢ : ٨٧]: أنه أرسل قيس إلى معاوية كتاباً فقال: أمّا بعد، فإنك وثن ابن وثن، دخلت في الاسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك. الغدير [١٠ : ١٥٧ و ٢ : ١٠٠].

أبو قتادة ومعاوية

ذكر في الاستيعاب لابن عبد البر [٣ : ٤٠١] أنه لما قدم معاوية المدينة، لقيه أبو قتادة الأنصاري، فقال له معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم معشر الأنصار، ما منعكم؟ قال أبو قتادة: لم يكن معنا دواب، فقال: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة:

عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر.

ومما قاله أبو قتادة: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا نرى بعده أثره، فقال معاوية: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر، فقال: اصبروا حتى تلقوه.

أسامة بن زيد ومعاوية

ذكر في الاستيعاب أيضاً [لم أعر عليه في مظائه]: أنه قال معاوية لأسامة: رحم الله أم أيمن، كأنني أرى ساقها وكأنهما ساقا نعام، فقال أسامة: كانت والله خيراً من هند وأكرم، فقال معاوية: وأكرم أيضاً؟ فقال: نعم، قال الله عز وجل: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

أبو أيوب الأنصاري ومعاوية

ذكر الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء [٢: ٤١١ ط مؤسسة الرسالة] أنه قدم أبو أيوب الأنصاري على معاوية، فأجلسه معه على السرير وحادثه، وقال: يا أبا أيوب من قتل صاحب الفرس البلقاء التي جعلت تجول كذا وكذا؟ قال: أنا إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر معكما لواء الكفر، فنكس معاوية رأسه.

صعصة بن صوحان العبدي ومعاوية

ذكر في مروج الذهب للمسعودي [٣: ٤١] أنه لما فاخر معاوية بنفسه وبأبيه، وجه صعصة هذا الكلام: لقد كنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله. إنما أنت طليق وابن طليق، طلقكما رسول الله، فأنتي تصحّ الخلافة لطلق.

معاوية والوضّاعون

قال أبو جعفر الإسكافي، كما في شرح النهج [١ : ١٥٨]: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله. فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعروة ابن الزبير

معاوية وما قاله الحسن البصري فيه

قال الحسن البصري فيما رواه الطبري: أربع خصال في معاوية، ولو لم تكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة:

الأولى: انتزأه على هذه الأمة بالسفهاء بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة.

الثانية: استخلاف ابنه السكير الخمير، يلبس الحرير، ويضرب الطنابير.

الثالثة: ادّعاؤه زياداً.

الرابعة: قتله حجر بن عدي وأصحابه. ويل له لحجر وأصحابه، ويل له لحجر وأصحابه.

ومما قاله معاوية لأحد أصحاب حجر: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: دعني ولا تسألني، فهو خير لك، قال: واللّه ما أدعك، قال: أشهد أنّه من الذاكرين اللّه كثيراً، ومن الأمرين بالحقّ، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. قال معاوية: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح أبواب الظلم، وأغلق باب الحقّ.

قال معاوية: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت. فأمر بقتله شرّ قتلة، ودفن حياً.

راجع: تاريخ الطبري في حوادث سنة ٥٠ وكامل ابن اثير [٣ : ٢٠٢] وتاريخ

ابن عساكر [٢ : ٣٢٩].

معاوية وما قاله شريك فيه

روى الأُميني في الغدير [١١ : ٧٩] نقلاً عن كتاب تشييد المطاعن [٢ : ٤٠٩] والمحاضرات [٢ : ٢١٤] قال شريك حين ذكر معاوية بالحلم: هل كان معاوية إلا معدن السفه، واللّه لقد أتاها قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان متكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: يا جارية غنيبي، فاليوم قرّرت عيني، فأنشأت تقول:

ألا أبلغ معاوية بن حرب	فلا قرّرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وأفضلهم ومن ركب السفينا
فرفع معاوية عموداً كان بين يديه، فضرب رأسها ونثر دماغها.	

تمثال معاوية

ذكر في كتاب الوحي المحمّدي [ص ٢٣٢] قال أحد علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين، وفيهم أحد شرفاء مكّة: إنّه ينبغي أن نقيم تمثالاً من ذهب لمعاوية ابن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين، ف قيل له: لماذا؟ قال: لأنّه هو الذي حوّل الحكم الإسلامي الديمقراطي إلى العصبية، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كلّهُ، وإذن لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربا عرباً مسلمين.

الفضائل المختلفة لمعاوية

وأخرج أبو نعيم في الحلية [١ : ٣٩٣] عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة. فطلع معاوية، ثمّ قال من الغد مثل ذلك، فطلع معاوية، ثمّ قال مثل ذلك من الغد، فطلع معاوية. قال الذهبي: إنّه ليس بصحيح. راجع لسان الميزان [٢ : ٢١٣].

وروى ابن كثير في تاريخه [٥ : ١٢١] والذهبي في ميزانه [٣ : ٦٢] وابن حجر

في لسان الميزان [٥ : ١٩٢] عن مسلمة بن مخلد أن النبي ﷺ قال: اللهم علم معاوية الكتاب، ومكنه في البلاد.

وفي لسان الميزان [٥ : ٣٤] وفي الميزان [٣ : ١٥] عن أنس مرفوعاً: ائتمن الله على وحيه: جبريل، ومحمد، ومعاوية.

وفي الميزان [٣ : ٤٣] وفي لسان الميزان [٥ : ١٢٥] مرفوعاً: إن معاوية يبعث نبياً من علمه وائتمانه على كلام ربي.

وأخرج البخاري في تاريخه [٤ : ٣٣٨] من طريق عمرو بن واقد، عن عمير بن سعد نزيل دمشق، قال: لا تذكروا معاوية إلا بخير، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اللهم اهده. راجع: ميزان الذهبى [٢ : ٣٠٢] تهذيب التهذيب [٨ : ١١٥] والغدير للأميني [١١ : ٨٣] وقال فيه: عمرو بن واقد كان ممن لا يشك فيه شيوخ الأحاديث أنه يكذب.

وأخرج ابن كثير في تاريخه [٨ : ١٢٠] من طريق مسيب بن واضح، عن ابن عباس، قال: أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أقرئ معاوية السلام، واستوص به خيراً، فإنه أمين الله على كتابه ووحيه، ونعم الأمين. ذكره الهيثمي في المجمع [٩ : ٣٥٧] والسيوطي في اللآلي [١ : ٤١٩].

وأخرج ابن عساكر من طريق نعيم بن حماد، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا، وهي يومئذ مسجد يصلى فيها، إذ انتبعت من نومي، فإذا أنا بأسد يمشي بين يدي، فوثبت إلى سلاحي، فقال الأسد: مه، إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها، قلت: ومن أرسلك؟ قال: الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام، وتعلمه أنه من أهل الجنة. فقلت له: ومن معاوية؟ قال: معاوية بن أبي سفيان. راجع تاريخ ابن كثير [٨ : ١٢٣] ومجمع الهيثمي [٩ : ٣٥٧].

وفي الفتاوى الحديثية لابن حجر [ص ١٩٧] عن أنس مرفوعاً: أنا مدينة العلم، وعلي بابها ومعاوية حلقتها.

وأخرج الطبراني من طريق عبدالرحمن بن أبي عميرة المزني: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: اللهم علّمه الكتاب والحساب ووقه العذاب. وفي لفظ الترمذي: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به. تاريخ ابن عساكر [١٠٦: ٢]

قال سعيد بن المسيّب: من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب. تاريخ ابن كثير [١٣٩: ٨].

وفي الغدير [٣٠٥: ٥]: عن جابر أن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتاب معاوية، فقال: استكتبه فإنه أمين.

وفي نفس المصدر: عن عبادة بن الصامت: أوحى الله إلى النبي ﷺ استكتب معاوية، فإنه أمين مأمون.

وفيه أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً: الأمناء عند الله ثلاثة: أنا، وجبريل، ومعاوية.

وفيه أيضاً عن أنس بن مالك مرفوعاً: الأمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبريل، ومحمد، ومعاوية.

لعلّ هذا القدر القليل من الكثير، يغني اللبيب الناقد عن التفكير والتعبير.

معاوية وجنّاته على الحسن السبط ﷺ

روى الشيخ عبدالقادر بن محمد الطبري ابن بنت محب الدين الطبري، مؤلف الرياض النضرة: كان معاوية يرى أمر الإمام الحسن بن علي ﷺ حرج عثرة في سبيل امنّيته الخبيثة - الى ان قال: - فنجّى نفسه عن هذه الورطة بسم الحسن ﷺ. فلمّا بلغ نعيه - خبر موته - غدا مستبشراً، وأظهر الفرح والسرور، وسجد، وسجد من كان معه. راجع: حسن السريرة للشيخ المذكور عبدالقادر الطبري، والغدير [١١: ١٢].

وفي الإمامة والسياسة [١ : ١٤٤] لابن قتيبة: لما مرض الحسن بن علي عليه السلام مرضه الذي مات فيه، كتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن، فكتب معاوية إليه: إن استطعت أن لا يمضي يوم بي يمرّ إلا أن يأتيني فيه خبره فافعل، فلم يزل يكتب إليه بحاله حتّى توفي، فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتّى سجد وسجد من كان معه. الى آخره.

وفي العقد الفريد لابن عبد ربّه [٢ : ٢٩٨]: لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي عليه السلام خرّ ساجداً لله. وذكره الراغب الاصفهاني في المحاضرات [٢ : ٢٢٤] والزمخشري في ربيع الأبرار [٤ : ١٨٦].

وفي حياة الحيوان للدميمري [١ : ٥٨] وتاريخ يوم الخميس للديار بكري [٢ : ٢٩٤] وفي طبعة ص [٣٢٨] قال ابن خلكان: لما مرض الحسن كتب مروان إلى معاوية - الى أن قال: - فلما بلغ معاوية موته، سمع تكبيرة من الخضراء - قصر معاوية - فكبر أهل الشام التكبير، فقالت فاختة بنت قريضة لمعاوية: أقرّ الله عينيك، ما الذي كبرت لأجله؟ قال: مات الحسن؟ فقالت: أعلى موت ابن فاطمة تكبر؟ فقال: ما كبرت شماته بموته، ولكن استراح قلبي. الى آخره.

وفي مناقب آل أبي طالب [٣ : ٢٠٢ و ١٩٢] لابن شهر آشوب، قال: سمّته جعدة بنت الأشعث الكندي، وهي ابنة أم فروة أخت أبي بكر بن أبي قحافة، بأمر من معاوية بن أبي سفيان على عشرة آلاف دينار و....

وذكر ذلك أيضاً في كتاب الأنوار، وكتاب روضة الواعظين [ص ١٦٧ ط النجف] لابن فتال النيسابوري.

معاوية وسبّه الإمام علياً عليه السلام

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد [٢ : ٣٠١، وفي طبع ٣ : ١٢٧]: لما مات الحسن بن علي حجّ معاوية فدخل المدينة، وأراد أن يلعن علياً على منبر رسول

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَلَا نَرَاهُ، يَرْضَىٰ بِهَذَا، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِ وَخُذْ رَأْيَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ سَعْدُ: إِنْ فَعَلْتُ لِأَخْرِجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ لَا أَعُودُ إِلَيْهِ، فَأَمْسِكْ مَعَاوِيَةَ عَنْ لَعْنِهِ حَتَّىٰ مَاتَ سَعْدُ، فَلَمَّا مَاتَ لَعْنَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَكُتِبَ إِلَى عَمَّالِهِ أَنْ يَلْعَنُوهُ ففعلوا، فكَتَبَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ: إِنَّكُمْ تَلْعَنُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ عَلَىٰ مَنَابِرِكُمْ، وَذَلِكَ أَنْتُمْ تَلْعَنُونَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ أَحَبَّهُ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللّٰهَ أَحَبَّهُ وَرَسُولَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَعَاوِيَةَ إِلَى كَلَامِهَا. الغدير [٢: ١٠٢، و ١٠: ٢٦٠]

وفي نفس المصدر وكتاب المستطرف [١: ٥٤]: قَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّ عَلِيًّا قَدْ قَطَعَكَ وَأَنَا وَصَلْتُكَ، وَلَا يَرْضِينِي مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَلْعَنَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ، قَالَ: أَفْعَلُ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللّٰهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَصَلَّىٰ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَالْعَنُوهُ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: إِنَّكَ لَمْ تَبَيِّنْ مِنْ لَعْنَتِ مَنَّهُمَا، فَبَيَّنَّهُ، فَقَالَ: وَاللّٰهُ لَا زِدْتُ حَرْفًا وَلَا نَقَصْتُ حَرْفًا، وَالْكَلَامُ إِلَى نِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ.

وذكر في كتاب صفين لابن مزاحم [ص ٩٢] وفي شرح ابن أبي الحديد [٢٥٦: ١]: أَنَّ مَعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عُمَرَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ بِالشَّامِ فَاتَى، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ لَكَ اسْمَ أَبِيكَ، فَانْظُرْ بِمَلَأِ عَيْنِكَ، وَتَكَلَّمْ بِكُلِّ فَيْكِ، فَأَنْتَ الْمَأْمُونُ الْمَصْدُوقُ، فَاصْصَلِّ الْمَنْبَرِ وَاشْتَمِ عَلِيًّا، وَاشْهَدْ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَتَلَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا شَتَمَهُ فَإِنَّهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، فَمَا عَسَىٰ أَنْ أَقُولَ فِي حَسْبِهِ، وَأَمَا بِأَسِهِ، فَهُوَ الشَّجَاعُ الْمَطْرُوقُ، وَأَمَا أَيَّامُهُ، فَمَا قَدْ عَرَفْتُ، وَلَكِنِّي مَلْزَمُهُ دَمَ عُثْمَانَ، فَقَالَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ: إِذْنُ وَاللّٰهُ نَكَاتُ الْقَرْحَةِ.

وروى ابن الأثير في أسد الغابة [١: ١٣٤] عن شهر بن حوشب أَنَّهُ قَالَ: أَقَامَ

فلان - يعني معاوية - خطباء يشتمون عليّاً عليه السلام وأرضاءه، ويقعون فيه، حتّى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم، يقال له أنيس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنكم قد أكثرتم اليوم في سبّ هذا الرجل وشتمه، وأني أقسم بالله اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر ممّا على الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحد أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل إليكم وتعجز عن أهل بيته؟ وذكره ابن حجر في الإصابة [١: ٧٧].

وفي العقد الفريد [٢: ١٤٤] والمستطرف [١: ٥٤]: بينما معاوية جالس في بعض مجالسه، وعنده وجوه الناس، فيهم الأحنف بن قيس، إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيباً وكان آخر كلامه أن لعن عليّاً، فقال الأحنف يا أمير المؤمنين، إنّ هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتّق الله يا أمير المؤمنين، ودع عنك عليّاً فلقد لقي ربّه، وأفرد في قبره، وخلا بعمله، وكان والله المبرور سيفه، الطاهر ثوبه، العظيمة مصيبته.

فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى، وقلت ما ترى، وايم الله لتصعدن المنبر فلتلعننه طوعاً أو كرهاً.

فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا يجري شفتاي به أبداً.

فقال معاوية: قم فاصعد المنبر

قال الأحنف: أما والله لأنصفنك بالقول والفعل.

قال معاوية: وما أنت قائل إن أنصفتني؟

قال: أصعد المنبر فأحمد الله وأثنى عليه وأصلي على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ أقول: أيّها الناس، إنّ أمير المؤمنين معاوية أمر أن ألعن عليّاً، وإنّ عليّاً ومعاوية اختلفا واقتتلا، فادّعى كلّ واحد منهما أنّه بغي عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله، ثمّ أقول: اللهمّ العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك

الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهمّ عنهم لعناً كثيراً، أمّنوا
رحمكم الله، ثم قال: يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفاً، ولو كان فيه
ذهاب روحي، فقال معاوية: إذن نعفيك يا أبا بھر. الغدير [١٠ : ٢٦١].

وفي كتاب المختصر من أخبار البشر، للعلامة إسماعيل بن علي بن محمود:
كتب الحسن بن علي إلى معاوية، واشترط عليه شروطاً، وقال: إن أجبت إليها فأنا
سامع مطيع، فأجاب معاوية إليها، وكان الذي طلبه الحسن، أن يعطيه ما في بيت
مال الكوفة، وخراج دار ابجرّد من فارس، وأن لا يشتم عيّاً، فلم يجب إلى الكفّ
عن شتم علي، فطلب الحسن أن لا يشتم عليّ وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثمّ لم
يف به.

راجع: تاريخ الطبري [٦ : ٩٢] وكامل ابن الاثير [٣ : ١٧٥] وتاريخ ابن كثير
[٨ : ١٤] وتذكرة سبط بن الجوزي [ص ١١٣] وإتحاف الشبراوي [ص ١٠] والغدير
[١٠ : ٢٦٢].

وروى الطبري في تاريخه [٦ : ١٤٩] والراغب في الأغاني [١٦ : ٧] وابن
الاثير في كامله [٣ : ٢٠٤] وابن عساكر في تاريخه [٦ : ٤٥٩] أنّه جاء قيس بن عبّاد
الشيّباني إلى زياد، فقال له: إنّ امرأً منا من بني همام يقال له: صيفي بن فسيل من
رؤوس أصحاب حجر، وهو أشدّ الناس عليك، فبعث إليه زياد فأتي به، فقال له
زياد: يا عدو الله، ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب. قال زياد: ما
أعرفك به، قال: ما أعرفه، قال زياد: أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى، قال
زياد: فذاك أبو تراب، قال: كلاًّ ذاك أبو الحسن والحسين عليهما السلام

إلى أن قال فيه زياد: لتلعننه أو لأضربنّ عنقك، قال: إذن تضربها والله قبل
ذلك، فإنّ أبيت إلّا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت. قال زياد: ادفعوا في
رقبته، ثمّ قال: أوقروه حديداً وألقوه في السجن، ثمّ قتل مع حجر وأصحابه سنة

وروى الطبري في تاريخه [٦ : ٩٦] أنه خطب بسر بن أرطاة على منبر البصرة، فشتّم علياً عليه السلام، ثم قال: نشدت الله رجلاً علم أنني صادق إلا صدّقني، أو كاذب إلا كذّبني، فقال أبو بكر، اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً، قال: فأمر به فخنق، «نفس المصدر».

وفي مسند الإمام أحمد [١ : ١٨٨] والأغاني [١٦ : ٢] والمستدرک [١ : ٣٨٥] وشرح ابن أبي الحديد [١ : ٣٦٠]: كان المغيرة بن شعبة لمّا ولي الكوفة، كان يقوم على المنبر ويخطب، وينال من علي عليه السلام، ويلعنه ويلعن شيعته، وقد صحّ أنّ المغيرة لعنه على منبر الكوفة مرّات لا تحصى، وكان يقول: إنّ علياً لم ينكحه رسول الله ابنته حبّاً، ولكنّه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه. وصحّ عند الحاكم والذهبي، أنّ المغيرة سبّ علياً، فقام إليه زيد بن أرقم، فقال: يا مغيرة، ألم تعلم أنّ رسول الله ﷺ نهى عن سبّ الأموات؟ فلمّ تسبّ علياً وقد مات؟ «نفس المصدر».

وفي كتاب الأذكياء لابن الجوزي [ص ٩٨]: قدمت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن صوحان فتكلّم، فقال المغيرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن علياً، فقال صعصعة: لعن الله من لعن علي بن أبي طالب، فأخبروه بذلك، فقال: أقسم بالله لتقيّدته، فخرج وقال: إنّ هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب فالعنوه. «نفس المصدر».

وأخرج ابن سعد فيما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء [ص ١٢٧] في ترجمة مروان، عن عمير بن إسحاق، قال: كان مروان أميراً علينا - يعني بالمدينة - فكان يسبّ علياً كلّ جمعة على المنبر، والحسن بن علي يسمع فلا يردّ شيئاً، ثمّ أرسل إليه رجلاً يقول له: بعليّ بعليّ وبك وبك وبك، ما وجدت مثلك إلا مثل البغلة، يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمّي الفرس، فقال له الحسن، ارجع اليه فقل له: والله لا أمحو عنك شيئاً ممّا قلت بأن أسبّك، ولكن موعدى وموعدك الله، فإن

كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة.

وكان الوزع ابن الوزع يقول لمّا قيل له: ما لكم تسبّون عليّاً على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك. الصواعق لابن حجر [ص ٣٣] والغدير [١٠ : ٢٦٤]. فلم يزل ابن أبي سفيان دائماً على سنّته الملعونة، وحمل الكافّة عليها حتّى شابّ الصغير، وهرم الكبير.

قال الحموي في معجم البلدان [٥ : ٣٨]: لعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر الشرق والغرب، ولم يلعن على منبر سجستان إلّا مرّة واحدة، وامتنعوا من بني أميّة حتّى زادوا في عهدهم، أن لا يلعن على منبرهم أحد. وأيّ شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله صلى الله عليه وآله على منبرهم، وهو يلعن على منبر الحرمين: مكة والمدينة.

وقال الجاحظ في كتابه الردّ على الإماميّة، فيما رواه الأُميني في غديره [٢ : ١٠٢] نقلاً عن شرح النهج [١ : ٣٥٦]: إنّ معاوية كان يقول في خطبته: اللهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك، فألعه لعناً وبيلاً، وعدّبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر، إلى أيّام عمر بن عبدالعزيز.

وإنّ قوماً من بني أميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن هذا الرجل، فقال معاوية: لا والله حتّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً.

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار والحافظ السيوطي: إنّه كان في أيّام بني أميّة أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّ لهم معاوية ذلك.

وفي ذلك يقول العلامة الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي أنّه قد كان فيما جعلوه سنّه

سبعون ألف منبر وعشره
وهذه في جنبها العظام
فهل ترى من سنّها يعادي
أو عالم يقول عنه نسكت
وليت شعري هل يقال اجتهدا
أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمعن
من فوقهنّ يلعنون حيدر
تصغر بل توجه اللوائم
أم لا وهل يستر أو يهادي
أجب فيّني للجواب منصت
كقولهم في بغيه أم ألهدا
إنّ الذي يؤذيه من ومن ومن

والقول الفصل في هذا الرجل وما يكون أعظم شاهد عليه فيما صدر منه
من تلك الأفاعيل المخزية، والجرائم المبيرة، قول أقرب الناس إليه بعد ولده، وهو
حفيدة، وهو معاوية بن يزيد بن معاوية، وبطبيعة الحال إن أهل بيت الرجل أعلم
بما فيه من غيره، مهما كثرت الأقاويل، وتناولت الألسن مدحاً كان أو ذمّاً.

وإليك لفظه فيما رواه الإمام ابن حجر في صواعقه [ص ١٣٤] قال: لمّا ولي
معاوية بن يزيد بن معاوية صعد المنبر، وقال: إنّ هذه الخلافة حبل الله، وإنّ جدّي
معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحقّ به منه علي بن أبي طالب، وركب بكم ما
تعلمون، حتّى أتته منيته، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثمّ قلّد أبي الأمر وكان غير
أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ فقصف عمره وانبت عقه، وصار في قبره
رهيناً بذنوبه، ثمّ بكى. انتهى.

قال السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء [ص ١٤١]: استخلف بعهد من أبيه -
يزيد بن معاوية - في ربيع الأول سنة (٦٤) وكان شابّاً صالحاً، ولمّا استخلف كان
مريضاً، فاستمرّ مريضاً إلى أن مات، ولم يخرج إلى الناس، ولا فعل شيئاً من
الأمور، ولا صلّى بالناس، وكانت مدّة خلافته أربعين يوماً، وقيل: شهرين. وقيل
ثلاثة أشهر. ومات وله إحدى وعشرون سنة. ولما احتضر قيل له: ألا تستخلف؟
قال: ما أصبت حلاوتها، فلا أتحمّل مرارتها.

وفي لفظ ابن قتيبة: فلمّا مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد،

وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة، فلبث والياً شهرين وليالى، محجوباً لا يرى، ثم خرج بعد ذلك، فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني نظرت بعدكم فيما صار إليّ من أمركم، وقلدته من ولايتكم، فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربّي، أن أتقدّم على من هو خير منّي وأحقّهم بذلك. الى آخر كلامه. راجع: الامامة والسياسة [٢ : ١٠ ط المنيرية].

وأما وفاة جدّه معاوية، فقد مات في النصف من رجب، كما ذكره في الاستيعاب [٣ : ٣٩٨] سنة (٦٠) بدمشق، ودفن بها يوم الخميس، وهو ابن (٧٨) سنة، وقيل: (٨٢) ومدة خلافته عشرين سنة، ومدة إمارته أربعين سنة، فيما قاله ابن عبد البر وابن إسحاق، وكان أميراً في عهد خلافة عمر أربعة أعوام. وأما وفاة وزيره عمرو بن العاص، فقد ذكر في الإصابة لابن حجر [٣ : ١٢]: أن عمراً مات سنة (٤٠) على الصحيح الذي جزم به ابن يونس وغيره، وقد عاش نحو (٩٠) سنة.

وقال ابن حجر في [ص ٣] من كتابه المذكور، وفي صحيح مسلم من رواية عبد الرحمن بن شماس، قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال عبد الله بن عمرو ابنه: ما يبكيك؟ فذكر الحديث بطوله في قصّة إسلامه. انتهى ما قاله ابن حجر.

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٥٠٨] بهامش الإصابة، قال: حدّثنا خلف بن القاسم، حدّثنا الحسن بن رشيق، حدّثنا الطحاوي، وحدّثنا المزني، قال الشافعي: دخل ابن عبّاس على عمرو بن العاص في مرضه، فسلم عليه، وقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت. ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجينني أن أهرب هربت، فصرت كالمنجنيق بين السماء والأرض، لا أرقى بيدين،

ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي.

فقال له ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله صار ابن أخيك أخاك، ولا تشاء أن تبكي إلا بكيت، كيف يؤمر برحيل من هو مقيم.

فقال عمرو: وعلى حينها من حين ابن بضع وثمانين سنة تقنطني من رحمة ربّي، اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ منّي حتّى ترضى.

قال ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله، أخذت جديداً وتعطي خلقاً.

فقال عمرو: فمالي ولك يا ابن عباس، ما أرسلت كلمة إلا وأرسلت نقيضها.

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٥١٤]: أنّ عبد الرحمن بن شماس، قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال له ابنه عبد الله: لم تبكي؟ أجزعاً من الموت؟ قال: لا والله، ولكن لما بعده، فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام.

فقال عمرو: وتركت أفضل من ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله، إنّي كنت على ثلاثة أطباق، ليس منها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول شيء كافراً، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ، فلو مت يومئذ وجبت عليّ النار. فلما بايعت رسول الله كنت أشد الناس حياءً منه، فلو مت يومئذ قال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم، وكان على خير أحواله، فترجى له الجنة. ثمّ بليت بعد ذلك بسلطان وأشياء. فلا أدري أعليّ أم لي، فإذا متّ فلا تبكين عليّ باكية، ولا يتبعني مادح ولا نار، فشّدوا عليّ إزارى فأثني مخاصم، وشنّوا عليّ التراب شنّاً، فإنّ جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي، قدر نحر جزور وتقطيعها بينكم أستاذكم بكم.

معاوية وأبو ذر

ومعاوية هو الذي كتب إلى عثمان شاكياً في أبي ذر الغفاري، حتّى سيّره

عثمان إلى الربذة، حتّى فمات بها وحيداً.

وذلك فيما رواه الأُميني في غديره [٢٩٣: ٨] نقلاً عن البلاذري: أنّه لستأبني معاوية الخضرء بدمشق، قال له أبو ذرّ: إنّ كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف.

وكان أبو ذرّ يقول: والله لقد حدثت أعمال لا أعرفها، والله ما هي في كتاب الله، ولا سنّة نبيّه، والله إنّني لأرى حقّاً يطفأ، وباطلاً يحيى، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إنّ أبا ذرّ مفسد عليك الشام، فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة. فكتب معاوية إلى عثمان فيه.

فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد، فاحمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه معاوية من ساربه الليل والنهار.

فلمّا قدم أبو ذرّ المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان، الحق بأيّ أرض شئت، فقال بمكة، قال: عثمان: لا، قال: فبيت المقدس، قال عثمان: لا، قال: فبأحد المصرين، قال عثمان: لا، ولكنّي مسيرك إلى الربذة، فسيره إليها، فلم يزل بها حتّى مات.

وفي رواية المسعودي كما في الغدير [٢٩٥ - ٢٩٧]: كتب معاوية إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب إليه عثمان بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس، معه خمسة من الصقالبة يطيطرون به، حتّى أتوا به المدينة، قد تسلّخت بواطن أفخاذه، وكاد أن يتلف، فقبل له: إنّك تموت من ذلك، فقال: هيهات لن أموت حتّى أنفى، وذكر جوامع ما نزل به بعد، ومن يتولى دفنه، وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خولاً. في قصّة طويلة.

إلى أن قال أبو ذر بعد ذكر عدّة بلدان لم يرض بها عثمان: فسيرني حيث شئت من البلاد، قال عثمان: إني مسيرك إلى الربذة، فقال أبو ذر: الله أكبر! صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكل ما أنا لاق، قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأنني أمتنع عن مكّة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولّى مواراتي نفر يردون من العراق إلى الحجاز.

وبعث أبو ذر إلى جمل له، فحمل عليه امرأته وقيل: ابنته، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الربذة، فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها، إذ طلع علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه ابنه وعقيل أخوه وعبدالله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان، فقال: يا علي، إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في سيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه علي بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنح نحاك الله إلى النار، ومضى مع أبي ذر فشيّعه ثم ودّعه.

فلمّا أراد الانصراف بكى أبو ذر، وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدتك ذكرت بكم رسول الله.

فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به علي، فقال عثمان: يامعشر المسلمين، من يعذرني من عليّ؟ ردّ رسولي عمّا وجهته له، وفعل كذا، ولنعطينه حقّه.

فلمّا رجع عليّ استقبله الناس، فقالوا: إنّ أمير المؤمنين غضبان لتشيعك أبا ذر. فقال علي: غضب الخيل على اللجم. فلمّا جاء علي إلى عثمان، فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان، واجترأت عليّ، ورددت رسولي وأمرني؟

قال: أمّا مروان فإنّه استقبلني وردّني، فردّته عن ردّي. وأمّا أمرك، فلم أردّه. قال عثمان: أولم يبلغك أنّي نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟ قال علي: أو كلّما أمرتنا به من شيء يرى طاعة الله والحق في خلافه اتّبعنا أمرك؟ بالله لا نفعل. قال عثمان: أقد مروان. قال عليّ: وما أقيده؟ قال عثمان: ضربت بين أذني راحلته.

قال علي: أمّا راحلتي فهي تلك، فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل، وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت بمثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلاّ حقاً.

قال عثمان: ولم لا يشتمنك إذا شتمته؟ فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب علي، وقال: إليّ تقول هذا القول؟ وبمروان تعدلني؟ فأنا والله أفضل منك، وأفضل من أبيك. وأمّي أفضل من أمك، وهذا نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك. فغضب عثمان واحمرّ وجهه، فقام ودخل داره، وانصرف علي، فاجتمع أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار.

وفي تاريخ اليعقوبي، كما في الغدير [٨ : ٢٩٩]: وكتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذرّ.

فكتب إليه عثمان أن احمله على قتب بغير غطاء. فقدم به إلى المدينة، وقد ذهب لحم فخذه، فلما دخل إليه وعنده جماعة، قال عثمان: بلغني أنك تقول سمعت رسول الله يقول: إذا بلغ بنو أميّة ثلاثين رجلاً إتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً؟ فقال أبو ذر: نعم سمعت رسول الله يقول ذلك. فبعث إلى علي بن أبي طالب فأثاه. فقال: يا أبا الحسن، أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذرّ؟ وقصّ عليه الخبر، فقال علي: نعم، قال عثمان: وكيف تشهد؟ قال: لقول رسول الله ﷺ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجه أصدق من أبي ذرّ.

راجع: الانساب [٥ : ٥٢] للبلاذري. وصحيح البخاري في كتاب الزكاة والتفسير.

وطبقات ابن سعد [٤ : ١٦٨] ومروج الذهب للمسعودي [١ : ٤٣٨] وتاريخ اليعقوبي [٢ : ١٤٨] وشرح النهج لابن أبي الحديد [١ : ١٦٨] وفتح الباري لابن حجر [٣ : ٢١٣] وعمدة القاري للعيني [٤ : ٢٩١].

وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢ : ٣٧٥]: قال علي: يا أبا ذر، إنك غضبت لله، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلبي، ونفوك إلى القلا، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً، ثم اتقى الله، لجعل له منها مخرجاً، يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل.

ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم. وقال لعقيل: ودع أخاك.

فتكلم عقيل، فقال: وما عسى أن نقول يا أبا ذر، وأنت تعلم إننا نحبك وأنت تحبنا؟ فاتق الله، فإن التقوى نجاة، واصبر فإن الصبر كرم، واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع، واستبطائك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثم تكلم الحسن، فقال: يا عمّاه، لولا أنه ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى من القوم إليك ما قد ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها. وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك ﷺ وهو عنك راض.

ثم تكلم الحسين، فقال: يا عمّاه، إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى. الله كل يوم في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينهم، فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم إلى ما منعته، فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثم تكلم عمار بن ياسر مغضباً، فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت، ومالوا إلى ما مال سلطان جماعتهم إليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبو ذر رحمه الله، وكان شيخاً كبيراً، وقال: رحمكم الله أهل بيت

الرحمة، إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله ﷺ.

وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢ : ٣٧٦] نقلاً عن كتاب السفينية لشيخه الجاحظ، عن جلام بن جندل الغفاري، قال: كنت غلاماً لمعاوية، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الأمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له، فازبأر معاوية وتغير لونه، وقال: يا غلام، أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللهم لا، قال: من عذيري من جندب بن جنادة، يأتينا كل يوم، فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت.

ثم قال: أدخلوه عليّ: فجيء بأبي ذرّ بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا كل يوم فتصنع ما تصنع؟ أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد في غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك. ولكني أستاذن فيك.

قال جلام: وكنت أحب أن أرى أبا ذرّ لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال، في ظهره حناء، فأقبل أبو ذرّ على معاوية، وقال: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنتك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرّات: أن لا تشبع. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا ولي الأمة الأعين، الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع، فلتأخذ الأمة حذرهما منه.

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل.

قال أبو ذرّ: بل أنت ذاك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله ﷺ، وسمعتة يقول وقد مررت به: اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب، وسمعتة ﷺ يقول: است معاوية في النار. فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه. إلى آخره، راجع الغدير [٨ : ٣٠٤ - ٣٠٥].

فلقد لاقى أبو ذر رضي الله عنه ما لاقى من أولئك الرهط من الأحوال المخزية، ما ينفر منها ذوو الطباع العلية، والنفوس الأبية، ويتكدر من سماعها صفاء كل ذي قلب سليم، ورأي غير سقيم، فباليت شعري ألم يعلموا من هو أبو ذر؟ كأنهم عن مبلغه من العلم، ومبوءه من الزهد، ومرتقاه من العظمة، ومكانته عند سيد المرسلين غافلون.

فهلّمّ معي أيها القارئ الكريم نولي وجوهنا شطر الصفحات التي ملأها فيها علماء التاريخ وأعلام المحدثين، بما لأبي ذر من الفضائل العظيمة، والمناقب الكريمة، ما لم يكن لغيره من الصحابة المكرمين. منها:

ما أخرج ابن سعد في طبقاته [٤: ١٦١] من طريق عبد الله بن الصامت، قال: قال أبو ذر: صليت قبل الاسلام، قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين. فقلت: لمن؟ قال: لله. قلت: أين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني الله. ورواه مسلم في المناقب [٧: ١٥٣]. وفي [١٥٥] بلفظ: سنتين قبل مبعث النبي ﷺ.

وأخرج من طريق أبي معشر نجيع، قال: كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد الأصنام، فمرّ عليه رجل من أهل مكة بعد ما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا أبا ذر، إن رجلاً يقول مثل ما تقول لا إله إلا الله، ويزعم أنه نبي. وذكر حديث إسلامه.

وفي لفظ أبي نعيم في حلية الأولياء [١: ١٥٧] بلفظ: يا ابن أخي صليت قبل الإسلام بأربع سنين. وذكره ابن الجوزي في كتابه صفوة الصفوة [١: ٢٣٨]

وأخرج ابن عساكر في تاريخه [٧: ٢١٨]: أخذ أبو بكر بيد أبي ذر، وقال: يا أبا ذر هل كنت تتأله في جاهليتك؟ قال: نعم، لقد رأيتني أقوم عند الشمس، فلم أزل مصلياً حتى يؤذيني حرّها. فأخر كائني خفاء، قال: فأين كنت تتوجه؟ قال: لا أدري، حيث وجهني الله.

وأخرج ابن سعد في الطبقات [٤: ١٦١] من طريق أبي ذر، قال: كنت في

الإسلام خامساً.

ومن طريق ابن أبي وضاح البصري: كان إسلام أبي ذرّ رابعاً أو خامساً.
وفي لفظ ابن عبد البرّ في الاستيعاب [٤ : ٦٢ هامش الإصابة]: أسلم بعد أربعة. وكذا في أسد الغابة لابن الاثير [٥ : ١٨٦]

وفي لفظ آخر: أسلم بعد ثلاثة. ويقال: بعد أربعة.

وفي لفظ الحاكم في المستدرک [٣ : ٣٤٢] قال: كنت رابع الإسلام. أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع.

وفي لفظ أبي نعيم في الحلية [١ : ١٥٧]: كنت رابع الإسلام. أسلم قبلي ثلاثة وأنا الرابع.

وفي لفظ المناوي في شرح الجامع الصغير [٥ : ٤٢٣]: أنا رابع الإسلام.
وأخرج ابن سعد أيضاً في الطبقات [٤ : ١٦١] من طريق أبي ذرّ، قال: كنت أول من حيّاه رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك ورحمة الله.

وفي لفظ أبي نعيم في حليته [١ : ١٥٩] قال: انتهيت إلى النبي ﷺ حين قضى صلاته، فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام. أخرجه مسلم في المناقب من صحيحه [٧ : ١٥٤] وابن عبد البرّ في الاستيعاب [٤ : ٦٣ هامش الإصابة].

وأخرج ابن سعد في [٤ : ١٦٥] والشيخان في الصحيحين، في كتاب المناقب، باب إسلام أبي ذرّ، من طريق ابن عبّاس، قال: لما بلغه أنّ رجلاً بمكة يزعم أنّه نبيّ أرسل أخاه، فقال: اذهب فأتني بخبر هذا الرجل وبما تسمع منه، فانطلق حتّى أتى مكة، فسمع من رسول الله ﷺ، فرجع إلى أبي ذرّ فأخبره أنّه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويأمر بمكارم الأخلاق، فقال أبو ذرّ: ما شفيتني.
فخرج أبو ذرّ ومعه شنة فيها ماؤه وزاده، حتّى أتى مكة، ففرق أن يسأل

أحداً عن شيء ولم يلق رسول الله ﷺ فأدركه الليل، فبات في ناحية المسجد، فلمّا أعتَمَ مرّ به عليّ، فقال: ممّن الرجل؟ قال: رجل من بني غفار، قال: قم إلى منزلك.

قال: فانطلق به إلى منزله، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، وغدا أبو ذر يطلبه - أي رسول الله - ولم يلقه، وكره أن يسأل أحداً عنه، فعاد فنام حتّى أمسى، فمرّ به عليّ، فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله؟ فانطلق به، فبات حتّى أصبح لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء.

فأصبح اليوم الثالث، فأخذ عليّ عليّ: لئن أفشى إليه الذي يريد ليكتمنّ عليه وليسترته، ففعل، فأخبره أنّه بلغه خروج هذا الرجل يزعم أنّه نبيّ، فأرسلت أخي ليأتيني بخبره وبما سمع منه، فلم يأتني بما يشفيني منه حديثه. فجئت بنفسني لألقاه.

فقال له عليّ: إني غاد فاتّبع أثري، فإنّي إن رأيت ما أخاف عليك اعتلتت بالقيام كأنّي أهرق الماء فاتّيك، وإن لم أر أحداً فاتّبع أثري حتّى تدخل حيث أدخل، ففعل حتّى دخل على أثر عليّ على النبيّ ﷺ فأخبره الخبر، وسمع قول النبيّ ﷺ فأسلم من ساعته.

ثمّ قال: يا نبيّ الله ما تأمرني؟ قال: ترجع إلى قومك حتّى يبلغك أمري. قال، فقال له: والذي نفسي بيده لا أرجع حتّى أصرخ بالإسلام في المسجد.

قال: فدخل المسجد فنادى بأعلىّ صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله. فقال المشركون: صبأ الرجل، فضربوه حتّى صرع، فأتاه العباس فأكبّ عليه، وقال: قتلتم الرجل يا معشر قريش، أنتم تجار وطريقكم على غفار، فتريدون أن يقطع الطريق؟ فأمسكوا عنه. ثمّ عاد اليوم الثاني، فصنع مثل ذلك، ثمّ ضربوه حتّى صرع، فأكبّ عليه العباس، وقال لهم مثل ما قال في أوّل مرّة، فأمسكوا عنه.

ورواه أبو نعيم في حليته [١ : ١٥٩] وفي دلائل النبوة [٢ : ٨٦] والحاكم في المستدرک [٣ : ٣٣٨] وابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٦٦٤].

وفي حلية الأولياء [١ : ١٥٨] من طريق ابن عباس، عن أبي ذر الغفاري، قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة، فعلمني الإسلام، وقرأت من القرآن شيئاً، فقلت: يا رسول الله، إني أريد أن أظهر ديني. فقال رسول الله ﷺ: إني أخاف عليك أن تقتل. قلت: لا بدّ منه وإن قتلت.

قال: فسكت عني، فجئت وقریش حلق يتحدّثون في المسجد. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، فانتقض الحلق، فقاموا فضربوني حتّى تركوني كأني نصب أحمر. وكانوا يرون أنّهم قد قتلوني، فأفقت فجئت رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال، فقال لي: ألم أنهك؟ فقلت: يا رسول الله، كانت حاجة في نفسي قضيتها، فأقمت مع رسول الله ﷺ، فقال: الحق بقومك، فإذا بلغك ظهوري فأتني.

وأما ما ورد من الأحاديث في علمه ﷺ، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى [٥ : ١٧٠] من طريق زاذان أنّه سئل علي عن أبي ذر، فقال: وعى علماً عجز فيه، وكان شحيحاً حريصاً على دينه، حريصاً على العلم، وكان كثير السؤال ويعطي ويمنع، أمّا أن ملئ له في وعائه حتّى امتلأ.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب [١ : ٢٦١ هامش الإصابة]: روى عنه جماعة من الصحابة، وكان من أوعية العلم، المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق، سئل علي عن أبي ذر، فقال: رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثمّ أوكأ فيه فلم يخرج شيئاً منه. انتهى.

وقد ذكر حديث علي في علم أبي ذر ابن الأثير في أسد الغابه [٥ : ١٨٦] والمناوي في شرح الجامع الصغير [٥ : ٤٢٣] وابن حجر في الإصابة [٤ : ٦٤] ولفظه: وعاء ملئ علماً، ثمّ أوكأ عليه.

قال أبو نعيم في الحلية [١ : ١٥٦] يصف أبا ذر: العابد الزهيد، القانت الوحيد، رابع الإسلام، ورافض الأضلام قبل نزول الشرع والأحكام، تعبد قبل الدعوة بالشهور والأعوام، وأول من حيّا الرسول بتحية الإسلام، لم يكن تأخذه في الحق لائمة اللوام، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام، وأول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرياء، واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حلّ بساحة المنايا. أبو ذر رضي الله عنه خدام الرسول، وتعلم الأصول، ونبذ الفضول.

وقال الشيخ المؤلف في [صفحة ١٦٩]: كان أبو ذر رضي الله عنه للرسول ملازماً وجليساً، وعلى مساءلته والافتباس منه حريصاً، والقيام على ما استفاد منه أنيساً، سأله عن الأصول والفروع، وسأله عن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤية ربه تعالى، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء أم تبقى؟ وسأله عن مسّ الحصى في الصلاة.

وأما ما ورد من الرواية في حديث صدقه وزهده، فقد أخرجه جمع كثيرون من حفظة السنن على اختلاف ألفاظه في كتبهم ومصنفاتهم، منهم: ابن سعد، والترمذي، والحاكم، وابن ماجه، وأبو نعيم، وابن عساكر، وأحمد بن حنبل، والطبراني، وابن الجوزي، وابن جرير، وابن عبد البر، وابن أبي شيبة، والبغوي، وغيرهم.

وإليك ما أخرجه ابن سعد في الطبقات [٤ : ١٦٧] والترمذي في صحيحه [٢ : ٢٢١] من طريق عبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عمر، وأبي الدرداء مرفوعاً: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر.

وفي لفظ الحاكم في المستدرک [٣ : ٣٤٢]: ما تقل الغبراء ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، فنعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفوه له.

وأخرج الترمذي بلفظ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله أفتعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفوه له.

وفي لفظ ابن ماجة في سننه [١: ٦٨] من طريق عبد الله بن عمرو: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أصدق من أبي ذر، شبه ابن مريم. وفي لفظ أبي نعيم من طريق أبي ذر: ما تظل الخضراء ولا تقل الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، شبه ابن مريم.

وفي لفظ له أيضاً: أشبه الناس بعيسى نكاً وزهداً وبراً. وفي لفظ ابن سعد من طريق أبي هريرة: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم، فليتنظر إلى أبي ذر.

وفي لفظ لأبي نعيم من طريق الهجن بن قيس: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ثمّ رجل بعدي، من سرّه أن ينظر إلى عيسى بن مريم زهداً وسمتاً، فليتنظر إلى أبي ذر.

وفي لفظ من طريق علي بن أبي طالب: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، يطلب شيئاً من الزهد عجز عنه الناس.

وفي لفظ من طريق أبي هريرة: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم هدياً وبراً ونكاً فعليكم به.

وفي لفظ ابن سعد من طريق مالك بن دينار: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، من سرّه أن ينظر إلى عيسى بن مريم، فليتنظر إلى أبي ذر.

راجع طبقات ابن سعد [٤: ١٦٧] صحيح الترمذي [٢: ٢٢١] سنن ابن ماجة

[٦٨ : ١] مصابيح السنة للخطيب التبريزي [٢ : ٢٢٨] صفوة الصفوة لابن الجوزي [١ : ٢٤٠] تمييز الطيب لابن الديبع [ص ١٣٧] الاستيعاب [١ : ٢٦١] في هامش الإصابة وص ٦٢ و ص ١٤٩ والجامع الصغير من عدة طرق، وشرح الجامع الصغير للمناوي [٥ : ٤٢٣] والإصابة في ترجمة أبي ذر، ومسند الإمام أحمد [٢ : ١٦٣]، و ١٧٥ و ٢٢٣، ٥ : ١٩٧، ٦ : ٤٤٢.

وأخرج الترمذي في صحيحه [٢ : ٢٢١] مرفوعاً: أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم.

وفي لفظ ابن عبد البر في الاستيعاب [٤ : ٦٤] في هامش الإصابة: أبو ذر في أمّتي على زهد عيسى بن مريم. وذكره ابن الأثير في أسد الغابة [٥ : ١٨٦].
وأخرج الطبراني مرفوعاً، كما في كنز العمال [٦ : ١٦٩] وفي مجمع الزوائد للهيثمي [٩ : ١٣٠]: من أحب أن ينظر إلى المسيح عيسى بن مريم إلى برّه وصدقه فلينظر إلى أبي ذر.

وأخرج الطبراني، كما في كنز العمال من طريق ابن مسعود مرفوعاً: إنّ أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته.

وأما ما ورد من الرواية في حديث فضله عليه السلام وأرضاه:

فقد أخرج الترمذي في صحيحه [٢ : ٢١٣] وابن ماجه في سننه [١ : ٦٦] والحاكم في المستدرک [٣ : ١٣٠] وصحّحه، وأبو نعيم في الحلية [١ : ١٧٢] وابن عبد البر في الاستيعاب [٣ : ٤٥٥] في هامش الإصابة في ترجمة المقداد بن الأسود والسيوطي في الجامع الصغير وصحّحه، والمناوي في شرح الجامع الصغير [٢ : ٢١٥] عن بريدة، عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبّهم: علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان.

وأخرج ابن هشام في السيرة [٤ : ١٧٩] مرفوعاً: رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

وأخرج في حديث دفنه: فاستهلّ عبدالله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله: تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك. وذكره ابن سعد في الطبقات [٤ : ١٧٠].

وأخرج البزار من طريق أنس بن مالك مرفوعاً: الجنة تشاق إلى ثلاثة: علي، وعمر، وأبي ذر. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ٣٣٠] فقال: إسناده حسن. وأخرج الطبري، كما في كنز العمال [٨ : ١٥] من طريق أبي الدرداء أنّه ذكر أبا ذر، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان يأتّمه حين لا يأتّم أحدًا، ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد.

وروى ابن حجر في الإصابة [٤ : ٦٣] والمتقي الهندي في كنز العمال [٨ : ١٥] والهيثمي في مجمع الزوائد [٩ : ٣٣٠] من طريق ابن حارثة، عن أبي الدرداء، أنّه قال: والله إن كان رسول الله ﷺ ليدنيه دوننا إذا حضر، ويتفقده إذا غاب، ولقد علمت أنّه قال: ما تحمل الغبراء وتظلّ الخضراء لبشر أصدق من أبي ذر.

وفي بعض ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده [٥ : ١٩٧] وذلك حين بلغ أبا الدرداء تسير أبي ذر إلى الربرة، قال: ارتقبهم واصطبر، كما قيل لأصحاب الناقة، اللهم إن كذبوا أبا ذر فأني لا أكذبه، اللهم وإن اتهموه فأني لا أتهمه، اللهم وإن استغشوه فأني لا أستغشه، فإن رسول الله ﷺ كان يأتّمه حين لا يأتّم أحدًا، ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد، أما والذي نفسي بيده، لو أنّ أبا ذر قطع يميني ما أبغضته بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء. وأخرجه الحاكم ملخصاً في المستدرک [٣ : ٣٤٤] وصحّحه. وقال الذهبي: سند جيّد.

وروى شهاب الدين في المستطرف [١ : ١٦٦] قال: مرّ أبو ذر على النبيّ صلى الله عليه وآله ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي، فلم يسلم، فقال جبريل: هذا أبو ذر لو سلّم لرددنا عليه، فقال ﷺ: أتعرفه يا جبريل؟ قال: والذي

بعثك بالحق نبياً لهو في ملكوت السماوات السبع أشهر منه في الأرض، قال ﷺ: بم نال هذه المنزلة؟ قال: بزهده في هذه الحطام الفانية. وذكره الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار [١ : ٨٣٤].

وأما ما ورد فيما عهد إليه النبي ﷺ فقد أخرج الحاكم في المستدرک [٣ : ٣٤٣] عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، كيف أنت إذا كنت في حثالة؟ وشبك بين أصابعه، قلت: يا رسول الله فما تأمرني؟ قال: اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم، وخالفوهم في أعمالهم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية [١ : ١٦٢] من طريق سلمة بن الأكوع، قال: بينا أنا واقف مع الرسول، فقال لي: يا أبا ذر، أنت رجل صالح، وسيصيبك بلاء بعدي، قلت: في الله؟ قال: في الله، قلت: مرحباً بأمر الله.

وأخرج ابن سعد في الطبقات [٤ : ١٦٦ ط ليدن] من طريق أبي ذر، قال: قال النبي ﷺ: يا أبا ذر كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون الفيء؟ قال: قلت: إذن والذي بعثك بالحق أضرب بسيفي حتى الحق به، قال ﷺ: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ اصبر حتى تلقاني.

وفي لفظ الإمام أحمد بن حنبل في مسنده [٥ : ١٨٠] وأبي داود في سننه [٢ : ٢٨٢]: كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟ قال: قلت: والذي بعثك بالحق، أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى ألقاك - أو الحق بك - قال صلى الله عليه وآله: أولاً أدلك على ما هو خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً في مسنده [٥ : ١٧٨] من طريق أبي السليل عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ قال: يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت: إلى السعة والدعة حتى أكون حمامة من حمام مكة، قال صلى الله عليه وآله: كيف إن أخرجت من مكة؟ قال: قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة. قال ﷺ: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: إذن والذي بعثك

بالحقّ أضع سيفي على عاتقي، قال ﷺ: أو خير من ذلك؟ قال: قلت: أو خير من ذلك، قال: تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً.
هذا هو أبو ذرٍّ وأرضاه ورضي به عنا. آمين.

معاوية ومحاربته الإمام الطاهر

لقد حارب ابن صخر كما هو في كتب التاريخ مذكور، وعند الناس مشهور، إمام الحقّ، ونفس رسول الله بنصّ آية المباهلة، وأخاه وأبا سبطيه، الذي دار معه الحقّ حيث دار، والذي مع القرآن والقرآن معه، عليّاً أفضل السابقين، وأوّل المسلمين، قاتله بكلّ صول وطول، معرضاً عمّا لهج به الرسول فيه من الأحاديث المتواردة، الناصّة على لزوم طاعته، ووجوب موّدته ومحبّته.

ولم يعبأ ابن هند بما ورد عن النبيّ من الأخبار المعربة عن خلافته من بعده صلى الله عليه وآله، واستمر ابن آكلة الأكباد يطعن فيه بعد وفاته ﷺ بكلّ لسان، وظلّ يرميه بأسوء اقوال من البهتان، ولم يرض حتّى حمل الكفاة على ذلك، وبالع فيهِ وأظهر العجب تجاهلاً منه ممن امتنع من سبّه ولعنه، بمثل قوله لسعد بن أبي وقاص، كما أخرجه مسلم في صحيحه، والترمذي، والحاكم في مستدركه [٣: ١٠٩]: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ الحديث.

وفي لفظ الطبري، فيما ذكره الأميني في غديره [١٠: ٢٥٧]: من طريق ابن أبي نجيع قال: لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ إنصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سرير، ووقع معاوية في علي، وشرع في سبّه، فزحف سعد ثمّ قال: أجلسني معك على سريرك، ثمّ شرعت في سبّ علي؟ والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

وقال المسعودي في مروج الذهب [١: ٦١] بعد رواية حديث الطبري:

ووجدت في وجه آخر من الروايات، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار عن عائشة وغيرها: أنَّ سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم شرط له معاوية وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ماقلت، ما كنت عندي قطّ ألام منك الآن، فهلاً نصرته؟ ولمّ قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبيّ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليّ ماعشت، فقال سعد: واللّه إنّي لأحقّ بموضعك منك، فقال معاوية: يابى عليك بنو عذرة. وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة.

وحكى شطراً منه سبط ابن الجوزي في تذكرته [ص ٢] الغدير [١٠ : ٢٥٨].

الأخبار المتواردة الناصّة على أولوية علي (ع) بالخلافة

أقول: تأمل أيّها القارئ، الكريم وانظر ما صدر من هذا الرجل قولاً وفعلاً، حين قرأ عليه سعد حديث سيّد البشر، فقال مجيباً ما يغني المنصف الناقد عن شرح جوابه، ولا يحتاج الجاهل البليد إلى استفهام عن معنى مقاله، بل كفاهم بذلك دلالة وبياناً على إنكار قلبه للسنّة النبويّة، من تلك المهزأة والسخرية. هب أنّه لا يسمع ما قاله سعد عن النبيّ، ألم يقرع سمعه ما هتف به الرسول الصادق الأمين من الأخبار المتواردة الناصّة على أولوية عليّ عليه السلام بالخلافة؟ ألم تبلغ أقواله المعربة عن أحقيّته بالولاية بعده عليه السلام وسلّم، التي ما برحت ترن في أذان الدنيا؟

١ - كقوله عليه السلام: عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لانبئّ بعدي.

٢ - وقوله عليه السلام: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

٣ - قوله عليه السلام: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني.

٤ - قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا به تخلفوني فيهما.

٥ - قوله ﷺ: من يريد أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة.

٦ - قوله ﷺ: إنّ ربّ العالمين عهد إليّ عهداً في علي بن أبي طالب، فقال: إنّه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني.

٧ - قوله ﷺ: عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب.

٨ - قوله ﷺ: لما نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم.

٩ - وقوله ﷺ: علي منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي.

١٠ - وقوله ﷺ له: أنت قد تكون «وليّ كلّ» مؤمن بعدي.

١١ - قوله ﷺ في حديث: علي أمير المؤمنين، إمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين إلى جنّات ربّ العالمين، أفلح من صدّقه، وخاب من كذّبه، ولو أنّ عبداً عبّد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام، حتّى يكون كالشنّ البالي ولقي الله مبغضاً لآل محمّد، أكبه الله على منخره في نار جهنّم.

١٢ - وقوله ﷺ له: لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق.

١٣ - وقوله ﷺ آخذاً بيد الحسن والحسين: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

١٤ - وقوله ﷺ: عليّ منّي بمنزلة راسي من بدني.

١٥ - قوله ﷺ: والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله

النار.

١٦ - قوله ﷺ له: يا علي طوبى لمن أحبّك، وصدّق فيك، وويل لمن

أبغضك، وكذب فيك.

١٧- قوله ﷺ: من أحببني فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل، ومن أبغض الله أدخله النار.

١٨- وقوله ﷺ مشيراً إلى علي: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

١٩- قوله ﷺ: من آذى علياً فقد آذاني.

٢٠- وقوله ﷺ: أوحى إلي في علي ثلاث: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين.

٢١- قوله ﷺ: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل، ومن سب الله أكبه الله على منخره في النار.

٢٢- قوله ﷺ في علي عليه السلام: سجيته سجيّتي، ودمه دمي، وهو عيبة علمي، لو أن عبداً من عباد الله عز وجل، عبد الله ألف عام بين الركن والمقام، ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لعلي بن أبي طالب وعترتي، أكبه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنم.

٢٣- قوله ﷺ لعلي: يا علي، لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار.

٢٤- قوله ﷺ: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز.

٢٥- قوله ﷺ: لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته،

يشرف على الجنة، فيدخل محبيه الجنة، ومبغضيه النار.

٢٦- وقوله ﷺ: معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على

الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

٢٧- وقوله ﷺ: يا أيها الناس، أوصيكم بحب ذي قرنيها أخي وابن عمي

علي بن أبي طالب، فإنه لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.

٢٨- وقوله ﷺ: سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، ومن لم يستطع بلسانه فبقلمه، ليس وراء ذلك شيء.
٢٩- وقوله ﷺ لعلي: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة، أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين، قال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك.

٣٠- وقوله ﷺ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

٣١- وقوله ﷺ: الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا.
٣٢- وقوله ﷺ: لو أن رجلاً صَفَن بين الركن والمقام، فصلَّى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لآل بيت محمد دخل النار.

٣٣- وقوله ﷺ: إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي، وإني سائلكم غداً عنهم.

٣٤- وقوله ﷺ: وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي.

٣٥- وقوله ﷺ: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً.

٣٦- وقوله ﷺ: وقد خيم خيمة وفيها علي وفاطمة والحسن والحسين: يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء المولد.

٣٧- وقوله ﷺ: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط

على جسر جهنم ما جازها أحد حتى كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب^(١). إلى أضعاف الأضعاف من مثل ذلك الماثورة في صفحات الكتب، المخفية بين طياتها عن عيون بسطاء الأمة لغرض ما، فياليت شعري، ألم تكن هذه الكلمات الدريّة، التي صدرت عن لسان سيّد البريّة دلالة واضحة قويّة؟ وحجّة بالغة كافية؟ وبراهين ساطعة جليّة، على أحقيّة الإمام علي بالخلافة والولاية؟ وكيف يخفى ذلك على معاوية؟ بل وغيره ممّن له أذن واعية، وقلوب من أدران النزعات صافية.

فأيّ مؤمن أدرك النبي ﷺ، وسمع منه هاتيك الكلمات ثمّ ينحرف عنها؟ بلى، إلّا من تسلّطت عليهم داعية الهوى، فظلّوا عاكفين خاضعين تحت ظلال سيطرتها، وظنّوا أنهم يحسنون صنعا، أو من لم يتحرّر من قيد العصبية العمياء، فيتبع غير سبيل المؤمنين، لكثرة ما تشابه عليه من المكرمات والمناقب، التي نسجت أيادي المغالين في الفضائل، ونقشتها أقلام المتعصّبين لمحبوّبتهم، المبتغين لمرضاتهم دون مرضاة الله عزّ وجلّ شأنه، وعظمت على الخلق منته. وحقّ للمعتبر المنصف أن لا يختلجه أدنى شيء من الشكّ في أيّ كانت من تلك المكرمات والمفخرات والكرامات والمناقب والفضائل، بأنها لن تكون ذات أيّ قدر وقيمة في سوق الاعتبار في مقابلة تلك الكلمات النبويّة، فضلاً عن أن تكون سلماً يتسنّم بها عرش الخلافة بالأخبار الواهية. وإليك شطراً من تلك القصص التي لا يحقّقها العقل، ولا يشهد بصحّتها النقل، لتكون مقياساً للمعتبرين، ومعيّاراً للمنصفين.

(١) هذه الأحاديث برمتها أخرجها أعلام السنّة والحفّاظ في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم بطرق متواترة، راجع مصادرها المذكورة في كتاب إحقاق الحقّ للقاضي الشهيد التستري وملحقه للسيد المرعشي قدس سره.

الشمس على عجلة

ذكر الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق [في هامش روضة الرياحين لليافعي ص ١٨٤ ط مصر سنة ١٣١٥] نقلاً عن كتاب العقائق، ورواه الصفوري في كتابه نزهة المجالس [٢ : ١٨٤] نقلاً عن كتاب عيون المجالس، كما ذكره الأميني في غديره [٧ : ٢٣٧ ط الثاني]:

روي أن النبي ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها: إن الله تعالى لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرة، وجعلها على عجلة، وخلق للعجلة (٨٦٠) عروة، وجعل في كل عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين أن يجزّوها بتلك السلاسل مع قوتهم التي اختصهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة، وهي تدور في القبة الخضراء، وتجلو جمالها على أهل الغبراء، وفي كل يوم تقف على خط الاستواء فوق الكعبة، لأنها مركز الأرض، وتقول: يا ملائكة ربي، إني لأستحي من الله عز وجل إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكل قوتها، فلا تقبل منهم، وتعجز الملائكة عنها.

فألله تعالى يوحى إلى الملائكة وحي إلهام فينادون: يا أيّتها الشمس! بحرمة الرجل الذي اسمه منقوش على وجهك المنير إلا رجعت إلى ما كنت فيه من السير، فإذا سمعت ذلك تحرّكت بقدره المالك.

فقلت عائشة: من هو الرجل الذي اسمه منقوش عليها؟

قال: هو أبو بكر الصديق يا عائشة قبل أن يخلق الله العالم، علم بعلمه القديم، أنه يخلق الهواء، ويخلق على الهواء هذه السماء، ويخلق بحراً من الماء، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا، وأن الشمس تتمرد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء، وإن الله تعالى قدّر أن يخلق في آخر الزمان نبياً

مفضّلاً على الأنبياء في آخر الزمان، وهو بعلك يا عائشة على رغم الأعداء، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر صدّيق المصطفى، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس وعادت إلى سيرها بقدرة المولى، وكذلك إذا مرّ العاصي من أمّتي على نار جهنّم، وأرادت النار على المؤمن أن تهجم، فلحرمة محبّة الله في قلبه، ونقش اسمه على لسانه، ترجع النار إلى ورائها هاربة، ولغيره طالبة.

وما عسى أن نقول في هذه الأوهام الخيالية وما نحتته أقلام رواة السوء، مما شوّه سمعة السنّة الشريفة المقدّسة، مع علمنا أنّ الشمس تجري بقدرة العزيز العليم لا بقسم أحد من المخلوقين، كما جاء في القرآن العزيز: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] ولعلّ رواة هذه المخاريق قد أدركوا علماً لم يدركه أهل الفلك، وعلماء الكون، فسوف يدهشهم العجب إذن بهذه الحكاية، فيتأسّفون ويبيكون على ما فاتهم من هذا العلم المكنون، أو يضحكون منها.

اللحية المتوسّلة بها

ذكر اليافعي في روض الرياحين [في هامش العرائس للثعلبي ص ٤٤٣] عن أبي بكر الصّدّيق أنّه قال: بينما نحن جلوس بالمسجد، وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم، فرددنا عليه السلام وأجلسناه بين يدي النبي ﷺ، فقال: من يقضي لي حاجة في حبّ النبي ﷺ؟ فقال أبو بكر: ما حاجتك يا شيخ؟ فقال: إنّ لي أهلاً، ولم يكن عندي ما نقتات به، وأريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حبّ رسول الله ﷺ.

قال: فنهض أبو بكر وقال: نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حبّ رسول الله ﷺ.

ثم قال: هل من حاجة أخرى؟ فقال: نعم إن لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حباً في محمد ﷺ، فقال أبو بكر: أنا أتزوج بها في حياتك حباً في رسول الله ﷺ، هل من حاجة أخرى؟ فقال: نعم أريد أن أضع يدي في شية أبي بكر الصديق حباً في محمد ﷺ، فنهض أبو بكر ووضع لحيته في يد الأعمى، وقال: أمسك لحيتي في حب محمد ﷺ.

قال: فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصديق، وقال: يا رب أسألك بحرمة شية أبي بكر إلا رددت عليّ بصري، قال: فردّ الله عليه بصره لوقته، فنزل جبريل ﷺ على النبي ﷺ وقال، يا محمد، السلام يقرئك السلام، ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزّته وجلاله لو أقسم عليّ كل أعمى بحرمة شية أبي بكر لرددت عليه بصره، وما تركت على وجه الأرض أعمى، وهذا كله ببركتك وعلوّ قدرك وشأنك عند ربّك.

أقول أولاً: ما أجلّ هذه الحكمة الباهرة، وما أعظم نفعها على البرايا إن كانت الرواية صحيحة، وما أبخل من يقف عليها من العلماء والمحدثين على عميان الأمة بكتمانها، وما أقسى قلوبهم على من يكابد ضيق الحياة وضررها.

ثانياً: إذا كانت في نفس الحكاية مسحة من الصدق فما بالهم لا يعلمون بها حتّى لا يكون على ظهر الأرض أعمى؟ ويكونوا بذلك من خواصّ أعظم الأطباء البارزين لأمراض العيون والعمى.

ثالثاً: من المؤسف جداً أنها كانت في معزل عن علم ابن أمّ مكتوم الصحابي، ولم يعلمه أحد بخصوصيّة تلك الشية العظيمة النفع، فيتخلّص ممّا كان يتحمّله في ظلمات الليل من العقبات المؤدّية إلى الخطر، ولا يحتاج أن يستأذن من رسول الله ﷺ حين لم يجد له قائداً يقوده إلى المسجد أن يصلّي في بيته ويترك الجماعة، فيزول ما كان يقاسيه من الشدائد لما لم يأذن له الرسول في ذلك ما دام يسمع الأذان، ومن المعجب جداً أن صاحب ذلك الترياق لم يخبره.

أبو بكر وسجود الملك

حدّث عالم الأُمَّة الشيخ يوسف الفيشي المالكي، قال: كان جبريل إذا قدم أبو بكر على النبي ﷺ وهو يحادثه يقوم إجلالاً للصدّيق دون غيره، فسأله النبي ﷺ صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال جبريل: أبو بكر له عليّ مشيخة في الأزل، وما ذاك إلا أنّ الله تعالى لمّا أمر الملائكة بالسجود لآدم، حدّثني نفسي بما طرد به إبليس، فحين قال الله تعالى: اسجدوا. رأيت قبة عظيمة عليها مكتوب أبو بكر أبو بكر مراراً، وهو يقول اسجدوا، فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ما كان.

قد بلغ مخّلق هذه الرواية إلى أقصى الغاية من الجرأة على أمين وحي الله عزّ وجلّ جبريل عليه السلام، بزعمه أنّه خطر على قلب هذا الملك المقرّب العظيم ما طرد به إبليس اللعين، فيا عجباً لمن يقرأ هذه الرواية، ولم يتعجب منها ويقشعرّ جلده، ألم يكن من أغرب الغرائب، وأعجب العجائب، وجود أبي بكر في ذلك العهد القديم؟ ومن أمر جبريل مراراً بالسجود حين أمر الله جميع ملائكته بالسجود لآدم؟ ومن المدهش جدّاً قوله «فسجدت من هيبة أبي بكر» كأنّ هيبته غلبت هيبة الله عزّ وجلّ جلاله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ياليت شعري، كيف سجد ملك من الملائكة من هيبة أحد وأمره لا من هيبة المولى جلّ وعزّ، وقد وصفهم بقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾؟ أنا لا أدري أيّ سجدة هي؟ وما قدرها؟ وكيف حكمها؟ لأنّ السجدة لم تكن امثالاً لأمر الله ولا طاعة له، ولكن من هيبة صاحب القبة، العارف بما خطر على قلب الملك فضلاً عن قلب البشر.

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق [في هامش روض الرياحين ص ١١١] فقال: وحدّثني أيضاً شيخنا الأستاذ محمّد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي، وسمعتها من غالب مشايخنا بالأزهر.

أبو بكر في قاب قوسين

بلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما كان قاب قوسين أو أدنى. أخذته وحشة، فسمع في حضرة الله صوت أبي بكر رضي الله عنه، فاطمأن قلبه، وأستأنس بصوت صاحبه. ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق [ص ١٥٤] فقال: هذه كرامة للصدّيق انفراد رضي الله تعالى عنه.

ذكر الراوي روايته هذه منقطعة عن الإسناد، فلعلّ رجال سندها سماويّون، كما أنّ الواقعة سماويّة، فلهذا قال الراوي: كرامة انفراد بها الصدّيق. أقول: بل انفراد هو أيضاً بعلمه، لأنّ ذلك في مقام عظيم، قد غشيتة القداسة الإلهيّة، والأنوار القدسيّة، حتّى تأخّر عنه الأمين جبريل، كما هو المشهور من كتب المولد، بقوله عليه السلام: «لو قدمت أحرقني السنا» فمن حقّ المقام إن كان ذلك حقّاً أن يقال: فمقامهما بالروح حق أن يفتدى لا مقامه باللفظ المفرد. أنا لا أدري، هل فاتت مؤلفي كتب المولد رواية هذه الكرامة الجليلة ولم يقفوا عليها؟ أم أعرضوا عنها مرتابين في صحتها؟

الهتاف من الحجرة النبويّة الشريفة

أخرج ابن عساكر في تاريخه، قال: روي أنّ أبا بكر لما حضرته الوفاة، قال لمن حضره: إذا أنا متّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتّى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، فقفوا بالباب وقولوا: السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فإن أذن لكم بأن فتح الباب - وكان الباب مغلقاً بقفل - فأدخلوني وادفنوني، فإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به. فلمّا وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر، سقط القفل وانفتح الباب، وإذا بهاتف يهتف من القبر: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب، فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق.

ذكره الرازي في تفسيره [٥ : ٣٧٨] والحلي في السيرة النبويّة [٣ : ٣٩٤]

اسم أبي بكر في خاتم النبي (ص) ٢٩٩

والديار بكر في تاريخ الخميس [٢ : ٢٦٤] والقرماني في أخبار الدول [هامش الكامل ١ : ٢٠٠] والصفوري في نزهة المجالس [٢ : ١٩٨].

لعله لما فشلت يد المغالين في الفضائل النساجة للمخاريق، وعجز صاحبها عن جواب من تمسك محتجاً بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أورد هذه الرواية مورد الإذن، وحجة بالغة يجيبون بها المنتقدين.

لأن الحجرة الشريفة: إما أن تكون باقية في ملكه صلى الله عليه وآله فصار الإذن بعد وفاته بيد أبنائه، وهم: الحسنان من المقصود بإخوتهما؟ لأن سهامهم أكبر من سهام غيرهم من أزواجه عليه الصلاة والسلام، ولا أحد يستأذن منهم ممن يتولّى أمر الدفن، ولا كان الخليفة قبل وفاته يستأذن منهم.

وإما أن تعود الحجرة الشريفة صدقة. فأمرها إلى المسلمين، ولا أحد منهم يستأذن الجامعة الإسلامية، وذلك أخذاً بما جاء به الخليفة من قوله صلى الله عليه وآله: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وأي حق إذن لعائشة بعد هذا؟ حتى قيل: بإذن منها.

وعلى فرض الميراث مالها ألا تسمع الثمن، لأن النبي صلى الله عليه وآله توفي عن تسع. ثم إننا لو قدرنا بأن هذه الرواية صحيحة، فأين مكانها من كتب الصحاح والمسانيد؟ ومن رواها من الصحابة المشيخين إلى مقره الأخير؟ ألم يسمع أحد ذلك منهم الهتاف؟ ألم ير أحد منهم سقوط ذلك القفل؟ فيصل خبر ذلك منهم إلى قرن؟ آخرين، ونحن نحاشيهم من أن يكون في آذانهم وقر، وفي أبصارهم غشاوة، رضي الله عنهم أجمعين.

اسم أبي بكر في خاتم النبي صلى الله عليه وآله

روي أن النبي صلى الله عليه وآله دفع خاتمه إلى أبي بكر، وقال: اكتب

عليه: لا إله إلا الله، فدفعه أبو بكر إلى النقاش، وقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، فكتب عليه - أي النقاش - فلما جاء به أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وجد عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق، فقال النبي: ما هذه الزيادة يا أبا بكر؟ فقال: مارضيت أن أفرق اسمك عن اسم الله، وأما الباقي فما قلته، فنزل جبريل وقال: إن الله سبحانه وتعالى يقول: إني كتبت اسم أبي بكر لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسمي، فانا ما رضيت أن أفرق اسمه عن اسمك.

ذكره الصفوري في نزهة المجالس [٢ : ١٨٥] نقلاً عن تفسير الرازي. والجرذاني في مصباح الظلام [ص ٢٥].

فان تعجب من هذه الرواية، فهنيئاً لك أن تعجب، فإن النبي صلى الله عليه وآله كما ترى في هذه الرواية كان يتعجب، حتى سأل أبا بكر بقوله: ما هذه الزيادة يا أبا بكر؟ ومن طبع الحال أن أبا بكر كان كذلك يتعجب، حتى قال: أما الباقي فما قلته.

ولسنا ندري إلى أي مبلغ بلغ عجب نقاش الخاتم الذي ينقش شيئاً، فازداد النقش بنفسه، ومن أعجب ما يكون أن نقاش هذه الأعجوبة قد أرسل روايته من غير سند ترونها، فربما رجال سندها من رجال الغيب، لأن الخاتم الذي انتقش فيه اسم أبي بكر قد نقش في عالم الغيب.

وأعجب من ذلك كله أن الخاتم المنقوش في عالم الغيب، قد يناقض الخاتم المنقوش في عالم الشهادة، يعرفنا ذلك كتب الصحاح منها:

١ - مارواه البخاري في صحيحه [٨ : ٣٠٩] ومسلم [٢ : ٢١٤] من صحيحه، والترمذي في صحيحه [١ : ٣٢٤] عن أنس أنه صلى الله عليه وآله صنع خاتماً من ورق ونقش فيه: محمد رسول الله، وقال: فلا ينقش أحد على نقشه.

٢ - في رواية البخاري والترمذي عن أنس قال: كان نقش الخاتم ثلاثه أسطر: محمد سطر، ورسول، والله.

راجع صحيح البخاري [٨ : ٣٠٩] وصحيح الترمذي [١ : ٣٢٥].

٣ - قال الزرقاني في شرح المواهب [٥ : ٣٩]: كان نقش الخاتم النبوي كما في الصحيحين وغيرهما: محمّد رسول الله، فلا عبرة بهذه الرواية، كرواية أنّه فيه كلمة الشهادة، وروايه ابن سعد أنّ نقشه، صدق الله، ثمّ ألحق الخلفاء: محمّد رسول الله.

أبو بكر ومحَبّوه

روى صاحب العمدة [ص ١٠٥] الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال علي عليه السلام: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ وليس معنا ثالث إلّا الله عزّ وجلّ، فقال: يا علي، تريد أن أعرفك بسيد كهول أهل الجنّة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة؟ فقلت: إي وعيشك يا رسول الله، قال: هذان المقبلان.

قال علي: فالتفتُ فإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثمّ رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله تبسّم، ثمّ قطب وجهه، حتّى ولجا المسجد، فقال أبو بكر: يا رسول الله لمّا قربنا من دار أبي حنيفة تبسّمت لنا، ثمّ قطبت وجهك، فلم ذلك يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: لمّا صرتما لجانب دار أبي حنيفة عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما، ثمّ رفع يديه إلى السماء أسمعته وأراه، وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه، وهو يدعو ويقول: اللهمّ إني أسألك بحقّ هذين الرجلين أن لا تعذبني بعذاب باغضي هذين الرجلين. قال أبو بكر: ومن هو الذي يبغضنا يا رسول الله؟ وقد آمنا بك وآزرناك، وأقررنا بما جئت به من عند ربّ العالمين؟

قال: نعم يا أبا بكر، قوم يظهرون في آخر الزمان، يقال لهم: الرافضة، يرفضون الحقّ، ويتأولّون القرآن على غير صحّته، وقد ذكرهم الله عزّ وجلّ في

كتابه العزيز، وهو قوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] فقال: يا رسول الله، فما جزاء من يبغضنا عند الله؟ قال: يا أبا بكر، حسبك أن إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالى أن لا يعذبه بعذاب باغضيكما، قال: يا رسول الله، هذا جزاء من قد أبغض، فما جزاء من قد أحب؟

فقال رسول الله ﷺ: أن تهديا له هدية من أعمالكما، فقال أبو بكر «رض»: يا رسول الله، أشهد الله وملائكته أنني قد وهبت لهم ربع أجري - أي عملي - منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه، فقال عمر «رض»: وأنا مثل ذلك يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: فضعَا خطكما بذلك. قال علي كرم الله وجهه: فأخذ أبو بكر زجاجة، وقال له رسول الله ﷺ: اكتب، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، يقول عبدالله عتيق بن أبي قحافة: إني قد أشهدت الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أنني قد وهبت ربع عملي لمحبي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه، وبذلك وضعت خطي.

قال: وأخذ عمر وكتب مثل ذلك، فلما فرغ القلم من الكتابة، هبط الأمين جبريل عليه السلام وقال: يا رسول الله، الرب يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: هات ما كتبه صاحبك، فقال رسول الله ﷺ: هذا هو، فأخذه جبريل وعرج به إلى السماء.

ثم إنّه عاد إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أين ما أخذت يا جبريل مني؟ قال: هو عند الله تعالى وقد شهد الله فيه، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل، وقال الله تعالى: هو عندي حتى يفي أبو بكر وعمر بما قالوا يوم القيامة.

لقد ظهر لنا من خلال كل فصل من هذه الرواية أشياء عجيبة، وألوان غريبة، ما أثار إمعان النظر إليها العجب العجيب.

١ - ذكر الراوي أن إبليس اللعين يستجير بالله تعالى أن لا يعذب بعذاب

اللّٰه يستحي من أبي بكر ٣٠٣

باغض الشيخين، فهل استفاد من تلك العبارة أن يكون عذاب من يبغضهما أعظم من عذاب من كفر باللّٰه تعالى وتجنّب عليه، وكيف يكون أعظم الكبائر في الإسلام بغض الشيخين دون الكفر والشرك باللّٰه تعالى؟ أمن المسلّم ذلك عند من له عقل وعلم ودين؟ هيهات هيهات.

٢ - ممّا لا يدركه العقل ويعجز عن فهم حكمته هو عروج جبريل بالزجاجة إلى السماء حتّى يشهد المولى عزّ وجلّ فيها، ثمّ أشهدا أمين وحيه، وأشهدا حملة عرشه وملكيه الموكل بقبض الأرزاق والموكل بنفخ الصور، ثمّ يدخرها عنده جلّت عزّته حتّى يفى الشيخان بوعدهما، لم ذلك كلّ؟

٣ - وما الذي أحوجه جلّت قدرته إلى الاهتمام بتلك الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة.

٤ - ومن هم الرافضة المراد بهم الذين يرفضون الحقّ، ويتأولون القرآن على غير صحّته، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، هل هم الذين يتبعون من مثلهم الرسول بسفينة نوح، وباب حطة، وعديل القرآن، وفي مقدّمتهم الخمسة الطاهرة؟ أم هؤلاء من قوم آخرين، من الذين يعادونهم ويحاربونهم ويقاتلونهم تحت كلّ شجر ومدر، بكلّ حول وقوة، ويهتكون حرّماتهم ويتغافلون عن وصيّة نبيّهم، فجعلوها وراء ظهورهم مهجورة؟ أنا لا أدري، ويا ليت لنا وللأمة المحمديّة مخيّراً مبيناً، فيزول عنهم الالتباس والاشتباه، ويظهر الحقّ لهم بوجهه المشرق. وإن لم يكن هؤلاء فمن هم؟

اللّٰه يستحي من أبي بكر

وروى الصفوري في كتابه نزّهة المجالس [٢ : ١٨٤] عن أنس بن مالك، قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، رأيت في المنام كأنّ النخلة التي في داري وقعت وزوجي في السفر، فقال: يجب عليك الصبر، فلن تجتمعي به أبداً، فخرجت المرأة باكية فرأت أبا بكر، فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبي ﷺ،

فقال: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة فدخلت إلى منزلها وهي متفكرة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر، فلما كان الليل وإذا بزوجها قد أتى، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وآله وأخبرته بزوجها، فنظر إليها طويلاً، فجاء جبريل وقال: يا محمد، الذي قلته هو الحق، ولكن لما قال الصديق: إنك تجتمعين به في هذه الليلة، استحيا الله منه أن يجري على لسانه الكذب، لأنه صديق، فأحياه كرامة له. لقد ظهر للقارئ من خلال الكلمات التي تركبت في هذه الرواية العجيبة غرائب وعجائب، حتى يتصور له كأن الله يحافظ على كرامة أبي بكر أشد من حفاظه على كرامة حبيبه المصطفى ﷺ، وكأنه لم يبال أن يجري الخطأ على لسان نبيه محمد ﷺ، وكأن ذلك أهون عليه عز وجل من أن يجري على لسان أبي بكر، فهل كان سبحانه وتعالى أشد استحياءً من أبي بكر لأجل لقبه دون من أرسله رحمة للعالمين؟

فيا عجباً، إن لهذا اللقب إذن لشأن عظيم جداً كما ترى، حيث استحيا الحق جلّ جلاله من الملقب به لأجله، فما أعظم هذا اللقب وما أجله. ليت شعري، ومن الذي لقبه به؟ الله لقبه به أم رسوله؟ فإثما نقل إلينا في الخبر أن اللقب لأمر المؤمنين عليه السلام، وذلك قوله ﷺ لعلي: أنت الصديق الأكبر، وفاروق هذه الأمة. كما سيأتي في موضعه من هذه الأسطورة إن شاء الله.

أبو بكر وتوسل الشمس به

روى الصفوري في نزهة المجالس [٢ : ١٨٤] قال النبي ﷺ: عرض عليّ كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس، فإني سلمت عليها وسألت عن كسوفها، فأنطقها الله تعالى وقالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة تجري حيث تريد، فأظر إلى نفسي بعين العجب، فنزل بي العجلة فأوقع في البحر، فأرى الشخصين أحدهما يقول: أحد أحد، والآخر يقول: صدق صدق، فأتوسل بهما إلى الله تعالى فينقذني

أبو بكر ومنزلته عند الله ٣٠٥

من الكسوف، فأقول: يا رب من هما؟ فيقول: الذي يقول أحد أحد هو حبيبي محمد ﷺ، والذي يقول: صدق صدق هو أبو بكر الصديق.

لقد أعطت هذه الرواية لقارئها علماً ياباه العقل والمنطق، وذلك أن الشمس تحيي بحياة روحية، ولها نفس أمارة بالسوء، حيث ترى إلى نفسها بعين العجب فأوقعت في البحر.

ثم إننا لو سلّمنا بذلك بناءً على حسن الظن بقدرة الله المطلقة التي لا يحدّها شيء وعلت على كلّ شيء، فما بال الشمس استمرت في المعصية حتى تكرر الكسوف على العالم؟

وعلى فرض أنها كلما عصت وانغمست في البحر تابت وتوسّلت بمن قال: أحد أحد، وبمن قال: صدق صدق فانقذت، ولم تعود إلى المعصية؟ ومن العجيب أن العلماء العصريين من الجغرافيين والفلكيين الذين استكشفوا غوامض خفيت على أهل القرون الماضية، لم يعلموا بأن كسوف الشمس هو انغماسها في البحر، ولعلّ المستقبل الكشاف يأتي بمن يعلم الأمة بذلك، وبخسوف القمر أيضاً.

أبو بكر ومنزلته عند الله

روى الأُميني في غديره [٧ : ٢٩٦ ط ٢] نقلاً عن الرياض النضرة [١ : ٧١] ومرواة الوصول [ص ١١٤] عن ابن عباس، قال: كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار، فعطش عطشاً شديداً، فشكا إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى صدر الغار فاشرب. قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار، فشربت ماءً أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأذكى رائحة من المسك، ثم عدت إلى النبي ﷺ فقال: شربت؟ قلت: نعم، قال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قلت: بلى يا رسول الله.

قال: إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من

جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر، فقلت: يا رسول الله، ولي عند الله هذه المنزلة؟ فقال النبي ﷺ: نعم وأفضل، والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك، ولو كان له عمل سبعين نبياً.

عجباً لهذا النبا العظيم، كيف لم يكن له موضع في صفحات الصحاح والمسانيد، وغفل عنه أئمة التاريخ ولم يذكر في كتب السير، ما عدا السيوطي في الخصائص [١: ١٨٧] فقال: أخرجه ابن عساكر بسند واهٍ؟

ومن العجب هو أن ابن عباس يعرف تلك القضية ولم يحضرها ولم يسند الرواية إلى أحد على أن يوم الغار لم يكن فيه غير النبي ﷺ وأبي بكر، وابن عباس يومئذ ابن سنة أو سنتين، لأن مولده كان في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل. أنا لا أدري! فليستوح القارئ من ضميره الحر، فإنه نعم الحكم.

إلى غير ما هنالك من القصص الخرافية مما نقشته أيد غشيت سكرة الحب الأعمى أصحابها، مما أعقب غشاوة الأبصار لبسطاء الأمة وجهلتهم، حتى أنهم إلى مستوى الحقيقة لا يهتدون. أضف إلى ذلك ما يزيد في الطنبور نغمة قولهم: إن الخليفة الأول أعلم الصحابة على الإطلاق بمجرد معرفته بحديثين.

الأول ما احتج به ابن حجر ومن لف لفه على أعلميته، كما ذكره في صواعقه [ص ١٩] فيما رواه الأميني في غديره [٧: ١٨٥] ما أخرجه البخاري في صحيحه [٣: ١٨٢ ط دار الفكر بيروت] في صلح الحديبية، وذلك:

عن عمر بن الخطّاب، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله، ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: ألسنت كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرت أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى،

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ فقال: أيها الرجل، إنَّه رسول الله ولن يعصي ربَّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنَّه على الحق. فقلت: أليس كان يحدثنا أنَّنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنَّك تأتي العام؟ قلت: لا، قال: فإنَّك آتية ومطوف به.

أقول: أفي جواب أبي بكر لعمر شيء أكثر من أن يدلَّ على أنَّه مؤمن بنبوَّة الرسول؟ فما الذي فاق به غيره علماً على الإطلاق؟ ألم يشاركه في ذلك كثير من المؤمنين؟ إذ كلَّ من آمن بالنبي ﷺ لا شك في أنَّه سيقول مثل ما قال أبو بكر، وسيجيب بما أجاب به أبو بكر متى سئل بذلك.

ومن الغريب إذا نظرنا إلى مفاد الحديث كأنَّ الخليفة الثاني قد طرق الشك قلبه، فلا يقنع بما أجاب به النبي ﷺ حتَّى ألجأه ربه إلى صاحبه مستيقناً من جوابه.

الحديث الثاني الذي احتجَّ به ابن حجر على أنَّ الخليفة الأوَّل أعلم الصحابة على الإطلاق، ما رواه البخاري في صحيحه [٨: ٣] عن عائشة أنَّها قالت: لمَّا توفي رسول الله ﷺ اشرأَّب النفاق - أي رفع رأسه - وارتدَّت العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضمها - أي فتنها - فما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بعبثها وفصلها. قالوا: أين ندفن رسول الله؟ فما وجدنا عند أحد علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه، واختلفوا في ميراثه، فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة. إلى آخره.

نقول: مع غصَّ النظر عن اختلاف أقوال المتبحِّرين في علم الحديث، وتضارب آرائهم في القطع بصحَّة الحديثين المذكورين، اللذين صارا مظهرين من

مظاهر علم أبي بكر، حتى صار بهما أعلم الصحابة على الإطلاق عند أولئك القوم. فما عسى أن يقال فيما أخرجه الأئمة والأعلام والمحدثون والمسّرون على عدم معرفة أبي بكر بمعنى الأب؟ وذلك ما أخرجه أبو عبيدة عن إبراهيم التيمي، قال: سئل أبو بكر عن قوله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾؟ فقال: أيّ سماء تظّلني؟ وأيّ أرض تقلّني؟ إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وفي لفظ القرطبي: أيّ سماء تظّلني؟ وأيّ أرض تقلّني؟ وأين أذهب؟ وكيف أسمع؟ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى.

راجع: تفسير القرطبي [١: ٢٩] وتفسير الزمخشري [٣: ٢٥٣، وفي ط ٤: ٢٢٠] وفي تفسير ابن كثير [١: ٥] وتفسير الخازن [٤: ٣٧٤] وتفسير النسفي [في هامش تفسير الرازي ٨: ٣٨٩] والدر المنثور [٦: ٣١٧] وفتح الباري لابن حجر [١٣: ٢٣٠]. وتفسير ابن الجزي الكلبي [٤: ١٨٠] وأعلام الموقعين [ص ٢٩] لابن القيم وصحّحه، والغدير [٧: ١٠٣].

ولنصف إلى ذلك بعض نوادره، منها:

ال خليفة الأول والكلالة

ما أخرجه سعد بن منصور، وعبدالرزاق، وابن أبي شعبة، والدارمي في سننه [٢: ٣٦٥] وابن جرير الطبري في تفسيره [٦: ٣٠] والبيهقي في سننه الكبرى [٦: ٢٢٣] والسيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه [٦: ٢٠] وابن كثير في تفسيره [١: ٢٦٠] والخازن في تفسيره [١: ٣٦٧] وابن القيم في أعلام الموقعين [ص ٢٩] والزمخشري في تفسيره [١: ٥١٠ ط انتشارات آفتاب طهران] والأميني في غديره [٧: ١٠٤].

وقال: إسناد صحيح رجاله ثقات، عن الشعبي، قال: سئل أبو بكر عن الكلالة، فقال: إني سأقول فيها برأيي، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأً فمني

الخليفة الأول ورأيه في الجدة..... ٣٠٩

ومن الشيطان، واللّه ورسوله بريئان منه، أراه ما خلا الولد والوالد، فلمّا استخلف عمر قال: إني لأستحيي الله أن أردّ شيئاً قاله أبو بكر.

قال الأميني: هذا رأيه الثاني. وكان أولاً يرى أنّ الكلالة من لا ولد له خاصّة، وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب، ثمّ رجعا عنه إلى ما سمعت، ثمّ اختلفا. فيها راجع تفسير القرطبي [٥ : ٧٧].

قال ابن عبّاس: كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب، قال: اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة، والقول ما قلت. راجع تفسير ابن كثير [١ : ٥٩٥].

وفي سنن البيهقي، والحاكم، والذهبي، وابن كثير، عن ابن عبّاس، قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر، فسمعتة يقول: القول ما قلت: قلت: وما قلت؟ قال: قلت: الكلالة من لا ولد له.

قال الأميني: هذا القول كان من عمر لمّا طعن بعد قوله لمّا استخلف: إني لاستحيي أن أخالف فيه أبا بكر كما مر. ويعدّ قوله: أتى عليّ زمان لا أدري ما الكلالة، وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد.

راجع السنن الكبرى [٦ : ٢٢٤].

الخليفة الأوّل ورأيه في الجدة

أخرج الإمام مالك في الموطأ [١ : ٣٣٥] والدارمي في سننه [٢ : ٣٥٩] وأبو داود في سننه [٢ : ١٧] وابن ماجّة في سننه [٣ : ١٦٣] والإمام أحمد في مسنده [٤ : ٢٢٤] والبيهقي في سننه [٦ : ٢٣٤] عن قبيصة بن ذؤيب، قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله عن ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنّة رسول الله شيئاً، فارجعي حتّى أسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمّد بن سلمه الأنصاري فقال ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر.

كيف يكون عند أولئك القوم أعلم الصحابة على الإطلاق، وقد اضطرته الحاجة في مثل هذه المسألة إلى الالتجاء إلى رواية المغيرة أزنئ ثقيف وأكذب الأمة. كما في الغدير [١٤١ : ٦، و ٧ : ١٢٠].

الخليفة الأول ورأيه في الجدّتين

عن القاسم بن محمّد أنّه قال: أتت الجدّتان إلى أبي بكر، فأراد أن يجعل السدس للتي من قبل الأمّ، فقال له رجل من الأنصار: أما إنك تترك التي لو ماتت وهو حيّ كان إياها يرث، فجعل أبو بكر السدس بينهما. وفي لفظ آخر: إنّ جدّتين أتتا أبا بكر أمّ الأمّ وأمّ الأب، فأعطى الميراث أمّ الأمّ دون أمّ الأب، فقال له عبدالرحمن بن سهيل - أو سهل - أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله لقد أعطيت التي لو أنّها ماتت لم يرثها، فجعله أبو بكر بينهما. يعني السدس.

راجع: الموطأ [٣٣٥ : ١] وسنن البيهقي [٣٣٥ : ١] وبداية المجتهد [٣٤٤ : ٢] والاستيعاب [٤٠٠ : ٢] والإصابة [٤٠٢ : ٢] وقال: رجاله ثقات، وكنز العمال [٦ : ٦]. إنّ من العجب لمن تأمل في هذه الواقعة، سرعة انقلاب الخليفة عمّا ارتآه إلى رأي رجل من الأنصار، أو رجل من أخي بني حارثة، من غير أن يتثبت في البحث أولاً، حتّى أشركهما في الميراث، ولعلّ هؤلاء القوم لم يقفوا على هذه الواقعة، أو مرّوا عليها مغمضين الأطراف اكتفاءً بما أخرج به البخاري الذي روته عائشة مرسلًا كما مرّ، أو احتفاظاً على كرامة الخليفة.

الخليفة الأول ورأيه في الجد

عن ابن عبّاس، وعثمان، وأبي سعيد، وابن الزبير. قالوا: إنّ أبا بكر جعل الجدّ أباً.

راجع: صحيح البخاري باب ميراث الجدّ، وسنن الدارمي [٢: ٣٥٧] وأحكام القرآن للجصاص [١: ٩٤] وسنن البيهقي [٦: ٢٤٦] وتاريخ الخلفاء للسيوطي [ص ٦٥] والغدير [٧: ١٣٠] يعنون أنّه كان يحجب الإخوة بالجدّ، ولم يشرك بينهما، كما أنّ الأب يحجب الإخوة والأخوات.

الخليفة الأوّل ورأيه في قطع السارق

عن صفية بنت أبي عبيد: أنّ رجلاً سرق على عهد أبي بكر مقطوعة يده ورجله، فأراد أبو بكر أن يقطع رجله ويدع يده، يستطيب بها وينتفع بها، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لتقطعنّ يده الأخرى، فأمر به أبو بكر فقطعت يده. وعن القاسم بن محمّد: أن أبا بكر أراد أين يقطع رجلاً بعد اليد والرجل، فقال عمر: السنّة اليد. راجع: سنن البيهقي [٨: ٢٧٣ - ٢٧٤].

أشجع الصحابة

وممّا يضحك الثكلى قول من قال: إنّ في الصحابة من هو أشجع من قاتل عمرو بن عبد ودّ، وهذا رأي ابن حزم، كما في كتاب المفاضلة بين الصحابة، ومن نحا نحوه، واختلقوا له حديثاً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما رواه الأميني في غديره [٧: ٢٠١] نقلاً عن الرياض النضرة [١: ٩٢] وتاريخ الخلفاء للسيوطي [ص ٢٥].

وذلك أنّ عليّاً قال: أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت، قال: أما إني ما بارزت أحداً إلّا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، إنّه لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلّا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله لا يهوي إليه أحد إلّا هوى إليه، فهو

أشجع الناس.

كفانا علماً بأنّ هذه الإثارة مفتعلة كونها محذوفة ومقطوعة الأسانيد، ليت القوم يروونها مسندة فيعرف الملاء الديني الذي اختلقها، وإنا لا نشك في أنّ ذلك الرأي لمّا يعجب منه من له أدنى إلمام بالتاريخ، وحقّاً إنّّه سيقول بلسان حاله:

فهبني قلت هذا الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء

نعم فليجهد الرجل ومن لفّ لفّه جهدهم في محو ما هو لدى الأمم مشهور، وفي وجوه صفحات الكتب مسطور، لا يزيله تكرار الأيام والشهور، ولا يأكله مرور السنين والدّهور، سيظلّ باقياً مشهوداً كالنور على الطور، مهما اغتاط به أرباب الدفائن الكامنة في الصدور، فلن ينمحي ما سجله التاريخ من مواقف علي عليه السلام حتّى يبعث من في القبور، قل موتوا بغيظكم لن ينالكم الله بخير، فما أجدر أن يقال لهم:

يا ناطح الجبل ليكلمه أشفق على الرأس ولا تشفق على الجبل
فيا عجباً لأولئك القوم، كأنّهم لم يقفوا على واقعة خيبر، وفرار الأشجع كصاحبه
عمر بن الخطّاب، فرجع منهزماً ومن معه، ثمّ بعث عمر بالجيش، فرجعوا كذلك
منهزمين، يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه.

راجع: مجمع الزوائد [٩ : ١٢٤] والمواقف للأيجي كما في شرحه [٣ : ٢٧٦]

وطوالع الأنوار للقاضي البيضاوي كما في المطالع [ص ٤٨٣].

وكأنّ هؤلاء القوم تغافلوا عمّا وقع يوم أحد، حين قال فيه علي وقد تخلّى
الناس عن رسول الله ﷺ: نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ، فقلت: والله ما
كان ليفرّ وما أراه في القتلى، ولكن غضب الله علينا بما صنعنا فرفع نبيّه، فما في
خير من أن أقاتل حتّى أقتل، فكسرت جفن سيفي، ثمّ حملت على القوم، فأفروا
لي فإذا رسول الله بينهم، وقد أصابت عليّاً يوم ذاك ستّ عشرة ضربة، كلّ ضربة
تلزّمه الأرض، فما كان يرفعه إلّا جبريل عليه السلام. راجع: أسد الغابة [٤ : ٢٠].

لعل أولئك القوم يعرفون أين كان الأشجع في العرش حينئذ، ولعل هؤلاء القوم يدرون أين كان الأشجع في العرش، يوم وقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر، ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بيده صلى الله عليه وآله واحتضنه، ورفع طلحة حتى استوى قائماً ﷺ.

راجع: سيرة ابن هشام [٢٧: ٣].

ولعل هؤلاء القوم يدرون أين كان الأشجع في العرش يوم أحد، يوم البلاء والتمحيص، حتى خلع العدو إلى رسول الله ﷺ، فدت بالحجارة حتى وقع لشقه، فأصابت رباعيته، وشج في وجهه، وكلمت شفته، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم ويقول: كيف يفلح قوم خضب وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم.

راجع: سيرة ابن هشام [٢٧: ٣] وطبقات ابن سعد [٢: ٤٤ - ٤٥ ط دار الفكر] وتاريخ ابن كثير [٢٣: ٤] الامتناع للمقرئزي [ص ١٣٥] وشرح المواهب للزرقاني [٢: ٣٧] وعيون الأثر [١٢: ٢] والمواهب اللدنية [٢: ١٢٥] وشرح الزرقاني [٢: ٥٦]. ولعل أولئك القوم يدرون أين كان ذلك الأشجع يوم حمراء الأسد؟ وقد خرج رسول الله مجروحاً في وجهه، مشجوجاً في جبهته، قد شجيت رباعيته، وقد كلمت شفته السفلى في باطنها، وأصيب منكبه الأيمن بضربة ابن قميئة، وركبته مجحوشتان. راجع: طبقات ابن سعد [٢: ٤٩ ط دار الفكر].

ولعل أولئك القوم يعلمون من كان هو الأشجع يوم حنين؟ يوم ترك الناس النبي ﷺ ولم يبق إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم، ورجل من غيرهم، وهم: علي بن أبي طالب، والعبّاس، وهما بين يديه ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي الآخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من العدو جهته ﷺ إلا قتل.

راجع: السيرة الحلبية [١٢٣: ٣].

ولعل أولئك القوم يعلمون ما فعل ذلك الأشجع يوم الخندق؟ لم هتف عسرو بن عبدود طالباً من يبارزه؟ يوم قال النبي ﷺ: لضربة علي خير من عبادة الثقلين.

وفي لفظ: قتل علي لعمره أفضل من عبادة الثقلين.
وفي لفظ: لمبارزة علي لعمره بن عبد ود أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

راجع: مستدرك الحاكم [٣: ٣٧] والمواقف للأيجي [٣: ١٧٦] وكنز العمال [١٥٨: ٦] والسيرة الحلبية [٢: ٣٤٩] وفيه كلمته ردّاً على ابن تيمية في رده هذا الحديث. وهداية المرتاب في فضائل الأصحاب [ص ١٤٨].

وفي لفظ ابن أبي الحديد في شرحه، عن حذيفة بن اليمان، قال والذي نفس حذيفة بيده لضربة علي يوم الخندق أعظم من أعمال أمة محمد إلى يوم القيامة.

قال الأميني في غديره [٧: ٢٠٢] نقلاً عن عيون الأثر لابن سيد الناس [١]:
[٢٥٨] وتكذبها- أي رواية حراسة أبي بكر في العريش - صحيحة ابن اسحاق، قال: كان رسول الله ﷺ يوم بدر في العريش، وسعد بن معاذ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ، متوشح بالسيف في نفر من الأنصار، يحرسون رسول الله، يخافون عليه كره العدو. انتهى.

ثم إن حراسة النبي ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر فقط، ولا بأبي بكر فقط، بل في كل موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهد أحد من الصحابة بحراسته، فكانت الحراسة في ليلة بدر لسعد بن معاذ، وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في سيرته [٣: ٣٥٣] وفي يوم أحد تولّى الحراسة محمد بن سلمة، ويوم الخندق الزبير بن العوام، ويوم الحديبية للمغيرة بن شعبة، وفي ليلة بنى النبي ﷺ بصفية ببعض طرق الخير أبو أيوب الأنصاري، وفي وادي القرى تولّى الحراسة بلال، وسعد بن

أبي وقاص، وذكوان بن عبد قيس، وفي ليلة وقعة حنين ابن أبي مرثد الغنوي، واستمرت الحراسة إلى أن نزل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وذلك في حجة الوداع فترك الحراسة.

راجع: مستدرک الحاکم [٢ : ٣١٣] وتفسير القرطبي [٢ : ٢٤٤] وتفسير ابن كثير [٢ : ٧٨] وتفسير ابن الجزري الكلبي [١ : ٧٣] والخصائص الكبرى [١ : ١٢٦].
أقول: لم لا يكون هؤلاء من الأشاجع عند أولئك القوم؟ ألم يكونوا حراساً للنبي مثل ما كان أبو بكر؟ وأي مدخل خص به أبو بكر في هذا المعنى بمجرد قيامه به في العريش دون غيره من أولئك الرجال الحرسه؟ أنا لا أدري.

ما استدلّ به علي شجاعة الخليفة الأول

ومن المستغرب أن منهم من يستدلّ بآية قرآنية على كمال شجاعة الصديق، وهو قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٤٤] راجع في ذلك: تفسير القرطبي [٤ : ٢٢٢] تجد وجه الاستدلال العجيب الغريب في شرح معنى الشجاعة، ومعنى النباغة في العلم، وإليك لفظه:

قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراته؛ فإن الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه، وقال الناس: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه.

ووافقه على ذلك الحلبي، كما في سيرته [٣ : ٣٥] وقال: لمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام، ومنهم من أخرس ولم يطق الكلام، ومنهم من أضنى، وكان عمر ممّن خبل،

وكان عثمان ممّن أُخرس، فكان لا يستطيع أن يتكلّم، وكان علي ممّن أقعد فلم يستطع أن يتحرّك، وأضنى عبدالله بن أنيس فمات كمدّاً، وكان أثبتهم أبو بكر الصديق - إلى أن قال :- قال القرطبي: هذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق. أقول: ياليت شعري، هل يفهم أحد من ذوي التمييز أن كلمة من الكلمات المركّبة في هذه الآية الشريفة تشير إلى معنى الشجاعة فضلاً عن أن تكون أدل دليل على كمال شجاعة أحد من الناس؟ بل لعل المتبادر إلى العقل أن مفهوم الآية، أن من المخاطبين بها من ينقلب على عقبه بوفاة الرسول ﷺ.

أليس ما جاء به الصديق من الآية هو أنه استدلّ بها وقتئذ على وفاة النبي؟ وأي دلالتها فيها على شجاعته ونباغته في العلم؟

هب أنه لم يكن يتأثر من هيبة الرزية التي أُخرس منها من أُخرس. وأقعد منها من أقعد، وخبل منها من خبل، وأضنى منها من أضنى، ولم يكن من الصديق سوى أنه كشف عن وجه النبي وقبّله وبكى، فقال: طبت حياً وميتاً، كما في كتاب المغازي من صحيح البخاري وغيره، أفهل يكون بذلك أشجعهم جناناً، وأنبغهم علماً وعرفاناً؟!

إذن إن هاتيك الملكة أو ذلك الثبات أمام ذلك الرزء العظيم مقياس تقاس بها الشجاعة، فكان الصديق قياساً بذلك المقياس أشجع من الرسول، لأنه ﷺ يوم توفي عثمان بن مظعون انكبّ عليه ثلاث مرّات مرة بعد أخرى باكياً عليه، وعيناه تذرفان، والدموع تسيل عن وجنتيه، وله شهيق. كما رواه البيهقي في سننه [٣: ٤٠٦] وابن عبد البر في الاستيعاب [٣: ٨٧ هامش الإصابة] وابن حجر في الإصابة [٢: ٤٦٤] والغدير [٧: ٢١٤] وأبو نعيم في حليته [١: ١٠٥] وما كان أبو بكر كذلك يوم رزية النبي الأعظم، كما قد علمت. وهل هي إلا من أعظم المصائب والرزايا على الأمة؟ وشتان ما بين المصيبتين.

وكذلك كان صاحبه عمر بن الخطّاب، بل ربّما أنه أشجع منه ومن النبي

صلى الله عليه وآله؛ لأنه ﷺ حزن يوم ماتت ابنته زينب حزناً شديداً وبكى عليها، وكان عمر يوم ذاك يضرب النسوة الباقيات عليها بالسوط.

وذلك فيما أخرجه الحاكم في المستدرک [٣ : ١٩١] والهيثمى في مجمع الزوائد [٣ : ١٧] كما في الغدير [٦ : ١٥٩ ط الثاني] : عن ابن عباس قال : لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : ألحقوها بسلفنا الخير عثمان بن مظعون، فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ النبي ﷺ يده، وقال : مهلاً يا عمر، دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان - إلى أن قال : - وقعد رسول الله ﷺ على شفير القبر، وفاطمة على جنبه تبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها.

وعلى هذا المقياس كان عثمان بن عفان أشجع أيضاً من النبي ﷺ لحزنه بموت إحدى ابنتيه : رقية، أو زينب، وبكائه عليها، وكان عثمان كذلك، بل إنّه غير متأثر بتلك المصيبة، ولا بانقطاع صهره من رسول الله ﷺ، غير مشغول لما كان في ليلة وفاتها. كما رواه الحاكم في المستدرک [٤ : ٤٧] وابن حجر في الإصابة [٤ : ٣٠٤] وابن عبد البر في الاستيعاب [٤ : ٤٠١] في هامش الإصابة.

غير أنّه قال : إنّ القضية في أمّ كلثوم عن أنس، قال : لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : لا يدخل القبر رجل فارق أهله. وذكره البخاري في صحيحه [٢ : ٩٣].

أعلم الصحابة بميراث الرسول ﷺ

وأما رواية الحديث الثاني التي صارت مظهراً من مظاهر أعلمية الصديق فيما رواه البخاري عن عائشة، وقالت فيها : واختلفوا في ميراثه، فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله يقول : إنّنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

نقول: إنّ تلك الرواية التي انفرد بعلمها أبو بكر، قد صارت موقع نزاع عند العلماء، واختلفت أقوالهم فيها، وتضاربت آراؤهم، ونحن لا ندخل فيما شجر بينهم، لغربتنا عن هذا الميدان. ولا ننسب ببنت شفة فيما اتفقوا عليه في حكمهم بحديث الأحاد. ونعرض عمّا كانت الصدّيقة طلبت إرث أبيها عليه وعليها الصلاة والسلام، غير أنّنا نقول كما قال بعضهم:

وكان ما كان مما لا أبوح به فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر
وأما ما قاله ابن حجر في صواعقه [ص ٢١] كما ذكره الأميني في غديره [٧: ١٩٠].
بأنه رواها علي، والعبّاس، وعبدالرحمن بن عوف، وأمّهات المؤمنين، وأنّهم كلّهم كانوا يعلمون أنّ النبي ﷺ قال ذلك، وأنّ أبا بكر إنّما انفرد باستحضاره أولاً، ثمّ استحضره الباقيون.

أقول: فما معنى قول عائشة في تلك الرواية المرسلة: فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً؟ هل بمجرد استحضاره الحديث صار أدلّ دليل على أعلميته؟ كيف بما قاله أولاً في كتابه المذكور [ص ١٩]: إنّها مختصة بأبي بكر وهي من الأدلة الواضحة على أعلميته؟ فما أشدّ إذن تناقض كلاميه وتضاربيهما.

ونقول أيضاً: إذا علم عثمان بالحديث المذكور، فلم يرضى أن يكون لأزواج النبيّ رسولاً إلى أبي بكر يسأله أن يعطين الميراث؟ ومع ذلك تراه أخيراً قد وهب فذك لمروان بن الحكم بن أبي العاص طريد النبيّ ﷺ، كما رواه الأميني في غديره [٧: ١٩٥] نقلاً عن سنن البيهقي [٦: ٣٠١].

وكيف يقال أيضاً لعمر بن عبدالعزيز في مخالفته أبا بكر؟ فإنّه لما استخلف ردّ فذك إلى أولاد الزهراء ﷺ كما في شرح النهج [٤: ١٠٣] وغيره من كتب التاريخ. بل ولم خالفه صاحبه عمر حتّى ردّ فذكاً إلى ورثة رسول الله علي والعبّاس؟ كما يحدّثنا البخاري من صحيحه في كتاب الجهاد باب فرض الخمس، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء، وتفسير ابن كثير [٤

: [٣٣٥] وتاريخه [٢٨٨: ٥] والبيهقي في سننه [٢٩٩: ٦].

وربما يرى من كان منصفاً، وبسلامة الصدر والعلم موصوفاً أن الحديث الذي انفرد بعلمه أبو بكر، ثم احتج به على البضعة الطاهرة التي لا يتهمها بالكذب أحد يؤمن بالله ورسوله، إذا قبل وقورن بقوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦] وقوله تعالى ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]

لا يقوم مقام الحجة ويلوح له جلياً لا تشوبه ذرة من غبار الشك بطلان ما احتج به الصديق لوجود التعارض بينهما، ولن يعير جانباً من الاهتمام بقول من قال: إن الميراث هو النبوة والحكمة والعلم دون المال لأمر:

الأول: أن كلمة «ورث يرث» كما في الآية الأولى والثانية، تطلق لغةً وشرعاً على إرث المال، ولا تطلق على غيره إلا مجازاً كما هو معلوم.

الثاني: إذا كانت النبوة والحكمة والعلم مما تورث، فالناس إذن من لدن أولاد آدم أنبياء، أو حكماء، أو علماء، فإن أول من خلق الله آدم وهو نبي ﷺ.

الثالث: إذا كان الإرث نبوة أو علماً أو حكمة، فما معنى خوف زكريا من الموالى، كما في الآية الثانية، فإن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

الرابع: فما مفاد دعاء زكريا لوليه أن يجعله الله رضيعاً إذا كان الإرث هو النبوة أو العلم أو الحكمة.

الخليفة وفدك

إني لا أشك أن من المؤسف في نظر المستقيم المنصف، منع الخليفة فاطمة إرث أبيها، محتجاً بالحديث الآنف ذكره، ومطالبته إياها بالبينة في مسألة فدك التي قد وهبها النبي ﷺ لها، ثم رفضه شهادة علي عديل القرآن، وأم أيمن التي شهد لها رسول الله ﷺ بأنها امرأة من أهل الجنة، وشهادة الحسنين اللذين شهد الله لهما ولأبيهما ولأمهما بالطهارة من الرجس.

فان قيل: إنما كان ما فعله أبو بكر في ذلك عملاً بالشرعية.
نقول: ولم يقبل شهادة جابر بن عبد الله بدون بيّنة فيما وعده رسول الله
صلّى الله عليه وآله كما حدّثنا البخاري عن جابر عنه في صحيحه [٣: ١٦٣ ط دار
الفكر].

وذلك عن جابر، قال: لما مات رسول الله ﷺ جاء أبا بكر مال من قبل العلاء
ابن الحضرمي، فقال: من كان له على النبي دين، أو كانت له عدة، فليأتنا، قال جابر:
فقلت: وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني كذا وكذا، فبسط يده ثلاث مرّات، قال
جابر: فعد في يدي خمسمائة، ثمّ خمسمائة، ثمّ خمسمائة.
أقول: فهل يتصوّر أحد أنّ أبا بكر لا يثق بقول أحد من أهل النبوة؟ هيهات
هيهات، فإنّ من كان ذو مسكة في الدين سيحاشي من كان مثل أبي بكر أن يرمي
بنت رسول الله بأدنى رديئة فضلاً عن الكذب.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [٤: ١٠٥]: سألت علي بن الفاروق
مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد، فقلت: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم
لم يدفع إليها أبو بكر فداك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسنّاً
مع ناموسه وحرمة وقلة دعابته: لو أعطاه اليوم فداك بمجرّد دعواها، لجأت إليه
غداً وادّعت لزوجها الخلافة، فزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار
والموافقة بشيء، لأنّه يكون قد اسجل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما
كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود، وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج
الدعابة والهزل.

وأما ما ورد عن النبي ﷺ في أنّ فداك قد وهبها النبي ﷺ لابنته فاطمة عليها
السلام، فقد أخرج أبو يعلى الموصلي، وابن مردويه، وابن أبي حاتم في تفسيره
المعتمد عند جمّ غفير من ناقدی الحديث وحافظيه من أهل السنّة وغيرهم،
وذلك ما حكاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور [٢: ١٣٠] عن أبي سعد، قال: لما

نزلت ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وأعطاهما فدك.
وفي لفظ من طريق ابن عباس: أقطع رسول الله ﷺ فاطمة فدك.
وإن قيل: لم كان ابن عباس وأبو سعيد وغيرهما من الصحابة لم يشهدوا أو
تقاعدوا عن الشهادة؟

يقال: لأنهم علموا وعرفوا ورأوا بأعينهم أن شهادة هؤلاء قد ردت
ورفضت، فأى شهادة يا ترى تقبل ولا ترد بعد ما ردّ القوم شهادتهم. والله أعلم.
فلذلك هجرت فاطمة ؓ أبا بكر بعدما احتجّت عليه بحجج دامغة، كما
في شرح النهج [٣: ٧٨] وكتاب بلاغات النساء [ص ٢٤] وغيرهما من مؤرّخي الأمة
الذين جاءوا بذكر أخبار السقيفة وفدك.

ومن بعض ما خطبت به القوم: يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك
ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، ولم تزل هاجرة له حتى توفيت.
ولأى الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى أثرها
لقد بلغ غضبها على أبي بكر مبلغه حتى أوصت أن تدفن ليلاً، وأن لا
يدخل عليها أحد، ولا يصلى عليها أبو بكر، فدفنت ليلاً، ولم يشعر بها أبو بكر،
وصلى عليها علي ؓ، وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس، كما في مستدرك
الحاكم [٣: ١٦٣] والغدير [٧: ٢٢٧] وحلية الأولياء [٢: ٤٣] والإصابة
[٤: ٣٧٨ و ٣٨٠] وإرشاد الساري للقسطلاني [٦: ٣٦٢] وأسد الغابة [٥: ٢٥٤]
ورسائل الجاحظ [ص ٣٠٠].

وأما ما قاله ابن حجر في الإصابة [٤: ٣٧٩] والزرقاني في شرح المواهب
[٣: ٢٠٧] أنه روى الواقدي من طريق الشعبي، قال: توفيت فاطمة ليلاً، فجاء أبو
بكر وعمر وجماعة كثيرة، فقال أبو بكر لعلي: تقدّم فصل، قال: لا والله لا تقدّمت
وأنت خليفة رسول الله، فتقدّم أبو بكر فصلّى أربعاً. فهذا من موضوعات عبد الله
بن محمّد القدامي المصيصي، كما عدّه الذهبي في ميزانه [٢: ٧] من مصائبه.

وقد يكذبه ما رواه البخاري عن عائشة: أنها لما توفيت دفنها زوجها ليلاً، ولم يأذن بها أبو بكر وصلى عليها.

قال الأميني في غديره [٧ : ٢٣٤]: قال المناوي في شرح الجامع الصغير [٤ : ٤٢١]: استدّل السهيلي بحديث «فاطمة بضعة مني، يؤذيني من آذاها، ويبغضني من أبغضها» على أنّ من سبّها كفر، لأنّه يغضبه ﷺ، وأنّها أفضل من الشيخين.

قال الشريف السمهودي: ومعلوم أنّ أولادها بضعة منها، فيكونون بواسطتها بضعة منه ﷺ، ومن ثمّ لما رأت أمّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه ﷺ وضعت في حجرها، أولها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها. وفي رواية: فولدت الحسين.

فكلّ من يشاهد الآن من ذريّتها بضعة من تلك البضعة، وإن تعدّدت الوسائط، ومن تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم، وتجنّب بغضهم على أيّ حال كانوا.

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى بتأذيه، فكلّ من وقع منه في حقّ فاطمة شيء فتأذّت به، فالنبي ﷺ يتأذى به، بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها، ولهذا عرف بالاستقراء معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد.

وقال السهيلي في الروض الأنف [٢ : ١٩٦]: إنّ أبا لبابة رفاعه بن عبد المنذر ربط نفسه في توبة، وإنّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته، فقال: قد أقسمت أن لا يحلّني إلا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: إنّ فاطمة مضغة مني، فصلى الله عليه وعلى فاطمة. فهذا حديث يدلّ على أنّ من سبّها فقد كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها ﷺ.

ثمّ إن كان الخبر الذي جاء به الصديق صحيحاً، وهو على ثقة منه - أي قوله

صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث - فلم نقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصديقة بفدك؟ غير أن عمر بن الخطاب دخل عليه، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال عمر: بم تنفق على المسلمين؟ وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقه. ذكره ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية [٣: ٣٩١] فيما رواه الأميني في غديره [٧: ١٩٤].

الخليفة الأول وليلة الغار

هلم معنا إلى رواية الخليفة في ليلة الغار، وما زخرفها المغالون، ونسجتها أيديهم من الزيادات العجيبة، والغرائب التي لا يعترف بها التحقيق، ولا يساعدها التاريخ بالتوفيق:

ما أخرجه أبو نعيم الإصبهاني في حلية الأولياء [١: ٢٢] عن عبد الله بن محمد بن جعفر، عن محمد بن العباس بن أيوب، عن أحمد بن محمد بن حبيب المؤدب، عن أبي معاوية، عن هلال بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة أبي معاذ، عن أنس بن مالك، قال: لما كان ليلة الغار، قال أبو بكر: يا رسول الله دعني فلا أدخل قبلك، فإن كانت حية أو شيء كانت لي قبلك، قال: ادخل، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأى جحراً جاء بثوبه فشقه، ثم ألجمه الجحر، حتى فعل بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم دخل رسول الله ﷺ، قال: فلما أصبح قال له النبي: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي صلى الله عليه وآله يده فقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة، فأوحى الله إليه: إن الله قد استجاب لك.

وقال ابن هشام في السيرة [٢: ٩٨]: حدثني بعض أهل العلم أن الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر ليلاً، فدخل أبو بكر قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية، بقي رسول الله ﷺ

بنفسه. ذكره ابن كثير في تاريخه [٣ : ١٧٩] فقال: فيه انقطاع من طرفيه.

وجاء المحبّ الطبري بمرسلة في الرياض النضرة [١ : ٦٥]: دخل أبو بكر الغار فلم ير فيه جحراً إلا أدخل إصبعه فيه، حتى أتى على جحر كبير فأدخل فيه رجله فيه إلى فخذيه، ثم قال: ادخل يا رسول الله، فقد مهّدت لك الموضع تمهيداً، فبات أبو بكر ليلة منكراً من الأفعى، فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: ما هذا يا أبا بكر؟ وقد تورّم جسده، فقال: يا رسول الله، الأفعى، فقال رسول الله: فهلاً أعلمتني، فقال أبو بكر: كرهت أن أفسد عليك، فأمر رسول الله ﷺ يده على أبي بكر، فاضمحل ما كان بجسده من الألم، وكأنّه أنشط من عقال.

وقال في مرسل آخر [ص ٦٨] عن عمر: كان في الغار خروق فيها حيات وأفاع، فخشي أبو بكر أن يخرج منها شيء يؤذي رسول الله ﷺ، فألقمه قدمه فجعلت الحيات والأفاعي يضربنه ويلسعنه، وجعلت دموعه تتحادر ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: يا أبا بكر، لا تحزن إنّ الله معنا، فأنزل الله سكينته، وهي الطمأنينة لأبي بكر.

وفي لفظ: لما دخل الغار سدّ تلك الأجرة كلّها، وبقي منها جحر واحد، فألقمه كعبه، فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل. قال ابن كثير في تاريخه [٣ : ١٨٠]: في هذا السياق غرابة ونكارة.

وجاء الحلبي في سيرته [٢ : ٣٩] وزاد عليه بقوله: وقد كان رسول الله ﷺ وضع رأسه في جحر أبي بكر ونام، فسقطت دموع أبي بكر على رأس رسول الله ﷺ وقال: مالك يا أبا بكر؟ قال: لدغت فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ على محل اللدغة، فذهب ما يجده.

نقول: إنّ رجاءنا من القارئ الكريم أن لا يحسب أنّنا نريد توقفنا في تلكم الروايات طعناً في كرامة مؤلفيها، أو خطأ من منزلة سيّدنا أبي بكر الصديق كلاً، ولكن قد اشكل علينا فهمها، لما لم تكن مذكورة في مؤلفات من ألف في أعلام

النبوة ومعاجز النبي الأعظم ﷺ مع عظيم قدرها وجليل موقعها.
ولعله من أجل هذه العلة لم يُشر السيوطي إليها في كتابه الخصائص الكبرى
باب ما وقع في الهجرة النبوية من الآيات والمعجزات، أو لكون رواتها ليسوا من
الثقات، كما ستعلم فيما يأتي ذكره.

فتعال معنا لعل من الخير أن نعلم رجال أسناد هذه الرواية، فتبين صحتها أو
بطلانها، لأن الرواية التي أخرجها أبو نعيم عن عبدالله بن محمد بن جعفر غير
تامة، لأنه لم يكن يدرك عبدالله المذكور، فإنه قد توفي قبل وجود أبي نعيم
باحدى وعشرين سنة، وذلك أن وفاة عبدالله سنة (٣١٥) ومولد أبي نعيم سنة
(٣٣٦) راجع لسان الميزان لابن حجر في ترجمة عبدالله بن محمد بن جعفر.
وأما ما قاله أهل الجرح والتعديل في رجال إسنادها:

١ - عبدالله بن محمد بن جعفر.

قال ابن يونس: خلط في الآخر، ووضع أحاديث على متون معروفة، وزاد
في نسخ مشهورة، فافتضح وحرقت الكتب في وجهه.
وقال الحاكم عن الدارقطني: كذاب، ألف كتاب سنن الشافعي وفيها مائتي
حديث لم يحدث بها الشافعي.

وقال الدارقطني أيضا: وضع في نسخة عمرو بن الحارث أكثر من مائة
حديث.

وقال علي بن رزيف: كان إذا حدث يقول: لأبي جعفر ابن البرقي في حديث
بعد حديث: كتبت هذا عن أحد؟ فكان يقول: نعم عن فلان وفلان، فاتهمه الناس
بأنه يفتعل الحديث، ويدعيها ابن البرقي كعادته في الكذب، قال: وكان يصحف
أسماء الشيوخ. راجع لسان الميزان [٣: ٣٤٥] والغدير [٨: ٤٣].

٢ - محمد بن العباس بن أيوب الشهير بابن الأخرم.

قال أبو نعيم نفسه: إختلط قبل موته بسنة، كما في لسان الميزان [٥: ٢١٦].

قال الأميني: ولمّا لم يعلم تاريخ صدور الرواية منه أهو قبل الاختلاط أم بعده، سقطت عن الاعتبار، كما هو الشأن في رواية كلّ من اختلط.

٣ - أحمد بن محمد بن حبيب المؤدّب

أخرج الخطيب في تاريخه [٥ : ١٤٠] حديثاً من طريقه، فقال: رجاله كلّهم ثقات معروفون بالثقة إلا المؤدّب.

٤ - أبو معاوية محمد بن حازم

مرجئ مدلس، رئيس المرجئة بالكوفة، كما في تهذيب التهذيب لابن حجر [٩ : ١٣٩]

٥ - هلال بن عبد الرحمن.

قال العقيلي: منكر الحديث، وقال بعد ما ذكر له أحاديث: كلّ هذه مناكير لا أصول لها ولا يتابع عليها.

وقال الذهبي: الضعف على أحاديثه لائح فليترك. لسان الميزان [٦ : ٢٠٢].

٦ - عطاء بن أبي ميمونة

قال الأميني نقلاً عن تهذيب التهذيب [٦ : ٢١٥]: ثقة صالح قدرّي لا يحتجّ بحديثه.

ومما يدفعنا إلى التوقّف فيما رواه الطبري مرسلأ عن عمر في رواية ليلة الغار قوله مفسّراً في قوله تعالى ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] أي على أبي بكر، ونحن نشكّ في من كان مثله أن يرجع الضمير المتّصل بـ «على» إلى أبي بكر، لوجود التعارض بما في آخر الآية، وذلك قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أيحتمل أن يكون المؤيّد بالجنود هو أبو بكر دون النبي ﷺ؟ ولعلّ المناسب إذا أريد بالآية أبو بكر أن يقول: عليه وعلى صاحبه، كما في قوله تعالى ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

وإذا قيل: إنّ النبي ﷺ في غناء عن السكينة كما قال بعضهم.

احتجاج المأمون على الفقهاء ٣٢٧

نقول: فما يقال إذن في الآية الثانية؟ وإذا كان النبي مستغنياً عن السكينة، أوليس كان إنزالها يوم حنين لغواً؟ تقدّس القرآن عن ذلك.

ثم إنَّ القارئ ربّما بعد ما تأمل في هذه المسألة في مرجع الضمير إلى الحزين، قد تطرّقت فكرته إلى معنى الحزن أو مصدره وعنته. فإذا قلنا: إنّه صدر عن قلب راض بقضاء الله وقدره، وكان حزن الحزين شفقة على النبي ﷺ، فيكون ذلك طاعة وحسنة في حقه، فما نقول في الإعراب باللام الناهية. وما أظنّ في أنّ من كان من أمثالها أن نخوض في هذه المسألة الغامضة أسرارها عن علمنا ومعرفتنا.

ولعلّ الأولى أن نتخذ رواية المأمون والأربعين من العلماء التي أوردها ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد [٣ : ٢٧٩ ط الأزهرية سنة ١٣٤٦ و ٥ : ٣٤٩ ط دار الكتب العلميّة ببيروت] منظراً ننظر به إلى ملامح تلك الأسرار ولوائحها البعيدة أغوارها عن مدارك وأفهام الكثيرين:

احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي عليه السلام

عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد، قال: بعث إليّ يحيى بن أكثم وإلى عدّة من أصحابي، وهو يومئذ قاضي القضاة، فقال: إنّ أمير المؤمنين - أي المأمون - أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلّهم فقيه يفقه ما يقال له، ويحسن الجواب، فسمّوا من تظنّونه يصلح للجواب لما يطلب أمير المؤمنين، فسمّيناه له عدّة، وذكر هو عدّة، حتّى تمّ العدد الذي أراد.

وكتب أسماء القوم، وأمر بالبكور في السحر، وبعث إليّ من لم يحضر فأمره بذلك، فغدونا إليه قبل طلوع الفجر، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا، فركب فركبنا معه حتّى صرنا إلى الباب، فاذا بخادم واقف.

فلما نظر إلينا قال: يا أبا محمّد، أمير المؤمنين ينتظرك، فأدخلنا فأمر بالصلاة

فأخذنا فيها، فلم نستتمّها حتّى خرج الرسول، فقال ادخلوا، فدخلنا، فإذا أمير المؤمنين على فراشه جالس، وعلى سواده وطيلسانه، والطويلة وعمامته. فوقفنا وسلّمنا، فردّ السلام، فأمرنا بالجلوس.

فلما استقرّ بنا المجلس، تحدّر عن فراشه، ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته، ثمّ أقبل علينا، فقال: إنّما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك.

إلى أن قال: إنّما بعثت إليكم معشر القوم في المناظرة، فمن كان به شيء من الأخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول، فمن أراد منكم الخلاء فهناك وأشار بيده.

ثمّ ألقى مسألة من الفقه، فقال: يا أبا محمّد، قل وليقل القوم من بعدك، فأجابه يحيى، ثمّ الذي يلي يحيى، ثمّ الذي يليه، حتّى أجاب آخرنا، ثمّ لم يزل يردّ على كلّ أحد منّا مقالته، ويخطئ بعضنا ويصوّب بعضنا حتّى أتى على آخرنا. ثمّ قال: إنّني لم أبعث إليكم لهذا، ولكنتني أحببت أن أنبئكم أنّ أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه، والذي يدين الله به. قلنا: فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله.

فقال: إنّ أمير المؤمنين يدين الله على أنّ علي بن أبي طالب خير خلق الله بعد رسوله ﷺ وأولى الناس بالخلافة له.

قال إسحاق: فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي. وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة.

فقال: يا إسحاق، اختر إن شئت سألتك أسألك، وإن شئت أن تسأل فقل.

قال إسحاق: فاغتنمتها منه، فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين. قال: سل.

قلت: من أين قال أمير المؤمنين: إنّ علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقّهم بالخلافة بعده؟

قال: يا إسحاق، أخبرني عن الناس بم يتفاضلون حتّى يقال فلان أفضل من

فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة، قال: صدقت.

ثم قال: فأخبرني عمّن فضّل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ، ثمّ أنّ المفضول عمل بعد وفاة النبي بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله أيلحق به؟ قال: فأطرقت. فقال لي: لا تقل: نعم، فإنّك إن قلت: نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً و حجّاً وصياماً وصلاة وصدقّة. فقلت: أجل يا أمير المؤمنين. لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبداً.

قال: يا إسحاق، انظر ما رواه لك أصحابك، ومن أخذت منهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي، فقس ما أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي، فقل: إنّهُ أفضل منه، لا والله، فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل: إنّهما أفضل منه، لا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتّها مثل فضائل علي، فقل: إنّهم أفضل منه، لا والله ولكن قس فضائله بفضائل العشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنّة، فإن وجدتّها تشاكل فضائله، فقل إنّهم أفضل منه.

ثمّ قال: يا إسحاق، أيّ الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت: الإخلاص بالشهادة، قال: أليس سبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم، قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] إنّما عني من سابق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق عليّاً إلى الإسلام؟ قلت: إنّ عليّاً أسلم وهو حديث السنّ لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال: أخبرني أيّهما أسلم قبل؟ ثمّ أناظرك من بعده في الحداثة والكمال، قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. فقال: نعم، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله دعاه إلى الإسلام، أو أن يكون

إلهاماً من الله؟ قال: فأطرقت، فقال لي يا إسحاق، لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله، لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى. قلت: أجل، بل دعاه رسول الله إلى الإسلام.

قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله؟ أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت.

فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول الله إلى التكلف، فإن الله تعالى يقول ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار جلّ ذكره أن يكلف رسوله دعاء من لا يجوز عليه الحكم؟ وقد كلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون؟ فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد الساعة؟ فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء؟ ولا يجوز عليهم حكم رسول الله ﷺ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله؟ قلت: أعوذ بالله. قال: يا إسحاق، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله على هذا الخلق، أبانه بها منهم ليعرفوا مكانه وفضله، ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً، قلت: بلى. قال: فهل بلغك أن رسول الله ﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرباته؟ لئلا تقول إن علياً ابن عمّه؟ قلت: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل. قال: يا إسحاق، رأيت ما لم تدر ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا. قال: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك.

ثم قال: أي الأعمال أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله. قال: صدقت، فهل تجد من أصحاب رسول الله ﷺ ما تجد لعلي في الجهاد؟ قلت: في أي وقت؟ قال: في أي وقت شئت، قلت: بدر لا أريد غيرها، قال: فهل تجد لاحد إلا دون علي يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت: نيف وستون رجلاً من المشركين. قال: فكم قتل علي وحده؟ قلت: لا أدري. قال: ثلاثة وعشرين أو اثنتين وعشرين، والأربعون لسائر الناس.

قلت: يا أمير المؤمنين، كان أبو بكر مع رسول الله في عريشه، قال: ماذا يصنع؟ قلت: يدبر. قال: ويحك، يدبر دون رسول الله أو كان معه شريكاً؟ أو افتقاراً من رسول الله إلى رأيه؟ أيّ الثلاث أحب إليك؟ قلت: أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله ﷺ، أو يكون معه شريكاً، أو يكون برسول الله افتقار إلى رأيه. قال: فما فضيلة العريش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممّن هو جالس؟

قلت: يا أمير المؤمنين، كل الجيش كان مجاهداً، قال: صدقت كلّ مجاهد، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله وعن الجالس أفضل من الجالس. أما قرأت كتاب الله؟ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٩٥] قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين، قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد بذلك المشهد؟ قلت: نعم. قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر، قلت: أجل.

قال: يا إسحاق هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: اقرأ عليّ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورًا﴾ فقرأت، منها حتّى بلغت ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى قوله ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي. قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال: إنّما نطعمكم لوجه الله؟ وهل سمعت أنّ الله وصف أحداً بما وصف به عليّاً؟ قلت: لا. قال: صدقت: لأنّ الله جلّ ثناؤه عرف سيرته.

يا إسحاق، ألسنت تشهد أنّ العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أرايت لو أنّ رجلاً قال: والله لا أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن

كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ بالله. قال: رأيت لو أنه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً؟ قلت: نعم. قال: أرى بينهما فرقاً. يا إسحاق، أتروي هذا الحديث؟ قلت: نعم.

قال: يا إسحاق، فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم. قال: فحدثني به، قال: فحدثته الحديث، فقال: يا إسحاق، إني كنت أكلّمك وأظنك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لي عنادك، هل توقن أن هذا الحديث صحيح؟ قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده. قال: رأيت أن من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثمّ زعم أن أحداً أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاث: إمّا أن يكون دعاء الرسول عنده مردود عليه، أو أن يقول: عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحبّ إليه، أو أن الله لم يعرف الفاضل من المفضول، فأى الثلاثة أحبّ إليك أن تقول؟ قال: فأطرقت.

ثمّ قال: يا إسحاق، لا تقل منها شيئاً، فإنّك إن قلت شيئاً منها استبتك، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله، قلت: لا أعلم، وإنّ لأبي بكر فضلاً.

قال: أجل، لولا أنّ له فضلاً لما قيل إنّ عليّاً أفضل منه، فما فضيه الذي قصدت له الساعة؟ قلت: قول الله عزّ وجلّ ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فنسبه إلى صحبته.

قال: يا إسحاق، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضى ورضي عنه كافراً، وذلك قوله تعالى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧ - ٣٨] قلت: إنّ ذلك صاحب كان كافراً وأبو بكر مؤمن؟ قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضى عنه كافراً، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيّه مؤمناً، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت: يا أمير المؤمنين، إن قدر الآية عظيم، إن الله يقول ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

قال: يا إسحاق تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر، أكان رضا أم سخطاً؟ قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه. قال: ليس هذا جوابي، إنما كان جوابي أن تقول: رضا أم سخط. قلت: بل كان رضا لله.

قال: فكأن الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضى الله عز وجلّ وعن طاعته؟ قلت: أعوذ بالله. قال: أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟ قلت: بلى. قال: أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ﷺ قال: لا تحزن نهياً له عن الحزن؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: يا إسحاق، إن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل، لكثرة ما تستعيد به.

وحديثي عن قول الله ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ من عنى بذلك؟ أرسول الله أم أبو بكر؟ قلت: بل رسول الله. قال: صدقت. حديثي عن قول الله عز وجلّ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦] أتعلم من المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين. قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا سبعة نفر من بني هاشم، علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ، والعبّاس أخذ بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء، حتى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون بهذا الموضع عليّ خاصة، ثم من حضره من بني هاشم، ثم قال: فمن أفضل؟ من كان مع رسول الله في ذلك الوقت، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً

لينزلها عليه؟ قلت: من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق، من أفضل؟ من كان معه في الغار، أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه، حتى تمّ لرسول الله ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول الله بنفسه، فأمره رسول الله بذلك، فبكى علي عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا علي؟ أجزعاً من الموت؟ قال: لا، والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم، قال علي: سمعاً وطاعةً وطيبة نفس بالفداء لك يا رسول الله، ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه، وجاء المشركون من قريش فحفّوا به، لا يشكّون أنّه رسول الله ﷺ وقد أجمعوا أن يضربه من كلّ بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف، لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه، وعلي يسمع ما بالقوم فيه من إتلاف نفسه، ولم يدعه ذلك إلى الجزع، كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل علي صابراً محتسباً، فبعث الله ملائكته، فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح، فلمّا أصبح قام فنظر القوم إليه، فقالوا: أين محمّد؟ قال: وما علمي بمحمّد أين هو؟ قالوا: وما نراك إلا مغروراً بنفسك منذ ليلتنا، فلم يزل علي أفضل ما بدأ به، يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه.

قال: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: اروه، ففعلت: قال: يا إسحاق، رأيت هذا الحديث؟ هل أوجب علي أبي بكر وعمر ما لم يوجب عليه - أي علي -؟ قلت: إن الناس ذكروا أنّ الحديث بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: في أيّ موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟ قلت: أجل. قال: فإنّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير، وكيف رضيت لنفسك بهذا؟

ثمّ قال: يا إسحاق، أخبرني لو رأيت ابناً لك، قد أتت عليه خمس عشرة

سنة يقول: مولاي ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك، أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم. قال: يا إسحاق، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله؟ ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أرباباً، إن الله جل ذكره قال في كتابه ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ولم يصلوا لهم، ولا صاموا، ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم. قال: يا إسحاق، أتروي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صحَّحه وجحدته، قال: فمن أوثق عندك؟ من سمعت منه فصحَّحه أو من جحدته؟ قلت: من صحَّحه، قال: فهل يمكن أن يكون الرسول مزح بذلك القول؟ قلت: أعوذ بالله، فقال: أفقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه؟ قلت: أعوذ بالله. قال: أفما تعلم أن هارون أخا موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى، قال: أفعلي أخو رسول الله لأبيه ولأمه؟ قلت: لا، قال: أوليس هارون نبياً وعلي غير نبي؟ قلت: بلى، قال: فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هارون.

ثم قال: فما معنى قوله ﷺ لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟ قلت: إنما أراد أن يطيب نفس علي لما قال المنافقون: إنه خلفه استثقلاً له، قال: أفأراد أن يطيب نفس علي بقول لا معنى له؟ قال: فأطرقت، ثم قال: يا إسحاق، له معنى في كتاب الله بين، قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

فهذا بعض ما اقتطفناه مما رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد [٥: ٣١٧-٣٢٧ ط دار الفكر] عسى أن يكون عبرة لمن اعتبر، ونوراً يستنير بضوئه فيما أشكل عليه فهمه، وخفي عليه علمه، فالله المستعان الهادي إلى سبيل الرشاد.

الخليفة الأول ومدفن النبي ﷺ

إن رواية حديث المدفن الشريف، الذي انفرد بروايته الخليفة الأول. وصار له بذلك علماً مشهوداً، ومظهراً من مظاهر علمه، هو الحديث الذي روته عائشة حين وفاة الرسول ﷺ قبيل حديث الميراث، كما مر ذكره، واستدل ابن حجر بذلكما الحديثين على أن الخليفة أعلم الصحابة على الإطلاق.

ذكر ذلك في صواعقه [ص ١٩] ثم أردفه بقوله: قال بعضهم: وهذا أول اختلاف بين الصحابة، فقال بعضهم: ندفنه بمكة مولده ومنشأه، وبعضهم: بمسجده، وبعضهم: بالبقيع، وبعضهم: ببيت المقدس مدفن الأنبياء، حتى جاءهم أبو بكر بالحديث الذي صار به أعلم الصحابة على الإطلاق.

وذلك قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه. قال ابن زنجويه: وهذه سنة تفرّد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار، ورجعوا إليه فيها.

أقول: لعل بعض القارئ من لا يفهم شيئاً من رأى أن من علم أو استحضر حديثين في دينك الموقفين، وصار أعلم الصحابة على الإطلاق، فخطر بباله، فما عسى يا ترى أن يقال في أمة بعده حفظ الوفاء من الأحاديث، وروى الوفاء مؤلفه من السنة، كما أخرج ذلك تقي بن مخلد في مسنده من حديث أبي هريرة، فحسب خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر. راجع الإصابة [٤: ٢٠٥].

وقد ذكر الأميني في الغدير [٧: ١١٥] عدة من الحفظ والرواة البارزين في هذا الفن، منهم:

- ١ - أحمد بن الفرات، كتب ألف ألف وخمسمائة ألف حديث. وانتخب منها ثلاثمائة في التفسير، والأحكام، والفوائد. راجع خلاصة التهذيب [ص ٩].
- ٢ - حرمة بين يحيى أبو حفص المصري صاحب الشافعي، يروي عن طريق ابن وهب فحسب مائة ألف حديث. راجع خلاصة التهذيب [ص ٦٣].

الخليفة الأول ومدفن النبي (ص) ٣٣٧

٣ - أبو بكر الباغندي، يجيب عن ثلاثمائة ألف مسألة، في حديث رسول الله ﷺ راجع تاريخ الطبري [٣ : ٢١٠].

٤ - الحافظ روح بن عبادة القيسي، له أكثر من مائة حديث. راجع ميزان الاعتدال [١ : ٣٤٢].

٥ - الحافظ مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح عنده ثلاثمائة ألف حديث. راجع طبقات الحفاظ للذهبي [٢ : ١٥١].

٦ - الحافظ أبو محمد عبدان الأهوازي، يحفظ مائة ألف حديث. راجع تاريخ ابن عساكر [٧ : ٢٨٨].

٧ - الحافظ أبو بكر الأنباري، له ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدھا. راجع شذرات الذهب [٢ : ٣١٦].

٨ - الحافظ أبو زرعة، حفظ مائة ألف ومائة حديث، كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد. وقيل: سبعمائة ألف حديث. راجع تاريخ ابن كثير [١١ : ٣٧] وتهذيب التهذيب [٧ : ٣٣].

٩ - الحافظ ابن عقدة، يجيب بثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبني هاشم، حدّث بها عنه الدارقطني. راجع تذكرة الحفاظ لابن الجوزي [٣ : ٥٦].

١٠ - الحافظ أبو العباس أحمد بن منصور الشيرازي، كتب عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث. راجع تذكرة الحفاظ [٢ : ١٢٢].

١١ - الحافظ أبو داود السجستاني، كتب عن النبي ﷺ خمسمائة ألف حديث. راجع تذكرة الحفاظ [٢ : ١٥٤].

١٢ - الحافظ عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، سمع من أبيه مائة ألف وبضعة أحاديث. راجع طبقات الحفاظ [٢ : ٢١٤].

١٣ - ثعلب البغدادي، سمع من القواريري مائة ألف حديث. راجع طبقات الحفاظ [٢ : ٢١٤].

٣٣٨ المقتطفات ج ١

١٤- أبو داود الطيالسي، يملئ من حفظه مائة ألف حديث. راجع شذرات الذهب [١٢ : ١٢].

١٥- أبو بكر الجعابي، يحفظ أربع مائة ألف حديث بأسانيدھا ومتونها، ويذاكر بستمائة ألف حديث. ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والخطابات قريباً من ذلك. راجع تاريخ ابن كثير [١١ : ٢٦١].

١٦- الإمام أحمد بن حنبل عنده أكثر من سبع مائة ألف حديث. راجع آخر الجزء الأول من مسنده.

١٧- الحافظ أبو عبد الله الختلي، يحدث من حفظه بخمسين ألف حديث. راجع تاريخ ابن كثير [١١ : ٢١٧].

١٨- يحيى بن يمان العجلي، يحفظ عن سفيان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط. راجع تاريخ الطبري [١٤ : ١٢١].

١٩- الحافظ ابن أبي عاصم، يملئ من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعدما ذهبت كتبه. راجع تذكرة الحفاظ [٢ : ١٩٤].

٢٠- الحافظ أبو قلابة عبد الملك، حدث من حفظه ستين ألف حديث. راجع طبقات الحفاظ [٢ : ١٤٣].

٢١- أبو العباس السراج، كتب لمالك سبعين ألف مسألة. راجع تاريخ بغداد [١ : ٢٥١].

٢٢- الحافظ ابن راهويه، يملئ من حفظه سبعين ألف حديث. راجع تاريخ ابن عساكر [٢ : ٤١٣].

٢٣- الحافظ إسحاق الحنظلي، يحفظ سبعين ألف حديث. راجع تاريخ الخطيب [٦ : ٣٥٣].

٢٤- إسحاق بن بهلول التنوخي، يحدث من حفظه خمسين ألف حديث. راجع تاريخ الخطيب [٦ : ٣٦٨].

٢٥- محمد بن عيسى الطَّبَّاع، كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث. راجع تاريخ بغداد [٢: ٣٩٦].

٢٦- الحافظ يزيد بن هارون، يكتب من حفظه أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها. راجع شذرات الذهب [٢: ١٦].

٢٧- الحافظ ابن شاهين، يكتب من حفظه بعدما ذهب كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث. راجع تاريخ بغداد [١١: ٢٦٨].

وما ترى مع أقصى ما نقل إلينا ممّا أثبتته علماء الحديث ما روي عن الخليفة الأول، الذي لم يبلغ إلا ثمانين حديثاً؟ كما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده. ويربو المتكرّر منها على عشرين، فلم يصف منها إلا ما يقرب ستين حديثاً.

وجمع ابن كثير بعد جهود جبارة أحاديثه في اثنتين وسبعين حديثاً، سمّاها مجموعته مسند الصديق. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي [ص ٦٢].

وجاء السيوطي بما استدركه ابن كثير بعد تصعيد وتصويب ومع تضلّع وإحاطة بالحديث، فأنهى حديثه إلى مائة وأربعة. ذكرها برّمتها في تاريخ الخلفاء [ص ٥٩ - ٦٤].

قال الأميني: وقد روي في شرح رياض الصالحين للصديقي [٢: ٢٣]: أن له مائة واثنين وأربعين حديثاً، اتفق الشيخان على ستة أحاديث منها، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بواحد.

وبعد ذلك كيف ذهل الصحابة وغاب من مسامعهم ما هتف به الرسول من قوله ﷺ: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة؟ وفي لفظ: ما بين بيتي ومنبري.

وفي لفظ: ما بين حجرتي إلى منبري.

وفي لفظ: ما بين المنبر وبيت عائشة. حتى اختلفوا في دفنه؟

فمن ذلك قال ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ١٩٣]: كيف اختلفوا في

موضع دفنه وقد قال لهم: فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري؟ وهذا تصريح بأنه دفن بالبيت الذي جمعهم فيه، وهو بيت عائشة.

أو يُحتمل أن الصحابة بعد تلكم الأحاديث كانوا غير عارفين الموضع الذي تكون فيه الروضة المقدسة، فاختلفوا فيه حتى باح به أبو بكر، فصار أعلمهم على الإطلاق.

ثم لو صحّت رواية حديث الدفن التي تفرّدت بها عائشة المتضمنة إشارتها إلى عظيم قدر أبيها، وقوّة روحه، وعلوّ مبلغه من العلم ما لم يبلغه أحد من الصحابة بقولها: فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لها منها، فما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بعبئها وفصلها.

قالوا: أين ندفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبيّ يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه. فلم تخالف هذه الرواية رواية مدفن أوّل الأنبياء آدم عليه السلام؟

كما رواه الطبري في تاريخه [١ : ٨٠] والثعلبي في العرائس [ص ٢٩] وابن كثير في تاريخه [١ : ٩٨] وابن الأثير في كامله [١ : ٢٢٠] فإنهم رووا في كتبهم المذكورة، أن آدم عليه السلام توفّي بمكة المكرمة، ودفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند، وقيل بجبل أبي قبيس بمكة.

وقد اشترى إبراهيم الخليل عليه السلام مغارة في حبرون - فلسطين - من عفرون بن صخر، فدفن فيها سارة، ثم دفن فيها هو، وتوفّي يعقوب عليه السلام في مصر، واستأذن يوسف عليه السلام ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله، فأذن له، وخرج معه أكابر مصر فدفنه في المغارة بحبرون.

راجع تاريخ الطبري [١ : ١٦١ و ١٦٩] ومعجم البلدان [٣ : ٢٠٨] والغدير [٧ : ١٩٠] وتاريخ ابن كثير [١ : ١٧٤ و ١٩٧ و ٢٢٠] أنا لا أدري!! والله أعلم.

الخليفة الأول وندمه بما عمل

الثلاثة التي ندم الخليفة بفعله لهنّ آخر حياته، وَوَدَّ لو أنّه تركهنّ، فقال في الأولى: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب.

أقول: حقّاً له أن يندم، فعسى أن ينفعه الندم، لأنّ ذلك العمل الشنيع بلا شكّ ولا ارتياب ممّا يسخط به النبي ﷺ بشهادة قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه أئمة الصحاح الستّ، وعدّة أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم:

وفي لفظة: فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني.

وفي لفظة: فاطمة بضعة منّي، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها.

وفي لفظة: فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها، ويُنصّبني ما أنصبها. أي

يتعبنى ما يتعبها.

وفي لفظة: فاطمة بضعة منّي، يريبنني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها.

وفي لفظة: فاطمة بضعة منّي، يُسْعَفني ما يسعفها. أي ينالني ما ينالها ويلمّ

بي ما يلّمّ بها.

وفي لفظة: فاطمة شجنة منّي، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها.

وفي لفظة: فاطمة مضغة منّي، فمن آذاها فقد آذاني.

وفي لفظة: فاطمة مضغة منّي، يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما يبسطها.

راجع الغدير [٧: ٢٣١ - ٢٣٥].

أقول ما أجلّ تلكم العبارات الباهرة، وما أعظم قدر المعبر عنها بتلكم الكلمات الزاهرة، وما أبهى تلكم الإشارات اللائحة الفاخرة، في حقّ البضعة القدّيسة الطاهرة، اللاتي قلّ من يدرك مغزاهنّ إلّا أوّلو النهي وأرباب البصيرة. فلعلّ البصير الناقد إذا تأمّل في مفهوم هذه الأحاديث الجليلة المعنى،

ومفادها الواسع النطاق، سيخيّل إليه في مجال افتكاره، صورة قائمة تعطيه وتُلقي إليه فقهاً وخبرة، ما مضمونها: أن البضعة الطاهرة كانت معصومة، أو كدت؛ لاستحالة أن يكون غضب الصادع الكريم ﷺ ورضاه إلا على الحق، لا يجوز عكسه البتّة.

فإذا كان الأمر هكذا، فكيف يتصوّر أن يكون الغضب المشفوع بغضب المشرع العظيم ﷺ والرضا المنوط به رضاء الرسول العظيم إلا حقاً، من غير مدافعة ولا منازعة.

ثمّ قس على ذلك كلّ ما ترضاه الطاهرة من الأقوال والأفعال، وما تكره من الأعمال في جميع الأحوال، وليس ذلك في جنب القدرة الإلهية بمحال، واللّه أعلم بما في قديم علمه، بمن اختصّه بجلال مننه ونعمه، بمحض فيضان بحر جوده وكرمه.

وقال في الثانية: وددت أنّي لم أكن حرقت الفجأة السلمي، وأنّي قتلتُه سريحاً، أو خليته نجيحاً.

أقول: يا مرحى للخليفة! ما أجدر من كان مثله أن يندم من تلك الجريمة الرهيبة، لما سبق عليه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها، وما أنجح فكرته النجيحة التي أصابت موضعها، فعسى أن يجعل الله ذلك الندم بمثابة التوبة النصوح.

ولا عجب ممن ألمّ وتصفّح كتب التواريخ بما فعله في تلك القضية، ولعلّ ذلك مصداق قوله كما مر من هذه الأسطورة ذكره، وذلك حين سئل عن الكلالة، فقال: إنّني سأقول فيها برأيي. فإن بك صواباً فمن الله. وإن بك خطأً فمني ومن الشيطان. وقوله: واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني أحياناً، فإذا رأيتُموني غضبت فاجتنبوني.

قصة الفجاءة

قدم على أبي بكر رجل من بني سليم، يقال له: الفجاءة، وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل، فقال لأبي بكر: إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار، فأحملني وأعني، فحمله على ظهره، وأعطاه سلاحاً، فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويصيب من امتنع منهم، معه رجل من بني شريد، يقال له: نجبة بن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره، كتب إلى طريفة بن حاجز، وقال في كتابه: إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على من ارتد من الإسلام، فحملته وسلحته، ثم انتهى إلي من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويقتل من خالفه منهم، فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله، أو تأخذه فتأتينني به.

فسار إليه طريفة، فلما التقى الناس كانت بينهم الرما بالنبل، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رمي به، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجد، قال لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مني، أنت أمير لأبي بكر، وأنا أميره، فقال طريفة: إن كنت صادقاً فضع السلاح، وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه، فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز، فقال: اخرج به إلى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار، فخرج به طريفة إلى المصلّى، فأوقد له ناراً فحرقه فيها.

وفي لفظ الطبري: فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير، ثم رمي فيها مقموطاً.

وفي لفظ ابن كثير: فجمعت يده إلى قفاه، فألقي في النار، فحرقه وهو مقموط.

راجع: تاريخ الطبري [٣: ٢٣٤] وتاريخ ابن كثير [٦: ٣١٩] وكامل ابن الأثير [٢: ١٤٦] والإصابة [٢: ٣٢٢].

وقال في الثالثة: وددت أني يوم سقيفة بني ساعد كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً.

أقول: إذا أمعنا النظر إلى قوله في الثالثة الأخيرة، يظهر لنا كأنه لم يدر بأنه غير مستحق للخلافة إلا في آخر حياته، أو أنه في ريب هل أصاب الحق باستيلائه على أمور المسلمين وسبقه إلى الخلافة أم لا؟ فلهذا انطلق لسانه من باعثة التأسف المكنون في صدره حتى هتف قائلاً بما يتمناه.

ثم إن من العجب أنه رأى أن عمر وأبا عبيدة بن الجراح أحق بالخلافة ممن قد نصّ المصطفى عليه بالخلافة مراراً بمثل قوله ﷺ:

١ - من كنت مولاه فعليّ مولاه.

٢ - إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي.

٣ - إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، وأهل بيتي.

٤ - عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

٥ - أوحى إليّ في عليّ ثلاث: أنه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغر

المحجلين. مستدرك الحاكم [٣: ١٣٨].

٦ - إن الله أطلع عليّ أهل الأرض، فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثم أطلع

الثانية فاختر بعلك، فأوحى إليّ فأنكحتك إياه واتخذته وصياً.

٧ - عليّ الصديق الأكبر، وفاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل،

ويعسوب المؤمنين، وهو بابي الذي أوتى منه، وهو خليفتي من بعدي.

٨ - عليّ راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، والكلمة التي ألزمتها

المتّقين، من أحبه أحبّني، ومن أبغضه أبغضني.

٩ - عليّ أخي، ووصيّتي، ووارثي، وخليفتي من بعدي.

١٠ - عليّ أخي، ووزير، وخير من أترك بعدي.

١١ - عليّ مع الحق، والحق مع عليّ، لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض.

- ١٢- عليّ مع الحقّ، والحقّ معه، وعليّ لسانه، يدور حيثما دار عليّ.
- ١٣- عليّ مع القرآن، والقرآن معه، لا يفترقا حتّى يرثي عليّ الحوض.
- ١٤- عليّ منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي.
- ١٥- عليّ مولى كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة، وفي مسند الإمام أحمد [١ : ٢٣١] عليّ وليّ كلّ مؤمن بعدي.
- ١٦- عليّ منّي بمنزلة من ربّي. السيرة الحلبية [٣ : ٣٩١].
- ١٧- عليّ وليّ المؤمنين بعدي. تاريخ الخطيب [٤ : ٣٣٩].
- ١٨- من كان الله ورسوله وليّه، فعليّ وليّه.
- ١٩- أنا وعليّ حجة على أمّتي يوم القيامة. تاريخ الخطيب [٢ : ٨٨].
- ٢٠- من أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني. مستدرک الحاكم [٣ : ١٢١ و ١٢٨]. وارجع في مصادر جميع ما ذكر من الأحاديث الى الفدير [٧ : ١٧٦-١٧٧].

إلى غير ما هنالك من الأحاديث الواردة ما تختلف ألفاظها ويتحد معناها، منها ما تنصّ على خلافة عليّ عليه السلام، ومنها ما يشير إليها.

الخليفة الأول وما ندم منه بتركه

وأما الثلاثة التي ندم الخليفة بتركهنّ، فالأولى منها: ندمه على عدم قتل الأشعث، فقال: وددت يوم أوتيت بالأشعث بن قيس أسيراً أني ضربت عنقه؛ فإنّه تخيل إليّ أنّه لا يرى شراً إلّا أعان عليه، وإليك قصّة الأشعث.

قصّة الأشعث بن قيس

إنّ الرجل بعد ما ارتدّ وأتى بمعرّات وقاتل المسلمين، أخذ وأتى به أسيراً إلى الخليفة، فقال: ماذا تراني أصنع بك؟ قال: تمنّ عليّ فتفكّني من الحديد، وتزوّجني أختك، فأني قد راجعت وأسلمت، فقال أبو بكر: قد فعلت. فزوجه أمّ

فروة بنت أبي قحافة، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل، فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث.

فلما فرغ طرح سيفه، قال: إني والله ما كفرت ولكن زوّجني هذا الرجل أخته، ولو كنّا في بلادنا كانت الوليمة غير هذه، يا أهل المدينة كلوا، ويا أصحاب الإبل خذوا شرواها، فكان ذلك اليوم قد شبّه بيوم الأضحى. وفي ذلك قال وبرة بن قيس الخزرجي:

لقد أولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمّال لثقل الجرائم
لقد سلّ سيفاً مذ كان مغمداً لدى الحرب في الطلا والجماجم
فأغمده في كلّ بكر وسابح وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكنديّ يوم لقائه ذهب بأسنى مجد أولاد آدم
وقال الأصبع بن حرملة الليثي متسخطاً بهذه المصاهرة:

أتيت بكنديّ قد ارتدّ وانتهى إلى غاية من نكت ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكت إحياء نفسه وكان ثواب الكفر تزويجه بكرا
ولو أنّّه يابى عليك نكاحها وتزويجها منه لأمهّرتة مهرا
ولو أنّّه رام الزيادة مثلها لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر لقد شنت بعدها قريشاً وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحدٌ تُزوّجه لولا أردت به الفخرا
ولو كنت لمّا أن أتاك قتلتّه لأحرزتها ذكراً وقدّمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة عليك فلا جمداً حويت ولا أجرا
راجع تاريخ الطبري [٢٧٦: ٣] والإصابة لابن حجر [٥١: ١، و٣: ٦٣٠] وثمار

القلوب للثعلبي [ص ٦٩] والغدير للأميني [١٧٥: ٧] وكامل ابن الأثير [١٦٠: ٦]
وقال في الثانية: وددت أنّي إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام، كنت
وجّهت عمر بن الخطّاب إلى العراق، فكنت بسطت يدي كليهما في سبيل الله.

أقول: لعلّ ممّا لا يفهمه القارئ هو ندم الخليفة حين سيّر خالد بن الوليد إلى أهل الردّة، - دون أن يندم من إسقاطه الحدّ عن خالد على ما ارتكبه من الموبقات والمظالم، ما قاساها منه مالك بن نويرة وقومه، وما جناه من الجنايات الفاحشة على أمّ تميم زوجة مالك، حتّى وقع النزاع بينه وبين صاحبه عمر في تلك القضية من عدم مؤاخذته خالداً بقتله مالكا وأصحابه المسلمين، ونزوه على زوجته. ومالك بن نويرة هو أحد أصحاب النبي ﷺ الذي أحسن الصحبة والمعاشرة، وقد استعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وقد عُذّ من أشرف الجاهليّة والإسلام، ومن أرادف الملوك، وقد وقع من خالد في عهد النبي ﷺ مع بني جذيمة بالغميصاء أعظم ممّا وقع منه في حقّ مالك بن نويرة، وعفى عنه رسول الله ﷺ بعد أن غضب عليه مدّة، أعرض عنه وتبرأ ممّا فعله خالد، بقوله صلى الله عليه وآله: اللهمّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد مرّتين، رافعاً يده الى السماء.

راجع: شرح ابن أبي الحديد [٤: ١٨٧] وصحيح البخاري [٣: ٤٧] من كتاب المغازي، باب بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً لا محارباً ولا مقاتلاً، وكانت جذيمة قتلت عمّه في الجاهلية.

قضية خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة

فقد سجّل أمناء التاريخ في تواريخهم أنّه لمّا قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة، ونكح زوجته أمّ تميم، وكانت من أجمل النساء، قال له عمر بن الخطّاب بعد أن حطم السهام التي كانت على عمامة خالد: قتلت امرأ مسلماً، ثمّ نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك. ثم قال لأبي بكر: إنّ خالدًا زنى فارجمه.

قال أبو بكر: ما كنت لأرجمه إنّه تأوّل فأخطأ، فلمّا أكثر عمر عليه، قال: ما كنت لأشيم سيفاً سلّه الله تعالى، وودي مالك من بيت المال، وفكّ الأسرى

والسبايا من آله.

وفي رواية: سار خالد بن الوليد يريد البطاح، حتى قدمها فلم يجد بها أحداً، وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع، قال: يا بني يربوع، إننا دعينا إلى هذا الأمر، فابطأنا عنه فلم نفلح، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأني لهم بغير سياسة، وإذا الأمر لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم، فتفرّقوا وأدخلوا في هذا الأمر، فتفرّقوا على ذلك.

ولمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وإن يأتوه بكل من لم يُجب، وإن امتنع أن يقتلوه، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة، ثم تقتل كلّ قتلة، الحرق فما سواه، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام، فسائلوهم، فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم، وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمه.

فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع بن عاصم، وعبيد، وعرين، وجعفر، فاختلفت السيرة فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، فكان فيمن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً، فأمر خالد منادياً فنادى: ادفئوا أسراكم، وكانت في لغة كنانة القتل، فظن القوم أنّه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوه، فقتل ضرار بن الأزور مالكا، وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، فتزوّج خالد امرأة مالك، فقال أبو قتادة: هذا عملك؟ فزبره خالد، فغضب ومضى.

وفي تاريخ أبي الفداء: كان عبدالله بن عمر وأبو قتادة حاضرين، فكلمّا خالداً في أمره، فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر، فيكون هو الذي يحكم فينا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقتلك، وتقدّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه.

فقال عمر لأبي بكر: إنَّ سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك، فقال أبو بكر: يا عمر تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

وفي لفظ الطبري وغيره: إنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه: إذ غشيتهم داراً من دور الناس، فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها، حتّى تسألوهم ما الذي نقموا، وإن لم تسمعوا أذاناً، فشئوا الغارة فاقتلوا وحرّقوا.

وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنّهم لمّا غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّنا مسلمون، فقالوا: ونحن مسلمون، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ فقالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، فوضعوها ثمّ صلّينا وصلّوا. وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال وهو يراجع: ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعدّه لك صاحباً، ثمّ قدمه فضرب عنقه وعنق أصحابه.

فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطّاب، تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدوّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله، ثمّ نزا على امرأته، وأقبل خالد قافلاً حتّى دخل المسجد، وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً.

فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر، فانتزع من رأسه فخطّها، ثمّ قال: أرثاء؟ قتلت امرأ مسلماً، ثمّ نزوت على امرأته! والله لأرجمنك باحجارك، ولا يكلمه خالد ولا يظنّ إلّا أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه، حتّى دخل على أبي بكر، فلمّا أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه، فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك، قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر، وعمر جالس في المسجد، فقال خالد: هلمّ إليّ يا ابن أمّ شملة. قال: فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي

عنه، فلم يكلمه ودخل بيته.

قال سويد: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً، وإنَّ أهل العسكر أثفوا برؤوسهم القدور، فما منهم رأس إلا وصلت النار بشرته، ما خلا مالكا فان القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وفي الشعر البشر حرّها أن يبلغ منه.

وقال ابن شهاب: إنَّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قتل أمر خالد برأسه، فنصب أثفيه لقدر، فنضج ما فيها قبل أن تخلص النار إلى شؤون رأسه.

وقال عروة: قدم أخو مالك متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه، ويطلب إليه في ردّ سبيهم، فكتب له بردّ السبي وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إنَّ في سيفه رهقاً. فقال أبو بكر: لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

وروى ثابت في الدلائل: أنَّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال، فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتنني يعني: سأقتل من أجلك.

راجع: تاريخ الطبري [٣: ١٤٩] أسد الغابة [٤: ٢٩٥] تاريخ ابن عساكر [٥: ١٠٥ و ١١٢] تاريخ ابن كثير [٦: ٣٢١] الإصابة [١: ٤١٤].

وقال الزمخشري، وابن الأثير، وأبو الفداء، والزيدي: إنَّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد: أقتلتنني، أي عرّضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، وكانت جميلة حسناء تزوّجها خالد بعد قتله، فأنكر ذلك عبد الله بن عمر، وقيل فيه:

أفي الحق أنّا لم تجفّ دماؤنا وهذا عروساً باليمامة خالد
راجع: الفائق للزمخشري [٢: ١٥٤] النهاية لابن الأثير [٣: ٢٥٧] وتاريخ أبي

الفداء [١: ١٥٨] تاج العروس للزبيدي [٨: ٧٥] الغدير [٧: ١٦٠].

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل [٧: ١٦٥]: أمر خالد ضاراً بضرب عنق مالك، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتنني، وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل قتلك رجوعك عن الإسلام، فقال مالك: أنا مسلم، فقال

خالد: يا ضرار، اضرب عنقه، وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي:

ألا قل لحَيٍّ أوطئوا بالسنايك تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه بعمره وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الهوالك
فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر، قال عمر لأبي بكر: إنَّ خالداً قد زنى فاجلده،
قال أبو بكر: لا، لأنَّه تأوَّل فأخطأ. ثمَّ قال: يا عمر، ما كنت لأغمد سيفاً سلَّه الله
عليهم، ورثي مالكا أخوه متمم بقصائد عديدة، وهذا التفصيل ذكره أبو الفداء في
تأريخه [١: ١٥٨].

وفي تاريخ الخميس [٢: ٢٣٣] اشتدَّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر: ارجم
خالداً فإنَّه قد استحلَّ ذلك، فقال أبو بكر: والله لا أفعل، إن كان خالد تأوَّل فأخطأ.
وفي شرح المواقف: فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً، فقال أبو
بكر: لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار، وقال عمر لخالد: لئن وليت الأمر
لأقيدنك فيه.

وفي تاريخ ابن عساكر [٥: ١١٢]: قال عمر: إني ما عتبت على خالد إلا في
تقدِّمه وما كان يصنع في المال، وكان خالد إذا صار إليه شيء قسَّمه في أهل الغنى،
ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه، وكان فيه تقدِّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا
يراها أبو بكر، وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته، وصاح أهل اليمامة
ونكح ابنة مجاعة بن مرارة، فكره ذلك أبو بكر. وعرض الدية على متمم بن نويرة،
وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك. ولم ير أن يعزله، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على
خالد.

وأما ما وقع منه في بني جذيمة الذي تبرأ النبي ﷺ منه في تلك القضية،
فقد أرسل عليّاً ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والأموال

حتى أنه ليدي ميلغة الكلب. وبقي من المال فضلة، فقال لهم علي: هل بقي مال أو دم لم يؤد؟ قالوا: لا. قال علي: فإني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ففعل، ثم رجع فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فقال صلى الله عليه وآله: أصبت وأحسن.

راجع: الفصول المهمة للموسوي [ص ٥٠] نقلاً عن الكامل لابن الأثير وغيره، كتاريخ ابن الأثير، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتاريخ الواقدي، وكتاب الردة والفتوح لسيف بن عمر، وكتاب الموفقيات لزبير بن بكار، وكتاب الدلائل لثابت بن قسم، والإصابة لابن حجر في ترجمة مالك بن نويرة، وروضة المناظر لابن شحنة، وكتاب المختصر لابن الفداء.

وقال في الثالثة: وددت أنني سألت رسول الله لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد.

أقول: ألم يكن ندم الخليفة من عدم سؤاله النبي ﷺ عما يتولى الأمر بعده من أعجب العجائب؟ أي نبي من الأنبياء وأي رسول من رسل الله الذي يؤد أن يسأله عن ذلك؟

هل الرسول المأمور بتبليغ ولاية علي؟ وإن لم يفعل فكأنه لم يبلغ الرسالة؟ هل الرسول الذي أوحى إليه في علي ثلاث: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين؟

هل الرسول السائل ربه أن يأتيه بأحب الخلق إليه ليأكل معه الطير لمشوى؟ هل الرسول القائم خطيباً أمام مائة وعشرين ألف نفس يوم الغدير، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؟

هل الرسول القائل يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؟

الآيات المعربة عن ولاية علي (ع) ٣٥٣

هل الرسول القائل: علي راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، والكلمة التي ألزمها المتقين؟

هل الرسول القائل: علي وليي في كل مؤمن بعدي؟ مسند الإمام أحمد [٢٣١: ١].

هل الرسول القائل: علي ولي المؤمنين بعدي؟ تاريخ الخطيب [٢٣٩: ٤].
هل الرسول القائل: أنا وعلي حجة على أمتي يوم القيامة؟ تاريخ الخطيب [٨٨: ٢].

هل الرسول القائل: إن الله أطلع على أهل الأرض، فاختار منه أباك وبعثه نبياً، ثم أطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إلي فأنكحته فاتخذته وصياً؟

هل الرسول القائل: علي الصديق الأكبر، وفاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو بابي الذي أوتى منه، وهو خليفتي بعدي؟

هل الرسول القائل: علي أخي ووزير، وخير من أترك بعدي؟
بنى إنّه هو، صلوات الله وتحياته عليه وعلى آله لا محالة، الذي هتف بترككم الهتافات المقدسة التي لا تزال ترن في أذن الدنيا إلى عصرنا هذا وإلى منصرم الدهر.

إذن؟ عن أي معنى من المعاني يريد الخليفة أن يسأل بعد تلك التصريحات الجليلة؟ حتى تجرّع مرارة الندم في آخر عمره؟ أنا لا أدري!!

الآيات المعربة عن ولاية علي عليه السلام

إن الأمر لأبين من أن يفهم الخليفة من هاتيك الأخبار غير الذي يريده النبي الأقدس، وإن الآيات المعربة عن ولاية علي عليه السلام لأجل من أن تكون بمعناها ومغزاها في معزل عنه مثل:

١ - آية الشاهد، وهو قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ

منه ﴿ [هود: ١٧] التي نزلت في علي، كما قاله السيوطي في الدر المنثور [٣ : ٣٢٤] عن أبي حاتم في تفسيره، وابن مردويه، وأبي نعيم: أن التالي والشاهد هو علي بن أبي طالب. وحكاه أيضاً الطبري في تفسيره [٢ : ١٠] والنيسابوري في تفسيره [٢ : ٣١٧] وغيرهم من المفسرين.

٢ - قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] فإنها نزلت في علي عليه السلام، كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره [١٣ : ٧٢ دار المعرفة بيروت لبنان] والطبرسي في تفسيره، وقال: لما نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: أنا المنذر، وأوماً إلى منكب علي، وقال: أنت الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون.

وأخرج الثعلبي في تفسيره، كما رواه الموسوي في مراجعته [ص ٤٠] من التعليقات عن ابن عباس الحديث المذكور، وروى عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله جعفر الصادق عن هذه الآية، فقال: كل إمام هادي في زمانه، وقال الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام في تفسيره الآية: المنذر رسول الله، والهادي علي، ثم قال: والله ما زالت فينا إلى الساعة.

٣ - آية التبليغ، وهو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ الآية [المائدة: ٦٧] فإنها نزلت في علي عليه السلام كما ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور [٢ : ٢٩٨] نقلاً عن ابن أبي حاتم في تفسيره، وابن مردويه، وابن عساكر.

٤ - آية المودة، وهو قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] فمن ذلك أشار الشيخ ابن عربي فيما ذكره ابن حجر في صواعقه [ص ٦٨] بقوله:

رأيت ولأبي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بستبليغه إلا المودة في القربى

٥ - قوله تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾

الآية [طه: ٨٢] أي: اهتدى إلى ولاية أهل البيت، كما رواه ابن حجر في صواعقه في الفصل الأول من الباب الحادي عشر في الآية الثامنة، قال: قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل بيته ﷺ، ثم روى أحاديث في نجاة من اهتدى إليهم عليهم السلام، إلى أن أشار إلى قول الباقر للحارث بن يحيى: يا حارث، ألا ترى كيف اشترط الله، ولم تنفع إنساناً التوبة ولا الإيمان ولا العمل الصالح حتى يهتدي إلى ولايتنا؟

ثم روى عليه السلام بسنده إلى جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: والله لو تاب رجل وآمن وعمل صالحاً ولم يهتد إلى ولايتنا ومعرفة حقنا ما أغنى عنه. وأخرجه الطبري في تفسيره [١٢: ١٤٥] والطبرسي في تفسيره [١٦: ١٢٩] والحاكم الحسكاني في تفسيره شواهد التنزيل [١: ٣٧٥] من عدة طرق.

٦ - قوله تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الآية [الصافات: ٢٤] أي: عن

ولاية علي وأهل البيت، كما رواه الواحد في تفسيره أسباب النزول، وابن الجوزي في تذكرته [ص ١٠] قال: قال مجاهد: وقفوهم إنهم مسئولون أي عن حبّ علي عليه السلام. وعدّه ابن حجر في الآيات النازلة في أهل البيت.

راجع: الصواعق [ص ٨٩] والطبرسي في تفسير مجمع البيان [٤: ٤٤١] وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب [٢: ٤] والأكوسي في تفسيره روح المعاني [٢٣: ٨٠] عند تفسيره الآية الشريفة، وأتى بأقوال إلى أن قال: وأولى هذه الأقوال: أن السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك: لا إله إلا الله، وأجلّه: ولاية علي كرم الله وجهه - إلى آخر ما قال.

٧ - قوله تعالى ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ الآية [الزخرف: ٤٥]

أي: اسأل الرسل من قبلك على ما بعثوا؟ كما أخرجه الحاكم في كتاب المعرفة بإسناده من طريق ابن مسعود، قال: قال النبي ﷺ يا عبد الله، أتاني ملك،

فقال: يا محمد، سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي.

وأخرج الحافظ أبو نعيم في حليته مسنداً، بلفظ: لما عرج بي إلى السماء إنتهى بي السير مع جبريل إلى السماء الرابعة، فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبريل: هذا البيت المعمور، قم يا محمد فصلّ لله، قال النبي ﷺ: جمع الله النبيين فصّوهم ورائي صفّاً فصلّيت بهم، فلما سلّمت أتاني آت من عند ربّي فقال: يا محمد، ربّك يُقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما أرسلتم من قبلك؟ فقلت: معاشر الرسل، على ماذا بعثكم ربّي قبلي؟ فقالت الرسل: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب.

وأخرجه أيضاً الثعلبي، والنيسابوري، والبرقي، والحموي، والطبرسي في مجمع البيان، والبحريني في غاية المرام في الباب الرابع والأربعين، على ما ذكره شرف الدين الموسوي في تعليقاته من كتاب المراجعات [ص ٤٣].

٨ - قوله تعالى ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الآية [الواقعة: ١٠] فإنّها نزلت في علي عليه السلام كما أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، فيما رواه الشوكاني في تفسيره فتح القدير [٥: ١٥١] قال: إنّ الآية نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجار الذي ذكر في يس، وعلي بن أبي طالب، وكلّ رجل منهم سابق أمته، وعلي أفضلهم.

وأخرج الديلمي كما في الصواعق في الحديث التاسع والعشرين من الفصل الثاني في الباب التاسع عن عائشة أنّ النبي ﷺ قال: السّبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن النون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. وأخرج ذلك الطبراني عن ابن عباس، كما في المراجعات [ص ٤٦] وابن كثير في تفسيره [٤: ٢٨٣].

٩ - قوله تعالى ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] روى الشوكاني في

تفسيره فتح القدير [٢: ٤١٤] ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، قال: مع علي بن أبي طالب مع محمد وأصحابه.

١٠- قوله تعالى ﴿وَإِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْزُقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فقد ذكر الإمام شرف الدين الموسوي في تعليقاته من مراجعاته [ص ٣٩] في معنى تفسير الآية المذكورة قول الإمامين العظيمين، الباقر والصادق عليهما السلام قال: كان الباقر والصادق عليهما السلام يقولان: الصراط المستقيم هنا هو الإمام، ولا تتبعوا السبل أي أئمة الضلال، فتفرق بكم عن سبيله، ونحن سبيله. رضي الله عنهم ورضي بهم عنا أمين.

١١- قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فقد أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير مسنداً عن جعفر الصادق أنه قال: نحن حبل الله الذي قال فيه: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. وقد عدّها ابن حجر في صواعقه في الفصل الأول، الباب الحادي عشر من الآيات النازلة فيهم.

والى ذلك أشار الإمام الشافعي:

ولمّا رأيت الناس قد ذهب بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
أمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما أمرنا بالتمسك بحبل

١٢- قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] الآية، فقد ذكر الإمام شرف الدين الموسوي في تعليقاته من مراجعاته [ص ٣٩] ما أخرجه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب، بسنده الصحيح عن بريدة العجلي، قال: سألت أبا جعفر محمداً الباقر عن قوله عز وجل ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فكان جوابه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا

نَصِيْباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَبَتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿١٣﴾ وَيَقُولُونَ لِأُتَمَّةِ الضَّلَالِ والدعاة إلى النار: هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ سَبِيلاً. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ؟ يعني الإمامة والخلافة ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟ قال: ونحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلقه ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرّون به في آل إبراهيم وينكرونها في آل محمد؟ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعيراً﴾ وذكره الإمام الطبرسي في تفسيره مجمع البيان [٢: ٦٤].

١٣- قوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] فقد أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر، قال: لما نزلت هذه الآية، قال علي عليه السلام: نحن أهل الذكر.

وقد أخرج الطبري ذلك أيضاً في تفسيره جامع البيان [١٤: ٧٥] عن جابر عن أبي جعفر، وابن كثير في تفسيره [٢: ٥٧٠] مع اعترافه بأن علماء أهل البيت من خير العلماء؛ إذا كانوا على السنة المستقيمة.

أقول: كأن ابن كثير قد رأى منهم من لم يكونوا على السنة المستقيمة حتى أتى بأداة الشرط.

وقال الموسوي في مراجعته [ص ٤٠]: هذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى، قد أخرج البحريني في الباب الخامس والثلاثين نيفاً وعشرين حديثاً صحيحاً في هذا المضمون.

١٤- قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ الآية [النساء: ١١٥] فقد قال ابن مردويه في تفسير الآية الشريفة: إن المراد بمشاققة الرسول هي المشاققة في شأن

الآيات المعربة عن ولاية علي (ع) ٣٥٩

علي، وإن الهدى في قوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ إنما شأنه ﷺ وكرم الله وجهه.

وقد قال العياشي في تفسيره: والصحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أن سبيل المؤمنين إنما هو سبيلهم عليهم السلام. المراجعات [ص ٤٠] للإمام شرف الدين الموسوي.

فهل يسوغ لعاقل لبیب ومنصف مستقيم أن يقول: إن تلکم الآيات بمغزاها وتفسيرها في معزل عن الخليفة؟ وهو على ما زعم بعضهم أعلم الصحابة على الإطلاق؟ أو إنه ذاهل عن قوله ﷺ: الأئمة من قريش؟ فتمنى أن يقذف الأمر إلى أحد الرجلين منهما أبو عبدة؟ حاش له وكلاً، إنه أكرم من أن يكون عن ذلك ذاهلاً.

إليك لفظ الحديث، أخبرنا عنه البخاري في صحيحه [٤: ٣٤٨ ط دار الفكر] عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش^(١).

فكيف ود الخليفة أن يقذف الأمر إلى أبي عبدة؟ وعلى ذلك أننا لا ندري لأي وجه تخصيصه الرجلين بالأمر دون غيرهما، وفي الصحابة الأعظم وذوو الفضائل الذين لا يفوقانهم البتة؟

وقبل جميعهم أمير المؤمنين علي ﷺ، صاحب السوابق والمناقب والصهر والقراية، صاحب الغدير والأيام المشهودة، والمواقف المشهورة، صاحب راية المصطفى دنيا وأخرى، ونفسه بنص الكتاب المطهر عن الرجس، فهلا يقذفه إليه!

(١) وأخرج مسلم في صحيحه (٢: ٩١١) عن النبي ﷺ أنه قال: لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، أخرجه الترمذي في صحيحه (٢: ٥٤) والحاكم في المستدرک (٣: ٢١٨) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٤١) والمناوي في شرح الجامع الصغير (٢: ٤٥٨) والخطيب في تاريخه (٢: ١٢٦).

أبى بعد هذه المآثر كلها ما دلت عليها الآيات المبيّنة، والتصريحات المصطفوية أن أحداً غيره أحق بالخلافة منه؟

ثم إن ممّا يزيدنا عجباً على عجب أن صاحبه الخليفة الثاني يوم صُنع قد تراءى له رأى أعجب، وذلك أنه رأى أن للموالي نصيباً من الخلافة، حتى تمنى وودّ قائلاً: لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى.

ولست أدري، أقوله ذلك عن رأي أو عن إلهام؛ لأنه كان من المحدثين، كما جاء في صحيح البخاري من كتاب المناقب، باب مناقب عمر، وذلك عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال مكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر؟

وفي لفظ آخر في نفس المصدر بعد حديث الغار، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب.

فياليت شعري، ماذا يقال إذن في تمنّيه أن يجعل الخلافة في سالم مولى أبي حذيفة؟ فإن قلنا: إن قوله ذلك عن إلهام، كنا ممّن يقول بجواز نسخ الحديث النبوي بإلهام الملهمين. وإن قلنا: إن ذلك برأى تراءى له، أو عن اجتهاد منه، فلا جناح عليه أن يجتهد لكونه من أولي الأمر، فكنا ممّن يجيز الاجتهاد تجاه النصوص الثابتة، أنا لا أدري!!

فنكل الجواب إلى القارئ الكريم ليستوحي من ضميره الحرّ.

نعم إن للخليفة الثاني فضائل كثيرة مسجلة في كتب القوم، منها أن الحق قد جعل على لسانه وقلبه، وأن الشيطان يفرق منه، وله أيضاً كرامات مشهورة مثبتة في مصنّفات المصنّفين، وأجلّها شهرة كراماته الأربعة التي ستقف عليها فيما يلي:

الحق على لسان عمر وقلبه

أخرج الإمام أحمد في المسند [٢: ٤٠١] كما رواه الأُميني في غديره [٨]:
 ٩٢| عن نوح بن ميمون، عن عبد الله بن عمر العمرى، عن جهم بن أبي جهم، عن
 مسور بن المخرمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ
 عَلَى لسان عمر وقلبه.

أقول: أمّا قلب الرجل، فلا سبيل لأحد أن يطلع عليه، أو أن يعلم بما فيه،
 سوى الله عزّ وجلّ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
 وأمّا الخلائق، فلا علم لهم إلّا بما انطلق من فلتات لسانه في بعض المواقف
 دون البعض؛ لأنّه قد صدرت منه بعض الأحيان كلمات تقتضي توقّف القارئ في
 أنّ الحقّ على لسانه.

كقوله المشهور حين أراد النبي ﷺ أن يكتب لأُمته في أواخر حياته، فحال
 بينه وبين ما أرادّه ﷺ قائلاً: إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع. أخبرنا عن ذلك إمام
 المحدثين البخاري في صحيحه [٧: ٩ ط دار الفكر] وغيره من حفظة السنن.
 وكقوله منكرًا حقّ الإمام عليّ عليه السلام حين رفض بيعة أبي بكر فهذّده الرجل
 بالقتل، حتّى قال عليه السلام منبّهاً: إذن تقتل عبد الله وأخا رسول الله، فلا يتأثر بهذا التنبيه،
 بل ظلّ مصمّماً على ما كان عليه، فقال: أما عبد الله فنعم، وأما أخا رسوله فلا.
 أليس ما جرى في كلّ من الموقفين ممّا يستلزم الريب في صحة تلك
 الرواية. من قوله ﷺ: الحقّ على لسانه؟ فإنّ النبيّ ﷺ أجلّ من أن يهجر من غلبة
 الوجع، وإنّ ﷺ أعزّ من أن يكون مازحاً بقوله لعلي: أنت أخي ووزيرى وخير من
 أترك بعدي. فيكون قوله عبثاً - والعياذ بالله.

إذن فأَيّ القولين المتناقضين أحقّ أن يصدّق؟ أيجوز أن نتمسك بقول
 الرجل ونترك قول المصطفى ﷺ وراءنا مهجوراً نظراً إلى الحديث المذكور؟ أو
 غيره من الأحاديث التي أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب

مناقب عمر.

وذلك ما رواه عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمّتي منهم أحد فعمر. أنا لا أدري!!

ومع ذلك إننا لا نفهم شيئاً من تشديده على الناس حين حملهم على بيعة أبي بكر، حتّى هدّدهم بالسيف، وبالع في التهديد إلى غاية أن يحرق بيتاً من أشرف البيوت وأفضلها، فيه بضعة المصطفى الطاهرة المطهرة سيّدة النساء عليها سلام الله، كأنّ بيعة أبي بكر مشروعة في الدين، وطاعة الناس له يومئذ واجبة عليهم كما لله ولرسوله.

أضف إلى ذلك رجال سند الرواية الأولى، وما قاله فيهم أهل الجرح والتعديل:

١ - نوح بن ميمون. قال ابن حبان: ربّما أخطأ. راجع تهذيب التهذيب لابن حجر [١٠ : ٤٨٩].

٢ - عبد الله بن عمر العمري. قال أبو زرعة عن أحمد بن حنبل: إنّه كان يزيد في الأسانيد ويخالف. وقال علي بن المديني: ضعيف. وقال يحيى بن سعيد: لا يحدث عنه. وقال يعقوب بن شيبه: في حديثه اضطراب، وقال صالح جزرة: لئن مختلط الحديث. وقال النسائي: ضعيف الحديث. وقال ابن سعد: كثير الحديث يستضعف. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كان ممّن غلب عليه الصلاح حتّى غفل عن الضبط فاستحقّ الترك. وقال البخاري في التاريخ: كان يحيى بن سعيد يضعّفه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقويّ عندهم. وقال المروزي: ذكره أحمد فلم يرضه. راجع تهذيب التهذيب [٥ : ٣٢٧] والغدير [٨ : ٩٢].

٣ - جهم بن أبي جهم. قال الذهبي في ميزان الاعتدال [١ : ٤٢٦] ط دار

[المعرفة]: لا يعرف.

عمر و فرق الشيطان منه

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده [٨٩: ٥] وفي كتاب المناقب، باب مناقب عمر [٢٥٦: ٥] عن سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرونه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهين، ثم قال عمر، أي عدوات أنفسهن أتهينني ولا تهين رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غير فجك.

أقول: لا أشك في أن من له أدنى حظ من العقل، وأقل نصيب من العلم، إذا تدبر أساليب الكلمات ومواقعها، من الرواية المذكورة، فسيحضر بباله عدة استفهامات:

منها: هل هذه الحادثة حدثت قبل نزول آية الحجاب أو بعده؟ فان قيل بالأول نقول: فما بال النساء يتدرن بالحجاب حين سمعن صوت عمر؟ وإن أجيب بالثاني، نقول: فما بالهن سافرات بين يدي رسول الله؟

فإن قيل: إن هذه النسوة نساؤه ﷺ، فلا موجب للضرب بالحجاب، نقول: إذن فقد نسب بتلك المزعمة إلى سوء الأدب برفع أصواتهن بين يديه ﷺ واستكثارهن عليه، وكان عمر أسوأ من كان في الرواية أدباً بقوله لأمهات المؤمنين: أي عدوات أنفسهن، بحضرة النبي ﷺ.

وأما ما عزي إليه ﷺ في الثاني من قوله: ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجّك. فستصوّر للقارئ ما يستبعد وقوعه، وذلك كيف يكون اللعين يهاب من عمر ولا تروعه عظمة النبي ﷺ، فإنّه عليه اللعنة قد عرض للنبي صلى الله عليه وآله ليقطع عليه صلاته؟ وإن رجع خائباً.

كما أخبرنا بذلك البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب الأسير والغريم [١: ٩١ ط دار الفكر] ومسلم في صحيحه في باب جواز لعن الشيطان في الصلاة [١: ٢٢٠ ط بندوغ] فكيف يجروا اللعين على النبي ﷺ حتّى في حال صلاته ولا يتجرأ على عمر حتّى حين يمشي في طريقه؟

وفي لفظ الطبراني وابن مندة وأبي نعيم، أعجب ممّا في لفظ البخاري، وذلك عن سديسة مولاة حفصة، عن حفصة بنت عمر مرفوعاً: إنّ الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا وخرّ لوجهه. أنا لا أدري بأيّ عمل نال الخليفة الثاني هذه الخصوصية دون غيره من سائر الناس، أو كانت هيئته سابقة في الأزل؟ الله أعلم. ومن العجيب الغريب عن مستوى فهم المستفهم أنّ تلك الهيئة العظيمة التي خرّ منها الشيطان لوجهه لا تروع عمرو بن ودّ يوم الخندق، ولا مرحباً يوم خيبر، ولا غيرهما والمواقف في المشاهد والمواقف الرهيبة كأحد وحنين وبدر وغيرها.

وأما كرامات عمر الأربع

١ - لمّا فتح عمر مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهر العجم، فقالوا له: أيّها الأمير، إنّ لنيلنا هذا سنة لا يجري إلّا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا له: إنّنا إذا عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أباهما وحمنا عليها من الحلّي والثياب أفضل ما يكون، ثمّ ألقيناها في النيل، فقال لهم عمرو: إنّ هذا شيء لا يكون في الإسلام، إنّ الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى، لا يجري قليلاً ولا كثيراً.

فكتب إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر: إنك قد أصبت بالذي فعلت، إن الإسلام يهدم ما قبله، وكتب إلى عمرو: إني قد بعث بطاقة داخل كتابي هذا إليك، فألقها في النيل إذا وصل كتابي إليك، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص، إذا فيها مكتوب:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أمّا بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو مجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.

وفي لفظ الواقدي: فإن كنت مخلوقاً لا تملك ضرراً ولا نفعاً وأنت تجري من قبل نفسك وبأمرك فانقطع، ولا حاجة لنا بك، وإن كنت تجري بحول الله وقوته، فاجر كما كنت، والسلام.

فألقي البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بشهر، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج، فإنه لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل، فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب، وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم.

أقول: مهما لا يروقنا إنكار هذه الرواية؛ لجواز وقوعها تكمرة من الله لملته الحنيفة، فتكون معجزة للشرعة المحمدية؛ لشدة حاجة ذلك اليوم إلى مثلها، لقرب عهدهم بالإسلام، ولكن ليس ذلك ممّا يحرمنا حقّ النظر والبحث عن سند الرواية، ولا أظنّ أنّ في العلم برجال سندها وما يقوله فيهم أهل الجرح والتعديل من بأس.

وقد وجدنا أنّ الراوي الوحيد في رواية النيل، هو عبد الله بن صالح المصري، الذي قامت القيامة لما حدّث بحديث: إنّ الله اختار أصحابي على العالمين.

راجع ميزان الاعتدال [٢: ٤٦] وهو أحد الكذابين الوضّاعين. قال الإمام

أحمد بن حنبل: كان أول أمره متماسكاً ثم فسد بآخره. وقال أحمد بن صالح: متهم ليس بشيء. وقال صالح جزرة: كان ابن معين يوثقه، وهو عندي يكذب في الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن المديني: لا أروي عنه شيئاً.

وقال ابن حبان: كان في نفسه صدوقاً، إنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جاره، فسمعت ابن خزيمة يقول: كان له جار، وكان بينهما عداوة، كان يضع الحديث على شيخ أبي صالح، ويكتبه بخط يشبه خط عبدالله، ويرميه في داره بين كتبه، فيتوهم عبدالله أنه خطه فيحدث به.

وقال ابن عدي: يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد.

الزلزلة

قال الرازي في تفسيره: وقعت الزلزلة في المدينة، فضرِب عمر الدرة على الأرض، وقال: اسكني بإذن الله، فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك. قال الأميني: لم يوجد في الحوادث من حديث الزلزلة في عهد عمر لا مسنداً ولا مرسلاً. وأما قول الرازي: ما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك، فكرامة مكذوبة يكذبها التاريخ، وقد وقعت الزلزلة بعد ذلك غير مرة، وقد وقعت زلزلة عظيمة بالحجاز سنة (٥١٥) فتضعضع بسببها الركن اليماني، وتهدم بعضه، وتهدم بها شيء من مسجد رسول الله ﷺ، كما ذكره ابن كثير في تاريخه [١٢ : ١٨٨].

الحريق

وأما احتراق القرية بإباء الرجل عن تغيير اسمه فقد قال الأميني: خرافة فخرافة ياباها الشرع والعقل والمنطق، الى أن قال: وهو من الظلم الفاحش فيها من الأبرياء وتلفت من أموال.

رواية يا سارية الجبل

قال الأميني: قال السيّد محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب [ص ٢٦٥]: هو من كلام عمر، قاله على المنبر حين كشف له عن سارية وهو بنهاوند من أرض فارس. روى قصّته الواحدي والبيهقي بسند ضعيف، وهم في المناقب يتوسعون. انتهى.

كنّا نرى السيّد ابن الحوت غير منصف في حكمه على الحديث بالضعف، وإنّه كان حقّاً عليه الحكم بالوضع، إلى أن أوقفنا السير على تصحيح ابن بدران، المتوفى سنة (١٣٤٦) إياه، فيما علّق عليه في تاريخ ابن عساكر [٦: ٤٦] بعد ذكر الحديث من طريق سيف بن عمر، فوجدنا ابن الحوت عندئذ أنّه جاء بإحدى بنات طبق في حكمه ذلك، ما أجراً ابن بدران على هذا التمويه والدجل! أليس بين يديه أقوال أعلام قومه حول سيف بن عمر؟ أم ليسوا أولئك الحفاظ رجال الجرح والتعديل في كلّ إسناد؟

قال ابن حبّان: سيف بن عمر يروي الموضوعات عن الأثبات. وقال: قالوا: إنّه كان يضع الحديث واتّهم بالزندقة. وقال الحاكم: اتّهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط. وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامّتها منكّرة لم يتابع عليها. وقال ابن عدي: عامّة حديثه منكّر. وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس منه خير. وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائي: ضعيف. وقال السيوطي: وضاع.

راجع: ميزان الاعتدال [١: ٤٣٨] وتهذيب التهذيب [٤: ٢٩٥] واللاكي

المصنوعة [١: ١٥٧ و ١٩٩ و ٤٢٩].

تحقيق حول إيمان أبي طالب عليه السلام

وهكذا استرسلت أقلام المتعصبين، الذين دفعتهم عصبيتهم لمحبيهم إلى حدّ ما رأيت فيما مر ذكره، من القصص الخرافيّة، ما تحتلّ مكاناً في عقول من غلب عليهم الجمود الفكري، لوقوفهم أمام تلك المصنّفات الخياليّة موقف التبجيل والتعظيم، فجعلوها حجة ثابتة يبنون منها أحكاماً قائمة، وظلّوا ينشرونها في مجالسهم، لتتغذى بها عقول من تعطلت ملكات التفكير لديهم من بسطاء الأُمّة والجهلة من العوام.

فساروا وراء دعائهم سير الأغنام، ولم يكتف أولئك القوم بتلك السفسطات التي تنخدع بها السذج من الناس، حتّى أودعوا في كتبهم أخباراً لا تثبت صحتها، وروايات تمسّ كرامة أهل بيت تربى فيه المشرع الأعظم عليه السلام بإيرادها، ما لاتسوغها النفوس الكريمة، والعقول السليمة، ويأبأها المنطق والطبع والعقل والمروءة.

كرواية موت أبي طالب كافراً باللّٰه، وقد جعله مأوىً لليتيم الخالد ذكره صلى الله عليه وآله في هذه الحياة الدنيا، وكان جزاء ذلك فيما يزعمون أن يجعل مأواه غداً في الدرك الأسفل من النار، لو لا أن تداركه النبي عليه السلام بشفاعته، فصار في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه.

وغير ذلك من الآراء الزائفة، والتأويلات الباطلة، كأقوال البعض من المفسّرين الذين يرون منفذاً يسع لهم تطبيق الآيات النازلة في الكفّار على شخص أبي طالب، فطبّقوها عليه تطبيقاً.

فتلقّفها بقبول حسن قوم من الذين اخذت بخناقهم أواصر التقليد الأعمى، حتّى استولت على قلوبهم هيبة الكتب وعظمة مؤلّفيها، فانقادوا إلى رأيهم مذعنين، ولأقوالهم خاضعين غير متبصّرين، وكانوا في الانقياد والافتداء كالذين قال الله عزّ وجلّ فيهم ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾

تحقيق حول ايمان أبي طالب (ع) ٣٦٩

[الأحزاب: ٦٧] أو كالذين قالوا كما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].
فإليك:

الآيات المحرّفة في أبي طالب ﷺ

الآية الأولى

قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦] فقد أخرج الطبري وغيره كابن سعد في طبقاته [١: ١٥] وابن كثير في تفسيره [٢: ١٢٧] والزمخشري في تفسيره [١: ٤٤٨] وابن جزي في تفسيره [٢: ٦] والخازن في تفسيره [٢: ١١] حديثاً من طريق سفيان الثوري، عن حبيب بن ثابت، عمّن سمع ابن عباس أنّه قال: إنّها نزلت في أبي طالب.
وقال القرطبي: هو عامّ في جميع الكفار، أي: ينهون عن اتّباع محمد ﷺ وينأون عنه.

وقال: قيل: هو خاصّ بأبي طالب ينهى الكفار عن أذى محمد ﷺ ويتباعد من الإيमान به، كما مرّ عن ابن عباس.

وقال: روى أهل السير، كان النبي ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي، فلمّا دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه الله: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد صلاته؟ فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ، فانفتل النبي من صلاته.

ثمّ أتى أبا طالب عمّه، فقال: يا عمّ، ألا ترى ما فعل بي؟ فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبي ﷺ: عبد الله بن الزبعرى. فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه، ومشى معه حتّى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجلّلته بسيفي، فقعدوا حتّى دنا

إليهم، فقال: يا بني، من فعل بك هذا؟ فقال النبي ﷺ: عبد الله بن الزبعرى، فأخذ أبو طالب قرثاً ودمماً، فلطخ به وجوههم ولحاهم وأساء لهم القول، فنزلت هذه الآية.

أقول: كيف يصح أن يقال بأن نزول الآية المذكورة في أبي طالب بهذه الرواية المنقطعة عن الإسناد؟ كما تشهده في أقوال حبيب بن ثابت عمّن سمع ابن عباس. فمن هم يا ترى المجهولون؟ أيستحيل أن يكون منهم وضاع أو دحّال؟ وكذلك

ألم يكن حبيب بن ثابت مدكساً، كما قاله ابن حبان؟ وقال العقيلي: غمزه ابن عون، وله في عطاء أحاديث لا يتابع عليها. وقال القطان: له حديث عن غير عطاء، لا يتابع عليه وليست بمحفوظة. وقال الآجري عن أبي داود: ليس لحبيب عن عاصم بن ضمرة شيء يصح. وقال ابن خزيمة: كان مدكساً. راجع تهذيب التهذيب [١: ١٧٩].

ثم إننا نغض الطرف عن مكان سفيان الثوري وعمّا قالوا فيه: إنه يدلس ويكتب عن الكذابين، كما في ميزان الذهبى [١: ٣٩٦] إذن إن ذلك القول أقرب إلى الباطل منه إلى الصحة بلا شك ولا ريب.

ومن العجيب كيف يعزب عن بعضهم الرواية الثابتة عن ابن عباس بعدة طرق مسندة ما تضادّ هذه المزعومة؟ كرواية الطبري بعينه في تفسيره [٧: ١٠٩] والسيوطي في الدر المنثور [٣: ٨] وفاتهم ما أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق علي بن أبي طلحة وطريق العوفي، على أن الآية نزلت في المشركين، وكانوا ينهون الناس عن محمّد أن يؤمنوا به، وينأون عنه: يتبععدون عنه.

وقد تأكد ذلك بما أخرجه الطبري، وابن أبي شيبه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، من طريق وكيع، عن سالم، عن ابن الحنفية ومن طريق

الحسين بن الفرّج، عن أبي معاذ ومن طريق بشر عن قتادة.
وأخرج عبدالرزاق، وابن جرير، وابن منذر، وابن أبي حاتم، وأبو شيخ، عن
قتادة، والسدي، والضحاك. ومن طريق أبي نجیح، عن مجاهد. ومن طريق يونس،
عن ابن زيد. قالوا: ينهون عن القرآن وعن النبي، وينأون عنه: يتباعدون عنه.
وليس في هذه الروايات أي ذكر لأبي طالب، وإنما المراد فيها الكفار الذين
كانوا ينهون عن اتباع رسول الله ﷺ، أو القرآن. وينأون عنه بالتباعد والإنكار.
راجع: تفسير الطبري [٧: ١٠٩] والدر المنثور [٣: ٨ - ٩] وتفسير الألوّسي روح
المعاني [٧: ١٢٦].

أظنّ أنه ليس من المستبعد إذا قلنا: إنّ من يقول بصحّة نزول الآية في أبي
طالب، ما يمنعه من النظر إلى سياق الآية الكريمة، فيستفيد منها بأنّ الله سبحانه
وتعالى يريد أن يذمّ أناساً أحياء ينهون عن اتباع النبي، ويتباعدون عنه، ويجادلونه
بقولهم منكرين: إن هذا إلا أساطير الأولين.

إليك سياق الآية فتبصر: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ هذا موضع الذمّ، ثمّ قال تعالى مبيناً مجادلتهم
النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ثمّ بيّن سبحانه وتعالى حالهم بقوله
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ والله أعلم
بالصواب.

وأما ما جاء به القرطبي في تفسيره [٦: ٤٥٦] من قوله ﷺ: يا عم، نزلت فيك
آية - يعني الآية المذكورة - قال: وما هي؟ قال ﷺ: تمنع قريشاً أن تؤذيني، وتأبى أن
تؤمن بي. وقولهم يا رسول الله! هل تنفع نصرة أبي طالب؟ قال ﷺ: نعم، دفع عنه
بذلك الغلّ، ولم يقرن مع الشياطين، ولم يدخل في حبّ الحيّات والعقارب، إنّما
عذابه في نعلين من نار يغلي منهما دماغه في رأسه، وذلك أهون أهل النار عذاباً.

قال الأميني في غديره [٨ : ٨]: إِنَّ الْحَدِيثَيْنِ لَمْ يَرَوْهُمَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ، لَأَمَّمَنَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، لَيْتَهُ دَلَّنَا عَلَى مَصْدَرِهِ مِمَّنْ أَخَذَهُ، وَالْبَى مِنْ يَنْتَهِي إِسْنَادُهُ، وَمَنْ ذَا الَّذِي صَافَقَهُ عَلَى رَوَايَتِهِمَا مِنَ الْحَفَازِ، وَأَيُّ مُؤَلِّفٍ دَوَّنَهُ قَبْلَهُ؟ إِلَى أَنْ قَالَ: حَبَّذَا الْأَحْلَامَ لَوْ صَدَقْتَ. انتهى.

الآية الثانية

قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

فهذه هي الآية الثانية، التي أطبق بعضهم على نزولها في عمّ النبي ﷺ أبي طالب ﷺ، منهم شيخ المحدثين البخاري، فإنه قد أخرج في كتاب التفسير في سورة القصص من صحيحه [٣ : ١٧١ ط دار الفكر] قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزَّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: أَيُّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْضِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُهَا تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتِهِ عَنْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

وقبل أن نولّي وجوهنا شطر الرواية، للنظر في صحّة وجه التطبيق أو عكسه، فلعلّ من الخير أن نجوس خلال إسنادها، ليزداد القارئ في صحّتها أو بطلانها يقيناً.

وقد ظهر لنا أنّ الرواية قد انفرد بنقلها سعيد بن المسيب، وما أدراك ما ابن

المسيّب؟ إنّه ختن أبي هريرة، فلعلّ وحدة المبدأ قد جمعتهما قدماً قبل أن تربطهما أو اصر المصاهرة، وكنا قد أوردنا في نقد أسطورة سابقة شطراً من أخبار أبي هريرة، غير أننا لم نذكر هنالك شيئاً ممّا يوعز إلى مبدئه رغبة عن الخروج من الموضوع الذي كنا فيه، فعمدنا إلى القدر الذي تمس الحاجة إليه روماً للاختصار. فلمّا خضنا الآن في الموضوع الذي نحن بصددّه، دفعتنا الحاجة واضطرتنا إلى أن نكلّف أنفسنا أن نبذل عناء البحث حتّى اتّجهنا تلقاء العصور المنصرمة، حينما كانت تصفو فيها سماء الدولة الأمويّة، وغابت فيها درّة عمر، وكان بغيابها يبرز نجم أبي هريرة زاهراً، فوجدنا هناك متاعاً يبلغنا إلى المقصود، ويكشف لنا ولمن له أقلّ حظّاً من التمييز عن مبدأ الرجل وسيرته.

فمن ذلك ما قاله أبو جعفر الإسكافي ورواية الأعمش، فيما سجله ابن أبي الحديد في شرح النهج (١ : ٣٥٩) وذلك:

أنّه لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثمّ ضرب صلّته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعّمون أنّي أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ لكلّ نبيّ حرماً، وإنّ حرّمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أنّ عليّاً أحدث فيها، فلمّا بلغ معاوية قوله أجازّه وأكرمه وولاه إمارة المدينة. انتهى.

فيالها من رواية! لقد أعطت المعتبر اللبيب درساً لمعرفة المبدأ الذي كان عليه أبو هريرة، فلننظر الآن إلى مبدأ ختنه ابن المسيّب صاحب الرواية، وكان من البديهة أن يكون على مبدأ عمّه، كما قيل في ذلك: ما توافق الاثنان إلّا لمناسبة كانت بينهما، والطيور على أشباهها تقع.

ولعلّ من له أدنى إلمام بالتاريخ لا يخفى عليه شخصيّة ونفسانيّة أنّ

الوقية في العترة النبوية الطاهرة أحب مأدبة اليه، وأشهى طعام له، كما أخبرنا عن ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج [١ : ٣٧٠] وغيره من علماء التاريخ.

قال ابن أبي الحديد: كان سعيد بن المسيب منحرفاً عنه عليه السلام - يعني أمير المؤمنين علياً - وجهه عمر بن علي في وجهه بكلام شديد.

روى عبدالرحمن بن الأسود، عن أبي داود الهمداني، قال: شهدت سعيد بن المسيب، وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له سعيد: يا بن أخي، ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يفعل إخوتك وبنو أعمامك، فقال عمر: يا بن المسيب، أكلما دخلت المسجد أجيء فأشهدك؟ فقال سعيد: ما أحب أن تغضب، سمعت أباك يقول: إن لي من الله مقاماً لهو خير لبني عبدالمطلب ممّا على الأرض من شيء، فقال عمر: وأنا سمعت أبي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق، فيخرج من الدنيا إلا يتكلم بها. فقال سعيد: يا بن أخي، جعلتني منافقاً؟ قال: هو ما أقول لك، ثمّ انصرف.

وأخرج الواقدي، أنّ سعيد بن المسيب مرّ بجنازة السجاد علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولم يصلّ عليها، فقل له: ألا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل بيت الصالحين؟ فقال: صلاة ركعتين أحب إليّ من الصلاة على الرجل الصالح.

ويعرفك سعيد بن المسيب، ومبلغه من الحيطة في دين الله، ما يرويه ابن حزم في المحلى [٤ : ٢١٤] عن قتادة، قال: قلت لسعيد: أنصلي خلف الحجاج؟ قال: إنا لنصلي خلف من هو شرّ منه.

فهذا ما التقطناه من طريق البحث في السند، وإليك ما استفدناه بالنظر من

جهة نزول الآية.

البحث في نزول الآية

أقول: أن القول بأن نزول الآية المذكورة - أي آية الاستغفار - في عمّ النبي الشفيق أبي طالب خارج عن مستوى الصحة، وبعيد عن نطاق الإفهام من وجوه: الأول: أن موت أبي طالب عليه السلام في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، كما أثبتته ابن عبد البر في الاستيعاب [١ : ٢٦] وغيره من المؤرخين ونزول آية الاستغفار بالمدنية بعد الفتح، والشاهد أن سورة براءة مدنيّة، وهي آخر ما نزل من القرآن. نصّ على ذلك الزمخشري في تفسيره الكشاف [٢ : ٤٩] والقرطبي في تفسيره [٨ : ٢٨٣] والشوكاني في تفسيره فتح القدير [٣ : ٣١٦] نقلاً عن ابن أبي شيبة، والبخاري في آخر سورة النساء، والنسائي، وابن الضريس، وأبي الشيخ، وابن مردويه، عن طريق البراء بن عازب. فما وجه الحكمة إذن في تأخر نزول الآية ما يربو على ثمانية أعوام، والنبي يستغفر خلالها لعمّه؟

الثاني: كيف يستغفر النبي لعمّه إن لم يكن مؤمناً، وقد أنزل عليه قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢] على أن هذه الآية نزلت قبل نزول آية الاستغفار بعدة سنين؟ والشاهد في ذلك أن هذه الآية في سورة المجادلة المدنيّة النازلة قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بسبع سور، كما في الإتيان [١ : ١٧].

وقد أخرج جمع من حفظة السنن وعدّة من المفسرين، أن الآية المذكورة نزلت يوم بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.

قال الحلبي في سيرته على ما في الغدير [٨ : ١٠]: إنها نزلت في أحد فيما قاله بعض المفسرين باتفاق الجمهور، وكانت في السنة الثالثة من الهجرة.

الثالث: كيف لا نستنكر قول من يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله يستغفر لعمّه أبي طالب وهو مشرك، وإن آية الاستغفار نازلة فيه؟ وقد أنزلت عليه قبل نزول آية الاستغفار

عدّة سور، معربة عن عدم جواز الاستغفار للمشرّكين؟ كقوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهي الآية السادسة من سورة المنافقين، وإنّها نزلت عام غزوة بني المصطلق سنة ست، وهذا هو المشهور عند أصحاب المغازي والسير، كما قاله ابن كثير في تفسيره [٤ : ٣٦٩] والقرطبي في تفسيره، [١٨ : ١٢٧] وإنّها نزلت قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بثمان سور، كما في الإتيان [١ : ١٧].

وكقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتَحَبَّوْا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وكقوله تعالى ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فكلتا الآيتين من سورة التوبة [٢٣ و ٨٠] النازلة قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار.

أفتري النبيّ مع هذه الآيات النازلة قبل آية الاستغفار، كان يستغفر لعمّه سنيّاً عديدة، وقد مات على الكفر؟ حاشاه أن يغفل ذلك، فإنّه لا يستغفر لمشرك قطّ، وهو صلوات الله عليه أعزّ وأكرم وأعظم من أن يقال: ربّما كان ينسى، أو يغفل، أو يذهل، أو غير ذلك ممّا لا يجوز في حقه العظيم وقدره الكريم. هيّات ثمّ هيّات أن لا يذكر تلك الآيات التي تضمّنت تلك المعاني الجليلة، والتهديدات المهولة.

الرابع: أنّ هناك روايات تضادّ ما رواه البخاري ومن يجري مجراه، وأخبار دالة على أنّ آية الاستغفار ما نزلت في أبي طالب.

منها: صحيحة أخرجه الطيالسي، وابن أبي شيبة، والإمام أحمد [١ : ١٣٠] والترمذي [٥ : ٢٦٢] والنسائي، وأبو يعلى، وأبو جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصحّحه [المستدرک ٢ : ٣٣٥] وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء المقدسي في المختارة عن عليّ عليه السلام، قال: سمعت

رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ آصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. [التوبة: ١٣ - ١٤].

أليس يظهر من هذه الرواية أن عدم جواز الاستغفار كان أمراً معهوداً قبل نزول الآية؟ فلذلك ردع علي الرجل عن الاستغفار لأبويه، وأتى يصح أن يقال: إن النبي ﷺ يستغفر لعمه حين مات وهو مشرك؟ أعن غفلة صدرت منه أو من أشياء حلت به، حتى خفي عليه ما لم يخف على علي؟ معاذ الله من أن نقول كلمة نمس بها كرامته وعظمته، عليه وعلى آله صلوات الله وأزكى تسليماته.

قال السيد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب [ص ١٨]: هذه الرواية صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة عن ابن عباس، قال: كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا عن أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ الآية، يعني: استغفر له ما دام حياً، فلما مات أمسك عن الاستغفار له. ثم قال: وهذا شاهد صحيح، فحيث كانت هذه الرواية أصح، كان العمل بها أرجح، فالأرجح أنها نزلت في استغفار ناس لأبائهم المشركين لا في أبي طالب.

ومن الروايات المضادة لرواية البخاري وتابعيه ما أخرجه مسلم في سبب نزول آية الاستغفار في صحيحه [١: ٣٧٩ ط بندوغ] والإمام أحمد في مسنده [٢: ٤٤٣ وغيره] وأبو داود في سننه [٣: ٢١٨ برقم: ٣٣٣٤ ط دار الفكر] والنسائي، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أتى قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور

قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة. إرشاد الساري [١٥١: ٧].
وأخرج الطبري، والحاكم، وابن حاتم، والبيهقي عن ابن مسعود وبريدة،
والطبراني أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس: أنه ﷺ أقبل من غزوة تبوك،
اعتمر فجاء قبر أمه، فاستأذن ربه أن يستغفر لها، ودعا الله تعالى أن يأذن له في
شفاعتها يوم القيامة، فأبى أن يأذن، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية. راجع: تفسير الطبري [١١: ١٣] وإرشاد الساري
[٢٧٠: ٧] والدر المنثور [٢٨٣: ٣].

وأخرج الطبري أيضاً في تفسيره [١١: ٣١] عن عطية: لما قدم رسول الله
صلّى الله عليه وآله مكة وقف على قبر أمه، حتى سحنت عليه الشمس رجاء أن
يؤذن له فيستغفر لها، حتى نزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ الى قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ
لَأَبِيهِ﴾ الآية.

وروى الزمخشري في الكشاف [٢: ٤٩] حديث نزول آية الاستغفار في أبي
طالب، ثم ذكر هذا الحديث، وقال: وهذا أصح، لأن موت أبي طالب كان قبل
الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة.

فهذه بعض الأخبار المعارضة لما أخرجه البخاري، ومن تمسك بقوله في
أن الآيات الثلاثة نزلت في أبي طالب ﷺ، ثم ظهر أن آية الاستغفار نزلت حين
زيارة النبي ﷺ قبر أمه، كما علمنا ذلك عن عدة من أولئك الأعلام.

أقول: وعلى أي من التقديرين فالأولى لنا أن لا نجزم على القطع، بصحة
نزولهن في أي أحد من أهل بيت النبي ﷺ، سواء كان في أبي طالب، أو في أمه
رضي الله عنهما، اتقاء من أن تكون في ذلك مسة من القدح في كرامته ﷺ، وأخذاً
بما ورد من الأحاديث والأخبار المشيرة إلى عظيم شرف قرباه، وكريم منزلتهم
عنده، وجميل مودته لهم.

وعلى تقدير أن الرواية صحيحة، فلا جناح أن نقول: إن النبي ﷺ قد كان يستغفر لأبي طالب منذ أغمض عينيه، أفهل يسوغ لمسلم أن يقول: إن النبي ﷺ كان يستغفر لمشرك؟

فإن قيل: إنه قد منع عن ذلك بنزول آية الاستغفار. أقول: إن ذلك القول ساقط عن ميزان الاعتبار، لا يستسيغه ذو العقل السليم، ولا يقبله ذو الرأي المستقيم، لورود المنع بعد مضي ثمانية أعوام، والنبي ﷺ في خلالها كان مستغفراً له، فما الحكمة في تأخر نزولها حتى مضت تلك السنون الطويلة؟ فهل يذهب دعاؤه له جفاءً؟ واستغفاره له عبثاً في تلك المدة؟ فليحكم في ذلك الضمير الحر المتبصر، فإن محبة النبي ﷺ في عمه أبي طالب بمكان عال. ثم إنه هل يتسنى لمسلم له أدنى مسكة من العلم أن يقول: إن النبي ﷺ يحب مشركاً؟

فإن قيل: إن محبته له كانت لمكانته عنده أقول: ذلك أبو لهب إن كنت بالتاريخ بصيراً، وقد كان ذكره بين الملائة الديني مشهوراً، أليس هو عمه مهما كان كافراً؟ فإن ذلك كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

أحاديث وفاة أبي طالب ﷺ

الأول: أخرج ابن سعد في طبقاته [١: ١٠٥] عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي، قال: أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي فبكى.

وفي لفظ: فبكى بكاءً شديداً، ثم قال: اذهب فاغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

أقول: تبصّر يا فقيه، أكان تغسيل ميت الكافر وتكفينه مشروعاً في الشريعة المحمّدية؟ وإلا، فلم؟

وإن قلت: فلم ترك النبي ﷺ المشي في جنازته ولم يصل عليه؟

فجوابي في ذلك: ما أخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب [ص ٢١] والبيهقي في دلائل النبوة، وسبط ابن الجوزي في التذكرة [ص ٦] وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٣١٤] والحلي في سيرته [١: ٣٧٣] والدحلان في سيرته في هامش السيرة الحلبية [١: ٩٠] والبرزنجي في نجاة أبي طالب، كما في أسنى المطالب [ص ٣٥] وقال: أخرجه أيضاً أبو داود، وابن الجارود، وابن خزيمة، وقال: إنما ترك المشي في جنازته اتقاءً من شرّ سفهاء قريش، وعدم صلاته عليه لعدم مشروعية صلاة الجنازة حينئذ.

وعن الأسلمي وغيره: توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة لعاشرة من حين نبي رسول الله ﷺ. وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام، فحزن على رسول الله عليها وعلى عمّه حزناً شديداً، حتى سمّي ذلك العام عام الحزن.

راجع: طبقات ابن سعد [١: ١٠٦] والإمتاع للمقرئ [ص ٢٧] وتاريخ ابن كثير [٣: ١٣٤] والسيرة الحلبية [١: ٣٧٣] والسيرة النبوية لزيني دحلان في هامش السيرة الحلبية [١: ٢٩١] وأسنى المطالب [ص ١١].

الثاني: أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب، فقال: وصلتكم رحم جزاك الله خيراً يا عمّ.

أخرجه الخطيب في تاريخه [١٣: ١٩٦] وابن كثير في تاريخه [٣: ١٢٥] وسبط ابن الجوزي في تذكرته [ص ٦] وابن حجر في الإصابة [٤: ١١٦].

وقال اليعقوبي في تاريخه [٢: ٢٦]: لما قيل لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثم قال: يا عمّ، وصلتكم رحم، وجزيت خيراً.

لفت نظر

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن وفاة أبي طالب في رجب بعد خروجهم

من الشعب بسنة أشهر، ووافقه على ذلك الزرقاني، شرح المواهب [١ : ٢٩١] غير
ن وفاته في رمضان.

الثالث: عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، قال: قال العباس: يا رسول الله،
أترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجو من ربي.
أخرجه ابن سعد في الطبقات [١ : ١٠٦] بسند صحيح ورجاله كلهم ثقات،
ورجال الصحاح هم: عفان بن مسلم، وحماد بن سلمة، وثابت البنائي.
وأخرجه ابن عساكر كما في الخصائص الكبرى [١ : ٨٧] والفقيه الحنفي
لشيخ إبراهيم الدينوري في نهاية الطالب، كما في الطرائف [ص ٣٠٥] لابن
طاووس، وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٣١١] والسيوطي في كتابه التعظيم
والمنة [ص ٧].

الرابع: عن أنس بن مالك، قال: أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال:
يا رسول الله، لقد أتيناك وما لنا بغير يئط ولا صبي يصطح، ثم أنشأ:
أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل
فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى
عليه، ثم قال: اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سحاً طبقاً غير رايت، تنبت به الزرع، وتملا به
لضرع، وتحيي به الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون.

فما استتم الدعاء حتى التقت السماء بروقها، فجاء أهل البطالة يضحجون:
يا رسول الله الغرق، فقال: حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة
كالإكليل، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: لله در أبي طالب، لو كان
حيّاً لقرت عيناه، من الذي ينشدنا شعره؟ فقال علي كرم الله وجهه: يا رسول الله

كَأَنَّكَ أَرَدْتَ قَوْلَهُ:

وَأَبْيَضُ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ ثَمَّالُ الْيَتَامَى عَصْمَةُ لِلْأَرَامِلِ
قَالَ: أَجَلٌ، فَأَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا مِنَ الْقَصِيدَةِ وَرَسُولَ اللَّهِ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِي طَالِبٍ عَلَى
الْمَنْبَرِ.

الخامس: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ النَّهْجِ [٣: ٣١٦]: وَرَدَ فِي السَّيْرِ
وَالْمَغَازِي أَنَّ شَيْبَةَ، أَوْ عَتَبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ لَمَّا قَطَعَ رَجُلٌ أَبِي عُبَيْدَةَ بِنَ الْحَارِثِ بِنَ
الْمَطْلَبِ يَوْمَ بَدْرٍ، أَشْبَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ وَحُمَزَةٌ فَاسْتَنْقَذَاهُ مِنْهُ، وَخَبَطَا عَتَبَةَ بِسَيْفِهِمَا
حَتَّى قَتَلَاهُ، وَاحْتَمَلَا صَاحِبَهُمَا مِنَ الْمَعْرَكَةِ إِلَى الْعَرِيشِ، فَأَلْقِيَاهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ مَخَّ سَاقِيهِ لَيَسِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَوْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ حَيًّا لَعَلِمَ أَنََّّهُ قَدْ
صَدَقَ فِي قَوْلِهِ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَخْلِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعَنَ دُونَهُ وَنَنَاضِلُ
وَنَنْصُرُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ وَلِأَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ.

السادس: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا يَزِيدَ، إِنِّي
أَحَبُّكَ حَبِيبٌ: حَبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي، وَحَبًّا لِمَا كُنْتَ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي أَبِي طَالِبٍ
إِيَّاكَ.

أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ [٢: ٥٠٩] وَابْنُ الْبَغَوِيِّ، وَابْنُ الْطَبْرَانِيِّ، كَمَا فِي
ذَخَائِرِ الْعُقَبِيِّ [ص ٢٢٢] وَالدِّيارُ بَكْرِي فِي تَارِيخِ الْخَمِيسِ [١: ١٦٣] وَعَمَادُ الدِّينِ
يَحْيَى الْعَامِرِيُّ فِي بَهْجَةِ الْمُحَافِلِ [١: ٣٢٧] وَابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ النَّهْجِ
[٣: ٣١٢] وَقَالَ: اشْتَهَرَ وَاسْتَفَاضَ هَذَا الْحَدِيثُ. وَابْنُ الْهَيْثَمِيِّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ
[٩: ٢٧٣] وَقَالَ: رَجَالُهُ ثِقَاتٌ.

السابع: أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، قَالُوا: كَانَ أَبُو طَالِبٍ
يَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ حَبًّا شَدِيدًا لَا يَحِبُّ أَوْلَادَهُ مِثْلَهُ، وَيَقْدِّمُهُ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَلِذَا كَانَ لَا

ما ورد في فضل أبي طالب ٣٨٣

ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج.

ولمّا مات أبو طالب نالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتّى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً، فدخل صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: يا بنية لا تبكي، فإنّ الله مانع أباك، ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب.

وفي لفظ: ما زالت قريش كاعين - أي جنباء - حتّى مات أبو طالب.

وفي لفظ: ما زالت قريش كاعة حتّى مات أبو طالب.

راجع: تاريخ الطبري [٢: ٢٢٩] تاريخ ابن عساكر [١: ٢٨٤] المستدرک [٢:

٦٢٢] تاريخ ابن كثير [٣: ١٢٢ و ١٣٤] صفوة الصفوة لابن الجوزي [١: ٢١] الفائق

للزمخشري [٢: ٢١٣] تاريخ الخميس للديار بكرى [١: ٢٥٣] السيرة الحلبية

[١: ٣٧٥] فتح الباري لابن حجر [٧: ١٥٣] شرح شواهد المغني للسيوطي

[ص ١٣٦] نقله عن البيهقي، أسنى المطالب [ص ١١ و ص ٢١] طلبة الطالب

[ص ٤ و ص ٥٤].

الثامن: عن عبد الله، قال: لمّا نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم

مصرعون؛ قال لأبي بكر: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّ أسيافنا قد أخذت بالأماثل.

يعني: قول أبي طالب

كذبتم وبيت الله إن جدّ ما أرى لستلبسن أسيافنا بالأماثل

الأغاني [١٧: ٣٨] للأصفهاني، طلبة الطالب [ص ٣٨] نقلاً عن دلائل

الإعجاز.

فإن قلت: إنّ الحديث المذكور لم يتفرّد بروايته البخاري فقط، بل قد

أخرجه مسلم، الترمذي، وابن مردويه، وانتهى إسنادهم إلى كبار الصحابة، كابن

عبّاس، وابن عمر، وأبي هريرة، فماذا تقول؟

أقول وبالله التوفيق: أمّا النظر من جهة إطباقهم على أن نزول الآية في أبي طالب، فقد علمت ما أسلفنا ذكره، وإليك ما نظرنا فيه من السند الذي انتهى إلى كبار الصحابة كما قلت، فاعلم أولاً: أن تلك الروايات بمفردها كلّها مراسيل.

أما الرواية التي رواها أبو هريرة فهي ما أخرجها مسلم في صحيحه [١ : ٤٠ ط دار الفكر] والترمذي في صحيحه [٥ : ٣١٨ ط دار الفكر] وذلك أنه قال: لمّا حضرت وفاة أبي طالب، قال رسول الله ﷺ: يا عمّاه، قل: لا إله إلا الله، أشهد لك عند الله يوم القيامة، فقال: لولا أن تعيّرنني قريش يقولون: ما حمّله عليها إلا جزعه من الموت لأقررت بها عينيك، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

أقول: يا ليت شعري، أين كان أبو هريرة يوم وفاة أبي طالب؟ وهو ما أسلم ولا التقى بالنبي ﷺ إلا في سنة سبع عام خيبر؟ وأنّى له أن يروي هذه الرواية ويدري؟ وهو وقتئذ في بلده دوس - يمن - وذلك قبل عشر سنوات؛ لأنّ وفاة أبي طالب قبل الهجرة بثلاث، ودخول أبي هريرة في الإسلام بعد سبع من الهجرة الشريفة، وبأي صورة من الصور يبدو لنا حضوره في تلك الرزية العظيمة فنفهمها. وأمّا رواية ابن عباس التي أخرجها ابن مردويه وغيره، فمن طريق أبي سهل السري، الكذاب الوضّاع، وهو عن عبد القدوس أبي سعيد الدمشقي الكذاب أيضاً، وأمّا ابن عباس فإنّه يوم مات أبو طالب كان رضيعاً، لأنّ ميلاده كان في السنة التي توفي فيها أبو طالب، أترى أنّه كعيسى الذي يكلم الناس في المهد صبيّاً؟ وأمّا رواية ابن عمر، فمن طريق عبد القدوس، عن أبي سهل السري أيضاً، فكلاهما كما قد عرفت من الكذابين، وأمّا ابن عمر فإنّه كان إذ ذاك ابن سبع سنوات، أخذاً بما جزم ابن حجر في الإصابة [٢ : ٢٤٧] بأنّ ميلاده كان بعد المبعث بثلاث سنين.

وقال الواقدي فيما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب [٢ : ٣٤١]: إنّه كان يوم

بدر لم يحتلم، وكان في السنة الثانية من الهجرة، فاستصغره الرسول حين أراد أن يدخل في صفوف المجاهدين وردّه، فما للولد ولرزية أبي طالب؟ أيتصور لنا وقتئذ أن يطلق سراحه، فيدخل في ذلك المنتدى الرهيب؟ والمسجى العظيم القوم شيخ الأباطح، وطبيعي أن يكون الحاضرون وقتذاك مشيخة قريش ذوي القربى. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

ثم إننا لو فرضنا تنازلاً دخول الصغير في ذلك المنتدى العظيم مع من دخلوا من مشايخ قريش وعظمائها من قرابة أبي طالب، وسمع ما سمع من رفضه تلقين النبي ﷺ أو إباءته أن ينطق بكلمة التوحيد، التي رواها كبيراً، فهلا سمع غير ذلك من الوصية التي وصى بها بني أبيه؟ ما تعرب عن إيمانه بالنبي ﷺ.

وصية أبي طالب لبني أبيه

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى والنسائي في الخصائص الكبرى [١]:
[٨٧] والحلي في سيرته [١: ٣٧٢] وزيني دحلان في سيرته في هامش السيرة الحلبية [١: ٩٢ وص ٣٩٣] وفي أسنى المطالب [ص ١٠] للبرزنجي: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعابني عبدالمطلب، فقال: لن تزالوا بخير ماسمعتهم من محمد وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا.

ومن العجيب الغريب أن قوماً من الأقوام تمسكوا وأذعنوا لحديث الصغير ما يدل على موت عم الرسول الشفيق كافرًا، ولا يهتم ما رواه العقلاء الكبار من أهل ذلك البيت وقربى المتوفى، مما رواه العباس بن عبدالمطلب، كما قال ابن أبي الحديد في كتابه شرح النهج [٣: ٣١٢] ما يدل أن أبا طالب مات مؤمناً ومسلماً.
روى بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبدالمطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. والخبر مشهور أن أبا طالب قال عند الموت كلاماً خفياً، فأصغى إليه أخوه العباس.

وروى عن علي عليه السلام أنه قال: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله ﷺ من نفسه الرضا.

راجع: سيرة ابن هشام [٢ : ٧٢] ودلائل النبوة للبيهقي، وتاريخ ابن كثير [٢ : ١٢٣] وعيون الأثر [١ : ١٣١] لابن سيّد الناس والإصابة [٤ : ١١٦] لابن حجر، والمواهب اللدنيّة [١ : ٧١] للقسطلاني والسيرة الحلبيّة [١ : ٣٧٢] والسيرة الدحلانيّة في هامش الحلبيّة [١ : ٨٩] وأسنى المطالب [ص ٢٠].

قال السيّد أحمد زيني دحلان في سيرته [١ : ٩٤]: نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد، عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة: أنّ ذلك الحديث - أعني: حديث العباس - ثبت عند أهل بعض الكشف، وصحّ عندهم إسلامه.

استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ

أخرج ابن عساكر في تأريخه عن جلهمة بن عرفطة، قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب: أقحط الوادي، وأجذب العيال، فهلّم واستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنه سحابة قتماً وحوله أغيلمة، فاخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة - أي قطعة من السحاب - فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا، وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي والنادي، ففي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهالك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة ووزان صدق وزنه غير هائل

وذكره القسطلاني في إرشاد الساري [٢ : ٢٢٧] وفي كتابه المواهب اللدنيّة [١ : ٤٨] وفي الخصائص الكبرى [١ : ٨٦ و ١٢٤] وفي شرح بهجة المحافل

[١: ١١٩] والسيرة الحلبية [١: ١٢٥] والسيرة النبوية في هامش السيرة الحلبية [١: ٧٨] لزيني دحلان، وطلبة الطالب [ص ٤٢].

أبو طالب في مولد أمير المؤمنين علي عليه السلام

عن جابر بن عبد الله، قال: سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: لقد سألتني من خير مولود ولد في شبّه المسيح عليه السلام، إنّ الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري، وخلقني من نوره، وكلانا من نور واحد، ثم إنّ الله تبارك وتعالى نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية، فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي، فلم نزل كذلك، حتّى استودعني خير رحم وهي آمنه، واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد.

وكان في زماننا رجل عابد زاهد، يقال له: المبرم بن دعيب بن الشقبان، قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين، ولم يسأل الله حاجة، فبعث الله إليه أبا طالب، فلمّا أبصره المبرم قام إليه وقبّل رأسه وأجلسه بين يديه، ثمّ قال له: من أنت؟ فقال أبو طالب رجل من تهامة، فقال: من أيّ تهامة؟ فقال: من بني هاشم، فوثب العابد فقبّل رأسه، ثمّ قال: يا هذا إنّ عليّ الأعلى ألهمني إلهاماً. قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو وليّ الله عزّ وجلّ.

فلمّا كانت اللية التي ولد فيها علي، أشرقّت الارض، فخرج أبو طالب: وهو يقول: يأيّها الناس ولد في الكعبة وليّ الله، فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

ياربّ هذا الغسق الدجيّ والقمر المنبلج المضيّ
بيّن لنا من أمرك الخفيّ ماذا ترى في اسم ذا الصبيّ

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيّ خصصتم بالولد الزكيّ
إنّ اسمه من شامخ عليّ عليّ اشتقّ من عليّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب [ص ٢٦٠] وقال: تفرّد به مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الشافعي، وتفرّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد. وقال الأميني: وهو معروف عندنا.
أقول: فسيوافيك ذكر ميلاد علي عليه السلام فيما يلي بالتفصيل إن شاء الله.

قول أبي طالب لعلي: ألزم ابن عمك

ذكر ابن هشام في تاريخه [١: ٢٦٥] والطبري في تاريخه [٢: ٢١٤] والثعلبي في تفسيره، وابن حجر في الإصابة [٤: ١١٦] وفي أسنى المطالب [ص ١٠] وعيون الأثر [١: ٩٤] لابن سيّد الناس: أنّ أبا طالب قال لرسول الله ﷺ لمّا عثر عليه وهو يصلي مع علي مستخفياً في الفلوات: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال ﷺ: أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، وذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت، آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

وفي لفظ: عن علي أنّه لمّا أسلم قال له أبو طالب: ألزم ابن عمك

قول أبي طالب لجعفر: صل جناح ابن عمك

أخرج ابن الأثير: أنّ أبا طالب رأى النبي ﷺ وعليّاً يصلّيان، وعبيّ عليّ يمينه، فقال لجعفر عليه السلام صل جناح ابن عمك، وصل عن يساره، وكان إسلام جعفر بعد إسلام عليّ بقليل: وقال أبو طالب:

وكن مظهراً للدين وفقت صابراً	وصبراً أبا يعلى على دين أحمد
بصدق وعزم لا تكن حمز كافراً	وحط من أتى بالحق من عند ربّه
فكن لرسول الله في الله ناصراً	فقد سرّني إذ قلت إنك مؤمن

وبإد قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحراً
راجع: أسد الغابة [١ : ٢٨٧] وشرح النهج [٣ : ٣١٥] والإصابة [٤ : ١١٦]
والسيرة الحلبية [١ : ٢٨٦] وأسنى المطالب [ص ٦] وقال البرزنجي فيه: تواترت
الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبي ﷺ ويحوطه ويعينه على تبليغ دينه، ويصدقّه
فيما يقول، ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصرته.
وقال أيضاً في [ص ١٠]: هذه الأخبار كلها صريحة في أن قلبه طافح وممتلئ
بالإيمان بالنبي ﷺ وسلم. انتهى.

ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله:

إنّ عليّاً وجعفرأ ثقتي عند ملّم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأمتي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يسخذله من بني ذو حسب
هذه الأبيات الثلاث توجد في ديوان أبي طالب [ص ٣٦] وذكرها العسكري
في الأوائل، وذكرها أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٣١٤] وفيه: روي عن
علي قال: قال أبي: يا بني، الزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كلّ بأس عاجل
وآجل، ثم قال:

إنّ الوثيقة في لزوم محمّد فاشدد بصحبته عليّ يديكا
أقول: فكيف يسوغ لمسلم سليم القلب عاقل، منصف مستقيم الرأي
عادل، أن يتفوّه قائلأ بكفر نصير الإسلام أبي طالب؟ بحق العدل والإنصاف أقول:
إنّ في ذلك لآية لذي لب، وتمييزاً مشيراً إلى مصداق إيمانه المكتوم، كإيمان من
كان قبله من مؤمني آل فرعون عليه وعليهم السلام.

ولكن أصحاب الضغائن البدرية قد احتلوا في العصور الماضية السوداء،
مكاناً في الأمة عليّاً، فاقتضت السياسة الملكية حمل الكفاة على البحث عن
مساوي الإمام علي عليه السلام، فلمّا لم يجدوا شيئاً منها رجعوا على أبيه الكريم كما ترى.

أسلم الأقوال في سيّد الأبطح عليه السلام

لَمَّا تَضَرَّمت نار الخلاف بين الفريقين من المسلمين، في مسأله إيمان أبي طالب واشتدّ فيما بينهم تضارب الأقوال وتعارض الآراء، فمنهم من قال آمن، ومنهم من قال كفر، حتّى اختفت الحقيقة بسبب ذلك عن كثير من الناس، فأسلم القول في ذلك وآمن الطريق إلى النجاة والسلامة ما سلكه البرزنجي، كما قاله مفتي الشافعيّة بمكّة المكرّمة في كتاب أسنى المطالب [ص ٣٣] وإليك لفظه:

هذا المسلك الذي سلكه العلامة السيّد محمّد بن رسول البرزنجي في نجاته أبي طالب، لم يسبقه إليه أحد، فجزاه الله خير الجزاء، ومسلكه الذي سلكه يرتضيه كلّ من كان متّصفاً بالإنصاف من أهل الإيمان، لأنّه ليس فيه إبطال شيء من النصوص، ولا تضعيف لها.

وغاية ما فيه أنّه حملها على معان مستحسنة، يزول بها الإشكال ويرتفع الجدل، ويحصل بذلك قرّة عين النبي صلى الله عليه وآله والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب، فإنّ ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحزاب: ٥٨] انتهى.

وإنّي لأرى يقيناً أنّ المستقيم النابه اللبيب، والمنصف البصير الأريب، لن يشكّ في أنّ المقطوع بالصحة هو ما كان عليه الأئمة من أهل البيت، فإنّهم طبعياً أعلم بما فيه من غيرهم، وأبصر الناس بحال أبيهم، وإليك ما نقل إلينا من كلماتهم في حقّ شيخ الأبطح:

كلمة الإمام السجّاد علي زين العابدين عليه السلام

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٣١٢]: روي أنّ علي بن الحسين عليهما السلام

كلمات الائمة في ايمان أبي طالب ٣٩١

سئل عن هذا - يعني عن إيمان أبي طالب - فقال: واعجباً!! إنَّ الله تعالى نهى أن تقرَّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتّى مات.

كلمة الإمام الباقر عليه السلام

وفي المصدر المذكور [٣: ٣١١]: سئل عليه السلام عمّا يقوله الناس أنّ أبا طالب في ضحضاح من النار، فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمان أبي طالب، ثمّ قال: ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبدالله وابنه وأبي طالب في حياته، ثمّ أوصى في وصيّته بالحجّ عنهم.

كلمة الإمام الصادق عليه السلام

وفي نفس المصدر [٣: ٣١٢]: روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فاتّاهم الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك، فاتّاه الله أجره مرّتين. وفي لفظ: وما أخرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة.

كلمة الإمام علي الرضا عليه السلام

كتب أبان بن محمود إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك، إني قد شككت في إيمان أبي طالب. فكتب إليه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [النساء: ١١٥] ثمّ قال: إنك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار. الغدير [٧: ٣٨١].

الكلم الطيب

فقد أخرج تمام الرازي في فوائده، بإسناد عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية.

وأخرجه أبو نعيم وغيره، كما في ذخائر العقبى [ص ٧] للطبري، وفي الدرج المنيفة [ص ٧] وفي مسالك الحنفاء [ص ٩٤] كلاهما للسيوطي، وصرح فيه بأن الأخ من الرضاعة، والطرق عدة يشد بعضها بعضاً. انتهى. فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه، وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه.

وفي تاريخ اليعقوبي [٢: ٢٦]: روي عنه ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل وعدني في أربعة: في أبي، وأمي، وعمي، وأخ لي كان في الجاهلية.

وأخرج ابن الجوزي بإسناده عن علي مرفوعاً: هبط جبريل ﷺ علي، فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فآمنة، وأما الحجر فعمه يعني أبا طالب، وفاطمة بنت أسد. راجع التعظيم والمنة للسيوطي [ص ٢٥].

وذكر سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص [ص ٦]: أن علياً ﷺ قال في رثاء والده:

أبا طالب عصمة المستجير وغوث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٣: ٣١١] قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل: إن الله مشفعك في ستة: بطن حملك، آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك، عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك، أبي طالب وفاطمة بنت أسد. وبیت آواك، عبد المطلب. وأخ لك في الجاهلية.

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي، المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى بـ «شهاب الأخبار» للعلامة القضاعي المتوفى سنة (٤٥٤ هـ): إن بغض أبي طالب كفر.

ونص على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على كتاب الشفاء، فقال عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر - يعني أبا طالب - إلا بحماية النبي ﷺ؛ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي ﷺ، ومؤذي النبي كافر، والكافر يقتل.

وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر.

قال الأميني: ولقد أجاد مفتي الشافعية بمكة المكرمة في كتابه أسنى المطالب حيث قال في [ص ٣٣]: إن كثيراً من العلماء والمحققين، وكثيراً من الأولياء العارفين، أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب، منهم: القرطبي، والسبكي، والشعراني، وخلائق كثيرون، وقالوا: هذا الذي نعتقده وندين الله به، وإن كان ثبت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي، فقد اتفق معهم في القول في نجاته، فقول هؤلاء الأئمة أسلم للعبد عند الله تعالى، لاسيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين، التي أثبتتها العلامة البرزنجي. انتهى.

وأما شيعة أهل البيت ﷺ، فلا يشك أحد منهم في إيمان أبي طالب، ويرونه في أسمى مراقبه، وعلى صهوته العليا، آخذين ذلك يداً عن يداً، حتى ينتهي الدور إلى الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أئمتهم ﷺ، بعد ما ثبت عن جدّهم الأقدس رسول الله ﷺ، منهم:

المعلم الأكبر الشيخ المفيد

قال في أوائل المقالات [ص ٤٥]: اتفقت الإمامية على أن رسول الله ﷺ من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله موحدون - إلى أن قال - وأجمعوا على أن أبا

طالب مات مؤمناً، وأنّ آمنة بنت وهب كانت على التوحيد. إلى آخر كلامه.

شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي

قال في التبيان [٣٩٨ : ٧]: عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام: أنّ أبا طالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإماميّة، لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم.

الإمام الطبرسي صاحب التفسير

قال في تفسيره مجمع البيان [٢٨٧ : ٢]: قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة؛ لأنّهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي ﷺ بالتمسك بهما، بقوله: ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا.

السيد ابن معدّ الفخار

قال في كتابه الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب [ص ١٣]: يكفي من الاستدلال على إيمان أبي طالب، إجماع أهل بيت رسول الله ﷺ وعلماء تبعته على إسلامه، واتّفاقهم على إيمانه، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلاّ المؤمنون، والأقوال التي لا يقولها إلاّ المسلمون، ما يشهد له بصحّة الإسلام وتحقيق الإيمان، إذ كان إجماعهم حجة يعتمد عليها، ودلالة يصمد إليها.

الشيخ الفتال

قال في كتابه روضة الواعظين [ص ١٢٠]: اعلم أن الطائفة المحقّة قد أجمعت على أنّ أبا طالب وعبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب كانوا مؤمنين، وإجماعهم حجة.

السيد الحجة ابن طاووس

قال في كتابه الطرائف [ص ٢٩٨]: إني وجدت علماء العترة مجتمعين على إيمان أبي طالب.

وقال في [ص ٣٠٦ - ٣٠٧]: لا ريب أن العترة أعرف بباطن أبي طالب من الأجانب، وشيعة أهل البيت مجتمعون على ذلك، ولهم فيه مصنفات، وما رأينا وما سمعنا أن مسلماً أحوجه ما أحوجهم في إيمان أبي طالب، والذي نعرفه منه أنهم يشبتون إيمان الكافر بأدنى خبر واحد وبالتلويح، وقد بلغت عداوتهم لبني هاشم، إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب، إن هذا من جملة العجائب.

الإمام ابن أبي الحديد المعتزلي

قال في شرح النهج [٣: ٣١١]: اختلف الناس في إيمان أبي طالب، فقالت الإمامية، وأكثر الزيدية: ما مات إلا مسلماً، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم: الشيخ أبو القاسم البلخي، وأبو جعفر الاسكافي وغيرهما.

الشيخ العلامة المجلسي

قال في كتابه البحار [٣٥: ١٣٨]: قد أجمعت الشيعة على إسلام أبي طالب، وأنه قد آمن بالنبي ﷺ في أول الأمر، ولم يعبد صنماً قط، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام - إلى أن قال - وتواترت الأخبار من طريق الخاصة والعامة في ذلك، وصنف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً في ذلك، كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال. انتهى.

ومستند هذه الإجماعات إنما هو ما جابه رجالات بيت الوحي في سيد الأبطح، وإليك عدة من الأحاديث الواردة عنهم ما اقتطفناه من الغدير للأميني

الحديث الأول

أخرج الشيخ الفتال أبو علي وغيره، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا محمد، إن ربك يُقرئك السلام ويقول: إني قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. فالصلب صلب أبيه عبد الله، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية: فاطمة بنت أسد.

وفي رواية الرازي أبي الفتوح المفسر الكبير في تفسيره [٤ : ٢١٠] بلفظ: إن الله عز وجل حرّم على النار صلباً أنزلك، وبطناً حملك، وثدياً أرضعك، وحجراً كفلك.

راجع: روضة الواعظين [ص ١٢١] والكافي لثقة الإسلام الكليني [١ : ٤٤٦] ومعاني الأخبار للصدوق [ص ١٧٩] والحجة للسيد فخار بن معد [ص ٨].

الحديث الثاني

روى الشيخ المعلم الأكبر المفيد بإسناد يرفعه، قال: لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذنه بموته، فتوجّع توجّعاً عظيماً، وحزن حزناً شديداً، ثم قال لأmir المؤمنين: امض يا علي فتولّ أمره، وتولّ غسله وتحنيطه وتكفينه، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني، ففعل ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرّق وتحزّن، وقال: وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عمّ، فلقد ربّيت وكفّلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً، ثم أقبل على الناس وقال: أما والله لأشفعنّ لعمّي شفاعاً يعجب بها أهل الثقلين.

وفي لفظ شيخنا الصدوق: يا عمّ كفّلت يتيماً، وربّيت صغيراً، ونصرت

النصوص الدالة على ايمان أبي طالب ٣٩٧

كبيراً، فجزاك الله عني خيراً.

راجع: تفسير علي بن إبراهيم [ص ٣٥٥] والأُمالي لابن بابويه الصدوق [ص ٣٦٢] والفصول المختارة لسيدنا الشريف المرتضى [ص ٢٨٢ ط المؤتمر] والحجة [ص ٦٧] وبحار الأنوار [٣٥: ٦٨] والدرجات الرفيعة لسيدنا الشيرازي [ص ٦١ - ٦٢] وضياء العالمين للفتوني.

الحديث الثالث

روى السيد فخار بن معد في كتاب الحجّة [ص ٨] عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: هبط عليّ جبرئيل، فقال لي: يا محمد، إنّ الله عزّ وجلّ مشفعك في ستّة: بطن حملتك أمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ لك في الجاهليّة، وثدي أرضعك حليلة بنت أبي ذؤيب.

الحديث الرابع

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنّه سأل رسول الله ﷺ، فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: كلّ الخير أرجو من ربّي عزّ وجلّ. كتاب الحجّة [ص ١٥] والدرجات الرفيعة [ص ٤٩].

الحديث الخامس

عن رسول الله ﷺ قال: لو قمت مقام المحمود، لشفّعت في أبي وأمي وعمّي وأخ لي مؤاخياً في الجاهليّة. راجع: تفسير علي بن إبراهيم [٢: ٢٥ و ١٤٢ ط النجف] وتفسير البرهان [٣: ٢٣٠ ط اسماعيليان].

الحديث السادس

عن رسول الله ﷺ أنه قال لعقيل بن أبي طالب: إني أحببك يا عقيل حُبِّين: حُبًّا لك، وحُبًّا لأبي طالب، لأنَّه كان يحبك. علل الشرائع [ص ١٣٤] لشيخنا الصدوق. وكتاب الحجَّة [ص ٣٤] وبحار الأنوار [٣٥ : ٧٥].

الحديث السابع

عن الامام السبط الحسين بن علي، عن والده أمير المؤمنين: أنَّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار؟ فقال له: مه!! فضَّ الله فاك. والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً، لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفَّعه الله، أأبي في النار وابنه قسيم الجنَّة والنار؟ والذي بعث محمّداً بالحقّ، إنَّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلَّا خمسة أنوار: نور محمّد، ونور فاطمة، ونور لحسن والحسين، ونور ولده من الأئمَّة، إلَّا أن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.

راجع: المناقب المائة للشيخ أبي الحسن بن شاذان محمد بن أحمد القمي أحد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي [ص ١٧٤] وأمالي ابن الشيخ [١ : ٣٣١ و ٢ : ٣١٢] وتفسير أبي الفتوح [٤ : ٢١١] وتفسير البرهان [٣ : ٢٣١ ط اسما عيليان] وبحار الأنوار [٣٥ : ١٧٥] واحتجاج الطبرسي [١ : ٣٤٠] وكتاب الحجَّة [ص ٧٢] وضياء العالمين للفتوني.

الحديث الثامن

عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: واللَّه ما عبد أبي ولا جدِّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال:

النصوص الدالة على ايمان أبي طالب ٣٩٩

كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به. رواه الشيخ الصدوق بإسناده في إكمال الدين [ص ١٧٤ - ١٧٥] والشيخ أبو الفتوح في تفسيره [٤: ٢١٠] والسيد في تفسيره البرهان [٣: ٢٣٢ ح ١٥].

الحديث التاسع

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: قال علي عليه السلام: إنّ أبي حين حضره الموت شهدته رسول الله، فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها. رواه السيد فخر في كتاب الحجّة [ص ٢٣] وذكره الفتوني في ضياء العالمين.

الحديث العاشر

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا. وكتاب الحجّة [ص ٢٣] والدرجات الرفيعة [ص ٤٩] وضياء العالمين.

الحديث الحادي عشر

عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنّه قال: كان والله أبو طالب بن عبدالمطلب مؤمناً مسلماً، يكتُم إيمانه مخافة أن تنابذها قريش. الحجّة [ص ٢٤].

الحديث الثاني عشر

حدّث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين [ص ١٧٤] بالإسناد عن محمّد بن مروان، عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرّ الإيمان، فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزّ وجلّ إلى رسوله: اخرج منها - أي مكّة - فليس لك بها ناصر، فهاجر إلى المدينة. الفصول المختارة لسيدنا الشريف المرتضى [ص

٢٨٢ - ٢٨٣ ط المؤتمر] وقال: هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله ﷺ وتقوية أمره.

الحديث الثالث عشر

روى الشريف الحجّة ابن معد في كتاب الحجّة [ص ٢٢] من طريق شيخنا أبي جعفر الصدوق، عن داود الرقي، قال: دخلت على أبي عبد الله جعفر لصادق ولي على رجل دين، وقد خفت نواة، فشكوت ذلك إليه فقال ﷺ: إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ عنه ركعتين. وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً، وصلّ ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وعن فاطمة بنت اسد طوافاً وصلّ ركعتين، ثم ادع الله أن يرزّ عليك مالك، قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول: يا داود جئني هناك فاقض حقك.

الحديث الرابع عشر

عن يونس بن نباته، عن الإمام الصادق ﷺ، قال: يا يونس، ما يقول الناس في أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلى منها أم رأسه، فقال: كذب أعداء الله، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

راجع: كنز الفوائد للكراچكي [ص ٨٠] وكتاب الحجّة [ص ١٧] وضياء العالمين للفتوني، والتعظيم والمنّة [ص ٧].

إلى غير ذلك ممّا شحنت بها كتبهم ومدوناتهم ما مستندها إلى أهل بيت النبوة ومنبع الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين.

القول الفصل في هذا المقام

وقصارى القول لو أننا سلّمنا جدلاً، فوافقناهم قولاً، وماشيناهم تنازلاً، فجحّدنا جميع ما ورد عن أبي طالب تغافلاً، مع غُضّ النظر عمّا كان من أعماله المبرورة، وأفعاله المشكورة تجاهلاً. وعلى تقدير صحّة رواية البخاري تأوّلًا، فهلاًّ نعمد إلى ما ثبت من إجماع أئمّة أهل البيت على أنّه مات مسلماً؟ لأنّه كما قد عرفنا أنّهم أحد الثقلين اللذين أمرنا الرسول ووصانا بالتمسّك بهما، وأنّهما لن يدخلنا إلى باب ضلالة، كما صرّح به الصادق الأمين بقوله: ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي.

بلى، ولكن لما بلغ ببعضهم التعصّب على بني هاشم كلّ مبلغ، فكانوا كما قد علمت ورأيت، بل قد كان بعضهم من لم يطب لهم قلباً، ولم يقر عيناً ما لم يصيحوا على الملاء بحديث الضحّضاح، الذي لا يجدي لجهلاء الأئمّة وبسطائهم بسماعه ومعرفته نفعاً ولا رشداً.

ومنهم من بلغ بهم التعصّب لمحبيهم، حتّى جاوزوا أقصى حدّ الواقع، ومستوى الحقيقة، فأوردوا في مقابلة حديث الضحّضاح حديث إسلام أبي قحافة، أو فضائل رئيس الأحزاب، وقابض راية المشركين في كلّ مزحف ومشهد إبن صخر بعل آكلة الأكباد، كما أخرجه مسلم في صحيحه [٢ : ٤٠٠ ط بندوغ] وغير ذلك من الأحاديث التي لم تثبت صحّتها، انقياداً إلى ما أوحى إليهم باعثة الأهواء وداعية العاطفة الناشئة من

وإليك المبحث في صحيح الضحّضاح، وحديث إسلام أبي قحافة:

ثَمَرَةُ الإِسْتِيضاح عَنْ أُسْنادِ حَدِيثِ الضَّحَضَّاح

لقد دار كثيراً بين العوام حديث الضحّضاح، لكثرة من صاح به من المبلّغين بعبارات مختلفة وألسنة فصاح، فظلوا ينفثون في الأذان من أعلى المنابر بكلّ

ارتياح.

فيا عجباً بإيرادهم الحديث المذكور، أعن جهل بقدر من يكفل النبي ﷺ صغيراً ويكل ما استطاع يحميه، أم لبغض تركز في قلبه لأهل بيت تربي فيه الرسول يتيماً وإليهم الله يؤيه؟

فهل نشأ ﷺ إلا بين أحضانهم محفوظاً منصوراً، وهل نبتت دوحة الإسلام إلا في ساحتهم وبعنايتهم ورعايتهم أزهرت زهوراً؟ أليسوا من أعظم الناس للمصطفى رعاية ووقاية وإيواء؟ وأقواهم عن المختار دفاعاً وأشدّهم في حمايته عناء، وأحسنهم في نصرة دينه بلاء؟

كما نطقت بذلك الكتب والدفاتر، وشهدت على ذلك الأخبار المتواترة، فيما قاساه أهل ذلك البيت وبنو هاشم من هول الحصر، وغوائل الضغط، والتضييق بضع سنوات، وغير ذلك ممّا كابدوه من الإحن والمحن والمعضلات.

فأيّ بلاء إذن في الإسلام وقبله أعظم من بلائهم؟ وأيّ نصرة في الإسلام وقبله أجلّ من نصرتهم وإيوائهم؟ ألم يكن لهم نصيب من قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] ولقد أجاد والله من قال:

لولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جسّ الحماما

وممّا يزيدنا أسفاً على أسف، سكوت من يدّعي العلم أمام العامة ناصحاً وواعظاً، وتلهي عمّن صاح بذلك الحديث، وهو إليه مصغٍ وبعينه ملاحظ.

فياليت من يخبرنا أسكوته عنه حذراً ممّن سيكيده ظلماً؟ أم عن جهل بما في مصطلح الحديث، حتّى صار صمّاً وبكماً؟ فما عساه أن يكون فيمن يقال له: فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم وليس المراد بما قلناه أن ينكر حديثاً من الأحاديث النبويّة، فإنّ ذلك ممّا لا

استيضاح عن أسناد حديث الضحضاح ٤٠٣

يقوله مسلم أبدأ، بل أن لا يتعمى ساكتاً عن الجريء المتسارع في التحدث بحديث ما، قبل أن يفحصه لفظاً ومعنى ودلالة وسنداً، وذهب مسترسلاً في حديثه ولم يلفت جانباً من الإهتمام أو الاعتبار بقول بعضهم: إنما آفة الأخبار من روايتها.

ثم أنه لما كان في سند الحديث المشار إليه رجال مطعونون، كما نصّ على ذلك بعض أئمة الحديث، وقالوا فيهم ما قالوا، فلا حرج علينا إذن أن نتوقف في القطع بالحكم على صحته، وإن قد أخرجه البخاري في صحيحه.

ومع ذلك إن الاعتماد على جميع ما في صحيحه، والاعتقاد بصحة ما فيه، لم يقل أحد من العلماء المتقدمين والمتأخرين بوجوبه، بل انتقده عدّة من أعلام العلماء، وحفظة السنن، مع وقوفهم أمامه موقف خضوع وتعظيم وتسليم، كما ذكر ذلك المؤرّخ البحاّث الكبير الأستاذ أسد حيدر في كتابه الإمام جعفر والمذاهب الأربعة من جزئه الأوّل. فمنهم:

١ - الذهبي، قال في ذكره لبعض الأحاديث: لولا هيبة الصحيح لقلت: إنها موضوعة. نقلاً عن تهذيب التهذيب [٨: ١٤٦].

٢ - ابن حزم، فإنه قد ذهب إلى تكذيب حديثه. تهذيب التهذيب [٨: ١٤٦] لابن حجر.

٣ - جمال الدين الحنفي، قال: من نظر في البخاري تزندق. شذرات الذهب [٧: ٤٠].

٤ - المؤلف، قال: إن كتاب البخاري لا يخلو من أحاديث لا تتصف بالصحة، كما لا يخلو من أحاديث عليها علامة الوضع، وأحاديث لا يمكن القول بصحتها لأمر.

وقال مؤكداً: وقد انتقده الحفاظ في بعض أحاديثه التي انفرد بتخريجها، حتّى بلغت [٧٨] حديثاً. وأمّا ما اتّفق هو ومسلم، فقد بلغ عددها [١١٠] حديث.

مفتاح السنّة للخولي.

وقال أيضاً: لقد ضعّف الحفاظ من رجال البخاري، بلغ عددهم نحو الثمانين؛ لكونهم غير ثقات. قواعد التحديث للقاسمي [ص ٢٥٠] انتهى.

٥ - السيوطي قال في رسائله [ص ١١٠ ط المدني] بعد أن ساق حديثه في المتعصّبين للصحيحين: المقصود من سياق هذا كلّ، أنّه ليس كلّ حديث يقال بمقتضاه؛ لوجود المعارض له.

وقال أيضاً في نفس المصدر [ص ١١٥]: وقد وصفت أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكورة.

٦ - العلامة المتفنّن الحبيب أبو بكر بن شهاب الدين العلوي، فإنّه قد أشار إلى ذلك بشعره في ديوانه [ص ٨٧ ط بوقور جاوا]:

قضية أشسبه بالمرزئه	هذا البخاري امام الفئه
بالصادق الصديق ما احتجّ في	صحيحه واحتجّ بالمرجئه
ومثل عمران بن حطان أو	مروان وابن المرأة المخطئه
مشكلة ذات عوار إلى	حيرة أرباب النهي ملجئه
وحقّ بيت بين يّمّمته الوري	مغذّة في السير أو مبطئه
إنّ الإمام الصادق المجتبى	بسفّضله الآي أتت منبئه
أجل مَن في عصره رتبة	لم يقترف في عمره سيئه
قلامه من ظفر ابهامه	تعدل من مثل البخاري مائه

فلنعد الآن إلى ما نحن بصددّه، وهو حديث الضحّاح، الذي رواه البخاري في صحيحه [٤: ٢٤٧ ط دار الفكر] باب قصّة أبي طالب:

الرواية الأولى

عن العباس بن عبدالمطلب أنّه قال لرسول الله ﷺ: ما أغنيت عن عمّك، فإنّه

يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.

نقول: لو أمعن الناظر نظره في سلسلة هذه الرواية لوجد فيها: سفيان الثوري، وعبد الملك بن عمير قاضي الكوفة.

أمّا سفيان، فإنه مطعون عند أهل السنة؛ لأنه كان مدلساً، ويروي عن الكذابين، كما أقرّ بذلك الذهبي في ميزان الاعتدال [٢: ١٦٩ ط دار المعرفة].

وأمّا عبد الملك، فقد ضعفه الإمام أحمد، وقال: إنه يغلط. وقال ابن معين: مخلط. وقال أبو حاتم: ليس بحافظ. وقال الذهبي: طال عمره وساء حفظه. راجع ميزان الاعتدال [٢: ٦٦٠ ط دار المعرفة].

الرواية الثانية

عن أبي سعيد الخدري: أنه عليه السلام ذكر عنده عمّه أبو طالب، فقال: لعله تناله شفاعتي، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منها دماغه.

نقول: إنّ في سلسلة هذه الرواية: عبد الله بن يوسف، وهو يروي عن الليث بن سعد عن يزيد بن عبد الله الهادي. والرجال الثلاثة لا قدر لهم عند أهل السنة. وفي نفس السلسلة: عبدالعزيز الدراوردي، قال الإمام أحمد: إذا حدث من حفظه يتهم ليس بشيء، وقال: إذا حدث من حفظه جاء ببواطيل. قال أبو حاتم: لا يحتجّ به. قال أبو زرعة: سيئ الحفظ. راجع: ميزان الاعتدال [٢: ٦٣٣ - ٦٣٤ ط دار المعرفة].

ولعلّ الصائح بهذا الحديث ممّن علم شيئاً ويغترّ به وغابت عنه أشياء، ليته يطلع على قول أبي طالب لرسول الله عليه السلام فيما رواه المفسّرون وأعظم العلماء في كتبهم، فيتأمله ليكون له عبرة تدرأه من التهجّم على عمّ النبي عليه السلام تهجّم الجموح.

قال أبو طالب متصدّياً لأعداء الرسالة، أميناً على ابن أخيه ﷺ، ومحرضاً على أن يصدع بما أمر به.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
ولقد علمت بأن دين محمد
حتى أوسد في التراب دفينا
وابشر بذاك وقر منك عيونا
ولقد دعوت وكنت ثمّ أمينا
من خير أديان البرية دينا
ذكر هذه الأبيات:

١ - الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان [مخطوط].

٢ - البغدادي في خزانة الأدب [١ : ٢٦١].

٣ - ابن كثير في البداية والنهاية [٢ : ٤٢].

٤ - ابن حجر في الإصابة [٤ : ١١٦].

٥ - القسطلاني في المواهب [١ : ٦١].

٦ - الحلبي في سيرته [١ : ٣٠٥].

٧ - الدحلان في سيرته في هامش السيرة الحلبيّة [١ : ٩١ و ٢١١].

٨ - ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣ : ٣٠٦].

٩ - الزمخشري في تفسيره الكشاف [٢ : ٢١ ط طهران].

١٠ - كتاب محمد رسول الله [منشورات دار التوحيد].

ومن شعره ما أخرجه الحاكم في المستدرک [٢ : ٦٢٣]:

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً
أتانا بهدي مثلما أتيا به
وإنّكم تتلونّه في كتابكم
وإنّك ما تأتيك منها عصابة
وزير لموسى والمسيح بن مريم
فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم
بصدق حديث لا حديث المبرجم
بفضلك إلّا أرجعوا بالتكرّم

ومن شعره ما ذكر في شرح النهج [٣ : ٣١٣] وفي ديوان أبي طالب [ص ٣٢]:

زعمتم بأننا مسلمون محمّداً
من القوم مفضال أبي على العدا
أمين حبيب في العباد مسوّم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه
ومن شعره كما في المصدرين قوله:

فيا لبني فهر أفيقوا ولم تقم
على ما مضى من بغيكم وعقوقكم
وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى
ومن شعره ما روى ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٣١٣] حين غضب
لعثمان بن مظعون لما عدّته قريش:

أمن تذكّر دهر غير مأمون
أم من تذكّر أقوام ذوي سفه
ألا ترون أذلّ الله جمعكم
ونمنع الضيم من يبغي مضيمنا
حتّى تقرّ رجال لا حلوم لها
أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب

ومن شعره ما يمدح به النبيّ ﷺ ما أخرجه البخاري في تاريخه الصغير
من طريق علي بن زيد، وأبو نعيم في دلائله [١: ٦] وابن عساكر في تاريخه [١]:
[٢٧٥] وابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٣١٥] وابن كثير في تاريخه [١: ٢٦٦]
وابن حجر في الإصابة [٤: ١١٥] والقسطلاني في المواهب اللدنيّة [١: ٥١٨]
والدياربكري في تاريخ الخميس [١: ٢٥٤]:

لقد أكرم الله النبيّ محمّداً
فأكرم خلق الله في الناس أحمد

ولمّا نقاذف دونه ونزاحم
تمكّن في الفرعين من آل هاشم
بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
وما جاهل في قومه مثل عالم
ومن قال لا يفرع بها سنّ نادم

نوائح قتلى تدّعي بالتسّدّم
وغشيانكم في أمرنا كلّ مائم
وأمر أتى من عند ذي العرش قيّم

أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
بكلّ مطرد في الكفّ مسنون
بعد الصعوبة بالأسماح واللين
على نبيّ كموسى أو كذي النون

وشقّ له من إسمه ليَجْلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

ومن شعره المشهور، كما قاله ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٣١٥]:

أنت النبيّ محمّد

قرم أغرّ مسود

لمسودين أكرام

طابوا وطاب المولد

إلى أن قال:

وبسنو أبيك كأنهم

أسد العرين توقدوا

ولقد عهدتك صادقاً

في القول لا تزيد

مازلت تنطق بالصوا

ب وأنت طفل أمرد

ومن شعره حين أراد أبو جهل أن يرمي رسول الله ﷺ وهو في الصلاة ساجداً، فالتصقت الحجرة بكفّه، فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا

عن الغي من بعض ذا المنطق

والأفاني إذن خائف

بوائق في داركم تستقي

تكون لغيركم عبرة

وربّ المغارب والمشرق

كما نال من لان من قبلكم

ثمود وعاد وماذا بقي

غداة أتاهم بها صرصر

وناقة ذي العرش قد تستقي

فحلّ عليهم بها سخطه

من الله في ضربة الأزرق

غداة يعض بعرقوبها

حساماً من الهند ذا رونق

وأعجب من ذاك في أمركم

عجائب في الحجر المصق

بكفّ الذي قام من خبثه

إلى الصادق الصابر المتقي

فأثبته الله في كفّه

على رغمه الجائر الأحق

أحيمق مخزومكم إذ غوى

لغبي الغواة ولم يصدق

ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج [٣: ٣١٤] وأبو هفان العبيدي في ديوان

أبي طالب [ص ١٣] وفي نفس المصدر الأول أيضاً، قال ابن أبي الحديد: قد اشتهر

عن عبد الله المأمون، أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالاً كسمع البروق
أذب وأحامي رسول الإله حماية حام عليه شفيق
وقال أيضاً كما في نفس المصدر [٣: ٣١٥]: ومن شعره المشهور أيضاً قوله
يخاطب محمداً، ويسكن جأشه، ويأمره بإظهار الدعوة:

لا يَمْنَعُكَ مِنْ حَقِّ تَقُومَ بِهِ أَيْدِ تَصُولَ وَلَا سَلْقَ بِأَصْوَاتِ
فَإِنَّ كَفَّكَ كَفِّي إِنْ مَلَيْتَ بِهِمْ وَدُونَ نَفْسِكَ نَفْسِي فِي الْمَلَمَّاتِ
قال ابن هشام في سيرته [١: ٢٨٦-٢٩٨]: لما خشي أبو طالب دهماء العرب
أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ بها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها
أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول
الله ﷺ ولا تاركه بشيء أبداً، فقال:

خَلِيلِي مَا أَذْنِي لِأَوَّلِ عَاذِلِ بَصْغَوَاءَ فِي حَقِّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلِ
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْقَوْمَ لَا وَدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعَرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعِدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظَنَّةَ يَعْضُونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ
صَبِرْتَ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةً وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
ومن شعره:

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنِ عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مَلَحٍّ بِبَاطِلِ
وَمَنْ كَاشَحَ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ وَمَنْ مَلَحَقَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نَحَاوِلِ
وَتُورٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقَ لِيَرْقِي فِي حَرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَبِالْحَجَرِ الْمَسْوُودِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ وَنَظْعُنْ إِلَّا أَمْرَكُمْ فِي بِلَابِلِ

كذبتهم وبیت الله نخلي محمّداً
ونسلمه حتّى نصرع حوله
إلى أن قال:

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
فأصبح فينا أحمد في أرومة
فديت بنفسي دونه وحميته
فأيّده ربّ العباد بنصره
وأحبّته حبّ الحبيب المواصل
وزيناً لمن والاه ربّ المشاكل
تقصّر عنه سورة المتناول
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
وأظهر ديناً حقّه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته [١: ٢٨٦ - ٢٩٨] ٩٤ بيتاً. وذكر
ابن كثير في تأريخه [٣: ٥٣] ٩٢ بيتاً. وذكر أبو هفان العبدى في ديوان أبي طالب
[ص ٢ - ١٢] ١١١ بيتاً، ولعلّها تمام القصيدة.

قال القسطلاني في إرشاد الساري [٢: ٢٢٧]: قصيدة جليّة بليغة من بحر
الطويل وعدّة أبياتها [١١٠] أبيات، قالها لمّا تملاً قريش على النبي ﷺ ونفر عنه
من لا يريد الإسلام.

وذكر منها في المواهب اللدنيّة [١: ٤٨] أكثر من ثمانين بيتاً.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج [٢: ٣١٥] بعد ذكر جملة من شعر أبي
طالب: فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، لأنّه إن لم يكن أحادها
متواترة، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمّد ﷺ
ومجموعها متواتر الى آخر كلامه.

وذكر الألوسي عدّة منها في بلوغ الأرب [١: ٢٣٧] وقال العيني في عمدة
القارئ [٣: ٤٣٤]: قصيدة طنّانة، وهي مائة بيت وعشرة أبيات، وقال: وهي مذكورة
مع شرحها في لبّ لباب لسان العرب.

قال ابن التين: إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف نبوّة

النبي ﷺ قبل أن يبعث، لما أخبر به بحيرا وغيره من شأنه. وابن التين هو: الإمام عبد الواحد السفاقسي، المذكور في إرشاد الساري. وذكر منها السيد زيني دحلان في السيرة النبوية [هامش السيرة الحلبية ١ : ٨٨] وذكر فيه قول ابن التين المذكور. قال ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن [٢ : ٦٥] عند قوله تعالى ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]: إِنَّ أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت، يكشف فيها من يكشف النبي ﷺ ويصح نبوته، ثم ذكر جملة ضافية منها:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة	ابني علياً وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته	وجعفرأ أن تذودوا دونه الناسا
كونوا فداء لكم أمي وما ولدت	في نصر أحمد دون الناس أتراسا

أقول: وهل بعد هذه العقود الذهبية، والكلمات المنضدة الدرّية، أدنى شك في إسلام صاحبها؟ كلا، إنّ ذلك لمن المستبعد جداً عند من كان الإنصاف والرأي الرشيد دأبه، والصدق والعدل والقول السديد مأربه، والحقّ والحقيقة جهته ومطلبه، لأنّ تلك العبارات الرائقة، المنبعثة من الشعور العميق، قد صارت له دليلاً ساطعاً كالنار على المنار، والشمس في رابعة النهار؛ إذ تلك الأخبار والآثار لو وردت في أيّ أحد من الناس، وتلك الأشعار لو وجدت في شعر أحد من الشعراء، لأصفق الكلّ على أنّها معربة عن إيمان صاحبها وإسلامه، كما قد التزم القول بإسلام أبي قحافة، لما وردت فيه من الأحاديث الضعيفة، إن لم نقل بأنّها مزيفة.

الأحاديث الضعيفة في إسلام أبي قحافة

الرواية الأولى: أخرج الحاكم في المستدرک [٣ : ٢٤٥]: عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي، قال: حدّثني أبي، حدّثنا محمد بن شجاع، حدّثنا الحسين - والصحيح الحسن - بن زياد، عن أبي حنيفة، عن يزيد بن أبي خالد، عن

أنس، قال: كأنني أنظر إلى لحية أبي قحافة كأنها ضرام عرفج من شدة حمرتها، فقال رسول الله ﷺ: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها تكرمة لأبي بكر.

النظر إلى سند الرواية: محمد بن شجاع البغدادي أبو عبد الله ابن الثلج الفقيه، قال الإمام أحمد: مبتدع صاحب هوى. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيام، وذكر ابن الثلجي، فقال: هو كافر، قال: فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت، فقلت: ما أكفره إلا بشيء سمعه منه، قال: نعم. وقال زكريا الساجي: فأما ابن الثلجي فكان كذاباً، احتال في إبطال حديث رسول الله ﷺ وردّه نصرة لمذهبه. وفي المنتظم: نصرة لأبي حنيفة ورأيه.

وقال الأزدي: كذاب لا تحل الرواية عنه؛ لسوء مذهبه، وزيفه عن الدين. وقال ابن عدي: كان يضع الحديث في التشبيه، وينسبها إلى أصحاب الحديث يبلّغهم بذلك.

وقال الجرجاني: قال موسى بن القاسم الأشيب: كان كذاباً خبيثاً.

راجع: ميزان الذهبى [٣: ٧١] والمنتظم لابن الجوزي [٥: ٥٧] تهذيب التهذيب [٩: ٢٢٠].

الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي:

قال يحيى بن معين: كذاب. وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه. وقال محمد بن عبد الله بن نمير: يكذب على ابن جريج. وقال أبو داود: كذاب غير ثقة. وقال أبو حاتم: ليس بثقة. وقال الدارقطني: ضعيف متروك. وقال نصر بن شميل لرجل كتب كتب الحسن: لقد جلبت إلى بلدك شراً. وقال أبو ثور: ما رأيت أكذب من اللؤلؤي، كان على طرف لسانه: ابن جريج عن عطاء.

وقال أحمد بن سليمان: رأيته يوماً في الصلاة، و غلام أمرد إلى جانبه في الصف، فلمّا سجد مدّ يده إلى خد الغلام فقرصه، فقذفته فلا أحدث عنه. وقال ابن أبي شيبة: كان أبو أسامة يسمّيه الخبيث. وقال يعقوب بن سفيان، والعقيلي،

والساجي: كذاب. وقال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون.

راجع: ميزان الاعتدال للذهبي [٢٢٨: ١] ولسان الميزان لابن حجر [٢: ٢٠].
أقول: أنا لا أدري أي قيمة لمثل هذه الرواية حتى يحتج بها؟ أليس ذلك مما يستدرّ ممن له أقل شيء من نور العلم العجب العجائب؟ أكل الجواب إلى القارئ الكريم، ليستوحي من عقله الحرّ.

الرواية الثانية: أخرج الحاكم في المستدرک [٣: ٢٤٤]: عن أبي العباس محمد بن يعقوب، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدّثنا حسين بن محمد المروزي، حدّثنا عبد الله بن عبد الملك الفهري، حدّثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر رضي الله عنهم، قال: جئت بأبي قحافة إلى رسول الله ﷺ، فقال: هلا تركت الشيخ حتى آتبه؟ فقلت: بل هو أحق أن يأتيك، فقال: إنّنا لنحفظه لأبيادي ابنه عندنا. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد [٩: ٥٠].
النظر في سند هذه الرواية:

١ - عبد الله بن عبد الملك الفهري:

قال الذهبي في تلخيص المستدرک: عبد الله منكر الحديث.
وقال أيضاً في ميزانه [٢: ٥٥] وابن حجر في لسانه [٢: ٣١١]: قال ابن حبان: عبد الله لا يشبه حديثه حديث الثقات، يروي العجائب. وقال العقيلي: منكر الحديث لا يتابع عليه. وقال أبو زرعة: هو ضعيف يضرب على حديثه. وقال البرقاني: سألت أبا الحسن عنه قلت: ثقة؟ قال: لا، ولا كرامة فيه.

٢ - القاسم بن محمد: ذكر ابن الجوزي في صفوة الصفوة [٢: ٥٠]: إنّهُ توفّي سنة [١٠٨] وهو ابن [٧٠] سنة، وتوفّي والده محمد بن أبي بكر سنة [٣٨] فتكون ولادة القاسم في السنة التي توفّي فيها أبوه، فمتى ياترى تلقى هذه الرواية من أبيه؟
٣ - محمد بن أبي بكر: كان ميلاد محمد بن أبي بكر عام حجّة الوداع سنة [١٠] من الهجرة، وتوفّي أبوه أبو بكر سنة [١٣] هجرية، فأنتى له أن يتلقى هذه

الرواية من أبيه في مثل هذا السنّ حتّى يرويها بعد لابنه القاسم، الذي ولد في السنة التي توفي فيها؟

الرواية الثالثة: أخرج الحاكم في المستدرک [٣ : ٢٤٤] عن القاضي أبي بكر محمد بن عمر بن سالم الجعابي الحافظ الأوحّد، حدّثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرّاني، بإسناده عن أنس، قال: جاء أبو بكر يوم فتح مكّة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها.

أقول: لقد اتّفق المؤرّخون كما في الغدير [٧ : ٣١٥] على أنّ ميلاد الجعابي سنة [٢٨٥] ووفاة أبي شعيب الذي تلقّى منه الرواية سنة [٢٩٢] فيكون عمر الجعابي حين توفي أبو شعيب سبع سنين، ففي أيّ سنة إذن من سنين عمره الذي تلقّى فيه من أبي شعيب؟ أيرى أحد أنّ مثل هذه الرواية معتبرة عند أهل العلم بالحديث وتعدّ صحيحة عندهم؟ أنا لا أدري!

ومع ذلك فإنّ الذهبي قد قذفه بقوله: إنّه فاسق رقيق الدين. وقال الخطيب: كثير الغرائب، ومذهبه في التشيع معروف. ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بريء منه، وحكي عن الحاكم أنّه قال: قلت للدارقطني: بلغني أنّ ابن الجعابي تغيّر بعدنا، فقال: وأيّ تغيّر؟ فقلت: هذا فهمه في الحديث، قال: إي والله حدّث عن لخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً، بأسانيد ليس له فيها أصل إلى آخر كلامه.

راجع: تاريخ الخطيب [٣ : ٢٦] والمنتظم لابن الجوزي [٧ : ٣٨] ولسان الميزان [٥ : ٣٢٢].

وعلى ذلك قال الذهبي في ميزانه [٢ : ٣٠]: كان أبو شعيب غير متّهم لكنّه أخذ الدراهم على الحديث. وحكى ابن حجر عن ابن حبان قال: إنّه كان يخطئ ويهم.

الرواية الرابعة: أخرج الحاكم في المستدرک [٣ : ٢٤٤] عن أبي العبّاس

محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة، فأتى به النبي ﷺ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: غيروه ولا تقربوه سواداً. قال الذهبي في تلخيص المستدرک: غيروه يعني الشيب. النظر في سند الرواية:

١ - عبد الله بن وهب: قال ابن معين: ابن وهب ليس بذاك، وفي ابن جريج كان يستصغر. ميزان الاعتدال [٢: ٨٦].

٢ - أبو الزبير: قال أبو زرعة وأبو حاتم: أبو الزبير لا يحتج به. وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي واحتج عليه رجل بحديث عن أبي الزبير، فغضب وقال: أبو الزبير محتاج إلى دعامة. وعن ورقاء قال: قلت لشعبة: مالك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيت يزن ويسترجح في الميزان، وقال شعبة: قدمت مكة فسمعت من أبي الزبير، فبينما أنا جالس عنده إذ جاء رجل يوماً، فسأله عن مسألة، فردّ عليه، فقلت له: يا أبا الزبير، تفترى على رجل مسلم؟ قال: إنه أغضبني، فقلت: من يغضبك تفترى عليه؟ لا رويت عنك حديثاً أبداً.

راجع: ميزان الاعتدال [٣: ١٥٢] وتهذيب التهذيب [٩: ٤٤٠] لابن حجر. الرواية الخامسة: أخرج ابن حجر في الإصابة [٤: ١١٦] من طريق محمد بن زكريّا العلّائي - والصحيح الغلابي - عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذلي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة، وهو شيخ قد عمي، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى آتبه؟ قال: أردت أن يؤجره الله، والذي بعثك بالحق، لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، أتمس بذلك قرّة عينك. رجال الإسناد:

١ - محمد بن زكريا الغلابي: قال الذهبي في ميزانه [٣ : ٥٨]: ضعيف. وقال ابن حبان: يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة. وقال ابن مندة: تكلم فيه. وقال الدارقطني: يضع الحديث. وذكر الصولي بإسناده حديثاً، فقال: هذا كذب من الغلابي.

٢ - العباس بن بكار: قال الدارقطني: كذاب. وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير. راجع ميزان الاعتدال [٧ : ١٨].

٣ - أبو بكر الهذلي: قال الدوري: ليس بشيء. وقال أيضاً: ليس بثقة. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال غندر: كان يكذب. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال أبو حاتم: لئن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال ابن الجنيدي: متروك الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف ليس بشيء، ضعيف جداً، وقال الجوزجاني: يضعف حديثه. وقال الدارقطني: منكر الحديث متروك. وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف ليس حديثه بشيء. وقال المروزي: كان أبو عبد الله يضعف أمره. وقال ابن عمار: بصري ضعيف. وقال أبو إسحاق: ليس بحجة. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

وقال الذهبي: ضعفه أحمد وغيره. قال غندر وابن معين: لم يكن بثقة. وقال يزيد بن زريع: عدلت عنه عمداً. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال البخاري: ليس بالحافظ عندهم.

راجع: ميزان الاعتدال [٣ : ٣٤٥] وتهذيب التهذيب [١٢ : ٤٦] وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث: إسناد واهٍ.

الرواية السادسة: قال ابن حجر في الإصابة [٤ : ١١٧]: أخرج أبو قرّة موسى بن طارق، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة، يقوده يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ: ألا تركت الشيخ حتى

نأتيه؟ قال أبو بكر: أردت أن يؤجره الله، والذي بعثك بالحق، لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب، لو كان أسلم مني بأبي.

قال الأُميني في غديره [٣١٨: ٧]: هذه الجملة - أعني: لو كان أسلم - دخلت من المتأخرين، نظراء ابن حجر، ولا توجد في الأصول القديمة. راجع: الرياض النضرة [١: ٤٥].

وقال أيضاً: هذا الحديث كسابقه، وهو نظير قول عمر للعبّاس: أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح مني بإسلام الخطّاب، يعني لو كان أسلم. انتهى.
رجال الإسناد:

١ - موسى بن عبيدة: قال الذهبي في ميزانه [٢١٤: ٣]: قال أحمد: لا يكتب حديثه. وقال النسائي وغيره: ضعيف. وقال ابن عدي: الضعف على روايته بين. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال مرة: لا يحتجّ بحديثه. وقال يحيى بن سعيد: كُنا نتقي حديثه. وقال يعقوب بن شيبه: صدوق ضعيف الحديث جداً.

٢ - موسى بن طارق: قال الذهبي في ميزان الاعتدال [٢١١: ٣]: قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتجّ به.

٣ - عبد الله بن دينار: قال العقيلي: روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير. تهذيب التهذيب [٢٠٢: ٥].

قال الأُميني: لا يوجد في كتب الحديث ومعاجم التراجم ما يدل على إسلام أبي قحافة، إلا ما أخرجه أحمد في مسنده [٣٤٩: ٦] من طريق ابن إسحاق، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية، اظهري بي على أبي قبيس، قالت: وقد كفّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: يا بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: يا بنية ذلك الوازع، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد،

فقال: قد والله إذا دفعت الخيل فأسرعي إلى بيتي، فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق الجارية طوق لها من ورق، فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه. قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم، فأسلم ودخل به أبو بكر على رسول الله ﷺ ورأسه كائنه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا من شعره، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي، فلم يجبه أحد، فقال: يا أختي احتسبي طوقك.

وفي لفظ محب الدين الطبري في رياضته [١: ٤٥]: احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم قليل.
رجال الإسناد:

١ - محمد بن إسحاق بن يسار المدني: قال سليمان التيمي: ابن إسحاق كذاب. وقال هشام بن عروة: كذاب. وقال مالك: دجال من الدجاجلة. وقال يحيى القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. وقال الجوزجاني: الناس يشتهون حديثه، وكان يرمى بغير نوع من البدع.

وقال ابن نمير: يحدث عن المجاهولين أحاديث باطلة.

وقال أيوب بن إسحاق: سألت أحمد فقلت له: يا أبا عبد الله، إذا تفرّد ابن إسحاق بحديث قبله؟ قال: لا والله، إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا.

وقال أبو داود: سمعت أحمد ذكر محمد بن إسحاق، فقال: كان رجلاً يشتهي الحديث، فيأخذ كتب الحديث، فيضعها في كتبه، وكان يدلس، وكان لا

يبالي عمّن يحكي عن الكلبي وغيره.

وقال عبدالله بن أحمد: ما رأيت أبي أتقن حديثه قط، وكان يتتبعه بالعلو والنزول. قيل له: يحتجّ له؟ قال: لم يكن يحتجّ في السنن.

وقال ابن معين: ليس بذاك، ضعيف ليس بقويّ. وقال النسائي: ليس بقويّ. وقال ابن المديني: كذّبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، وهيب بن مالك. وقال الدارقطني: لا يحتجّ به وقال: اختلفت الأئمة فيه وليس بحجة، إنّما يعتبر به.

وقال هشام بن عروة: سألت مالكا عنه فأنهمه. وقال أحمد: هو كثير التدليس جدّاً. راجع: ميزان الاعتدال [٣: ٤٦٨ - ٤٧٥ ط دار المعرفة].

فهذه هي الأخبار التي صارت مستند قوم على إسلام أبي قحافة، وقد علمنا متنها وما قاله أهل الجرح والتعديل في رجال سندها، وما أوردناها إلا لتكون معياراً وميزان قسط للفظين المنصف النابه، في مقابل ما أسلفناه من أخبار أبي طالب التي أصفق بعضهم على كفره وموته كافراً، مع ما له من الفضائل العظيمة، والمناقب الفخيمة، والمفاخر القيمة التي قد تجلّت قائمة من خلال أشعاره الدريّة، وعقوده المنضّدة العسجدية، ولاحت من بين كلماته القديسة البهيّة، ما تضمّنت فيها عظيم مناصرته للإسلام، وجليل مؤازرته وحمايته لنبيّ العظمة عليه وأهل بيته افضل الصلاة والسلام.

وإليك ما أشار إليه بعضهم ممتدحاً له ومثنياً عليه، منهم: السيّد العلامة محمّد صادق بحر العلوم في تقرّظه على كتاب الحجّة على الذائب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخّار بن معدّ الموسوي، المتوفى سنة [٦٣٠] بقوله:

بشراك فخّار بما أولا	ك الخالق في يوم المحشر
نرّزت بحجّتك الغرّا	شيخ البطحاء أبا حيدر
عمّا نسبوه إليه من الـ	كفر المردود دعاة الشر
أنّى وبه قام الإسلام	م فنال بعلياه المفخر

قسماً بولاء أبي حسن
فعلية من الله الرضوا
وقال السيد علي خان الشيرازي في كتاب الدرجات الرفيعة [ص ٦٢] كما
في الغدير [٢: ٤٠٣]:

أبو طالب عم النبي محمد
ويكفيه فخراً في المفاخر أنه
لئن جهلت قوم عظيم مقامه
ولولاه ما قامت لأحمد دعوة
أقرّ بدين الله سرّاً لحكمة
وما ذا عليه وهو في الدين هضبة
وكيف يحلّ الذمّ ساحة ماجد
عليه سلام الله ماذر شارق

وقال الشريف الأجل سيّدنا آية الله السيّد ميرزا عبد الهادي الشيرازي:

ولي ندحة في مدحه النذب والد
هو العلم الهادي أزين بمدحه
أبو طالب حامي الحقيقة سيّد
أبو طالب والخيل والليل واللوا
أبو الأوصياء الغرّ عمّ محمد
لقد عرفت منه الخطوب محنكاً
كما عرفت منه الجدوب أخا ندي
فذا واحد الدنيا وثان له الحيا
وأنّى يحيط الوصف غرّ خصاله
حمى المصطفى في بأس ندب مدجج

الأئمة أعدال الكتاب أولي الأمر
شعوري ويزهو في مآثره شعري
تزان به البطحاء في البرّ والبحر
له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر
تضوع به الأحساب عن طيّب النحر
تدرّع يوم الزحف بالبأس والحجر
دوين مداه الغمر ملتطم البحر
وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
تذلّ له الأبطال في موقف الكرّ

فلولاه لم تنجح لطاها دعاية
وآمن بالله المهيمن والورى
وجابه أسراب الضلال مصدقاً
كفى مفخراً شيخ الأباطح أنه
وصلّى عليه الله ما هبت الصبا
أبو حيدر المندوب في شدة الضر
برياً ثنا شيخ الأباطح في الدهر
ولا كان للإسلام مستوسق الأمر
لهم وثبات من يعوق إلى سر

وقال العلامة الحجّة الشيخ الأوردباري:

بشيخ الأبطحين فشا الصلاح
براه الله للتوحيد عضباً
وعمّ المصطفى لولاه أضحى
نضا للدين منه صفيح عزم
وأشرع للهدى بأساً مريعاً
وأصحر بالحقيقة في قريض
صريخة هاشم في الخطب لكن
أخو الشرف الصراح أقام أمراً
فلا عاب يدنسه ولكن
فعلم زانه خلق كريم
ومنه الغيث إمّا عمّ جذب
مناقب أعيت البلغاء مدحاً
وصفو القسول أنّ أبا عليّ
ولكن لابنه نصبوا عداءاً
فنالوا من أبيه وما المعالي
وضوء البدر أبلج لا يوارى
وهبني قلت إنّ الصبح ليل
وفي أنواره زهت البطاح
يلين به من الشرك الجماح
حسمي الإسلام نهياً يستباح
عنت لمضائه القضب الصفاح
تحتطم دونه السمر الرمّاح
عليه الحقّ يطفح والصلاح
تزمّ لنسيله الإيل الطلاح
حداه لمثله الشرف الصراح
غرائز ما برحن به سجاج
ودين فيه مشفوع سماح
وفيه الفوّه إن عن الصباح
وتنفذ دونها الكلم الفصاح
له الدين الأصل ولا براح
ومما عن حيدر فضل يزاح
لكلّ محاول قصداً تباح
وإن يك حوله كثر النباح
فهل يخفى لذي العين الصباح

فدع بمتاهة التضليل قوماً
فذا شيخ الأباطح في هده
أبو الصيد الأكارم من لؤي
لهم كأبيهم إن جال سهم

بمرتبك الهوى لهم التياح
تصافقه الإمامة والنجاح
مقاديم ججاجه وضاح
لأهل الفضل فائزة قداح

وقال العلامة الأوحى الشيخ محمد تقي صادق العاملي:

بسيف عليّ قد أشيدت صروحه
أبو طالب أصل المعالي ورمزها
توحد في جمع الفضائل والنهي
وتنحط عنه رفعة هامة السهي
حمى الخائف اللاجي ومربع أمانه
تخلق في جمع المكارم نفسه
أصاخ إلى الدين الحنيف ملبياً
وباع بإعزاز الشريعة نفسه

كما بأبيه قام قدماً بناؤه
ومبدأ عنوان الهدى وانتهائه
وضمّ جميع المكرمات رداؤه
ويأرج في عرف الخزامي ثناؤه
وكعبة قصد المرتجي وغناؤه
ويسمو به للنيرين إباؤه
لدعوته لمّا أتاه نداؤه
فبورك قدراً ببيعته وشرائه

وقال العلامة الشريف المجلّ السيد علي النقي اللكهنوي:

زهت أم القرى بأبي الوصي
وقام بنصرة الإسلام فرداً
يذب عن الهدى كيد الأعادي
وأبصر رشده من دين طاهها
وآمن بالآله الحق صدقاً
بنى للسؤدد العربي صرحاً
تلقي الرشده عن آباء صدق
كأن الأمهات لهم أبت أن
فكان على الهدى كأبيه قدما

غداة غدا يذود عن النبي
يراغم كلّ مختال غوي
بأَمْضى من ذباب المشرفي
فجأهر فيه بالسّر الخفي
بقلب موحد بسرّ تقي
محاطاً بالفخار الهاسمي
توارثه صفياً عن صفّي
يلدن سوى نبيّ أو وصي
ولم يبرح على النهج السوي

وكان به وراء الشرع بدءاً
وقال العلامة الفاضل الشيخ محمد السماوي:

فؤادي بالغادة الكاعب
كأنّي بدائرة من هوى
بليت بمن ضربت خدرها
بحيث الصفاح وحيث الرما
لها منعة في ذرى قومها
فخار الأبي وعمّ النبي
وأمنع لا يرتقي أجسدل
إذا الرافع الطرف يرنو له
تهلل طلعتة للعبور
أقام عماد العلى سامكاً
بمثل عليّ إلى جعفر
أولئك لازمعات الرجاء
ومن ذا كعبد منافع يطو
حمى الدين في سيفه فانبرى
وآمن بالله في سرّه
وصدّق أحمد في وحيه
فكم بين مخف لتصديقه
لنعم ملاذ الهدى والتقى
ومعتصم الدين في مكّة
ومانع حوزة أهل الهدى
فلولاه ما طفق المصطفى

وتّم بنجله الزاكي علي
فمن طالع لي ومن غارب
بمنقطع النظر الصائب
ح فمن مشرفي إلى راغبي
كأنّ أباه أبو طالب
وشيخ الأباطح من غالب
إلى ذروة مننه أو غارب
يعود بتنحية الناصب
ن كما جرّد الغمد عن قاضب
بأربعة كالسنا الثاقب
ومثل عقيل إلى طالب
ل من قالص الذيل أو صاحب
ل على راجل ثمّ أو راكب
بمكّة ممتنع الجانب
لأمر جليّ على الطالب
وقام بما كان من واجب
وأخبر مبد له كاذب
ومنتجع الوافسد الراغب
إذا الدين منفرد الصاحب
مدى العمر من وثبة الواثب
ينادي على المنهج اللاحب

ولم يعب الشرك مستظهاً بيوم يضيق على العائب
وقال العلامة صاحب التآليف القيّمة الشيخ جعفر بن الحاج محمّد النقدي،
من قصيدة ذكرها في كتابه مواهب الواهب في فضائل أبي طالب [ص ١٥٤]
مطلعها:

برق ابتسامك قد أضاء الوادي وحيا خدودك فيه ريّ الصادي
إلى قوله:

مهما تراكمت الخطوب فإنّها تجلى متى بأبي الوصيّ أنادي
عبد المناف الطهر عمّ محمّد الطاهر الآباء والأجداد
غيث المكارم ليث كلّ ملّة غوث المنادي بدر أفق الناد
شيخ الأباطح من بصارم عزمه بلغ الأنام لخطّة الإرشاد
دانت لديه المكرمات رقابها وإليه ألقى الدهر فضل قياد
جدّ الأئمّة شيخ أمّة أحمد ربع الأماني مربع انوفاد
سيف له المجد الأثيل حمائل وله الفخار غدى حلّيّ نجاد
داعي الوريّ للرشد في عصر به لا يعرفون الناس نهج رشاد
وله قریش كم رأت من معجز عرفوه فيه واحد الأحاد
كرضاعه خير البريّة أحمداً وقبول دعوته لسقي الوادي
وبشارة الأسد الهصور بنجله وشفائه بدعاء النبيّ الهادي
وكلامه بالوحي قبل صدوره وله انفجار الأرض إذ هو صادي
وبسيوم مولد أحمد إخباره عن حيدر الكرّار بالميلاد
وله على الإسلام سنن غدت للمسلمين قلائد الأجياد
كفل النبيّ المصطفى خير الوريّ ورعى الحقوق له بصدق وداد
رباه طفلاً واقتفاه يسافعاً وحماء كهلاً من أذى الأضداد
ولأجله عادى قریشاً بعدما سلكوا سبيل الغيّ والإفساد

ورآهم مستعاضدين ليقتلوا
فسطاً بعزم ناله من معشر
وانصاع يفدي أحمداً في نفسه
وأقام ينصره إلى أن أصبحت
أفديه من صاد لواء للهدى
قد كان يعلم أنه المختار من
ولقد روى عن أنبياء جدوده
وعلى به عيناً على كل الوري
إن ابن أمنة النبي محمداً
راعى فيه قرابة موصولة
يا والد الكرار والطيار والا
كم معجز أبصرته من أحمد
من لصق أحجار ومزق صحيفة
لا فخر إلا فخر السامي الذي
إن المكارم لو رأت أجسادها
شكر الإله فعالك الغر التي
لله هممتك التي خضعت لها
لله هيبتك التي رجفت بها
لله كفك كم بها من معدم

ومن بعض ما قاله الشيخ محمد الحسين الإصبهاني:

خير البرية سيد الأمجاد
شم الأنوف مصالت أنجاد
والجاء والأموال والأولاد
تزهر شريعته بكل بلاد
يحمي لأفصح ناطق بالضاد
رب السماء عميد كل عماد
فيه حديثاً واضح الإسناد
إذ قال فيه بمطرب الإنشاد
عندي يفوق منازل الأولاد
وحفظت فيه وصية الأجداد
طهار أبناء النبي الهادي
بأهلت فيه معاشر الحساد
ونزول أقطار ونطق جماد
فقتت به أبصار أهل عناد
عين رأتك الروح للأجساد
فرحت بها أملاك سبع شداد
من خوف بأسك شامخ الأطواد
أعداء مجدك عصبة الإلحاد
أحييت في الإصدار والإيراد

حتى استوت قواعد الإسلام
حتى علا أمر النبي الهادي
بصولة ذلت لها الجبابرة

قام بنصرة النبي السامي
جاهد عنه أعظم الجهاد
حماء عن أذى قریش الكفرة

أكرم به من ناصر وحامي وكافل لسيد الأنام
كفاه فخر أشرف الكفاله لصاحب الدعوة والرسالة
هذا هو أبو طالب سيد الأبطح وشيخها وعظيمها، وهذه قطرة من بحر
وجوده وكرمه، ونبذة من آيات إيمانه وتضحياته تجاه الإسلام ونبيه ﷺ.

ولقد خضنا بحراً قل أن يصل أحد ممّن اتّسعت معرفته من الأخبار والآثار
إلى قعره، فضلاً عما كان من أمثالنا، فلنعد النظر إلى ما نحن بصددده، فنقول مع
غض الطرف عن أسناد تلك الأخبار الدالة على إسلام أبي قحافة، وفرض صحتها
وما فيها من عظيم تقدير النبي ﷺ له، ما لم تكن لأي أحد من أعمامه،
بقوله ﷺ: لو تركت الشيخ حتى آتبه. وفي لفظ: لو أقررت الشيخ في منزله لأتيناها.
إنّ من الغريب البعيد عن نطاق الفهم، أن يكون بعد تلك التكرمة الجليلة،
والتبجيل العظيم أمام جمع من الصحابة، خفاء خبره وغياب ذكره بعد إسلامه، بل
لو صحت تلك الأخبار، لكان حقاً عليهم أن يسمعوا منه وقتئذ أو ما بعده كلمة
واحدة في الإسلام، أو عن نبي الإسلام، فتنقل إلينا كما نقلت كلمات أبي طالب
المنصّدة، وأقواله السديدة، ومناصرته الحميدة، ومكابداته للأهوال الخطيرة،
ومقاساته للمعضلات المبيرة، منذ نعومة ظفر المشرع الأعظم، إلى أن بسقت
أغصان شريعته الغراء.

فإن قيل: إنّ تقديره ﷺ له قد ظهر جلياً لا غبار فيه؛ لأجل أيادي ابنه، فإنّ
أبا بكر كان من أهل الثروة الطائلة في الجاهلية، كما أخرجہ النسائي فيما رواه
الأميني في غديره [٨: ٤٨] نقلاً عن عمدة التحقيق للعبيدي المالكي [ص ١٣٤]
عن عائشة، قالت: فخرت بمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية. وذكره
الذهبي في ميزانه [٣: ٣٧٥ ط دار الكتب] فكان به أمن الناس عليه ﷺ بماله، كما
أخرجہ البخاري في صحيحة باب قول النبي ﷺ سدّوا الأبواب غير باب أبي بكر
وباب الهجرة، من طريق أبي سعيد الخدري، قال ﷺ في خطبة له: إنّ من أمن

الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر.

وقال البغوي في تفسيره [٣ : ٤٩٢ ط دار المعرفة] في قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ الآية [القمان: ١٥]: إِنَّ المراد به هو أبو بكر.

وقد ذكر أهل التفسير في قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]: أَنَّهُ الصَّدِّيق.

وقد ذكر البيضاوي في تفسيره [١ : ١٥٨] والزمخشري في الكشاف [١ : ٢٨٦] أَنَّ قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُتَفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٤] أَنَّهُا نزلت في أبي بكر، حين تصدَّق بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة بالسرّ، وعشرة بالعلانية.

وقال الشيخ محمد زين العابدين: كان للصدِّيق ثلاثمائة كرسيٍّ وستون كرسيّاً، على كلّ كرسيٍّ حلّة بألف دينار. وقال الشاعر العلامة الملاً حسن أفندي البرّاز الموصلي في ديوانه [ص ٤٢]:

إِنَّ قدر الصَّدِّيقَ جَلَّ فَأُضْحَى
ليت شعري ما قيمة الشعر فيمن
كلّ من في الوجود يبغي رضا
وقال أيضاً ممتدحاً فيه:

إِنَّ ذكر الصَّدِّيق ما دار إلّا
صاحب الغار كان للسيد
تاه في ذكره الوجود فلولا
ملاً الكون هيبة ووقارا
المختار واللّه صاحباً مختاراً
هيبة منه أوقرته لطارا

أقول: ما أسوغ الكلام لمن لا يخشى الملام، وظنّ بأنّ الناس جلّهم كالأنعام، أيحسبون أن لن يكون وراءهم أناس بحّاثّة، يكشفون عن مغزى تلك الأقاويل العارية من البرهنة؟ وتلك المدائح الناشئة من الغلوّ الفاض من أفواه المتفوّهين المدّعين بالسنة؟ بلى فإنّ للقارئ حقّ النظر والبحث عن صحّة أو بطلان تلك

الأقوال بأجلى بيّنة، مهما استبان لنا كونها بعيدة عن مدارك العقل ومدار السنّة،
فهلّم معنا ان ننظر في ثروة أبي بكر:

تدقيق النظر في ثروة أبي بكر

أقول وبالله التوفيق، والهداية إلى سواء الطريق: إنّ قول من يقول بأن أبا بكر
من أهل الثروة الطائلة في الجاهليّة أو في الإسلام لمّا لا تُقرّه بذلك الأخبار
والآثار، وتخالفه كتب التراجم والسير، ولا عبرة لنا بما قاله الشيخ محمّد زين
العابدين فيما رواه العبيدي المالكي في كتابه عمدة التحقيق، وذلك أنّه كان
للصدّيق ثلاثمائة وستون كرسيّاً، على كلّ كرسيّ حلّة بألف دينار، وغير ذلك من
الأخبار الخياليّة، والقصص الوهميّة.

أمّا كونه مثيراً في العهد الجاهلي، فمّمّا يأباه العقل، ولا يقبله الطبع أن يكون
للصدّيق تلك الثروة العظيمة جدّاً ما لا تكون لملك من ملوك عصره، وأبوه أبو
قحافة كان أجيراً لعبدالله بن جدعان للنداء على طعامة، قال بذلك الكلبي في
كتابه مثالب العرب، والإصفهاني في الأغاني [٨ : ٤] وفي كتاب مسامرة الأوائل
[ص ٨٨]. وقد ذكر هؤلاء المؤرّخون في كتبهم المذكورة قصيدة لأُميّة بن انصلت،
يمدح بها عبدالله بن جدعان، وتضمّن فيها ذكر أبي قحافة وخدمته، وهي:

له داع بمكة مشمعلٌ وآخر فوق دارته ينادي

إلى رده من الشيزى عليها لباب البرّ يلبك بالشهاد

قال الكلبي: المشمعل هو: سفيان بن عبد الأسد. وآخر: أبو قحافة. وفي

تعليق مسامرة الأوائل [ص ٨٨] يقال: إنّ الداعي هو أبو قحافة والد الصدّيق.

وأما ما قالته عائشة بأنّها كانت تفتخر بمال أبيها، فأقول: لو صحّ ذلك الخبر

عنها، لكان قولها أحلاماً مناميّة لا حقيقة لها، لكون وجودها أو ميلادها بعد

المبعث الشريف، بأربع أو خمس سنين، كما قال بذلك ابن حجر في الإصابة [٤ :

تدقيق النظر في ثروة أبي بكر ٤٢٩

[٣٥٩] وابن عساكر في تأريخه [١ : ٣٠٤] وابن عبد البر في الاستيعاب، ويستفاد ذلك أيضاً من صحيح البخاري في باب زواج عائشة فأنى لها أن تفتخر بثروة بائدة في الجاهلية، وهي لم تكن وقتذاك شيئاً مذكوراً.

وأما كونه مثيراً في العهد الإسلامي، فيكذبه ما ورد من الأخبار ما نقلها حفظة السنن من أعلام القوم، منها: ما رواه الماوردي في أعلام النبوة [ص ١٤٦] من طريق مالك بن أنس، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فوجد أبا بكر وعمر فسألهما، فقال: ما أخرجكما؟ فقالا: أخرجنا الجوع، فقال رسول الله ﷺ: وأنا أخرجني الجوع، فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان، فأمر له بحنطة أو شعير عنده يعمل.

وأخرج ابن سعد من طريق عطاء، قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبتة أثواب يتجربها، فلقبه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قال: تصنع ماذا؟ وقد وليت أمر المسلمين، قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما، ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وما كسوه في الرأس والبطن. وروى أيضاً من طريق عمير بن إسحاق: أن رجلاً رأى على عنق أبي بكر الصديق عباءة، فقال: ما هذا؟ هاتها أكفيكها، فقال: إليك عني لا تغرني، أنت وابن الخطاب من عيالي.

وفي لفظ الحلبي، لما بويع أبو بكر بالخلافة، أصبح رضي الله عنه على ساعده قماش، وهو ذاهب إلى السوق، فقال له عمر: أين تريد؟ إلى آخره.

راجع: طبقات ابن سعد [ط ليدن ٣ : ١٣٠ - ١٣١] صفوة الصفوة لابن

الجوزي [١ : ٩٧] السيرة الحلبيّة [٢ : ٣٨٨].

فإذا علمنا هذه الأخبار وكانت صحيحة، أفلا نعجب ممّا بلغ بصاحب الثروة من الفقر؟ فأين تلك الثروة الطائلة؟ وما الذي ذهب بها؟ إنفاقها على

٤٣٠ المقتطفات ج ١

النبي ﷺ حتى صار به أمن الناس عليه؟ فمتى كان ذلك الإنفاق؟ أقبل الهجرة أم بعدها؟

أما قبل الهجرة، فقد تكفله عمه أبو طالب، حتى تزوج بخديجة، فلا حاجة إلى مال أحد؛ لاستغنائه بماله، ولا سيما إذ صار طوع يده؟

وإن كان بعد الهجرة، ففي أي مصرف وأي أمر وأي حاجة بذلها وأنفقها؟ وابن كان مورد إنفاقه من كتب التاريخ؟ ولم خفي على خلق الله من أولئك الصحابة؟

والعجب كل العجب أن أمير المؤمنين علياً «ع» تصدق بأربعة دراهم، درهم بالليل، ودرهم بالنهار، ودرهم في السر، ودرهم في العلانية، فأنزل الله قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

راجع: تفسير القرطبي [٣: ٣٤٧] وتفسير البيضاوي [١: ١٨٥] تفسير الزمخشري [١: ٢٨٦] وتفسير الرازي [٢: ٣٦٩] وتفسير ابن كثير [١: ٣٢٦] وتفسير الدر المنثور [١: ٣٦٣] وتفسير الخازن [١: ٢٠٨] وتفسير الشوكاني [١: ٢٦٥] وتفسير الألوسي [٣: ٤٨].

وأطعم هو وأهله ﷺ مسكيناً ويتيماً وأسيراً أرغفة، فأنزل الله تعالى فيهم قوله ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: ٨] وسيأتيك فيما يلي تفصيل أمرهم في هذا إن شاء الله.

وتصدق ﷺ لسائل بخاتمه راعياً، فذكره الله في كتابه العزيز بقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] ولم يكن لأبي بكر في كتاب الله ذكر بإنفاقه جميع ماله، وصار به أمن الناس عليه في صحبته وماله.

فإن قلت: فقد ذكر البيضاوي في تفسيره [١: ١٨٥] والزمخشري في كشافه

[٢٨٦: ١]: أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٤] نزلت في أبي بكر، حين تصدَّق بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة بالسرّ، وعشرة بالعلانيّة؟

نقول: إنّ هذه المرسلة ليس لها ميزان في سوق الاعتبار، لما لم يعرف قائلها من الصحابة والتابعين، غير سعيد بن المسيّب المشهور بانحرافه عن أمير المؤمنين، كما قد عرفت شخصيّته فيما مضى من تلك الأسطورة، وأيّ قدر لهذه المرسلة المعزوة إلى ابن المسيّب، في جنب ما أصفقت عليه أئمّة الحديث والتفسير أنّ نزولها في أوّلّيات الهجرة؟ وعلى ذلك فقد ورد في الخبر أنّ ما أخذه أبو بكر يوم هجرته إلى المدينة، أربعة أو خمسة أو ستّة آلاف درهم، فأنتى له أن يتصدَّق بأربعين ألف دينار؟

فلذلك عقّب السيوطي هذه المرسلة بقوله: خبر أنّ الآية نزلت فيه - أي في أبي بكر - لم أقف عليه، وكأنّ من ادّعى ذلك فهمه ممّا أخرجه ابن المنذر عن ابن إسحاق، قال: لمّا قبض أبو بكر واستخلف عمر، خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ بعض الطمع فقر، وإنّ بعض اليأس غنى، وإنّكم تجمعون مالا تأكلون، وتؤملون مالا تدركون، واعلموا أنّ بعضاً من الشخّ شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم، فأين أصحاب هذه الآية؟ وقرأ الآية الكريمة، وأنت تعلم أنّها لا دلالة فيها على المدّعى. انتهى. راجع: تفسير الآلوسي [٤٨: ٣].

وجاءت مرسلّة أخرى، كما في تفسير الشوكاني [٢٦٥: ١] والآلوسي [٣: ٤٨] من تفسير سعيد بن المسيّب أيضاً بأنّ الآية المذكورة نزلت في عثمان بن عفّان وعبدالرحمن بن عوف، في نفقتهم في جيش العسرة، يوم غزوة تبوك.

وذكره الرازي في تفسيره [٣٤٧: ٢] فقال: إنّ التي نزلت في عثمان لإنفاقه في جيش العسرة هي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا

يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ﴿٢٦٢﴾ الآية [البقرة: ٢٦٢].

أقول: لعل أولئك القوم قد ذهلوا أن الآيتين من سورة البقرة، وهي أول سورة نزلت بالمدينة، باتفاق المفسرين كالقرطبي في تفسيره [١: ١٣٢] وابن كثير [١: ٣٥] والخازن [١: ٩١] والشوكاني [١: ١٦] وغيرهم، قبل يوم تبوك بعدة سنين، وجيش العسرة في يوم غزوة تبوك، الواقعة في شهر رجب سنة تسع، وهل يصح نزول أي من الآيتين في عثمان؟.

وأما الأخبار التي وردت في إنفاق أبي بكر على النبي، فقد أخرجها الحاكم في مستدركه [٣: ٥] وأبو نعيم في حليته [١: ٣٣ و ٣٢] ولكن لم تثبت صحتها لمكان بعض رواة من رجال سندها مطعون فيهم.

وهاك ما أخرجها الحاكم: من طريق أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر، حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فأتاني جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: إن هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: يا أبت، قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوة البيت، وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت فأخذت بيده، فوضعتها على الثوب، فقال: أما إذا ترك هذا فنعم، قالت: ووالله ما ترك قليلاً ولا كثيراً.

رجال الإسناد:

١ - أحمد بن عبد الجبار أبو عمر الكوفي:

قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وأمسكت عن الرواية عنه، لكثرة كلام الناس فيه. وقال مطين: كان يكذب. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، تركه ابن عقدة.

انفاق أبي بكر ٤٣٣

وقال ابن عدي: رأيت أهل العراق مجتمعين على ضعفه، وكان ابن عقدة لا يحدث عنه. وكان أحمد يلعب بالحمام الهدى. راجع: تاريخ الخطيب [٤: ٢٦٣] وتهذيب التهذيب [١: ٥١].

٢ - محمد بن إسحاق:

قد أسلفنا في [ص ٢١٦] من هذه الاسطورة ما قاله الحفاظ فيه، فإنه كذاب دجال مدلس لا يحتج به. فراجع.

وأما الرواية التي أخرجها أبو نعيم، فمن طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أرقم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مال عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال: قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً.

رجال الإسناد:

هشام بن سعد أبو عباد المدني:

كان يحيى بن سعد لا يروي عنه. وعن أحمد قال: ليس هو محكم الحديث. وقال حرب: لم يرضه أحمد. وقال ابن معين: ضعيف، ليس بذاك القوي، ليس بشيء حديثه مختلط. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ضعيف، وقال مرة: ليس بالقوي. وقال ابن سعد: كثير الحديث يستضعف وكان متشيعاً. وقال الخليلي: أنكر الحفاظ حديثه في المواقع، وذكره ابن سفيان في الضعفاء.

راجع: تهذيب التهذيب [١١: ٤٠].

وأما عبد الله بن عمر العمري، فقد تكرر فيما سلف من هذه الاسطورة قول

أهل الجرح والتعديل فيه. فراجع.

وأخرج أبو نعيم أيضاً في حليته، عن محمد بن أحمد بن محمد الوراق، عن إبراهيم بن عبد الله بن أيوب المخرمي، عن سلمة بن حفص السعدي، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: كانت يد النبي ﷺ وسلم في مال أبي بكر ويد أبي بكر واحدة حين حجاً.

رجال السند:

١ - محمد بن أحمد الوراق:

كذبه أبو بكر بن إسحاق، قاله الحاكم، كما في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني [٥١ : ٥].

٢ - إبراهيم بن عبد الله المخرمي:

قال الدارقطني: ليس بثقة، حدث عن الثقات بأحاديث باطلة. راجع: لسان الميزان [٧٢ : ١].

٣ - سلمة بن حفص السعدي:

شيخ كوفي. قال ابن حبان: كان يضع الحديث، فذكر له حديثاً منكراً، وقال: لا يحل الاحتجاج به، ولا الرواية عنه. وروى عنه حديثاً، فقال: لا أصل له. لسان الميزان [٦٧ : ٣].

نزول سورة هل أتى في شأن أهل البيت ﷺ

وإليك القول بالتفصيل في أمر من نزل فيهم قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: ٨] كما ذكره أعلام القوم من المؤرخين والمفسرين في كتبهم، وأوردوا حديثاً بالإسناد إلى ابن عباس رضي الله

عنه.

ولنقتصر بما في أسد الغابة لابن الأثير [٥ : ٥٣٠ ط مصر سنة ١٢٨٥] أنه قال: مرض الحسن والحسين، فعادهما جدّهما رسول الله ﷺ وسلّم، وعادهما عامّة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت لولدك نذراً - وفي ربيع الأبرار [٢ : ١٤٧] أن القائل هو عمر - فقال علي: إن برئاً ممّا بهما صمت لله ثلاثة أيّام شكراً، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جارية يقال لها فضّة نوبية: إن برئ سيّداي صمت لله شكراً. فألبس الغلامان العافية، وليس لآل محمّد قليل ولا كثير، فانطلق علي إلى شمعون الخيبري، فاستقرض منه ثلاثة أصواع من شعير - وفي ربيع الأبرار: أخذ علي من شمعون جرّة صوف، فغزلتها له فاطمة - فجاء بها ووضعها، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلى علي مع رسول الله ﷺ وسلّم، ثم أتى إلى المنزل، فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من أولاد المسلمين، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنّة، فسمعه علي، فأمرهم فأعطوه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى صاع وخبزته، وصلى علي مع النبي ﷺ، ووضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم يتيم، فوقف بالباب، وقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني، فأعطوه الطعام، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثالث، قامت فاطمة إلى الصاع الباقي، فطحنته واختبزته، فصلى علي مع النبي ﷺ، ووضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم أسير، فوقف بالباب، وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوّة، تأسرونا وتشدّونا ولا تطعمونا، أطعموني فأني أسير، فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيّام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء، فأتاهم رسول الله ﷺ، فرأى ما بهم من الجوع، فأنزل الله تعالى الآية المذكورة، صلوات

اللّٰه عليهم. انتهى.

ثمّ أردفوا بعد إيرادهم هذا الحديث بما وسمه بعضهم بـ «الليالي الزاهرات الثلاثة وما فيها من عظيم الأحدث» ما أنزلت بسببها تلك الآية الشريفة.

«الليلة الاولى»

قال علي عليه السلام:

يا بنت خير الناس أجمعين	فاطم ذات المجد واليقين
قد قام بالسباب له حنين	أما ترين البائس المسكين
يشكو إلينا جائعاً حزين	يشكو إلى الرحمن مستكين
وفساعل الخسيرات يستبين	كلّ امرئ بكسبه رهين
حرّمها الله على الضنين	موعدّه جنة عليين
تهوي به النار إلى السجين	وللبخيل مسوقف مهين

شرابه الحميم والغسلين

قالت فاطمة عليها السلام:

ما بي من لؤم ولا ضراعة	أمرّك يا ابن عمّي سمع طاعة
أطعمه ولا أبالي الساعة	غذيت من خبز له صناعة
إن الحق الأخيار والجماعة	أرجسو إذا أشبعت ذا مجاعة

وأدخل الخلد ولي شفاعه

«الليلة الثانية»

قال علي عليه السلام:

بنت نبيّ ليس بالزّنيم	فاطم بنت السيّد الكريم
-----------------------	------------------------

من يرحم اليوم هو الرحيم
قد حرم الخلد على اللئيم
شرابه الصديد والحميم

قد جاءنا الله بذا المسكين
موعده في جنة النعيم
ينزل في النار إلى الجحيم

قالت فاطمة عليها السلام:

وأثر الله على عيالي
أصغرها يقاتل في القتال
للقاتل الويل مع الوبال
مصقّد اليدين بالاعلال

إنسي لأعطيه ولا أبالي
أمسوا جوعاً وهموا عيالي
بكر بلا يقاتل بساغتال
تهوي به النار إلى سقال

«الليلة الثالثة»

قال علي عليه السلام:

بنت نبي سيّد مسدّد
مكبل في غله مقيد
من يطعم اليوم يجده في غد
مايزرع الزارع سوف يحصد
حتّى تجازي بالذي لا ينفد

فاطم يا بنت النبي أحمد
هذا الأسير للنبي المهتد
يشكو إلينا الجوع شكوى مكد
عند العلي الواحد الموحّد
فأطعمي من غير من أنكد

قالت فاطمة عليها السلام:

قد مجلت كفي مع الذراع
أبوهما للخير واصطناع

لم يبق عندي اليوم غير صاع
ابناي والله من الجساع

راجع في ذلك: تذكرة سبط ابن الجوزي [ص ٣٢٢ ط الغري] والمناف
للخوارزمي [ص ١٧٩ ط تبريز] كفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي [ص ٢٠١ ط

[الغري] محاضرة الأبرار للشيخ الأكبر ابن عربي المالكي [١ : ١٠٣ ط مصر مطبعة الشعراوي] أسد الغابة لابن الأثير [٥ : ٥٣٠ مصر سنة ١٢٨٥] وربيع الأبرار للزمخشري الحنفي [٢ : ١٤٧] ومعالم التنزيل للبغوي الشافعي [٧ : ١٥٩ ط القاهرة] ومطالب السؤول للعلامة كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي [ط طهران] والإصابة [٣ : ٣٧٤ ط دار الكتب المصرية، وفي ط دار صادر ٤ : ٣٨٧ في ترجمة فضة النوبية] وكذا في الكاف الشاف [ص ١٨٠ ط محمد مصطفى بمصر] وذخائر العقبي [ص ١٠٢ ط مصر] للطبري، وفي كتابه الرياض النضرة [ص ٢٢٧] ونزهة المجالس للصفوري الشافعي [١ : ٢١٣ ط القاهرة] والبداية والنهاية لابن كثير [٥ : ٣٢٩ ط السعادة بمصر] ومناقب ابن المغازلي الشافعي [ص ٢٧٢] وتفسير الثعلبي الكشف والبيان في سورة «هل أتى».

فأعظم بها أرغفة وأكرم بها خاتماً ودريهمات أربعة، نزل بسببهن الأمين جبريل، بالوحي والتنزيل، من ربّ كريم علي جليل، فسبحان من اختصّ برحمته وفضله ومنّه من يشاء من عباده، والله ذو فضل عظيم

هذا هو ابن شيخ الأمة أبي طالب، الذي اختصّه الله عزّ وجلّ بخصائص عظام وفضائل فخام، وجبل فطرته على ما جبل عليه فطرة أنبيائه ورسله، وطرزه بما طرزهم به من الغرائز الحميدة، والخصال المحمودة والصفات المجيدة، ورفعهم إلى منزلتهم ودرجاتهم غير أنّه ليس بنبي، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ كما أسلفنا ذكره، من حديث الأشباه وغيره، كقوله ﷺ: علي مع القرآن والقرآن مع علي، علي مع الحقّ والحقّ معه. وعلي مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، إلى ما هناك من الفضائل والمكارم والمفاخر مما امتن الله بها عليه، ونصّها بها عليه المشرع الأعظم ﷺ.

ومما يدلنا على عظيم فضله ﷺ، وعلوّ مقامه عند ربّه عزّ وجلّ، ما لو لم يكن له من الفضائل والمكارم والمفاخر غيره، لكفى به فخراً على من سواه من

البشر ما عدا النبيين والمرسلين، وكفى به دليلاً لأولي الحجى والنهى لا ينازع ولا يدافع، ذلك أن الله عزّز قدرته وجلّت عظمته، وعظمت منته، قد أظهر لعباده عظيم كرامته وجليل امتنانه عليه من أول حين برز في هذا العالم، وذلك بأن جعل مولده في أشرف مكان وأعزّ موضع، وأعظم بقعه من بقاع الأرض، ما لم يجعل لغيره من الناس أجمعين.

فهرست المواضيع

الموضوع	الصفحة
كلمة المجمع	٣
ترجمة المؤلف	٥
الاشعار وما تضمّنته من الأخبار والآثار	٩
أشعار حسان بن ثابت	١١
حديث خبير	١٥
حديث المبيت	١٨
الآيات التسع التي سمّي فيها الإمام علي (ع) مؤمناً	١٩
الآية الاولى والثانية	٢٠
الآية الثالثة والرابعة	٢١
الآية الخامسة	٢٢
الآية السادسة	٢٤
الآية السابعة	٢٥
الآية الثامنة والتاسعة	٢٦
أشعار حسان في حديث لا سيف	٢٨
أشعار حسان في عصمة فاطمة (ع)	٣١
المفاخرات التي جرت بين الامام الحسن (ع) وعمر بن العاص وغيرهما ...	٣٢
أشعار السيّد الحميري حول آية الغدير	٣٥

٤٠	تفسير آية: «سأل سائل»
٤٢	من أشعار الحميري
٤٢	في تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر لعليّ (ع)
٤٣	ما سجله أصحاب المسانيد في قضية الغدير
٥٣	الشورى وما جرى فيها
٥٧	البيعة وما جرى فيها
٦١	النص على الخلافة
٦٣	علامة المؤمن والمنافق
٦٦	أشعار السيد الحميري في أسبقية عليّ (ع) الى الاسلام
٦٩	عليّ أول من آمن
٧٢	أبو هريرة في كتب أساطين المحدثين
٨٠	في حديث اسلام عليّ (ع)
٨٤	لفظ الحديث
٨٥	لفت نظر
٨٦	أشعار العبدى في مناقب العترة (ع)
٨٨	آية المودة
٩٣	الصدّيق والصدّيقة
٩٥	في تزويج فاطمة (ع)
٩٦	أشعار العبدى في حديث أمّ سلمة
٩٨	الأحاديث الواردة في خروج عائشة
٩٩	خروج عائشة على عليّ (ع)
١٠١	حرب الجمل
١٠٣	قتلة عثمان

١٠٧	أشعار السيّد الحميري
١٠٨	شعر العبدى
١٠٩	فى أخبار أبى رافع من خمسة طرق
١١٣	فى فضائل أبى بكر
١٢٣	فى فضائل الشيخين
١٢٨	فى فضائل عمر بن الخطاب
١٣٢	فى رجال السند
١٣٤	نظرة فى هذه الأحاديث
١٣٥	جهل الخليفة بمعنى الأب
١٣٦	جهل الخليفة بمعنى الكلالة
١٣٧	جهل الخليفة بكتاب الله
١٣٨	قضاء الخليفة على مجنونة قد زنت
١٣٩	جهل الخليفة بمعارض الكلم
١٣٩	رأى الخليفة فى الميراث
١٤٠	حكم الخليفة برجم امرأة حبلى
١٤٠	كلّ الناس أفقه من عمر
١٤١	حكم الخليفة برجم مضطرة
١٤١	قضاياه فى عسّه وتجنّسه
١٤٢	جهل الخليفة بطلاق الأمة
١٤٣	جهل الخليفة بالسنة
١٤٤	اجتهاد الخليفة فى ميراث الجدّ
١٤٤	رأى الخليفة فى فاقد الماء
١٤٥	رأى الخليفة فى دية الجنين

- استشارة الخليفة في متسابقين ١٤٥
- رأي الخليفة في شجرة الرضوان ١٤٦
- رأي الخليفة في المجوس ١٤٦
- جهل الخليفة بالسنة المشهورة ١٤٧
- رأي الخليفة في من قال: إني مؤمن ١٤٨
- سكوت الخليفة عن حكم الطلاق ١٤٨
- رأي الخليفة في صوم رجب ١٤٩
- رأي الخليفة في بيت المقدس ١٤٩
- رأي الخليفة في المتقين ١٥٠
- جهل الخليفة بالغسل من الجنابة ١٥٩
- اجتهاد الخليفة في التنفل بعد العصر ١٦٠
- اجتهاد الخليفة في الأضحية ١٦٣
- اجتهاد الخليفة في قراءة الصلاة ١٦٤
- اعتراف الخليفة بفضل علي (ع) ولولاه لهلك ١٦٦
- رأي الصحابة في علم أمير المؤمنين علي (ع) ١٦٨
- ما ورد في علم علي (ع) ١٧٠
- نظرة الى ما يتبع من الشعر ١٧٦
- ارتقاء علي (ع) على منكب الرسول (ص) لكسر الأصنام ١٧٧
- مصادر كسر الأصنام ١٧٨
- عود إلى أحاديث الغلو ١٨١
- ابن عمر وأحاديثه ١٨٧
- ما تنعقد به الخلافة ١٨٩
- البيعة والخلافة ١٩١

١٩٢	معاوية والخلافة
١٩٤	ما ورد عن الرسول (ص) في معاوية
١٩٧	معاوية والخمر
١٩٩	معاوية يأكل الربا
٢٠٠	ترك التلبية خلافاً لعلّي (ع)
٢٠١	يزيد وجنایاته
٢٠٣	ما أخبر به الرسول (ص) من الحوادث
٢٠٦	مروان بن الحكم
٢٠٨	وما أدراك ما الحجّاج
٢٠٩	الفضائل المختلفة للخلفاء
٢١٠	مناقشة تلك الفضائل
٢١٣	الأحاديث النبویة الدالة على وصاية الإمام علي (ع)
٢٢٣	الشجرة الملعونة
٢٢٥	ترجمة الحكم بن العاص
٢٢٩	لفت نظر
٢٣٠	ترجمة أبي سفيان
٢٣٤	ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح
٢٣٥	ترجمة عقبة بن أبي معيط
٢٣٧	ترجمة الوليد بن عقبة
٢٤١	ترجمة الحارث بن الحكم
٢٤٢	الإمام علي (ع)
٢٤٤	الشجرة الطيبة
٢٤٦	ترجمة عمرو بن العاص

٢٥٢	ترجمة معاوية بن أبي سفيان
٢٥٧	معاوية وسمرة بن جندب وجنايتهما
٢٥٨	معاوية وزيد بن سُمَيَّة
٢٥٩	عبادة بن الصامت مع ماذح معاوية
٢٥٩	سعد بن أبي وقاص ومعاوية
٢٥٩	قيس بن سعد ومعاوية
٢٥٩	أبو قتادة ومعاوية
٢٦٠	أسامة بن زيد ومعاوية
٢٦٠	أبو أيوب الأنصاري ومعاوية
٢٦٠	صعصعة بن صوحان العبدي ومعاوية
٢٦١	معاوية والوضّاعون
٢٦١	معاوية وما قاله الحسن البصري فيه
٢٦٢	معاوية وما قاله شريك فيه
٢٦٢	تمثال معاوية
٢٦٢	الفضائل المختلفة لمعاوية
٢٦٤	معاوية وجنايته على الحسن السبط (ع)
٢٦٥	معاوية وسبّه الإمام عليّاً (ع)
٢٧٣	معاوية وأبو ذر (ره)
٢٨٠	اسلام أبي ذرّ
٢٨٢	مناقب أبي ذرّ
٢٨٨	معاوية ومحاربتة الإمام الطاهر
٢٨٩	الأخبار المتواردة الناصّة على أولوية علي (ع) بالخلافة
٢٩٤	الشمس على عجلة

٢٩٥	اللحية المتوسِّل بها
٢٩٧	أبو بكر وسجود الملك
٢٩٨	أبو بكر قاب قوسين
٢٩٨	الهتاف من الحجرة النبويّة الشريفة
٢٩٩	اسم أبي بكر في خاتم النبيّ (ص)
٣٠١	أبو بكر ومحَبّوه
٣٠٣	اللّه يستحي من أبي بكر
٣٠٤	أبو بكر وتوسِّل الشمس به
٣٠٥	أبو بكر ومنزلته عند الله
٣٠٨	الخليفة الأوّل والكلالة
٣٠٩	الخليفة الأوّل ورأيه في الجدّة
٣١٠	الخليفة الأوّل ورأيه في الجدّتين
٣١٠	الخليفة الأوّل ورأيه في الجدّ
٣١١	الخليفة الأوّل ورأيه في قطع يد السارق
٣١١	أشجع الصحابة
٣١٥	ما استدلّ به على شجاعة الخليفة الأوّل
٣١٧	أعلم الصحابة بميراث الرسول (ص)
٣١٩	الخليفة وفدك
٣٢٣	الخليفة الأوّل وليلة الغار
٣٢٧	احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل عليّ (ع)
٣٣٦	الخليفة الأوّل ومدفن النبي (ص)
٣٤١	الخليفة الأوّل وندمه بما عمل
٣٤٣	قصّة الفجاءة

٣٤٥	الخليفة الأول وما ندم منه بتركه
٣٤٥	قصة الأشعث بن قيس
٣٤٧	قضية خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة
٣٥٣	الآيات المعربة عن ولاية عليّ (ع)
٣٦١	الحقّ على لسان عمر وقلبه
٣٦٣	عمر وفرق الشيطان منه
٣٦٤	كرامات عمر الأربع
٣٦٦	الزلزلة
٣٦٦	الحريق
٣٦٧	رواية يا سارية الجبل
٣٦٨	تحقيق حول إيمان أبي طالب (ع)
٣٦٩	الآيات المحرّفة في أبي طالب (ع)
٣٧٥	البحث في نزول الآية
٣٧٩	أحاديث وفاة أبي طالب (ع)
٣٨٠	لفت نظر
٣٨٣	ما ورد في فضل أبي طالب (ع)
٣٨٥	وصية أبي طالب لبني أبيه
٣٨٦	استسقاء أبي طالب بالنبيّ (ص)
٣٨٧	أبو طالب (ع) في مولد أمير المؤمنين عليّ (ع)
٣٨٨	قول أبي طالب لعليّ: ألزم ابن عمّك
٣٨٨	قول أبي طالب لجعفر: صل جناح ابن عمّك
٣٨٩	صحّة إيمان أبي طالب (ع)
٣٩٠	أسلم الأقوال في سيّد الأبطح

٣٩٠	كلمة الإمام السجّاد علي زين العابدين (ع)
٣٩١	كلمة الإمام الباقر (ع)
٣٩١	كلمة الإمام الصادق (ع)
٣٩١	كلمة الإمام علي الرضا (ع)
٣٩٢	الكلم الطيّب
٣٩٣	كلمات العلماء في إيمان أبي طالب
٣٩٣	المعلّم الأكبر الشيخ المفيد (ره)
٣٩٤	شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي
٣٩٤	الإمام الطبرسي؛ صاحب التفسير
٣٩٤	السيد ابن معدّ الفخّار
٣٩٤	الشيخ الفتال
٣٩٥	السيد الحجّة ابن طاووس
٣٩٥	الإمام ابن أبي الحديد المعتزلي
٣٩٥	الشيخ العلامة المجلسي
٣٩٦	النصوص الدالة على إيمان أبي طالب (ع)
٤٠١	القول الفصل في هذا المقام
٤٠١	ثمرة الإستيضاح عن أسناد حديث الضّحضّاح
٤٠٤	الرواية الأولى
٤٠٥	الرواية والثانية
٤٠٦	أشعار أبي طالب (ع)
٤١١	الأحاديث الضعيفة في إسلام أبي قحافة
٤١٩	مدائح في أبي طالب (ع)
٤٢٦	ثروة أبي بكر

٤٥٠ المقتطفات ج ١

٤٢٨ تدقيق النظر في ثروة أبي بكر

٤٣٠ انفاق أبي بكر

٤٣٤ نزول سورة هل أتى في شأن أهل البيت (ع)

٤٣٦ الليالي الزاهرات

٤٤١ فهرس المواضيع